

المثنوي المعنوي جلال الدين الرومي

الجزء الخامس

تعريب وشرح
د. ابراهيم الدسوقي شتا

“ 2 “

.

الكتاب الخامس

مقدمة المترجم

الإرادة الإلهية والحرية الإنسانية

لن أخوض في تاريخ هذه المشكلة وفي أصولها من القرآن والسنة عامدا ، إذ يكفي للقارئ الذي يريد أن يلم بهذه التفصيلات أن يفتح كتابا من كتب علم الكلام الإسلامي ليجد فيه بغيته من التفصيلات حول المشكلة التي قتلت بحثا في علم الكلام : مشكلة الجبر والاختيار .

ولا يوجد مفكر عرفاني دق على مشكلة الحرية الإنسانية في مقابل الإرادة الإلهية مثل مولانا جلال الدين ، فمبحث الحرية عند مولانا جلال الدين الرومي من المباحث الجديرة بأن تجلى وحدها وتفرد لها الأبحاث . وتتميز آراؤه في هذا المجال بالشمول والعرض الحيوي الذي يتقصى جوانب الموضوع ويقدم التعبير عن الفكرة في أكثر من مستوى ، كما كان يحرص على تقديم أمثال هذه القضايا في صورة حوار بين معتنقي وجهات نظر مختلفة حول نفس الموضوع أو نفس الفكرة ، وكان هذا التناول في حد ذاته ينقل القضية من مجرد قضية كلامية جافة وجامدة إلى قضية حية ، فلا شك أن القضايا تظل حية ما دامت تشغل أذهان الناس وتثير الحوار بينهم ، فإذا كفت أذهان الناس عن الانشغال بها ، وكفت ألسنتهم عن التحاور حولها ، انقلبت إلى قضايا كتب يناقشها الصفوة في مجالسهم الخاصة . فضلا عن أن مولانا عندما كان يختار الشخصيات التي تناقش قضية ما ، كان يختار معارض وجهة النظر التي يتبناها هو نفسه من نفس درجة مؤيدها ومستواه وذلك من ناحية الثقافة والقدرة على الجدل . وربما لم تأخذ قضية كلامية أخرى من مولانا جلال الدين كل هذا الاهتمام الذي أخذته منه قضية

الجبر والاختيار أو قضية الحرية الإنسانية ، وكأن مولانا كان يستشرف بنظرته المستقبلية النفاذة أن هذه القضية سوف تكون من قضايا المواجهة بين الشرق والغرب ، وأن الغربي عندما سيتسلط على المسلم سوف يقدمه كشخصية مستكينة إلى الجبر ، قشة في مهب الريح ، معدوم الحركة والإرادة في مواجهة قوة عاتية عمياء ، كما أن وقتنا سوف يأتي يتهم فيه الفكر الإسلامي بأن قضية الحرية لم تطرح فيه أساسا . ولا يكاد كتاب واحد من كتب المثنوي الستة يخلو من حديث عن مشكلة الجبر والاختيار ، حديثا لا يتصل بأبعادها الكلامية فحسب ، بل يتناولها كعادة مولانا عند تناوله لكل مشكلاته أبعادها الحياتية المعاشة ، فكأن مولانا في طرحه لقضية الجبر والاختيار يطرح في الأصل قضية الحرية على النحو التالي :

1 - ينطلق مولانا جلال الدين في تناوله لقضية الجبر والاختيار من أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الكائنات كلها ، منح الإنسان وحده من بينها منحة الحرية ، فالحرية بالنسبة له عطية إلهية . ولم يكن جلال الدين الرومي أول من وضع هذه الفكرة ، إذ وردت من قبله عند كل الصوفية ، فالفكرة تكاد تكون موجودة بنصها عند سنائي الغزنوي الذي قال :

- إن الإنسان مختار بين العقل والهوى ، وهذا هو تفسير آية " كرمنا " .

- فلا تذلل الإنسان ، ولا تشعره بالهوان ، فهو في الغيب ، صار جوهرًا من بين الناشئين في العيب .

- ومن بين العباد الذين وراء الحجاب ، إختارك أنت الاختيار .

- إلا أنك عن طريق الغضب والاحتياي ، تصبح وحشا ، أو تصبح دابة . “ 1 “

(1) سنائي الغزنوي : حديقة الحقيقة وشرعية الطريقة - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور - الأبيات 5461 - 5464 وشروحها - القاهرة - دار الأمين للطباعة والنشر - 1995

فكأن الصوفية كانوا يجمعون بين الاختيار والكرامة التي منحها الله للإنسان ، وأن مما يترتب على هذا التكريم الإلهي ألا يتعرض الإنسان للمهانة والإذلال من إنسان ، أو تسلب منه هذه الحرية التي منحها له الله تعالى . لخص سنائي وجهة نظره في عدة أبيات . لكن جلال الدين كعادته في الاستفاضة وكشف نقاط جديدة في القضايا التي تناولها الصوفية من قبله ، ينطلق إلى آفاق أبعد وأوسع ، فالاختيار عنده هو ملح العبادة ، فما فائدة عبادة يكون الإنسان مجبرا عليها وتكون قدرا عليه :

- والاختيار هو ملح العبادة ، وإلا فالفلك وحده يدور بالرغم منه .
- فإن دورانه لا طمعا في ثواب ولا خوفا من عقاب ، والاختيار فضلٌ عند الحساب . “ 1 “ بل بقدر جهد الإنسان تكون رحمة الله به :
- إن هذا الجهد والدعاء بقدر الهمة ، وليس للإنسان إلا ما سعى . “ 2 “ ويطيب لمولانا جلال الدين أن يبين دائما أن أول من قال بالجبر هو إبليس اللعين ، وأن أول من قال بالاختيار هو آدم عليه السلام :
- وتعلم من أبيك يا وضاء الجبين ، إذ قال قبل الآن " ربنا ظلمنا أنفسنا " .
- فلا هو تعلل ، ولا هو احتال ، كما أنه لم يرفع لواء المكر والحيلة .
- ثم إن إبليس هو الذي بدأ الجدل قائلا : لقد كنت أحمر الوجه " عزة " وجعلتني أصفره " ذلا " .

(1) مثنوى : 3 / 3287 - 3288

(2) مثنوي : 4 / 2912

- فاللون منك وأنت الذي قمت بصباغتي ، وأنت إذن أس جرمي وأفتي وجرحي .
 - فانتبه ، وأقرأ ربِّ بما أَعُوِّتَنِي، حتى لا تتحول إلى جبري ، وحتى تقلل من طوافك بالإلتواء .
 - فحتام تقفز على شجرة الجبر ، وحتام تلقي باختيارك جانبا .
 - مثل إبليس وذرياته ، فهو مع الله - جل وعلا - في حرب وجدال ؟
 - وكيف يكون إكراه وجبر وأنت بسعادة بالغة ، لا زلت تشمر ردائك في العصيان ؟
 - فهل يمكن أن يمضي أحد سعيدا هكذا فيما هو مجبر عليه ؟ ! وهل يمكن أن ينغمس أحد راقصا في الضلال ؟
 - وكنت تقاتل بقوة عشرين رجل في ذلك الأمر ، بينما كان الآخرون يقومون بنصحك .
 - وكنت تجادل قائلا : هذا هو الصواب ، وهذا هو الطريق الحق فحسب ، فمن الذي يعيب علي ، إلا ذلك الذي لا يساوي شيئا .
 - ومتى يقول الشخص الذي يكون مكرها مثل هذا ؟ وكيف يقاتل هكذا الذي لا يملك طريقه ؟
 - إن لك الاختيار في كل ما طلبته نفسك ، وكل ما أراده عقلك ، فأنت مضطر فيه ! ! “ 1 “
- 2 - ويرى مولانا جلال الدين أن الإنسان نفسه يحس في داخله بأنه مختار ، والدليل على هذا ترده بين أمرين ، وهذا الإحساس يسميه مولانا الإدراك الوجداني :

(1) مثنوى : 4 / 1389 – 1401

- يكون هناك إدراك وجداني بدلا من الحس ، وكلاهما يجريان في جدول واحد يا عماه .
- وبهذا يلطف الأمر والنهي والتكليف ، وما يجري ، وما يقال .
- وقول : ترى ماذا أفعل غدا ؟ أفعل هذا الأمر أو ذاك الأمر ، هو دليل على الاختيار أيها الوسيم الحسن .
- وذلك الندم الذي يعتريك أنك أكلت من ذلك " الطعام " السيء ، قد صرت مهتديا إليه من جراء إختيارك أيضا .
- وكل القرآن أمر ونهي ووعيد ، فمن ذا الذي رأى حجرا من المرمر قد وجه إليه أمر ؟
- ولا يوجد عاقل أو عامل قط يغضب على حجر أو مدر ، أو يحقد عليه .
- قائلا لهما : لقد قلت لكم : افعلوا هذا أو افعلوا ذاك ، فكيف لم تقوموا بفعله أيها الأموات العجزة ؟ !
- ومتى يحكم العقل على الحجر أو على الخشب ، ومتى ينشب الإنسان مخالبه في صورة مخلب ؟ !
- أو أن يقول : أيها الغلام مقيد اليد والقدم ، هيا خذ الرمح وتعال صوب الوغى !!
- والخالق الذي يخلق الكواكب والأفلاك ، كيف يقوم بأمر أو نهى يدل على جهل ؟ !
- لقد محوت احتمال العجز عن الحق ، ثم اعتبرته - جل وعلا - جاهلا ذاهلا سفيها . !!
- والعجز لا يكون من القادر وإن نسبته إليه ، فإن الجهل يكون أقبح من العجز . “ 1 “

أثمة عجز وجهل ، ثم يكون أمر ونهي ؟ كيف يمكن أن يكون ذلك متأتيا من العدالة الإلهية ؟ وكيف تجيز على الخالق تعالى ما تستنكف نسبته إلى بشر ممن خلق ؟ ! - والعدل قسام وجدير بالقسمة وقابل لها ، وهذا هو العجب ، فلا جبر ولا ظلم .

- فإن كان ثم جبر ، متى كنت نادما ؟ ، وإن كان ظلم ، متى كان حافظا ؟ “ 1 “ ويعود مولانا إلى هذه النقطة كثيرا يتناولها من جوانب متعددة ، فقد كان يرى أن شعور الندم والحياء من الحق والتضرع إليه والتوبة والإنابة هي الدليل الأكبر على أن الإنسان مختار في فعله ، ويقدم تفصيلا وافيا لها في الأبيات التالية :

- وأعد من القرآن تفسير البيت ، في قوله تعالى : وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ .
- فإن أطلقنا السهم فليس هذا منا ، فنحن القوس والرامي هو الله .
- وهذا ليس جبرا ، لكنه معنى الجبرية ، والجبرية تعن عند ذكر العجز والمسكنة .
- وصراخنا ونواحن دليل على الاضطرار ، واخلنا صار دليلا على الاختيار .
- وإذا لم يكن اختيار ، فما هذا الخجل وما هذا الأسف وهذا الندم ؟
- ولماذا يعاقب الأساتذة تلاميذهم ؟ ، ولماذا يكون تحويل الخواطر عن تدابيرها ؟

(1) مثنوى : 4 / 1643 - 1644

- وإذا قلت أنه آنذاك يكون غافلا عن جبره ، وأن قمر الحقيقة يكون مختفيا خلف سحابه ، - فإن لي على هذا الاعتراض جوابا حسنا ، إن استمعت إليه ، تترك الكفر وتدخل في الدين .
- فالحسرة والضراعة تكون عند المرض ، وأوان المرض كله يقظة .
- وأنت عندما تسقط مريضا ، تقوم بالاستغفار عن جرمك .
- ويبدو في داخلك قبح الذنب ، وتنوي قائلا : سوف أرجع إلى الطريق القويم .
- وتأخذ على نفسك العهود والمواثيق وتقول : لا يكون لي اختيار في الأمور من بعد إلا الطاعة .
- ومن ثم صار من المؤكد أن مرضك يهيك الوعي واليقظة .
- فاعلم هذا الأصل إذن يا باحثا عن الأصول ، إن كل من أحس بالألم ، ظفر برائحة " تقوده إليه "
- وكل من هو أكثر يقظة ، يكون أكثر ألما ، وكل من هو أكثر وعيا ، يكون أكثر شحوبا .
- فإذا كنت منتبها إلى جبره ، فما ضراعتك ؟ ، وأين رؤيتك لغل الجبارية الحديدي ؟
- وكيف يفرح المقيد بالغل الحديدي ؟ وكيف يزاول نزيل السجن الحرية ؟
- وإن كنت ترى أن قدمك قد قيدت ، وأن عسكر الملك قد وقفوا على رأسك ،
- لا تزاول إذن مع العاجزين ما يفعله العسكر ، فليس هذا من طبع العاجز أو من شيمه .

- فإذا كنت لا ترى جبره ، لا تتحدث عنه ، وإن كنت تراه ، فأين دليل الرؤية ؟
- وفي كل أمر تكون ميالا إليه ، لا تفتأ ترى قدرتك عيانا ، - وما لا ميل لك فيه أو رغبة ، تجعل نفسك جبريا ، وتقول أنه من الله .
- فالأنبياء جبريون في أمور الدنيا ، والكفار جبريون في أمور العقبي .
- وللأنبياء اختيار في أمور العقبي ، وللجهال اختيار في أمور الدنيا . “ 1 “

ويكرر مولانا نفس هذا المثال في الكتاب الذي بين أيدينا :

- لقد قمت بحرفة ما طوعا واختيارا قائلا : إن لي اختياري وفكري ،
- وإلا كيف اخترت هذه الحرفة من بين الحرف يا عينا من الأعيان ؟ !
- وعندما تأتي نوبة النفس والهوى ، يكون عندك اختيار بقدر ما يكون من عشرين رجل .
- وعندما يبخسك رفيقك مقدار حبة ، فإن اختيار العراك قد تفتح في روحك .
- وعندما تأتي نوبة شكر النعم ، فلا اختيار لك ، وتكون أقل من حجر .
- ويقينا إن الجحيم سوف يعتذر لك قائلا : أعذرنى في حرقى إياك هكذا . “ 2 “
- ويفسر مولانا هذا الندم تفسيرا منطقيا آخر ، إن هذا الندم هو الآخر قضاء مثل العمل الأول الذي كان قضاء بدوره ، وأن هناك أمورا تتدخل في اختيارك ، وأمورا أخرى تتدخل في ندمك على هذا الاختيار ، والأمر هنا يشبه موقفا آخر اتخذته مولانا جلال الدين قد يكون قدريا فيه ، وإن كانت

.....
 (1) مثنوى : 1 / 619 - 642
 (2) مثنوى : 5 / 3069 - 3074

- النظرة النفاذة في هذه الأبيات توحى بأن " الاختيار اختيار الله والقضاء قضاء الله " :
- والأمر الذي تندم عليه في نهايته لو كان هذا حاله من البداية ، متى كنت تسرع في أثره ؟
 - ومن ثم فقد أخفاه في البداية عن أرواحنا ، حتى نقوم بهذا الأمر كما قضي علينا " أن نقوم به "
 - وعندما نفذ حكم القضاء ، فتحت العين لكي يحدث الندم .
 - وهذا الندم قضاءً آخر ، فاترك الندم إذن ، وكن عابدا للحق .
 - وإن تتعود على الندم ، تصير من هذا الندم أكثر ندما .
 - فيمضي نصف عمرك في التشتت والاضطراب ، ويمضي نصفه الآخر في الندم .
 - فاترك هذا النمط من الفكر والندم ، وابحث عن حال أفضل ورفيق أفضل وعمل أفضل .
 - وإن لم يكن في يدك عملٌ أفضل ، لفوت أي شيء إذن يكون ندمك ؟
 - وإن عرفت طريقاً طيباً فاسلكه واعبد الله ، وإن كنت لا تعرف ، فكيف تعرف أن هذا " الذي أنت فيه " سيء ؟
 - إنك لا تعرف الشر ما لم تعرف الخير ، إن الشيء يمكن رؤيته بضده أيها الفتى .
 - وما دمت عاجزاً عن التفكير في ترك هذا الندم ، فأنت آنذاك عاجز عن ترك ارتكاب المعصية .

- وإذا كنت عاجزا ، فمم يكون الندم ؟ ابحث ثانية جذب من كان ذلك العجز . “ 1 “
هكذا تطور مولانا جلال الدين ببيانه المقنع ليصل إلى النقطة التي يدق عليها :
هب أن الأمور قضاءً ، فلماذا الندم ؟ وإذا كنت عاجزا وكانت المعصية مفروضة عليك ، فلماذا
إذن الندم عليها ؟ وهل يندم المرتعش الذي تهتز يداه من مرض مثلما يندم الذي يهز يديه عمدا
وقصدا ؟ “ 2 “
- 3 - وفي هذا المجال من الممكن أن تقسم كل مظاهر الخليقة إلى قسمين : ما هو قابل للتغير ،
وما ليس قابلا للتغير ، والإنسان في تعامله مع ما ليس قابلا للتغير مجبور ، لكنه مختار في
الأمور التي تقبل التغير ، بل ومطالب بتغييرها إلى الأفضل .
وعندما يسوق مولانا حوارا بين الأنبياء الذين يقولون أن الإنسان مختار والكفار الذين يقولون أن
كفرهم قدر مقدور ، ويضربون الأمثال بأن الحجر يظل حجرا والقديم يظل قديما والماء على
صفاته منذ الأزل والطين أيضا على صفاته ، وكل شيء قد خلق هكذا كقدر مقدور لا يقبل
التحول :
- قال الأنبياء : أجل ، لقد خلق الله صفات لا يمكن تحويلها أو تبديلها .
- كما خلق - جل شأنه - صفات عارضة ، بحيث يصير المبعوض محبوبا
- فإن قلت للحجر كن ذهباً فهذا عبث ، أما أن تقول للنحاس كن ذهباً ، فهناك سبيل .

(1) مثنوى : 4 / 1336 - 1347

(2) مثنوى : 1 / 1506 - 1509

- وإن قلت للرمل كن زهرا فهو عاجز ، أما أن تقول للتراب : كن زهرا ، فهذا جائز . “ 1
- “ فالأنبياء وإن اعترفوا بأن كل شيء ليس قابلا للتغيير والتبديل ، إلا أنهم قالوا بأن الأمراض الموجودة في النفس البشرية قابلة للعلاج ، والواقع أن الصوفية جميعا كانوا من أنصار الاختيار ، لأنه لو كان ثم جبر ، لما كان هناك طريق أو سلوك أصلا ، وهذا ما يسميه همائي بالفرق بين جبر العوام وجبر الخواص ، ففي الطريق ، وأثناء السير والسلوك إلى الله سبحانه وتعالى يظل السالك مشغولا بالجبر أو الاختيار ، لكنه عندما يصل إلى المعية والفناء ، حيث تفنى تعيناته ويستهلك في المطلق ، لا يبقى له اختيار ، بل يكون وجوده هو عين وجود الحق ، كقطرة لحقت ببحرها ، وهذا هو جبر الخواص “ 2 :
- وكل من كان حائرا مستغرقا في تردده ، همس الحق في أذنه بلغز من الألغاز .
- وذلك حتى يجعله سجيناً بين ظننين ، قائلاً : ترى أفعل ما همس لي به أو أقوم بعكسه ؟
- ومن الحق أيضاً يرجح أحد الظننين ، ومن كنف لطفه ، يختار واحداً من الاثنين .
- وإذا لم تكن تريد أن يظل لب الروح في هذا التردد ، فقلل من ضغطك على هذه القطننة في أذن الروح .
- حتى تفهم كل ألغازه ، وحتى تدرك المعميات والواضحات .

.....

(1) مثنوى : 3 / 2911 - 2914

(2) جلال الدين همائي : مولوى نامه 1 / 98 - 99

- فتصبح الأذن موضعا لوحى الحق ، وما هو الوحي ؟ إنه الجدير بالقول عن طريق الحس الخفى .
- فعين الروح وأذنها غير هذه الحواس الظاهرة ، وعين العقل وأذن الظن يفنقران إليه .
- ولفظ الجبر جعل العشق منى نافذ الصبر ، ومن ليس بعاشق سجين فى نطاق الجبر .
- إنها معية مع الحق وليست جبرا ، إنها تجل للقمر ، وليست سحابا .
- وإن كان هذا جبرا فليس جبر العامة ، وليس جبر تلك الأماراة تابعة هواها
- وهم يعرفون حقيقة الجبر يا بني ، فقد فتح الله أبصار قلوبهم .
- ولقد صار الغيب والآتى ظاهرين لهم ، وصار ذكر الماضى هباءً عندهم .
- واختيارهم وجبرهم من نوع آخر ، فالقطرات فى الأصداف تتحول إلى درر .
- وهى خارج الصدف مجرد قطرات صغيرة أو كبيرة ، لكنها فى الصدف درر صغيرة وكبيرة .
- وهؤلاء القوم يتصفون بطبع نافجة الغزال ، ظاهرهم دم ، والمسك فى بواطنهم .
- ولا تتساءل : إنه من الواضح أن هذه المادة دم ، فكيف تصبح مسكا عندما تصل إلى النافجة ؟
- ولا تقل : لقد كان نحاسا ، وإن إختفى ظاهره ، وإلا فكيف يتحول فى قلب الأكسير إلى جوهر ؟

- فالاختيار والجبر كانا فيك مجرد خيال ، وعندما انتقلا إليهم ، تحولا إلى نور لذي الجلال . “ 1
- “ والإنسان الذي لا يدرك الاختيار يكون في عدم إدراكه لهذا الاختيار أقل من حيوان :
- ولو أن جمالا قام بضرب جمل ، فإن ذلك الجمل يهاجم الجمال الضارب
- ولا ينصب غضب الجمل على العصا التي ضربته ، إذن فقد فهم البعير شيئا عن الاختيار .
- وهذا الكلب إن رميته بحجر ، فإنه ينتنني عليك أنت بالهجوم .
- وإن أبدى بعض الغضب على الحجر ، فلأنك بعيد ، ولا تنالك يداه .
- وإذا كان عقل الحيوان قد فهم الاختيار ، فلا تقل هذا القول يا عقل الإنسان ، واخجل .
- إن هذا شديد الوضوح ، لكن طمعا في السحور ، يغمض ذلك الأكل عينيه عن النور .
- ولما كان كل ميله منصبا على تناول الطعام ، فإنه يتجه إلى الظلام قائلا :
- لم يطلع النهار .
- وإذا كان الحرص يخفي الشمس ، فأى عجب أن يعطي ظهره للبرهان ؟ ! “ 2 “

4 - ويجد الجبر مصداقيته ما دام متوافقا مع القوانين الإلهية ، وهناك اختيار فردي وليس الأمر قدرا مقدورا ، وصورة الشريعة أي كلياتها لا تتغير لكن محتواها حر وقابل للتغيير ، وفي هذه المصالحة بين الشريعة والاختيار نلتقي

.....
 (1) مثنوى : 1 / 1466 - 1484
 (2) مثنوى : 5 / 3050 - 3057

بأكثر التصورات في فلسفة إقناعا ومنطقية . فالدين وهو الجوهر الأصلي لتصوير الشرع أبدي ولا يتغير ، وطبيعته دائما ما هي على نسق واحد ، ومن هنا فهي بلغة العرفان " خارجة عن حدود الزمان والمكان " وبلغة علم الأديان " مقدرة وجبرية " ، ومن هنا فإن البنية التحريرية للشخصية تكون في حاجة إلى نسقية معنوية وعلمية وعالية معنوية ، ولقد كتب قلم التقدير مرة واحدة وإلى الأبد أن لكل عمل جزاء خاصا به ، فإن إخترت طريقا معوجا ، فإن القانون الأزلي الذي لا يرحم للقضاء سوف يأخذك إلى طريق الخطأ ، والحق والباطل كلاهما مطيع لهذا القانون ، فإن قلم التقدير لا تحركه إرادة مستبدة ، فمن المقدر أن يكون للخير والشر نتائجهما التي لا بد منها ، الميزان الإلهي يزن الذرة ، والكتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها . " 1

“ ويتجلى هذا المعنى في تفسير مولانا جلال الدين للحديث النبوي

[جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، رفعت الأقلام وطويت الصحف]

ويضيف مولانا :

جف القلم ألا تستوى الطاعة والمعصية ، لا تستوى الأمانة والسرقة ، جف القلم ألا يستوى الشكر والكفران ، جف القلم أن الله لا يضيع أجر المحسنين :

- وهكذا أيضا تأويل قد جف القلم ، إنها من أجل التحريض على الشغل الأهم .

- إذن فقد كتب القلم إن لكل فعل ما يليق به من تأثير وجزاء .

- تسير معوجا ، يأتيتك الإعوجاج ، جف " بهذا " القلم ، وإن أتيت بالصدق والاستقامة ، تتولد لك السعادة .

(1) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى - ترجمة أحمد محمدي وأحمد مير علاني - تهران 1352 ص 101 وص 102

- وإن ارتكبت الظلم فأنت مدبرٌ سئ الحظ ، جف القلم بهذا ، وإن عدلت فأنت ذو نصيب من هذا " العدل " ، جف القلم .
- وعندما يسرق أحد ، فقد ضاعت يده ، جف القلم ، ومن يشرب الخمر فقد ثمل ، جف القلم .
- “ 1 “ ثم يعود مولانا إلى الفكرة في موضع آخر :
- إن هذه الأحزان هي فعلك لحظة بلحظة ، هذا هو معنى جف القلم .
- فلن تجد لسنتنا تبديلاً من الرشد ، فالخير يجازى بالخير ، والشر بالشر .
- بل الشر للشر ، جف القلم ، والوفاء للوفاء ، جف القلم . “ 2 “
- الحق والباطل إذن كلاهما مطيع لقانون ، وحكم التقدير لا يجري كيفما أُنْفَق ، والاختيار موجود وكامن وفي حاجة إلى من يحركه ، داعي الخير أو داعي الشر :
- وهناك اختيار كامن في باطنك ، ما لم ير مثيلاً ليوسف ، لا يقوم بجرح اليد .
- كان الاختيار وكان الداعي موجوداً في النفس ، ورأى وجهه ففتح الجناح والقوادم .
- والكلب قد نام وضاع منه اختياره ، وعندما رأى السقط ، بصبص بذنبه .
- والحصان يصهل عندما يرى الشعير ، والقطة تموء عندما يتحرك اللحم - فإن الرؤية تحريك لهذا الاختيار ، كالنفخ يثير من النار الشرار .
- ومن هذا فقد تحرك اختيارك ، عندما صار إبليس رسول غرام ، وأتاك برسالة من محبوبك .

(1) مثنوى : 3135 - 3131 / 5

(2) مثنوى : 3183 - 3182 / 5

- وعندما يُعرض الشيء المشتبه على امرئ ما ، فإن الاختيار النائم يتمطى ، وتتفتح أعطافه .
- ثم إن ملائكة الخير برغم أنف الشيطان ، تعرض هي الأخرى " ما لديها " وتقيم ضجة في القلب .
- حتى يتحرك اختيار الحق لديك ، فقبل العرض تكون هاتان الخصلتان نائمتين داخلك .
- إذن فالملاك والشيطان كلاهما عارض " عليك " ، وذلك من أجل أن تتحرك عروق الاختيار فيك . “ 1 “ الإنسان إذن ليس مترددا بين مستحيلين ، بل إن كل واحد منهما ممكن ، ومعرض ، بل ومعروف العقبة ، تأمل الإنسان بينهما ، تلك اللحظة الفاصلة قبل الاختيار ، قدرته على شيء وعدم قدرته على شيء ، وهو في هذه الفجوة ، هذا هو خير دليل على الاختيار ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وإن قلت أن اختيارك للشر قضاء ، فإن هذا لن يعفيك من المسؤولية والعقاب ، فالله تعالى أمر بأن يعاقب الشرير :
- قال لص للشرطي : أيها العظيم ، إن ما ارتكبته ، كان من حكم الإله .
- قال الشرطي : وما أفعله أنا من عقاب ، هو حكم الله أيضا يا نور عيني . “ 2 “

(1) مثنوى : 5 / 2975 - 2984

(2) مثنوى : 5 / 3058 - 3059

وهكذا ، فإن أكل أحدهم ثمرة من شجرة على أساس أن " عبد الله يأكل من حديقة الله " ، فإن حبل الله أيضا موجود ليوثق به ، وعصا الله موجودة ليضرب بها ، جبرك في الشر من الممكن أن يُقابل بجبر في العقاب " 1 " هذا هو منطق العدالة الإلهية .

5 - ولكن : هل يعني الاختيار هنا أنه اختيار على إرادة الله ؟ وهذا يعني أن الله يريد وأن الإنسان يريد ، وما دام الإنسان مختارا فإن له بالفعل إرادة مستقلة ؟ بالتأكيد لا يستطيع مسلم فضلا عن صوفي وعارف أن يجيب على هذا السؤال بالإيجاب . وخروجا من هذا التناقض يجيب مولانا بأن اختيار البشر جزء من اختيار الخالق ، وهو اختيار أصغر أمام الاختيار الأكبر ، ويفسر هذا ببيانه العظيم قائلا :

- إن اختياره هو الذي اختار كل أنواع الاختيار ، واختياره كالفارس " مخفي " في الغبار .
- وإن اختياره هو الذي يقوم باختيارنا ، ومن ثم صار الأمر مستندا على الاختيار .
- والتسلط على صورة بلا اختيار ، موجود عند كل مخلوق عند قدرته عليها .
- حتى ليُجر الصيد دون اختيار من هذا الصيد ، وحتى يسحب أحدهم زيدا جارا إياه من أذنيه .
- لكن صنع الصمد " يستطيع " بدون آلة قط ، أن يجعل اختياره وهقا له .
- فإن اختياره يقيد زيدا ، ويصيده الحق دون كلب أو فخ .

(1) مثنوى : 5 / 3077 - 3084

- والنجار يكون مسلطا على الخشب ، وذلك المصور يكون حاكما على الجمال الذي صوره .
- كما أم الحداد قيم على الحديد ، والبناء مسيطر على آلة عمله .
- والعجيب أن كل هذه الاختيارات ، تسجد أمام اختياره هو كالعبيد .
- وقدرتك على الجمادات في صراعك " مع الحياة " ، متى نفت الجمادية عن أي منها .
- ومن ثم قدرته على المخلوقات المميزة ، لا تقوم بنفي الاختيار عنها .
- فداوم على القول بأنها مشيئة الله على وجه الكمال ، فليس فيها نسبة الجبر والضلال . “ 1
- “ لكن إياك - استنادا على هذا القول - أن تقول إن كفري مشيته ، إنه من مشيئته ، وهو أيضا من مشيئتك ، فلا كفر بلا مشيئة :
- وما دمت قد قلت : إن كفري مشيئته ، أعلم أن مشيئتك أيضا موجودة - ذلك أن كفرك لا يكون دون مشيئة منك ، إن الكفر بلا مشيئة منك قول متناقض .
- فالأمر للعاجز قبيحٌ وذميم ، والغضب " عليه " أقبح ، وبخاصة عندما يكون من الرب الرحيم .
- إن الثور الذي لا يقبل النير يتعرض للضرب ، لكن ثورا قط لم يُحقر ، لأنه لم يطر .
- وإن لم يكن الثور معذورا في فضول الفعل والقول ، فمن أي شيء يكون صاحب الثور الوقح معذورا . “ 2

(1) مثنوى : 3087 / 5 - 3099

(2) مثنوى : 3100 - 3103

- نعم : قد يتدخل اختيار الله سبحانه وتعالى ، فينقض ما اختار العبد ، وهو المعروف " بفسخ العزائم ونقضها من أجل إعلام الإنسان أنه هو المالك والقاهر " يقول مولانا تحت هذا العنوان :
- إن العزائم والمقاصد في الحوادث ، تصح لك بين الحين والآخر .
 - حتى يلوى قلبك طمعا ، ثم يحطم قلبك مرة أخرى .
 - ذلك أنه إذا جعلك بلا مراد كلية ، لصرت قانط القلب ، فمتى غرست غرس الأمل ؟
 - فهو وإن كان ينقش الأمل في قلب كل إنسان ، فمتى كان قهره يبدو عليه من انتفاء هذا الأمل ؟
 - لقد صار العشاق من صدهم عن مرادهم عارفين بمولاهم .
 - وصارت الخيبة دليلا إلى الجنة ، فاستمع إلى " حفت الجنة " يا حسن الجبل .
 - وكل مراداتك كسيرة القدم ، ومن ثم يلزمك شخصٌ موفق الخطى .
 - ومن ثم صار هؤلاء الصادقون كسيرين ، لكن أين هو انكسار عاشقين .
 - وإن العقلاء كسيرون له اضطرابا ، لكن العشاق كسيرون له بمائة اختيار . " 1 " وهكذا عندما يصل مولانا جلال الدين إلى نقطة الصعوبة في القضية ، يقدم حله المعهود : العشق ، عندما تكون عاشقا ، لن تقول إرادتي وإرادته ، بل سوف تذوب الإرادات كلها ، إن صار لك ثم إقتران بالنور الإلهي ، فلا جبر ولا اختيار ، بل ذوبان تام في كل ما اختاره الله :
 - وجاهد حتى تجد جرعة من كأس الحق ، فتكون آنذاك متجردا عن ذاتك بلا اختيار .

- وعندما تصبح تلك الخمر هي اختيارك الكلي ، تكون معذورا على الإطلاق ، كالثمل .
- وكل ما تدقه يكون مدقوقا بتلك الخمر ، وكل ما تكنسه ، يكون مكنوسا بها .
- ومتى يفعل ذلك الثمل إلا العدل والصواب ، لقد شرب من كأس الحق الشراب . “ 1 “
- اختيار البشر في هذه الحالة موجود ، لكن كظل لما اختاره الله [ومن أشرف على حسن اختيار الله ، لم يتمن إلا ما اختار الله له] في قول منسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما . “ 2 “
- وهذا يتفق مع نظرية جلال الدين الرومي الشاملة التي تعتبر كل الموجودات ظلا لشمس الحقيقة الكبرى ، والمقصود بالطبع أن الإرادة الإلهية عندما تغلب ، لا يكون هناك اختيار لمخلوق ، ومن ثم تتكرر عند مولانا دائما عبارة " إن جاء القضا ، ضاق القضا " :
- وعندما يحم القضاء ، تضيق هذه الدنيا ، ومن القضاء تصير الحلوى ألما للقم .
- لقد قيل : إذا جاء القضاء ضاق القضا ، تحجب الأبصار إذ يأتي القضاء .
- وعندما يحم القضاء ، تعمى الأبصار ، بحيث لا ترى العين كحل العين .

.....

(1) مثنوى : 5 / 3105 - 3108

(2) الهجویری : كشف المحجوب - الترجمة العربية بمشاركة كاتب هذه السطور - ص 211

- إن مكر ذلك الفارس أنه أثار الغبار ، وذلك الغبار هو الذي أبعدك عن الاستغاثة .
- فامض نحو الفارس ، ولا تمض نحو الغبار ، وإلا أطبق عليك مكر هذا الفارس . “ 1 “
- يريد مولانا أن يقول : حذار أن تتبجح وتترك الضراعة ، وأن تظن أنك مسلط على مصيرك ، وأن يرديك هذا الظن فتتنصرف عن العبودية والتضرع والعبادة :
- وأمام النور المستقر ، ماذا يكون في حد ذاته ، كر اختيار أبي البشر وفره ؟
- وموضع السمع فيه قطعتان من العظام ، وموضع إدراكه قطرتان من الدم ، أي القلب .
- وقطعة من اللحم أداة للحديث عنده ، وقطعة من الشحم هي موضع بصره .
- إنه مجرد دودة صغيرة مليئة بالأقذار ، لكنه ملأ الدنيا بالضجيج والصخب . “ 2 “ والمقصود بالطبع أن تكريم الإنسان بالاختيار ، لا ينبغي أن يكون سببا في تجبره وادعائه ، وأن يدعي أنه " خلف شغاف القلب محبوب معتز برأيه " “ 3 “ هذا الاختيار اختيار غير كامل ، يعبر عنه مولانا بأنه اختيار ذو شقين ، أي بين طريقتين من الشك والخوف والهول والتردد الذي يعذب البشر في أعمالهم

.....

(1) مثنوى : 3 / 380 - 384

(2) مثنوى : 5 / 1852 - 1855

(3) جلال الدين همائي : مولوى نامه - 1 / 90

وأفعالهم ، ومن ثم يجد المرء نفسه - بالرغم من الكرامة التي أعطيت له - متضرعا إلى الخالق أن ينجيه من شر هذا الاختيار ، هي مسؤولية الحرية التي لا تزال تعذب الحر ، لكن المناجي هنا يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يصطفي روحه ويجعلها له ، ويسقيها من دن الغيب شرابا ينقلها إلى قدريّة الجنون والسكر الإلهي “ 1 “ :

- ومن أكون أنا ؟ إن هذا الفلك ذا المئات من أنواع الحشمة والجلال ، قد صرخ أكثر من هذا الحقير من جراء الاختيار .

- قائلا : أيها الإله الكريم الحليم ، ارحمني من هذا الاختيار ذي الشقين .
- إن الجذب إلى طريق واحد هو الطريق المستقيم ، أفضل من طريقي التردد أيها الكريم .
- ومهما كنت أنت المقصود من هذين الطريقين ، لكن انتزاع الروح جاء من الإثنية .
- وليكن لي أي هذين الطريقين بعزمك أنت ، لكن القتال فيك لم يكن قط كاللهو .
- واستمع إلى بيانها من القرآن الكريم ، في الآية الكريمة أَشْفَقْنَا مِنْهَا .
- وهذا التردد في القلب كأنه جمر الوغى ، أي الأمرين بالنسبة لي أفضل ، يا ترى . “ 2 “

(1) المصدر السابق : ص 91

(2) مثنوى : 6 / 202 - 208

وحتى في هذه الحالة ، تظل العظمة الإلهية منوطة بكون الإنسان مختارا ليس مجبرا هذا كما تقاس العظمة الحقيقية لأي حاكم بأنه يحكم شعبا من الأحرار لا شعبا من العبيد ، فأية مزية حقيقية للحكم والسلطة على مخلوقات كقطع الشطرنج . وهذا أمر شديد الوضوح ، . والاختيار على مراحل ، وهو ظاهرة ليس لها وجود عيني كالأجسام في الخارج ، ظاهرة - والرأي لمحمد تقي جعفري صاحب التفسير الكبير لمثنوي جلال الدين - “ 1 “

ذات حالتين : الحالة الأولى وهي القوة الموجودة قبل اختيار العمل والقيام به ، وفي هذه الحالة لا يتنافى الاختيار ولا يصطدم بأي اختيار آخر ، ما دام لم يدخل في حيز العمل بعد ، وهناك تتنافس مئات الأنواع من الاختيارات ما دامت كلها لم تنتقل إلى حيز العمل أو تنتقل من القوة إلى الفعل أو من الفكرة إلى التنفيذ هذه الحالة تشغل حيزا من الوجود لا يمكن لفكرة أخرى أن تشغله ، ومن البديهي أن النقيضين لا يجتمعان ، ومن ثم فإن كون الله سبحانه وتعالى مختارا مطلقا فوق اختيارات الإنسان ، لا يتنافى مع اختيار الإنسان ، لأن الاختيار الإلهي ليس حقيقة عينية تتصادم مع حقائق عينية أخرى ، وهذا يشبه تماما قولنا أن وجود الله وإحاطته بكل الوجود لا يتنافى مع كون الإنسان موجودا ، بل إن اختيار الله سبحانه وتعالى يستلزم وجود اختيار آخر لكي يجرى مشيئته عليه ، وهو ما عبر عنه مولانا بأن قدرة الإنسان على الجماد لا تنفي جمادية الجماد “ 2 “ وهو ما سبق أن ذكرناه ، ليس هذا

- (1) محمد تقي جعفري : تفسير ونقد وتحليل مثنوي جلال الدين محمد مولوى - ج 12 - ص 407 - 409 - تهران - اسلامي - 1363 هـ . ش .
- (2) المصدر السابق : ص 408

فحسب ، بل إن منتهى الاختيار أن يمحي هذا الاختيار الجزئي الإنساني في الاختيار الكلي الإلهي :

- قال داود عليه السلام : لقد كنت مغلوبا لك ، ثملا بك ، كانت يداي مقيدتين بيدك .
- أليس كل مغلوب للمليك مرحوما ؟ وأليس المغلوب كالمعدوم ؟
- قال سبحانه وتعالى : أين ذلك المعدوم المغلوب ؟ أيقنوا أنه ليس معدوما إلا بشكل نسبي .
- إن مثل هذا المعدوم الذي غاب عن وعيه ، هو أفضل الموجودات وأعظمها .
- إنه فان في صفات الحق ، وفي الحقيقة فإن البقاء له في هذا الفناء .
- وكل الأرواح في تدبيره ، وكل الأشباح في مرمى سهمه .
- إن من هو مغلوب في لطفنا ، ليس مضطرا " مجبورا " ، بل هو مختار بالولاء والمحبة .
- ومنتهى الاختيار يصبح لمن يكون اختياره مفتقدا هنا .
- وليست هناك لذة عند المختار ، إن لم يصر له محو الأنية في نهاية الأمر . " 1 "
- وكما أن " جف القلم " لا تعني استسلاما ، بل تعني أن هناك ثوابت في الحساب الإلهي ، فإن القول الآخر

[ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن]

لا يعني أن يترك الإنسان نفسه مثل قشة في مهب الريح ، فالمشيئة مشيئته تعني أن الرضا رضاه سبحانه وتعالى والغضب غضبه ، فالزم طاعته ، ولا تطلب رضا الآخرين ، واطلب رضاه :

(1) مثنوى : 4 / 395 - 404

- إن قول العبد " ما شاء الله كان " ، ليس من أجل أن تتكاسل على أساسه .
- لكنه تحريض على الإخلاص والجد ، أي زد في العبادة ، وكن مستعدا .
- فإن قيل لك أن الأمر أمرك أيها العظيم ، والفعل فعلك ، فقم به حسب هواك .
- يجوز حينذاك أن تكاسل ، فإن كل ما تريده أو تقوله هو الذي يصير .
- وعندما يقال : ما شاء الله كان ، يعنى أن الحكم حكمه تعالى وإلى الأبد .
- وإلا فلماذا أنت في ورده وذكره كمائة رجل ، وكيف لا تطوف بعبودية حول بابه ؟
- لقد قلت هذا الكلام وصرت كسولا ، وصرت معكوس الخاطر والإدراك .
- فالأمر أمر السيد فلان ، ماذا تعني ؟ تعني قلل الجلوس مع غيره .
- وطف حول السيد ما دام الأمر له ، إنه يقتل العدو ، وينجي الصديق . “ 1 ”

6 - ولا يعني الجد أو السعي الذي يدق عليه مولانا جلال الدين كثيرا أن على الإنسان أن يقاوم ما لا سبيل إلى مقاومته ، أو أن يحاول الخروج عن نطاق القضاء ، أو بتعبير خليفة عبد الحكم " أن يدق رأسه في جدار القضاء " فالجد والسعي والكدح في حد ذاته جزء من قدر الإنسان “ 2 ” :
 - والجهاد ليس من قبيل مغالبة القضاء ، فهو أيضا ما كتبه علينا القضاء . “ 3 ” كما يرى خليفة عبد الحكم أن التصور الأصلي للوحدانية الذي يعزى إلى فلسفة فيخته ، جاء به مولانا جلال الدين من قبله ، وفحواه أن ما يبدو

-
- (1) مثنوى : 5 / 3111 - 3116 و 3120 - 3121
 - (2) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى - ص 104
 - (3) مثنوى : 1 / 980

لأنظارنا مما نسميه مقاومة خارج حدود النفس هو في الواقع ينبع من النفس ، والنفس تبسط في هذه المقاومة عن طريق المغالبة الدائمة ، وما ورد في القرآن الكريم عن ابتلاء الله البشر وتمحيصه إياهم عن طريق المصائب ، انعكس في نظرية مولانا بشأن الشر ومقاومته كوسيلة لتحقيق إمكانات الذهن البشري وما يمكن أن يقوم به من معجزات ، والمقاومة فحسب والصبر هما اللذان يهبان الوجود الإنساني استعدادات جديدة ، وهذا هو مصير الإنسان ، لكنه في الوقت نفسه لا يناقض الاختيار . من هنا لا يكون الاختيار هدفا في حد ذاته ، بل يكون وسيلة لاتخاذ قرارات حرة جديرة بالنفس الإنسانية وعلوها وتساميتها . الهدف من الاختيار سمو الانسان وعيشه حرا ، وكون الإنسان مجبورا هو في حد ذاته عبودية ، إنه يتربى ويتسامى ويسلك الطريق حتى يصل إلى أن يصبح جديرا بالاختيار ، وكرامة الاختيار أنه يجد حريته باختياره “ 1 ” ومن هنا فالاختيار يبين نوعية البشر ، وهو المحك :

- فالحق يسلط الحار والبارد والتعب والألم على أجسادنا أيها الرجل الشجاع - فالخوف والجوع ونقص الأموال والبدن ، كلها من أجل ظهور نقد الروح .
- ولقد وجه كل هذا الوعد والوعيد ، من أجل هذا الخير والشر اللذين مزجهما معا .
- وما داموا قد مزجوا الحق بالباطل ، فقد صبوا في الهيمان الصحيح والزائف .
- ومن ثم ينبغي له محك منتقى في الحقائق ، اجتاز كثيرا من الامتحانات .

(1) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى - ص 105

- حتى يصبح فارقا بين هذه الأمور المزورة ، وحتى يصبح دستوراً لتلك التدابير .
 - فلترضي موسى يا أم موسى وألقي به في اليم ، ولا تخشين من البلاء . “ 1 “
 - الاختيار إذن هو قدر الإنسان الحقيقي ، والإنسان بقدر اختياره ، وهو السبيل إلى بيان الزائف من الصحيح والتبن من القمح ، ويكون الإنسان إنساناً بقدر اختياره ، ويعطى رحمة الله بحسب هذا الاختيار ، وتظل العطايا بقدر القابليات ، والقابليات بقدر الجهد ، فكرة تتردد كثيراً عند مولانا جلال الدين وهو يلاحظ الإنسان ميدان عمله الأول بين ضعفه وقوته وتساميه وتدنيه
 - إن هناك بين الخلائق أرواحاً طاهرة ، كما أن من بينها أرواحاً كدرة علاها الطين .
 - وهذه الأصداف ليست كلها في مرتبة واحدة ، فبعضها يحتوي على الدر ، وبعضها الآخر ليس فيه إلا سبه .
 - ومن الواجب أن تفصل بين الصالح والطالح ، مثلما تقوم أنت بفصل القمح عن التبن .
 - لقد خلق هذا العالم من أجل إظهار " هذه الحكمة " وذلك حتى لا تبقى كنوزها مدفونة مخفية .
- “ 2 “

.....
(1) مثنوى : 1 / 2974 - 2980

(2) مثنوى : 4 / 3025 - 3028

الإنسان الحر كنز ، والامتحان الإلهي كنز ، والمسؤولية هي الوجه الآخر للحرية ، فليس هناك عبد مسؤول ، والامتحان يكون لبيان صدق اختيار المرء :
 - وإذا لم يكن هناك امتحان لكل شرير ، لكان كل مخنث بطلا في الوغى كرستم .
 - فافتراض أن المخنث مدرع في الحديد ، لكنه عندما يرى الطعان يسقط كالأسير .
 - وكيف يصير ثمل الحق مفيقا من ربح الدبور ، إن ثمل الحق لا يفيق ولو بنفخ الصور . “ 1 “
 وصور هذه الامتحانات كثيرة التردد في المثنوى حيث يصور مولانا آفة الادعاء ،
 وافتضاح المدعين في بيان قل أن يوجد مثله عند شاعر صوفي آخر .

7 - ويعالج مولانا التناقض الظاهر في بعض الأحاديث النبوية بشكل أدبي لكنه شديد العمق ،
 فهناك حديث [الرضا بالكفر كفر] وهناك حديث آخر [من لم يرض بقضائي فليبحث عن رب
 سواي] - بالأمس سألتني سائل كان مغرما بالجدل .
 - قال : هناك حديث يقول : الرضا بالكفر كفر ، وقد قاله المعصوم ، وكلامه ختم " لكلام الأنبياء
 " .
 - لكنه قال في موضع آخر : على المسلم أن يكون راضيا بقضاء الله - أليس الكفر والنفاق من
 قضاء الله ؟ وإن رضيت بهما ، فهذا شقاق

(1) مثنوى : 3 / 686 - 688

- وإن لم أرض بهما فهذا هو الخسران ، فما حيلتي إذن بين هذين الحديثين ؟
- فأجبت : إن الكفر مقتضي وليس قضاء ، فهذا الكفر حقيقة من آثار القضاء .
- ولتعلم إذن القضاء من المقضي أيها السيد ، حتى يرفع الإشكال لديك في التو واللحظة .
- فأنا أرضى بالكفر من حيث أنه قضاء ، لا من حيث يكون نتيجة جدالنا وخبثنا .
- والكفر من حيث إنه قضاء ليس كفرا ، فلا تسم الحق كافرا ، فهذا أمر جلل - فالكفر جهل ، والقضاء بالكفر علم ، ومتى كانا سواءً الحلم والجهل ؟
- وقبح الخط لا يعني قبح الخطاط ، لكنه أبدى القبح من ناحيته .
- والقوة في النقاش أنه يستطيع أن يصور القبح كما يستطيع أن يصور الجمال . “ 1 ” ومولانا يعني بالمقضي نفاذ قضاء الله تعالى في العبد بما يتناسب مع أعمال العبد وأفكاره واتجاهاته ، أي أن القضاء هو ما في علم الله ، فإذا نفذ سهمه أصبح مقضيا ، ومن هنا قد يتغير مصير العبد بالدعاء أو بالعمل الصالح أو بالتوبة أو ما إلى ذلك من أعمال العبد التي تجعل منه شريكا في قدره محددا لمصيره ، وهذا ما جعل مولانا جلال الدين يرفض تلك الفكرة الجبرية الممعة في الجبر التي تجعل من الإنسان مجرد بغير أعمى مرخي الزمام

وهي في رأيه تسد الطريق إلى الخالق جل شأنه تماما ، وتقطع العلاقة بين الخالق والمخلوق وتضيع قيمة العمل ويضيع الأمل :

- فهل تجيز وهل يكو في الأصل جائزا أيكو الحق معزولا عن حكمه الذي سبق ؟
- أو أن يقول لك : لقد خرج الأمر من يدي ، فلا تلجأ إليّ كثيرا وكفاك تضرعا إليّ .
- لكن معنى جف القلم أنهما ليسا عندي سيان ، العدل والظلم .
- ولقد فرقت ما بين الخير والشر ، لكني أيضا فرقت ما بين السيء والأسوأ منه .
- فلو أن عندك ذرة من الأدب أكثر مما لدى رفيقك ، فإنما يعلمها فضل الرب .
- فيعطيك الزيادة بقدر هذه الذرة ، وتظهر هذه الذرة وكأنها الجبل .
- والملك الذي لا يكون هناك فرق أمام عرشه بين الأمين وبين الظلوم " الخئون " - ولا يكون هناك فرق بين من يرتعد خوفا من أن يرد لديه ، وبين ذلك الذي يسخر حتى من جده " وإقباله "
- وكلاهما يكونان عنده سواء ، لا يكون ملكا ، بل أحثُ التراب الكدر على رأسه .
- فلو أن مثقال ذرة تزيد من جهدك ، فإنها تكون موزونة في ميزان الله . “ 1 “

(1) مثنوى : 5 / 3136 - 3145

ومن ثم فالمسؤولية عمل يقابلها في الطرف الآخر عدالة مطلقة ، ينالها العبد مهما تأخرت فليس عند الله زمان .

8 - وهناك قضية أخرى ذات ارتباط بقضية الجبر والاختيار هي قضية " الكسب والتوكل " . والقضية ذات أصول من القرآن والسنة والموروث الصوفي ، ويصل فيها التناقض في المواقف حدا جعل الإمام الغزالي يقول " التوكل وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ، ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد ، والتثاقل نها بالكلية طعن في السنة وقدر في الشرع " ويقول التستري " من أنكر الكسب فقد أنكر السنة ، ومن أنكر التوكل فقد أنكر الإيمان " أو كما يقول السري السقطي ما معناه أن المرء يستطيع أن يكون في السوق دون أن يشغل لحظة واحدة عن الله تعالى . " 1 " وهكذا فبالرغم من أنه " لا رهبانية في الإسلام " إلا أن نظرات الصوفية تختلف في هذا المجال اختلافا يصل إلى حد التناقض ، فالدنيا خلقت بالحق وعلى وجه الحكمة ، وتسير وفقا لنظام منطقي مرسوم ، وليست عبثا أو لهوا أو لعبا ، ومع ذلك توجد آيات أخرى تتحدث عن الدنيا كلهو ولعب ومتاع غرور . وفي الواقع أن التناقض هنا تناقض صوري ، فلفظ الدنيا يوحى بتصورات مختلفة ، إذ يمكن اعتبار الدنيا مكانا جديرا بالعيش برغم كراهة أهل الدنيا المتمسكين بها المتكالبين عليها ، وهناك دنيا للبشر ودنيا لله ، وما هو مرفوض حقيقة هو الدنيا التي في سبيلها يداس على كل شيء حتى

(1) عن خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى ص 108 – 109

على أوامر الله ونواهيه ، الدنيا الخالية من الله ، والحياة " بدون الله " 1 " أو ما عبر عنه مولانا بالماء تحت السفينة وليس الماء في السفينة . 2 " وهناك ملمح جدير بالاهتمام في فكر مولانا جلال الدين وهو أن نفس هذه الروح الصوفية التي يعتبرها الجميع تحت على ترك الدنيا وهجر كل نشاط فيها ، هي عند مولانا جلال الدين من أعظم عوامل حث الفرد على النشاط والبناء ، وأنواع الذنوب تحط بأدائها على النفس وعلى حرية الإنسان في نفس الوقت ، فهي عامل تدمير بالنسبة لتربية الشخصية الإنسانية . والمثنوى في هذا المجال وثيقة صوفية ضد ترك الدنيا وضد الجبر ، وسجل حافل بعوامل تربية الشخصية وتربية الإرادة الإنسانية الحرة 3 " .

(1) المصدر السابق : ص 113

(2) مثنوى : 1 / 990 . والتعبير مأخوذ من سنائي : حديقة الحقيقة الأبيات 5999 - 6001

(3) في ندوة أقامتها مجلة كيهان فرهندي " كيهان الثقافية " شارك فيها عدد من أساتذة الجامعات الإيرانية المهتمين بالتصوف وكاتب هذه السطور ، وجه لي أحدهم سؤالاً هو : من دراستك لجلال الدين هل تراه من القائلين بوحدة الوجود أو القائلين بوحدة الشهود ؟ وأجبت : عندما بدأت قراءة جلال الدين لم أهتم بوحدة الوجود أو وحدة الشهود ، وإنما كان أول ما لفت نظري ذلك السعي الدؤوب في تربية الشخصية الإسلامية المثالية ، وتتبع أمراض النفس الإنسانية ، والاهتمام بمصير الإنسان على الأرض كمرحلة أولى وأساسية من مراحل عروجه إلى السماء . وتأكد لي أن الغرب قدم لنا جلال الدين قدم لنا جلال الدين الرومي الغائب التائه المغرب في الحديث عن وحدة الوجود ووحدة الشهود لكي يصرفنا عن الاستفادة منه ، ليس الاستفادة منه وحده بل من التراث العرفاني كله ، وإلا هل يستطيع أحد أن يقول أن سنائي والطار ومولانا جلال الدين كانوا غائبين في ملكوت الله ؟ . وكان الأستاذ جعفر

ويقف مولانا جلال الدين كثيرا عند الأحاديث التي تحض على العمل ، والحرص على قوام الشخصية في المجتمع ، والدنيا لازمة تماما ، فبدونها لا عروج ولا تصفية ولا تقية ، وسخر مولانا من أولئك الصوفية والزهاد الذين يتنطعون في التوكل ، ويتظاهرون ، ويبالغون في محاولة الخروج عن الطبيعة البشرية وما تقتضيه الحياة “ 1 “ والاهتمام بالدنيا في رأى مولانا مهم من أجل عمار سوق هذه الدنيا :

- إن شهوة الدنيا على مثال المستوقد ، يكون حمام التقوى مشتتلا منه .
- لكن نصيب المتقي من هذا المستوقد هو الصفاء ، فهو موجود في الحمام وفي النقاء .
- والأغنياء مثل حملة البعر والقمامة ، من أجل إشعال النار عند الحمامي .
- لقد وضع الله الحرص في نفوسهم ، حتى يبقى الحمام رائجا معمورا . “ 2 “ طبيعة الحياة نفسها في حاجة إلى كل هذه المتناقضات ، ولولاها ما قامت :
- وإذا لم يوجد جاه فرعون وكبرياؤه ، فمن أين تجد جهنم ما يغذيها ؟

.....
- شهيدى من حضور الندوة ، فقال : أوافقك تماما ، نحن في حاجة إلى قراءة جديدة لتراثنا نابغة منا نحن ، ولم يوجهنا فيها أحد .

(1) حكاية الدرويش الذي نذر ألا يأكل إلا من الثمار التي تسقطها الريح في الكتاب الثالث ، وحكاية الدرويش الذي نام متوكلا في حضن جبل ناء عن الناس الواردة في الكتاب الخامس " البيت 2401 وما بعده .

(2) مثنوى : 4 / 238 - 241

- فسمنه ثم أقتله أيها القصاب ، وذلك أن الكلاب في جهنم بقيت بلا زاد .
- وإذا لم يكن هناك خصم وعدو في الدنيا ، لمات الغضب إذن بين الناس .
- وذلك الغضب هو جهنم ، ويلزمه خصم حتى يعيش ، وإلا قتلت الرحمة .
- ولبقي إذن لطفٌ بلا قهر أو شر ، ومتى كان كمال الملك يتم آنذاك ؟ ! “ 1 “
- ويستمر مولانا في هذه الفكرة : العالم قائم على الأضداد ، على الصراع ، ومن الطبيعي أن يحتوى على عدة ألوان ، ومن المحال أن يكون لونا واحدا ، والغفلة مكروهة ، ولولاها ما قام هذا العالم :
- وأنت جمل أعمى مشدود الزمام ، فداوم النظر إلى الجذب ولا تنظر إلى الزمام .
- ولو صار الجذب محسوسا والزمام ، لما ظلت الدنيا توصف بأنها دار الغرور .
- ولرأى المجوسي أنه يسير في أثر كلب ، لكي يصبح مسخرا للشيطان الأكبر .
- ومتى كان يمضي في أثره إذن كالمخنث ؟ بل لكان المجوسي قد ارتد عن متابعته سريعا .
- وإذا كانت البقرة تفهم ما يريده منها القصابون ، فمتى كانت تتبعهم حتى الحانوت ؟
- وتأكل النخالة من أيديهم ، وتدر لهم اللبن عندما يتحسسون ضرعها ملقا

(1) مثنوى : 4 / 1075 – 1079

- ومتى كانت تهضم علفها إن أكلت ؟ إذا فهمت ما هو المقصود من هذا العلف - ومن هنا فإن عماد هذه الدنيا هو الغفلة ، وما هي الدولة المسماة بالفارسية " دُولت " ، إنها من " دو " بمعنى السعي ثم " لت " بمعنى الضرب . “ 1 “ وهل يمكن أن تثبت حرية اختيار إن لم يكن ثم ما يمكن الاختيار من بينه ؟

فما قيمة الجهاد إذن إذا اختفى الشر من الدنيا ؟

- وعندما لا يكون عدو فالجهاد محال ، وإن لم تكن شهوة ، لا يكون هناك امتثال .
- ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميل ، وعندما لا يوجد خصم ، ما الحاجة إلى قيامك بالاحتفال - فانتبه ، ولا تجعل من نفسك خصيا ، ولا تصر راهبا ، ذلك أن العفة رهينة بوجود الشهوة .

- ولا يمكن النهي عن الهوى إن لم يوجد هوى ، ولا يمكن القيام بالغزو ضد الموتى .
- لقد قال " أنفقوا " إذن " فاكسبوا " أولا ، ذلك أنه لا نفقة دون أن يسبقها دخل .
- فإذا كان قد قال " أنفقوا " على الإطلاق ، فافقروا أنت اكسبوا ثم انفقوا .
- وكذلك عندما قال إصبروا ، ينبغي أن تكون هناك رغبة ، حتى تشيح عنها بالوجه .
- إذن فإن " كلوا " من أجل شرك الشهوة ، وبعدها " لا تسرفوا " وهذه هي العفة . “ 2 “

(1) مثنوى : 4 / 1323 - 1330

(2) مثنوى : 5 / 575 - 582

مولانا جلال الدين إزّن

- في رأى الخليفة عبد الحكم - هو الوحيد من بين الصوفية الذي جاهد في إدراك طبيعة الشر من نواحيه الأخلاقية والمادية والاجتماعية ، فالشر مهما كان نسبيا ، له وجود حقيقي ، والأمور في حد ذاتها ليست خيرا محضا وليست شرا محضا ، فلا قيمة للأشياء في حد ذاتها ، لكنها تقيم من ناحية تلقي البشر لها ، والأمر الواحد ربما يكون لأحدهم خيرا وللآخر شرا “ 1 “ ويكون شرا في ظروف معينة وخيرا في ظروف أخرى :

- ومن هنا فليس هناك شر مطلق في هذه الدنيا ، أعلم إزّن أن الشر نسبي .
 - ولا يكون أبدا سم وسكر في وقت واحد ، لا يكونان قوة لأحد وقيدا لآخر .
 - فما يكون قوة لأحد يكون قيدا لآخر ، يكون سما بالنسبة لأحد ولآخر كأنه السكر .
 - وسم الحية يكون حياة لتلك الحية ، لكنه بالنسبة للإنسان موت .
 - والبحر بالنسبة لأحياء البحر كالحديقة ، لكنه لمخلوقات الأرض موت ومصيبة . “ 2 “
- حتى المعرفة ليست خيرا في حد ذاتها ، بل تكون خيرا إن وضعت في خدمة الروح ، وشرا إن أخذت وسيلة لكسب الجاه والتسلط على الخلق :

-
- (1) الفكرة وردت أيضا عند سنائي في الحديقة لبيت 461 :
- الموت لهذا هلاك ولذاك مئونة ، والسم لذاك غذاء ولهذا موت .
- (2) مثنوى : 4 / 65 - 69

- إن علوم أهل الدين حاملة لهم ، وعلوم أهل الحس أحمال على كواهلهم .
- والعلم حين يطرق القلب يكون معيناً ، والعلم حين يحط على الجسد يكون وقراً . “ 1 “
- كل ما في الكون ضروري ، ولا يهم أن تكون بعض السلع معيبة ، فهذا العيب ضروري من أجل أن تتبين جودة السلع الأخرى ، بل إن الله - بتعبير سنائي - عندما خلق الكون لم يخلق شراً على الإطلاق “ 2 “ ويقول مولانا :
- وإذا لم تكن البضائع المعيبة موجودة في الدنيا ، لكان كل التجار بلهاء .
- ولكانت معرفة البضائع إذن أمراً شديداً سهوياً ، فإن لم يكن ثم عيسى ، فسواء العزيز والخسيس .
- وإن كانت كلها ذات عيوب ، فلا فائدة للمعرفة ، فما دام كله خشب ، فليس ثم عود هنا .
- وذلك الذي يقول كلهم على الحق أحق ، وذلك الذي يقول كلهم على باطل شقي . “ 3 “
- “ فالحيوان وهو أدنى من البشر لا مفهوم عنده للخير والشر ، والملاك لا يعرف ما هو الشر ، الإنسان فحسب هو الحر في الاختيار بين أن يكون ملاكاً أو

.....
(1) مثنوى : 1 / 3460 - 3461

(2) حديقة الحقيقة : الأبيات 454 - 460

(3) مثنوى : 2 / 2950 - 2953

يكون شيطاننا ، وهذه هي الجدلية الرئيسية في العرفان ، وكل ما يتعرض له الإنسان محك له وضبط لعياره وبيان لحقيقته واختبار لأصله ومدى قابليته :

- وكل إنسان يدعي الحسن والملاحة ، فإن حجر الموت بالنسبة له محك ملاحه . “ 1 “
- وعندا اختفى المحك بين الرجال والنساء ، أدخل في الصف أيها الزيف ، وتنفج الآن بالادعاء .
- وما دام المحك غائبا أثناء تنفجك وادعائك ، فافهم أنهم يحملونك معززا يدا بيد
- ويقول الزيف بعنجهية : متى كنت أقل منك أيها الذهب في أية لحظة ؟
- فيقول الذهب : بلى أيها الرفيق ، لكن استعد فالمحك قادم في الطريق . “ 2 “
- ولعل سائلا يتساءلأ : أين مفهوم الحرية عند جلال الدين ؟
- لقد كان كل ما عرض هنا قضية كلامية ليس أكثر ، أين الحريات المكفولة في المجتمعات الحديثة ؟
- حرية الاعتراض على الحاكم وحرية الرأي والتعبير ؟
- أين الحريات المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ؟
- والرد : أيمن أن يوجد فكر يعترف بحرية الإنسان وحقه في الاختيار تجاه خالقه ، ثم يحاول أن يثبت قضية بدهية هي حرية الإنسان في مواجهة مخلوق مثله ؟

.....

(1) مثنوى : 4 / 1674

(2) مثنوى : 4 / 1477 - 1480

كان مولانا جلال الدين يرى أن حرية الإنسان لا يتم لها التحقق إلا إذا كان حراً من الداخل مسيطراً على نفسه التي بين جنبيه وعلى شهواته ومطامعه التي تحد من انطلاقه الروحي ، فعبد الشهوة أسوأ من العبد الرقيق :

- وعبد الشهوة أسوأ عند الحق ، من الغلمان والعبيد المسترقين .
- فإن هؤلاء يصيرون أحراراً بلفظ واحد من السادة ، وذاك يعيش عيشاً حلواً ، ويموت ميتة شديدة المرارة .

- وعبد الشهوة لا يجد خلاصاً في حد ذاته ، إلا بفضل الله وبإِْنعام خاص . “ 1 “
حرية الإنسان الحقيقية إذن تنبع من داخله ، وحلم الإنسان المستمر هو الحرية ، ولا يستطيع أي طاغية أن يسلب من الإنسان حريته إن كان حراً من الداخل .
أما أولئك الذين يريدون رأى مولانا في طغيان السلطة فليتمسوه من مقدمة الترجمة العربية للكتاب السادس .

(1) مثنوى : 1 / 3830 - 3832

“ 42 “

.

[الدفتر الخامس]
(النص)

[ديباجة الدفتر الخامس]

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

*وبه نستعين ، وعليه نتوكل ، وعنده مفاتيح القلوب ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين .

هذا هو المجلد الخامس من دفاتر المثنوي والتبيان المعنوي في بيان أن الشريعة كالشمع تبدي الطريق ، ودون أن تحصل على الشمع لا تصبح سالكا للطريق ، وعندما تسير في الطريق ، فسيرك هذا هو الطريقة ، وعندما تصل إلى المقصود ، تكون الحقيقة . ومن هنا قيل : لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع ، فلو كان النحاس قد تحول إلى ذهب ، أو كان المعدن ذهباً في الأصل ، لما كانت به حاجة إلى علم الكيمياء الذي هو بمثابة الشريعة ، أو أن يعرض على هذا العلم ، وعرضه هذا هو الطريقة ، كما قيل : [طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح ، وترك الدليل قبل الوصول إلى المدلول مذموم] . . .

الخلاصة أن الشريعة بمثابة تعلم علم الكيمياء من أستاذ أو من كتاب ، والطريقة هي استخدام الأدوية وتعريض النحاس للكيمياء ، أما الحقيقة فهي تحول النحاس إلى ذهب .
وعلماء الكيمياء فرحون قائلون : نحن نعلمها ، والعاملون في علم الكيمياء فرحون قائلون : ونحن نمارسها ، ومن وجدوا الحقيقة سعداء بالحقيقة قائلون : لقد صرنا ذهباً وتحررنا من علم الكيمياء أو العمل به ، فنحن عتقاء اللهكُلُّ حَرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْحُونَ * . . . أو أن مثل الشريعة كمثال تعلم الطب ، ومثل الطريقة كمثال التطبب والتوقي على مقتضى الطب ، والحقيقة هي إدراك الصحة الأبدية والفراغ من التعلم والممارسة ، وعندما يمضي المرء عن هذه الحياة ، تنقطع عنه الشريعة والطريقة وتبقى الحقيقة ، فإذا كانت لديه الحقيقة فهو لا يفتأ يصيحيا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي، وَإِنْ

لم يدركها صاح يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتْ كِتَابِيَهْ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ، يا لَيْتَنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ، ما أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ فالشريعة علم ، والطريقة عمل ، والحقيقة هي الوصول إلى الله ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهْ ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا .
وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وعترته وسلم تسليما .

01 - إن الملك حسام الدين وهو نور الأنجم ، طالبٌ لبدء السفر الخامس .
 - يا ضياء الحق ، ويا حسام الدين العظيم ، يا أستاذًا لأساتذة الصفاء .
 - لو لم يكن الخلق محجوبين مدنسين ، ولو لم تكن الحلوقة ضيقة ضعيفة ؛
 - لأعطيت الكلام حقه في مدحك ، ولتفوهت بغير هذا المنطق .

05 - لكن طعام البازي لا يكون لتلك الصعوبة ، وما من حلٍ الآن سوى أن يمزج الماء بالزيت .
 - وإن شرح أحوالك مع أهل الدنيا يكون من قبيل الغبن ، فلأكتمه في داخلي كأنه سر العشق .
 - فالقيام بمدحك مع السجناء إهدارٌ له ، فعليّ أن أنطلق في هذا المديح في محفل أهل الروح .
 - وما المدح إلا تعريف وكشف للحجاب ، والشمس في غنى عن التوضيح والتعريف .
 - ومادح الشمس هو في الحقيقة مادح لنفسه . . . كأنه يقول : إن عيني مبصرتان وليستا بالرمداوين .

10 - وتوجيه الذم إلى شمس الكون هو ذم للنفس ، كأنك تقول : عيناى عمياوان مظلمتان كليتان .

- ولتلتمس العذر لإنسان يكون في هذا الكون حاسدا للشمس المضيئة .
 - فهل استطاعت عين قط أن تخفيها بأن تغمض " أمامها " ، أو هل قدرت على منعها من منح
 النضرة للأشياء المهترئة .
 - أو أن تقلل من نورها الذي لا حدود له ، أو أن تنهض منكرة سطوتها وجاهاها ؟

- إن من يكون حاسدا للكون ، يكون هذا الحسد له بمثابة الموت الأبدي .
- 15 -** لقد جاوز قدرك إدراك العقول ، وكل ما يبيديه العقل في تفسير أحوالك ، مجرد فضول .
 - فإذا كان العقل عاجزا عن البيان ، وجبت الحركة بعجز في هذا المجال .
 - " إن شيئا كله لا يدرك ، إعلموا أن كله لا يترك " . " 1 "
 - فإذا كان لا يمكن شرب طوفان السحاب ، فكيف يمكن ترك شرب الماء ؟ " 2 "
 - وإذا كنت لا تستطيع أن تعبر عن السر في بيان ، فهيا جدد المدارك من مجرد قشوره .

- 20 -** إن أنواع المنطق بالنسبة لك كلها قشور ، لكنها بالنسبة للآخرين لباب طيب - والسماء
 بالنسبة للعرش شديدة الدنو ، لكنها بالنسبة لأكداس للتراب شديدة العلو
 - وأنا أتحدث واصفا إياك ليسلكوا الطريق ، قبل أن تأخذنهم الحسرة من فواته .
 - فأنت نور الحق ، وأنت حقيقة جاذب الروح ، والخلق " تائهون " في ظلمات الوهم والظن .
 - ولكي يصير هذا النور الطيب مكحلة للعميان ، عليهم في البداية أن يقوموا بتعظيمه .
25 - وإنما يجد النور ذلك المستعد حاد السمع ، ذلك الذي لا يكون عاشقا للظلام وكأنه الفأر .

.....
 (1) بالعربية في المتن الفارسي .

- (2) ج 11 / 120 - محمد تقي جعفري - تفسير ونقد وتحليل مثنوي جلال الدين محمد مولوى
 - مجلد 11 - ط 11 - تهران 1363 هـ ش . : وإذا لم يكن في الإمكان شرب ماء البحر ، يمكن لك
 أن تشرب منه بقدر ما يسد ظمأك .

- وضعاف البصر الذين يتجولون ليلا ، متى يمكن لهم الطواف حول مشعلة الإيمان .
- والنكات المشكلة دقت على فهم رهين الطبع ، ذلك الذي عمي " بصره " عن الدين .
- والعين لا تستطيع أن تحملق في ضوء الشمس ، ما لم يزين الفضل سداها ولحمتها .
- وذلك الذي حفر الأرض جحورا كأنه الفأر ، لا يستطيع أن يتسامق بفروعه كأنه النخل .

30 - وهناك أربعة أوصاف ضاغطة على قلوب البشر ، والعقل قد صار مصلوبا على هذه الأربعة .

تفسير فَخْذُ أَرْبَعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ

- إنك خليلُ زمانك يا ساطع الذكاء ، فاقتل هذه الطيور الأربعة قاطعة الطريق .
- ذلك أن كل طائر منها وكأنه الغراب ، يقوم بسلب العقل ، واختطافه من العقلاء .
- وإن ذبح هذه الأوصاف الأربعة في الجسد كطيور الخليل ، يعطي الروح " نحو الارتقاء " السبيل .
- فيا أيها الخليل ، من أجل الخلاص من خيرها وشرها ، قم بذبحها حتى تزال السدود من أمام قدمك .

- 35 -** إنك كل ، وكلها أجزاء منك ، أطلقها ، فإن قدمك مشدودة إلى أقدامها .
 - وعالم الروح في عذاب منك ، وفارس واحد يكون ظهيرا لمائة جندي .
 - ذلك أن هذا الجسد قد أصبح موطننا للخصال الأربعة ، وصارت أسماؤها لطيور الأربعة الباحثة عن الفتنة
 - وإذا كنت تريد الحياة الأبدية للخلق ، فاقطع رؤوس هذه الطيور الأربعة المشنومة السيئة .
 - ثم أحيها بعد ذلك ، نشأة جديدة ، نشأة لا يكون منها بعدها ضرر .
- 40 -** وهذه الطيور الأربعة المعنوية قاطعة الطريق ، قد اتخذت لها في قلوب الخلق موطننا .
 - وما دمت أميرا على كل القلوب السوية ، فأنت خليفة الحق في هذا العصر ،
 - فاقطع إذن رؤوس هذه الطيور الأربعة ، واجعل العمر العابر سمرديا - إنها البط والطاووس والغراب والديك ، إنها مثال على هذه الخصال الأربعة في النفوس .
 - فالبط هو الحرص ، والديك هو الشهوة ، والجاه كالتاووس ، والغراب هو الأمنية .
- 45 -** إن منيته أن يكون راجيا صانعا للرجاء ، طامعا في التأييد أو العمر الطويل
 - والبط هو الحرص لأن منقاره " دائما " في الأرض ، لا ينفك يبحث عن الدفين في الأخضر واليابس .
 - ولا يتوقف حلقه هذا لحظة واحدة ، إنه لا يسمع من حكم الإله إلا أمره كُؤوا * .
 - إنه مثل لص يقتحم منزلا ، ويأخذ في ملأ خرجه بكل ما أوتى من سرعة .

- ويكدس في كيسه الغث والسمين ، حبات الدر وحببات الحمص معا .

50 - حتى لا يفاجأ بمجيء لص آخر ، يأخذ في تكديس الأخضر واليابس في كيسه .
- إن وقته ضيق ، ومهله قصيرة ، والخوف " طاغ " عليه ، فهو يضع تحت إبطه كل شيء دون توقف .

- وليست لديه ثقة في سلطانه ، وأن لصا آخر لن يجرؤ على الهجوم عليه والتصدي له .
- لكن المؤمن - اعتمادا على الحياة الأخرى - يهجم حين يهجم بتمهل وأناة .
- فهو آمن من أن يفوته شيء ، ومن مغير آخر ، فهو يعلم قهر مليكه لعدوه .

55 - وهو أيضا آمن من الأتباع الآخرين ، ومن أن يأتوا منافسين له ومنتفعين .
- لقد رأى عدل المليك في ضبط الحشم حيث لا يجرؤ أحد على ظلم أحد .
- فلا جرم أنه لا يتعجل ، ويكون ساكنا ، وهو آمن تماما من أن يفوته حظه .
- ومن هنا فهو يتأنى ، ويصبر ويصابر ، فهو شبع العين ، يؤثر على نفسه ، وطاهر الجيب .
- فهذا التأنى نورٌ من الرحمن ، وتلك العجلة من هزة الشيطان .

60 - ذلك أن الشيطان يخوفه من الفقر ، فيقوم بعقر مطية الصبر .
- واستمع من القرآن أن الشيطان في وعيده ، يقوم بتخويفك من الفقر الشديد .
- حتى تختطف كل قبيح وتأكله من عجلتك ، فلا مروءة ولا تأن ولا ثواب .
- فلا جرم أن الكافر يأكل في سبعة بطون ، فإن قلبه ودينه واهيان ضعيفان ، والبطن ضخمة .

في سبب ورود هذا الحديث للمصطفى صلوات الله عليه وهو
(الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في معي واحد)

- نزل بعض الكفار ضيوفا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وجاءوا إلى المسجد وقت
العشاء

65 - وقالوا : لقد نزلنا أيها المليك ضيوفا عليك ، يا من أنت المضيف لكل سكان الأفق .
- فنحن بلا زاد وجئنا من طريق بعيد ، فهيا أنثر على رؤوسنا الفضل والنور . “ 1 “
- فقال : القسمة يا صاحباتي ، فأنتن ممثلون بي ، ومن ديدني ، وعلى نفس خصالي .
- إن أجساد الجنود تكون ممثلة من الملك ، ومن هنا فهم يضربون بسيوفه أعداء جاهه .
- إنك تضرب بهذا السيف بغضب الملك ، وإلا فأني غضب عندك على إخوانك ؟

70 - وتضرب أخا بريئا بدبوس الحرب ذي الأمان العشرة ، إنعكاسا لغضب الملك .
- فالملك روح واحدة ، والجيش مليء به ، والروح كالماء وهذه الأجساد كالجداول .
- وإذا كانت روح الملك حلوة عذبة ، فإن كل الجداول تمتليء بالماء العذب .
- فالرعية على دين ملوكها فحسب ، هكذا قال السلطان الذي نزلت عليه " عبس "

(1) ج : 11 / 131 واستعلامي : 5 / 12 بيت زائد : - التفقت إلى صحابته ذلك السلطان
العظيم ، الأخذ بأيدي كل الملوك والعباد .

- واختار كل صحابي ضيفا من الضيوف ، وكان من بينهم رجل ضخم لا نظير له " في جرمه . "

75 - كان ضخم الجسد ، فلم يستضفه أحد ، وبقي في المسجد كما تبقى الثمالة في قاع الكأس .
- فاصطحبه المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما تخلف عن الجميع ، وكان في قطيعه عليه السلام سبع من الماعز الحلوب .
- وكانت الماعز موجودة في الدار ، وذلك من أجل الحلب عند الطعام .
- وأكل ذلك الجدير بأن يسمى " أبو قحط عوج بن غز " كل ما نتج عن هذه الماعز السبعة من حساء ولبن وخبز .
- فغضب كل أهل البيت ، فقد كانوا في حاجة إلى بعض لبن الماعز .

80 - لقد جعل معدته الشرهة الأكل كأنها الطبل ، وأكل وحده نصيب ثماني عشرة شخصا .
- وعند النوم مضى وجلس في الحجرة ، فأغلقت الجارية الباب عليه من الغضب .
- لقد أغلقت الباب بالسلسلة من الخارج ، فقد كانت غاضبة عليه متألمة منه .
- وفي منتصف الليل أو قبيل الفجر ، عندما عنت لذلك المجوسي حاجة ، وتحرك ألم بطنه ،
- أسرع من فراشه نحو الباب ، وعندما حاول فتح ، وجده مغلقا .

85 - وجرب كل أنواع الحيل ذلك المحتال لكي يفتح الباب ، لكن الباب لم يفتح
- واشتدت حاجته ، وكثرت مطالبه ، والمنزل ضيق ، فبقي حائرا مسكينا ، قد أسقط في يده .

- فلجأ إلى النوم كحل أخير ، ورأى نفسه في المنام كأنه في خرابة .
- ذلك أن الخرابة كانت في خاطره ، فعن له نفس منظرها عندما راح في النوم .
- وعندما رأى نفسه في خرابة خالية ، وكان في شدة الحصر ، غاط في التو واللحظة .

- 90 -** واستيقظ من النوم ، ورأى ملابسه وفراشه مليئين بالغائط ، وجن من الاضطراب .
- وخرجت من باطنه مائة صيحة ، من مثل هذه الفضيحة ، التي لا يغطيها التراب .
 - وقال : إن نومي أسوأ من يقظتي ، فأنا أكل من هذه الناحية ، وأغوط من الأخرى .
 - وأخذ يصرخ : واثبوره ، وا ثبوره ، كأنه الكافر في قاع القبر . “ 1 “
 - وظل منتظرا متسائلا : متى تنتقضي هذه الليلة ؟ حتى يتصاعد صوت فتح الباب .

- 95 -** وحتى ينطلق هو كما ينطلق السهم من القوس ، وحتى لا يراه أحد وهو على هذه الحال .
- إن القصة طويلة ، لكنني أختصر فيها ، ولقد أنفتح الباب ، وخلص هو من الألم والكرب .

.....
(1) عند جعفري : 11 / 132 : كما يفعل الكفار يوم النشور وهو أصح .

فتح المصطفى عليه السلام باب الحجرة للضيف ، واخفائه صلى الله عليه وسلم نفسه ، حتى لا يرى الضيف خيال من فتح الباب ، ولا يخجل ويخرج بجرأة

- لقد جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم في الصباح وفتح الباب ، وعندما أسفر الصباح ، أعطى الطريق لذلك الضال .

- فتح المصطفى الباب واختبأ ، حتى لا يخجل من رؤيته ذلك المبتلى .

- وحتى يخرج ، ويمضي بجرأة ودون تردد ، ولا يرى وجه من فتح الباب أو ظهره .

100 - فإما أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد اختبأ خلف شيء ما ، أو أن ستر الله قد أخفاه عنه .

- إن صبغة الله تقوم أحيانا بالستر ، وتضع حجابا لا كيفية له أمام ذلك الناظر .

- بحيث لا يرى الخصم إلى جواره ، وقدرة الله سبحانه وتعالى أكثر من ذلك بكثير .

- كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يرى أحواله بالليل ، لكن أمر ربه كان يمنعه ،

- من أن يفتح الباب قبل اكتمال الفضيحة ، وقبل أن يسقط ذلك الضيف من الفضيحة في البئر .

105 - كانت الحكمة وأمر السماء ، وحتى يرى الضيف نفسه على ذلك الحال .

- وما أكثر العداوات التي تكون عونا ، ورب هدم يكون تعميرا .

- وجاء أحد الفضوليين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، بفراش النوم الملى بالحدث .
- قائلا : أنظر ، ماذا فعل ضيفك ، فضحك " الذي أرسله الله " رحمة للعالمين .
- وقال : آتينا بهذه المطهرة ، حتى أغسل هذا الفراش كله بيدي .

- 110 -** فأخذ كل من في المكان يهب واقفا صائحا : بالله ، لتكن أرواحنا وأجسادنا فداءً لك ،
- لنقم نحن بغسل هذا الحدث فاتركه لنا ، فهذا العمل من أعمال الأيدي ، لا من أعمال القلوب .
 - ولعمرك ، أليس الله قد أقسم بعمرك ، ثم جعلك خليفة ، وأجلسك على كرسي " النبوة " ؟
 - إننا نعيش من أجل خدمتك ، وعندما تخدم أنت ، فماذا نكون نحن ؟
 - قال : إنني أعلم ذلك ، لكن قيامي بغسل هذه اللحظة فيه حكمة .

- 115 -** فانتظروا ، لأن القول قول نبي ، حتى تتكشف هذه الأسرار ، وماذا تكون .
- وأخذ يغسل بجد ذلك الغائط ، بأمر من الله ، لا تقليدا ، ولا رياء .
 - فقد كان قلبه يقول له : قم أنت بغسله ، فهنا تكمن حكمة مضاعفة .

سبب رجوع ذلك الضيف إلى منزل المصطفى صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظة
التي كان فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم يغسل فيها فراشه الملوث بيده ، وخجله ،
وقيامه بتمزيق ثوبه ، ونواحه على نفسه ، وعلى أحواله

- كان للكويفر تعويذة على سبيل التذكار ، افتقدتها فاشتد اضطرابه .
- وقال : لقد تركت التعويذة من غفلتي في تلك الحجرة التي قضيت فيها الليل .

120 - وبالرغم من أنه كان خجلا ، فإن الحرص قد قضى على خجله ، والحرص أفعى ، وليس بالشيء الهين

- ومن أجل التعويذة أخذ في العدو مسرعا ، وعاد إلى منزل المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ورأى ما يجرى .

- رأى أن يد الله يغسل الغائط بيده ، وهو سعيد راض ، ألا فلتبتعد عنه عين السوء .

- فنسي تعويذته ، وأصابه هياج شديد ، وشق جيبه .

- وأخذ يلطم وجهه ورأسه بيديه ، ويدق رأسه بالجدار والباب .

125 - بحيث سال الدم من أنفه ورأسه ، فرق له ذلك العظيم .

- وجأر بالصياح ، وتجمع الخلق حوله ، والمجوسي يصيح : يا أيها الناس احذروا .

- أخذ يلطم رأسه قائلا : يا رأسا بلا عقل ، ويضرب صدره قائلا : يا صدرا بلا نور .

- وطفق يسجد قائلا : يا كل التراب ، لتخجل من هذا الجزء المهين منك .

- إنك وأنت كل خاضع لأمره ، وأنا الجزء ظالم وقبيح وغوى .

130 - إنك وأنت كل ذليل ومرتعش من الحق ، وأنا الجزء منبت وفي خلاف .

- وأخذ كل لحظة يتجه إلى السماء قائلا : ليس لي وجه يا قبلة العالم .

- وعندما جاوز الحد في ارتعاشه وخفقانه ، أخذه المصطفى صلى الله عليه وسلم بين أحضانه .

- هدأه ، وزاد في ملاطفته ، وفتح عينيه ، ووهبه المعرفة .

- فما لم يبك السحاب ، متى تضحك الرياض ؟ وما لم يبك الطفل ، متى يجيش اللبن ؟

135 - إن الطفل الذي يبلغ من العمر يوما واحدا يعرف الطريق ، ويقول لنفسه : لأبك حتى تجيء المرضعة الحنون .
 - وأنت لا تعرف أن حاضنة الحواضن ، قليلا ما تعطيك اللبن مجانا وبلا بكاء .
 - لقد قال الله : فليبكوا كثيرا ، فاستمع ، حتى ينصب عليك لبن فضل الخالق .
 - وإن بكاء السحاب وحرقة الشمس ، هما عماد الدنيا ، نفس هذان الخيطان المجدولان .
 - فإن لم تكن حرقة الشمس ، وإن لم يكن بكاء السحاب ، فمتى كانت الأجساد والأعراض ضخمة عظيمة ؟

140 - ومتى كانت تعمر هذه الفصول الأربعة ، إن لم تكن تلك الحرقة ، وذلك البكاء الأصلي .
 - وما دامت حرقة الشمس وبكاء سماء الدنيا يجعلان منها حلوة الفم ،
 - فاجعل شمس العقل في حرقة دائما ، واجعل العين كالسحاب ، شارقة بالدمع .
 - وتلزمك عين باكية كالطفل الصغير ، وقلل إذن من أكل هذا الخبز ، فإنه يضيع ماء وجهك .
 - وعندما يكون الجسد ذا زاد منه ليل نهار ، فإن أغصان الروح تكون متساقطة الأوراق ، في خريف .

145 - وزاد الجسد نقص في زاد الروح ، فعليك أن تقلل منه سريعا ، وتزيد في زاد الروح .
 - وأَقْرَضُوا اللهَ *تعنى : أقرض الروح من زاد الجسد ، حتى نتبت روضة في قلبك على سبيل العوض .

- فاقترض ، وأنقص هذه اللقيمات في جسدك ، حتى يبدو لك ما لا عين رأت .
- وعندما نخلص الجسد نفسه من بعره ، يملؤه بالمسك والدر الإجلالي .
- إنه يعطي هذه الأوضار ويأخذ الطهر ، ويصبح الجسد ذا نصيب من قوله تعالِيُطَهِّرْكُمْ.

- 150 -** لكن الشيطان لا يفتأ يخوفك ، ويقول لك : انتبه ، سوف تحزن وتندم إن فعلت .
- إنك تذيب البدن في سبيل هذه المهاوس ، وسوف يحل بك الندم والحزن الشديد
 - هيا ، كل هذا ، فهو حار وعلاج للمزاج ، واشرب ذاك من أجل النفع والعلاج
 - وهذا الجسد أيضا بمثابة المركب ، وما اعتاد عليه ، هو الأصوب له .
 - فهيا ، لا تغير العادة ، فمن ذلك يتأتى الخل ، وتتولد في القلب والدماغ مئات العلل .

- 155 -** وهذه التهديدات يأتي بها الشيطان الدني ، وهو ينفث في آذان الخلق مئات الوسوس .
- ويجعل من نفسه جالينوس في " وصف " الدواء ، حتى يخدع نفسك الضعيفة المريضة .
 - قائلا : في هذا الشيء نفع لك و " علاج " من الألم والحزن ، وبالنسبة لحبة قمح ، قال نفس الشيء .
 - وهو لا يفتأ ينفث وسوسته في أذنيك ، وبالخطام يلوي شفتيك ،
 - كشفتي الفرس عند تركيب سناكه ، وذلك ليبدى لك الحجر الرخيص كأنه الياقوت .

- 160 -** وهو يأخذ بأذنيك ، كما يؤخذ بأذني الفرس ، ويجرها صوب الحرص ، وصوب الكسب .
 - ويضع في قدمك سنبكا خطأً ، بحيث تعجز في الطريق من الألم الذي يسببه لك .
 - أتدري ما هو هذا السنبك ؟ إنه التردد بين أمرين ، فلا تزال قائلاً : أفعل هذا أو أفعل ذاك ، فاننتبه .
 - فافعل ما فعله المختار من النبي ، ولا تفعل ما فعله المجنون أو الصبي .
 - لقد حفت الجنة ، فبأي شيء صارت محفوفة ؟ بالمكارة التي زاد المحصول .

- 165 -** وإن له مائة وسوسة من حيلته ودهائه ، مثلها ما ينطلق من سلة مملوءة بالأفاعي . “1”
 - وإن كان هناك ماء جار سد الطريق أمامه ، وإن كان ثم حَبَر زمان ، ضحك عليه .
 - فاجعل العقل رفيقا لعقل صديق ، واقراء أمرهم شورى بينهم ثم اعمل .

**ملاطفة المصطفى صلى الله عليه وسلم لذلك الأعرابي الضيف وتهدئته إياه
 من إضرابه وبكاء ذلك الأعرابي ونواحه على نفسه خجلا
 وندما وبتأثير نار القنوط**

- إن هذا الكلام لا نهاية له ، وذلك الأعرابي بقي مندهشا من أطفاف هذا الملك .

(1) ج / 11 - 143 : - فإن كان ثم جبل اختطفه كأنه قشة ، وذلك حتى يبدي لك سلطانه
 وتسلطه .

- وكاد يجن ، وفر عقله من رأسه ، لكن يد المصطفى رده .

170 - وقال له : أقبل على ، ففعل ما أمر به ، وكأنه شخص يقوم من نوم ثقيل .
 - قال له : عد إلى هنا ، لا تفعل ، عد إلى وعيك ، فمن هنا تحدث أمور معكوسة
 - ورش وجهه بالماء ، فانطلق في الحديث قائلا : يا شاهد الحق ، اعرض على الشهادة .
 - حتى أشهد ، وأخرج منطلقا في هذه الصحراء ، فلقد سئمت من الوجود .
 - إننا مقيمون في دهليز قاضي القضاة ، من أجل قضية " ألسنت " و " بلى "

175 - فإذا كنا قد قلنا له بلى على سبيل الامتحان ، فأقولنا وأفعالنا شهود وبيان .
 - وإلا فلأي شيء نستسلم في دهليز قاضي القضاة ؟ أليس لأننا جئنا هنا من أجل الشهادة ؟
 - فحتام تظل محبوسا في دهليز قاضي القضاة أيها الشاهد ، هيا قدم شهادتك عند انبلاج الصبح .
 - ولقد دعيت إلى هنا لكي تعطي هذه الشهادة ، ولا تبدي عتوا " واستكبارا " .
 - ومن عنادك ، قبعيت في هذا المضيق ، وقد عقدت يدك ، وضممت شفتيك .

180 - وما لم تؤد الشهادة أيها الشهيد ، متى تكتب لك النجاة من هذا الدهليز .
 - إنه عمل لا يستغرق سوى لحظة ، قم به وانطلق ، ولا تجعل العمل اليسير صعبا على نفسك .
 - وأد هذه الأمانة ، سواء في مائة عام أو في لحظة واحدة ، وهيا ، أنج نفسك .

بيان أن الصلاة والصوم وكل الأعمال الظاهرة شهود على النور الباطني

- إن هذه الأعمال من صلاة وصيام وحج وجهاد ، هي شهود أيضا على الاعتقاد .
- وهذه الزكاة والهدى وترك الجسد ، شهود أيضا على شرك .

185 - والمائدة والضيافة من أجل إظهار الحق ، وهي تعنى : أيها العظام ، لقد صرنا صادقين معكم .

- وأنواع الهدى والعطايا والصلات ، كلها دليل يقول : لقد صرت معك طيبا مؤتلفا .
- وكل إنسان يجاهد بمال أو بمجرد قول لا جدوى منه ، لم ؟ لكي يقول : لدى جوهر في داخلي .
- لدى جوهر من التقوى أو من السخاء ، وهذه الزكاة والصوم كلاهما دليل على الخصلتين .
- فالصوم يقول : لقد اتقى الحلال ، فاعلم إذن ألا صلة له بالحرام .

- 190 -** وقالت زكاته : إنه يعطي من ماله ، فكيف يسرق من أهل مذهبه ؟
- وإن كان ما يفعله رياءً وحيلة ، فإن هذين الشاهدين قد جُرحا في محكمة عدل الإله .
 - والصيد إذ ينثر الحب ، لا يكون من الرحمة والجود ، بل من أجل الصيد .
 - والقطة النائمة في صيامها ، قد تناومت من أجل صيد " الفأر " الساذج .
 - ولقد جعل مائة قوم سيئي الظن من هذا الإعوجاج ، وجعل أهل الجود والصوم سيئي السمعة .

195 - وفضل الحق ينصب على ذلك الذي يمشي باعوجاج ، ويطهره من ألوان أعوجاجه في النهاية .

- ولقد سبقت رحمته ، ووهب ذلك الغدر نورا لا يكون للبدر .
- ولقد طهر الحق جهاده من هذا الاختلاط ، وغسلته الرحمة من هذا التخبط واللتواء .
- وحتى يبدي " الإله " غفرانه ، بحيث يكون مغفره غافرا لرأسه . " 1 "
- ومن هنا فقد سقط المطر من أعالي السماء ، حتى يطهر الدنسين من الخبث .

تطهير الماء لكل أنواع الدنس ، ثم تطهير الله سبحانه وتعالى للماء من القدر ، فلا جرم أن الله سبحانه وتعالى هو القدوس

- 200 -** عندما سعى الماء ، وصار نجسا ، بحيث أن الحس صار يرد هذا الماء " النجس " .
- حملته الحق مرة ثانية إلى بحر الصواب ، حتى غسله من كرمه ماء الماء " ذاك " .
 - وفي العام التالي ، عاد " الماء إلينا " مطيعا ، و " سألناه " : أين كنت ؟ " فأجاب " : في بحر الطيبين .
 - لقد مضيت من هنا نجسا وعدت طاهرا ، تلقيت خلعة " الإكرام " وعدت نحو التراب .
 - فهيا ، هلموا إليّ أيها الدنسين ، فإن طبعي قد أخذ من طبع الإله .

205 - إنني أتقبل منكم كل قبحكم ، وأطهر الشيطان ، فيصبح كالملك .

(1) عند جعفري : 11 / 152 : بحيث تغفر كل ذنوبه . ويبدو أصح .

- وعندما أصبح قذرا أعود إلى ذلك المكان ، وأمضي إلى أصل أصل الطهر .
- وهناك ألقى بالدلق الملوث من فوق رأسي ، فيهبني من جديد الخلعة الطاهرة .
- إن هذا هو عمله ، وعلمي هو هذا ، إنه من زين العالم ، رب العالمين .
- فلو لم تكن هذه الأقدار " عاقلة " بنا ، متى كان منهاج الماء يكون هكذا ؟

- 210 -** إنه يسرق أكياس الذهب من الأحد ، ويسرع في كل صوب صائحا : هل من مفلس ؟
- فإما أن ينصب على نبات ينمو ، أو يغسل وجه من لم يغسل وجهه .
 - أو يحمل على رأسه كالحمال ، سفينة لا قدم لها ولا يد ، فوق البحار .
 - وهناك مئات الأللاف من الأدوية كامنة فيه ، ذلك أن كل دواء يشتق منه .
 - وهو روح كل ذرة ، وقلب كل حبة وبذرة ، يمضي في الجدول ، وكأنه خزانة الدواء .

- 215 -** ومنه تكون التربية والرعاية لتمامي الأرض ، والسير والمشي لأولئك المقعدين المتيسين .

- وعندما يصبح بلا قيمة ويتكدر ، ويصبح حائرا مثلنا فوق الأرض ،

استعانة الماء بالحق جل جلاله بعد تكدره

- يطلق " آنذاك " الأنين من أعماقه مناديا : يا الله ، لقد أعطيت ما أعطيت ، وبقيت متسولا .
- لقد صببت كل ما عندي على الطاهر والدنس ، فأعد إليّ رأسمالي ، أيها المليك ، هل من مزيد؟

- فيقول للسحاب : احمليه إلى موضعه الطيب ، وأنت أيتها الشمس ، اجذبيه إلى أعلى .

220 - ويسوقه من طرق مختلفة ، حتى يبلغ به البحر الذي لاحد له .
 - إن غرضي من هذا الماء هو أرواح الأولياء ، فهي التي تغسل الأكرار عنهم .
 - وعندما تصير كدرة من غدر أهل الأرض ، تعود إلى واهب الطهر " المستوى " على العرش .
 - فيردها من تلك الناحية راضية جارة أذيالها ، قد وعت درس الطهر من موطنه - ومن
 اختلاطها بالخلق تصاب بالاعتلال ، فتبحث عن ذلك السفر ، " وتهتف " : أرحنا يا بلال .

225 - يا بلالا حسن النغم حلو الصوت ، اصعد فوق المئذنة ، ودق طبول الرحيل .
 - فلقد سافرت الروح والجسد في قيام ، ولذلك فهي تقول عند رجعتها : السلام .
 - فتقوم : أرواح الأولياء " بتحرير الجميع من التيمم ، و " تخلص " طلاب القبلة من التحري .
 - إن هذا المثل كأنه الواسطة أثناء الكلام ، والواسطة ضرورة من أجل أن يفهم العوام .
 - فكيف يمضي إلى النار أحدٌ دون واسطة ، اللهم إلا السمندل الذي خلص من العلائق .

230 - إنك تتخذ من دخولك الحمام واسطة ، حتى يستطيب طبعك السخونة والنار .

- وما دمت لا تستطيع الدخول إلى النار " مباشرة " كالخليل عليه السلام ، فقد صار الحمام رسولا للماء إليك ودليلا .
- والسير من الحق ، لكن أهل الطبع ، متى يحسون بالشبع دون واسطة من الخبز ؟
- واللفظ من الحق ، لكن أهل الجسد ، لا يجدون اللفظ دون رياض ، وهي " مجرد " حجاب .
- وعندما لا تبقى واسطة الجسد بلا حجاب ، يجد المرء النور من جيبه ، كما حدث مع موسى عليه السلام .

235 - وكل هذه الفنون التي يبدئها الماء ، شهادة على أن باطنه مليء بلطف الرب .

دلالة الفعل والقول الخارجيين على الضمير والنور الداخلي

- إن القول والفعل شاهدان على الضمير ، فاستدل من هذين على ما يوجد في الباطن .
- فإن لم يوجد لسرك نفاذ إلى الباطن ، فانظر إذن من الخارج إلى بول المريض - والفعل والقول بمثابة البول من المريض ، فهو برهان للطبيب الذي يعالج الأجساد .
- لكن طبيب الروح ذاك يمضي إلى داخل روحه ، وعن طريق الروح ينفذ إلى داخل إيمانه .

240 - فلا حاجة به إلى الفعل والقول الظاهريين ، " ومن هنا قيل : إحذروهم هم جواسيس القلوب " .

- فاطلب دليل القول والفعل من ذلك الذي لا يكون متصلا بالبحر وكأنه الجدول . “ 1 “

**في بيان أن النور في حد ذاته مضيء من داخل المرء دون أن يفسره
قول أو فعل ويدل على نوره**

- لكن نور السالك الذي فاق الحد ، امتلأت بضوئه الصحارى والأدوية .
- وإن شهوده لفارغ من الشهود ، ومن أنواع التكلف ومن التضحية بالروح في الوجود .
- ونور هذا الجوهر عندما تلاً على ظاهره ، فرغ من كل التدرج والتسلسل .

- 245 -** إذن لا تطلب منه دليل الفعل والقول ، فقد تفتحت الدار من منه ، كالورد .
- وما هو هذا الدليل ؟ إنه إظهار الخفي ، سواء بالقول أو بالفعل ، أو بغيرهما من الوسائل .
 - فالغرض هو إظهار سر الجوهر ، فالوصف ثابت ، وهذا العرض ، عابر غير مستقر .
 - وعلامة الذهب لا تبقى فوق المحك ، ويظل الذهب ، حسن الاسم ، خالياً من الشك .
 - وهذه الصلاة ، وهذا الجهاد ، وهذا الصيام ، أمور لا تبقى ، وتبقى الروح حسنة الاسم .

(1) ج / 11 - 162 : - فقله وفعله شاهدان عليه ، ذلك الذي يكون متصلا بالبحر كأنه الجدول . - فانظر إلى قوله وفعله ، وماذا يوجد في ضميره وسره . - وما هي مراتب نوره ، وهل هو سخي أو ينثر الحب من أجل الصيد - فإن كان صيادا ابتعد عنه ، ولا تستمع إلى وساوسه وقوله وفعله . - وإن كان صديقا ، لا ترفع يدك عنه ، حتى يبلغ بك البحار .

250 - ولقد أبدت الروح مثل هذه الأفعال والأقوال على محك الأمر ، وسحقت جوهر " الدليل "

- قائلة : إنني صادقة الاعتقاد ، وهاك الدليل ، لكن هناك في الأدلة اشتباهات .
- فاعلم أن الجواهر في حاجة إلى تزكية ، وتركيتها الصدق الذي يكون موقوفا عليها .
- وفي الدليل عن طريق القول ينبغي أن يحفظ اللفظ ، أما في الدليل عن طريق الفعل ، فينبغي حفظ العهد .
- فإن كان ثم اعوجاج في دليل القول فهو مردود ، وإن كان ثم سعي باعوجاج في دليل الفعل ، فهو مردود .

255 - وينبغي أن يكون قولك وفعلك خاليين من التناقض ، حتى تحصل على القبول في التو واللحظة .

- إن سعيكم لشتى ، وأنتم في تناقض ، إنكم تخطيطون في النهار ، وتمزقون ما خطتم ليلا .
- ومن ذا الذي يستمع إلى شاهد متناقض ، اللهم إلا إذا زاول الحلم من لطفه ؟
- والفعل والقول إظهار للسر والضمير ، كلاهما يظهر السر الخفي المستور .
- وعندما زكى دليلك فقد قبل ، وإلا حبس في المهلة والتلكؤ والنكوص .

260 - وما دمت تعاند ، فهم يعاندون أيها الحرون ، فانتظرهم ، إنهم منتظرون .

عرض المصطفى عليه السلام الشهادة على ضيفه ذاك

- إن هذا الكلام لا نهاية له ، لقد عرض المصطفى صلى الله عليه وسلم الإيمان على هذا الفتى وقبله .
- وتلك الشهادة التي كانت مباركة عليه ، قد فكت القيود المعقودة " عليه " - صار مؤمنا ، وقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم : كن ضيفا علينا الليلة أيضا .
- قال : والله إنني ضيفك إلى الأبد ، حيثما أكون وحيثما أمضي .
- 265 -** إنني عتيقك ، وحارس بابك ، ومن صار حيا منك ، وأنا على مائدتك في الدنيا والآخرة .
- وكل من يختار سوى هذه المائدة المختارة ، فإن حلقه يتمزق في النهاية من العظام .
- وكل من يمضي صوب مائدة غير مائدتك ، اعلم أن الشيطان قد صار جليسه وشريكه في طعامه .
- وكل من يمضي عن جوارك ، يصبح الشيطان بلا جدال جارا له .
- وإن مضى بدونك إلى سفر بعيد ، يكون الشيطان رفيقا له وجليس طعامه .
- 270 -** وإن ركب جوادا أصيلا ، ويكون حاسدا للقمر ، فإنه يردف الشيطان خلفه .
- وإن تحمل منه قرينته المدللة ، فإن الشيطان يكون شريكا له في نسله .
- فإن الحق قد قال له في القرآن - يا شفقاً " مليئاً بالنور " - (شاركهم في الأموال والأولاد) .
- ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا جلياً من الغيب ، في أقواله النادرة المثل مع علي رضي الله عنه - يا رسول الله ، لقد أبديت لنا الرسالة بالتمام ، وكأنها شمس بلا غمام .

275 - وإن ما فعلته لم تفعله مائتا أم ، ولم يفعله عيسى عليه السلام مع عازر .
 - ألم تنقذ روعي الآن من الأجل ؟ ! وإذا كان عازر قد بعث حيا فقد مات لتوه .
 - وصار ضيفا على الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ذلك الأعرابي ، فأكل نصف لبن ماعز واحدة ، وضم شفتيه .
 - فألح عليه قائلا : كل الرقاق واشرب اللبن ، فقال : لقد شبعنا والله ، بلا نفاق - وليس هذا تكلفا أو حياءً أو تفضلا ، لقد صرت أكثر شبعنا مما كنت بالأمس .

280 - فتعجب كل أهل البيت ، لقد امتلأ هذا القنديل بنقطة من الزيت .
 - وما هو قوت لطير الأبابيل ، هل يملأ معدة مثل هذا الفيل ؟
 - وكثر الهمس بين الرجال والنساء ، إن هذا الفيلي الجسد يأكل قدر ما تأكل بعوضة .
 - لقد انتكس حرص الكفر وهمه ، وشبعت الأفعى من قوت نملة .
 - ولقد ذهب عنه طمع المتكدين الموجود عند الكفار ، فسمن دسم إيمانه وتضخم .

285 - وذلك الذي كان يرتجف من الجوع الشديد المستمر “ 1 “ ، رأى ثمار الجنة مثلما رأتها مريم .
 - لقد أسرعت فأكهة الجنة صوب جسده ، فسكنت معدته التي تشبهه الجحيم .
 - والإيمان في حد ذاته نعمة ودسم عظيم ، يا من قنعت من الإيمان بالقول .

(1) حرفيا : جوع البقر .

بيان أن النور الذي هو غذاء الروح يصبح غذاءً لأجسام الأولياء ،
حتى يصبح قرينا للروح مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
أسلم شيطاني على يدي

- بالرغم من أنه - أي النور - طعام الروح والنظر ، فإن للجسد نصيبا منه أيضا يا بنى . “ 1 “ -
وإن لم يكن شيطان الجسم آكلا منه ، لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : أسلم شيطاني .

290 - وما لم يأكل الشيطان من ذلك الدسم الذي يحيي الموتى ، فمتى كان له أن يصير مسلما .
- إن الشيطان عاشق للدنيا وأعمى وأصم ، وربما يقضي على العشق عشق آخر .
- إنه عندما يتذوق " قوتا " من منزل اليقين الخفي ، فإنه يحمل أحمال عشقه إليه قليلا قليلا .
- " يا حريص البطن عرج هكذا ، إنما المنهاج تبديل الغذاء .
- يا مريض القلب عرج للعلاج ، جملة التدبير تبديل المزاج

295 - أيها المحبوس في رهن الطعام ، سوف تنجو إن تحملت الفطام - إن في الجوع طعاما
وافرا ، افتقدها وارتعج يا نافرا .
- اغتذ بالنور كن مثل البصر ، وافق الأملاك يا خير البشر " 2 “
- وكالمملك ، اجعل غذاءك تسبيح الحق ، حتى تنجو من الأذى كالملائكة .

.....
(1) ج / 11 - 174 : - حتام يا قانعا بالخبز والكراث ، عد إلى وعيك وتغذ بالنور .
(2) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- وإذا كان جبريل لا يحوم حول الجيف ، فهو في قوته ليس ضاربا أقل من نسر “ 1 “ .

إنكار أهل الجسد لغذاء الروح وارتجافهم من أجل الغذاء الخسيس

- 300 - حبذا مائدة موضوعة في الدنيا ، لكنها خفية جدا عن عيون الأخساء .
- وإن صارت الدنيا بستانا مليئا بالنعمة ، فإن نصيب الفأر والحية منها والمصباح . هو التراب " فحسب " .
- إن نصيبها هو التراب ، سواء في الشتاء أو الربيع ، فكيف تأكل التراب يا أمير الكون ، كأنك الحية ؟
- وفي قلب الخشب ، تقول دودة الخشب : لمن تكون يا ترى مثل هذه الحلوى الطيبة ؟ “ 2 “
- ودودة البعر بين ذلك الحدث ، لا تعرف ثقلا في الدنيا سوى الخبث . “ 3 “

مناجاة

305 - أيها الإله الذي لا نظير له ، آثرنا ، ما دمت قد أعطيت الأذن حلقة من هذا الكلام .

-
(1) ج / 11 - 174 : - والفيل وإن كان وقورا على الأرض ، قل لي ، متى نجا من بعوضة ؟
(2) ج / 11 - 179 : - والحشرة الصغيرة تقول وسط التراب ، إن أحدا في العالم لم يأكل مثل هذه الحلوى .
(3) ج / 11 - 179 : - ولا يعرف الغراب شيئا قط سوى النجاسة ، لقد صارت له النجاسة " عزيزة " كالعين والمصباح .

- خذ بأذاننا وجرها نحو ذلك المجلس ، فمن رحيقك ، يشرب أولئك المنتشون .
- وما دمت قد أوصلت إلينا رائحة منه ، لا تغلق فوهة تلك القربة ، يا رب الدين .
- إنهم جميعا يشربون منك ، من ذكور وإناث ، ذلك العطاء بلا انقطاع أيها المستغاث .
- يا من يستجاب منك الدعاء الذي لم يقل ، لقد أعطيت القلب في كل لحظة كثيرا من الفتوح .

310 - ولقد نقشت بضعة حروف ، و " جعلتها " كتابة ، فصارت الحجارة من عشقها في " ليونة الشمع .

- ولقد صورت الحاجب مثل حرف النون والعين مثل حرف الصاد والأذن مثل حرف الجيم ، وجعلتها فتننة للعقول والألباب .
- ومن حروفك هذه صار العقل يجدل الخيوط الرقيقة ، فداوم على نسجها أيها الأديب الذي يحسن الخطوط .
- وخليق بكل فكر ارتبط بالعدم ، لحظة بلحظة ، صورة خيال حسن الرسم .
- والحروف العجيبة على لوح الخيال ، إنما كتبتها العين ، وصفحة الخد ، والخال .

315 - فلأكن ثملا بالعدم ، لا بالموجود ، وذلك لأن معشوق العدم أكثر وفاءً .

- ولقد جعل العقل قارئاً لتلك الأشكال ، حتى يطوى من جرائها كل التدابير .

تمثيل اللوح المحفوظ وإدراك كل إنسان من ذلك اللوح بالنسبة للأمر
وقسمته ومقدار رزقه ، بإدراك جبريل عليه السلام
كل يوم من اللوح الأعظم

- إن ذلك العقل يحمل كل صباح الدرس اليومي من اللوح المحفوظ ، وكأنه الملك .
- فانظر من العدم إلى كتابات بلا بنان ، ومن علمها تحير أرباب الشهوات .
- فصار كل إنسان مغلوبا مضحكا بالنسبة لخيال ، صار طلعة " دؤوبا " من اشتهاؤه لكنز ما .

- 320 -** فمن خيال صار أحدهم ممثلا بالعظمة ، متجها إلى مناجم الجبال .
- ومن خيال ، اتجه أحدهم بجهد المرير إلى البحر من أجل الدر .
 - وثالث قبع من أجل الترهيب في كنيسة ، ورابع انطلق حريصا نحو الحقل .
 - ومن خيال ، صار هذا قاطع طريق لمن نجا ، ومن خيال صار ذاك مرهما لكل جريح .
 - وفي استدعاء الجن فقد هذا قلبه ، وفوق النجوم وضع آخر سنابك جواده . “ 1 “

- 325 -** وهذه الخيالات المختلفة ترى الظهور ، من تلك الخيالات المتنوعة الموجودة في الباطن .
- وهذا حائر : ترى على أي شيء عكف آخر ، وكل ذائق لشيء ، ينفى ما ذاقه آخر .

.....
(1) ج / 11 - 183 : - وآخر في السفينة من أجل الريح ، وأحدهم فاسق ، والآخر ذو صلاح .

- ولأن تلك الخيالات كلها غير مؤتلفة ، فإنها عندما ظهرت ، صارت مختلفة .
- وعندما خبئت قبلة الروح عن الأنظار ، فإن كل جماعة قد اتجهت إلى ناحية ما .

تمثيل الأساليب المختلفة والهمم المتباينة باختلاف تحرى المتحرين للقبلة في الظلام ، وبحث الغواصين في قاع البحر

- إن مثلهم كمثّل القوم الذين يتحIRON عن القبلة ، ويمضون على الظن نحو جهة ما .

- 330 -** وعندما تسفر الكعبة عن وجهها في الصباح ، يتكشف لهم أنهم قد ضلوا الطريق .
- أو كالغواصين في قاع البحر ، يجمع كل منهم شيئاً ما بعجلة .
 - وعندما يخرجون من قاع البحر العميق ، يتكشف من هو صاحب الدر العظيم .
 - وأن آخر قد حمل درا صغيراً ، وثالثاً قد حمل حصى وسبه . “ 1 “

- 335 -** “ هكذا نبلوهم بالساهرة ، فتنة ذات افتضاح قاهرة “ 2 “ .
- وهكذا فإن كل قوم كأنهم الفراش ، خائفون بأجنحتهم حول شمعة من شموع الدنيا .
 - وإنهم ليكون أنفسهم في النيران ، ويطوفون حول شموع النفس .

-
- (1) سبه معرب شبه حجر رخيص وقيل الجزع اليماني .
- (2) بالعربية في المتن الفارسي .

- وذلك على رجاء نار موسوية الإقبال ، من لهيبها يشتد اخضرار الأشجار .
- لقد سمعت كل جماعة عن فضل تلك النيران ، وظنوا جميعا كل شرارة إياها .

340 - وعندما يسطع فجر نور الخلود ، يبدو لكل منهم أي شمع كان " يطوف حوله " .
 - وكل من أحرق جناحه من شمع الظفر ذاك ، يعطيه ذلك الشمع السعيد ثمانين جناحاً .
 - وطائفة الفراش التي أغمضت كلتا العينين ، وبقيت تحت شمع السوء محترقة الجناح .
 - تتقلب في الندم والحرقة ، وتطلق الأهات من الهوى الذي يغمض العينين
 - ويقول له الشمع : ما دمت أنا نفسي قد احترقت ، فمتى أنجيك من الحرقة والجور .

345 - إن شمعك بالك لا يفتأ يقول : إنني محترق الرأس ، فمن أين لي أن أضيء للغير ؟

تفسير : يا حسرتنا على العباد

- إنه لا يزال يقول له : إنني من منظرك قد اغتررت ، لكن مخبرك قد رأيته متأخرا .
- والشمع الميت الذي أضاعه الريح ، والذي سلب قلوبنا ، قد تمزق من اعوجاج رؤيتنا .
- " ظلت الأرواح خسرا مغرما ، تشتكي شكوى إلى الله العمى

- حبذا أرواح إخوان ثقات ، مسلمات مؤمنات قانتات " 1 “

- 350 -** إن كل جماعة قد اتجهت إلى ناحية ما ، وأولئك الأعزاء قد اتجهوا إلى لا صوب .
 - وكل حمامة تطير نحو جهة ما ، وهذه الحمامة تطير نحو الجهة التي لا جهة فيها . “ 2 “
 - فلسنا نحن بطيور الهواء ولا طيور المنازل ، وإن حبوبنا هي تلك الحبوب التي لا حبوب فيها .
 - ومن هنا فقد صار رزقنا واسعا ، ذلك أن خياطة القباء بالنسبة لنا هي تمزيقنا إياه .

سبب تسمية الفرجية بهذا الاسم من البداية

- مزق أحد الصوفية جبته عند حرج ، فحدث له من بعد هذا التمزيق الفرج .

- 355 -** فسمى تلك الجبة الممزقة بالفرجية ، فشاع هذا اللقب من ذلك الرجل النجي .
 - لقد شاع اللقب ، وأخذ الشيخ صفاءه ، أما الذي بقي في طبع الخلق فهو اللفظ ، وهو الثمالة .
 - وهكذا فكل من كان له اسم صاف ، ترك هذا الاسم وكأنه الكدر .
 - وكل أكل للطين قد أخذ الثمالة ، ومضى الصوفي حو الصفاء دون دهشة أو عجب .

.....

- (1) بالعربية في المتن الفارسي .
 (2) ج / 11 - 190 : وكل عقاب يطير من مكان إلى آخر ، وجزاء هذه العقبان حقيقة هو اللامكان .

- وقال : لابد للكدر من صفاء ، ومن هنا فإن القلب يدل على الصفاء ، ويمضي إليه .

360 - إن الكدر عسر ، وصفأؤه هو اليسر ، والصفاء كالرطب ، والكدر كالبسر .
 - واليسر مع العسر ، فانتبه ولا تكن قانطاً ، وفي هذا الممات ، لك طريق إلى المعاش .
 - فإذا كنت تريد الروح مزق الجبة ، حتى تطل برأسك من ذلك الصفاء سريعاً .
 - والصوفي هو الذي يكون طالباً للصفاء ، ليس الصوفي من لباس الصوف وحيآكته واللواطة .
 - لقد صار الصوفي عند أولئك اللئام : " الخياطة واللواطة والسلام " " 1 “

365 - وعلى خيال ذلك الصفاء والاسم الطيب ، يكون ارتداء الألوان طيباً ، لكن :
 - إذا مضيت على خياله نحو أصله ، لا على مثال عباد الخيال ، مرحلة بعد مرحلة "من الخيال"
 - فالخيال هو حارس الغيرة ، يدور حول مريم الجمال .
 - وقد منع كل باحث ، قائلاً له : لا طريق ، ، وكل خيال يقف دونه قائلاً : قف
 - اللهم إلا ذلك الحاد السمع الحاد الذهن ، الذي يكون له التأييد من جيش نصرته

370 - إنه لا يهلع من الخيالات ويصير ملكاً ، بيدي سهم الملك ، ثم يمضي في الطريق . “ 2 “

.....

(1) بالعربية في المتن الفارسي .
 (2) ج / 11 - 192 : - كل من يكون في يده سهم الملك ، يجد الطريق ويمضي نحو المنزل .
 ثم عنوان " مناجاة " يليه بيت : -

- فدبر من أجل هذا القلب الحائر الضال ، وهب تلك الأقواس المنحنية سهما .
- لقد سكبت جرعة من هذه الكأس خفية ، على أرض التراب " من كأس الكرام " . " 1 "
- وعلى الوجه والجداول دليل من جرعه ، والملوك يلعبون التراب من جرائها .
- إن جرعة الحسن في هذا التراب الجميل ، هي التي تقبلها أنت ليل نهار بمائة قلب .

375 - والجرعة الممتزجة بالتراب ، إذا كانت تصنع أمثال المجنون ، ماذا تفعل بك إذا كانت صافية " دون تراب " ؟ !

- وكل امريء ممزق الثياب " وجدا وولها " أمام قطعة من المدر ، فإن هذا المدر تجرع جرعة من الحسن - فجرعة على القمر والشمس والحمل ، وجرعة على العرش والكرسي وزحل .
- أتسميها جرعة ويا للعجب أو كيمياء ؟ ! فمن تأثيرها يوجد العديد من البهاء ! !
- فاطلب تأثيرها بجد يا ذا الفنون ، لا يمس ذاك إلا المطهرون .

380 - فجرعة على الذهب وعلى الياقوت والدرر ، وجرعة على الخمر وعلى الثقل والثمر .
- وجرعة على وجوه الحسان الجميلات ، فما بالك إذن بما يكون رائقا صافيا ؟ !
- أيها القديم ذو المنن العالم بالسر ، نحن في طريقك عاجزون وممتحنون .

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- فإذا كنت تلحق هذه بلسانك ، فكيف بك إذا رأيته دون طين ؟ !
- وعند الموت عندما نتفصل جرعة الصفاء هذه عن الجسد بالموت ،
- فإن ما يتبقى بعدها تقوم بدفنه سريعا ، فكيف كان مثل هذا القبح مع هذا " الجمال " ؟ !

385 - وعندما تبدى الروح جمالها بدون هذه الجيفة ، فإنني لا أستطيع أن أعبر لك عن لطف ذلك الوصال .

- وعندما يبدي القمر لطفه بدون هذا السحاب ، فإنه لا يمكن التعبير عن شأنه وأبهته .
- فما أجمله من مطبخ ، ذلك الملى بالشهد والسكر ، ويكون السلاطين لاعقين للأطباق فيه .
- وحبذا بيادر صحراء الدين هذه ، والتي يكون كل بيدر بالنسبة لها لاقط حب .
- وما أجمله من بحر للعمر هذا ، خالٍ من الأحزان ، والذي تكون البحار السبعة بالنسبة له قطرة طل .

- 390 -** وعندما صب ساقى يوم العهد جرعة على هذا الحمأ المسنون الدني ،
- جاش ذلك التراب وجشنا من ذلك الغليان ، فجرعة أخرى - يا إلهي - فقد قل منا الجهد .
 - فلو كان جائزا لي ، لشكوت مر الشكوى من العدم ، وإن لم يكن هذا بالذي يقال ، فقد سلمت .
 - إن هذا هو بيان البط المنتني من الحرص ، فتعلم من الخليل عليه السلام أن البط جديرٌ بالقتل .
 - وفي البط غير هذا كثير من الخير والشر ، لكنني أخشى أن يفوتني الحديث " عن الطيور الأخرى " .

وصف الطاووس وطبعه وسبب قتل إبراهيم عليه السلام إياه

- 395 -** لقد جننا الآن إلى الطاووس ذي اللونين ، الذي يتجلى بالنسبة للشرف وبالنسبة للعار .
 - إن همته هي صيد الخلق من طيبين وأشرار ، لكنه غافل عن نتيجة هذا الصيد وفائدته .
 - والشبكة لا علم لها عد ما تأخذ الصيد ، فأى علم للشبكة بالمقصود من العمل ؟
 - وأي نفع للشبكة من الصيد وأي ضرر ؟ إنني في دهشة من أخذها هذا الذي لا نفع فيه !!
 - أيها الأخ ، لقد اتخذت كثيرا من الأصدقاء ، بأنواع كثيرة من التحبب ، “ 1 “ ثم تركتهم ومضيت .

- 400 -** وكان هذا عملك منذ أن ولدت ، كان صيد الناس بشبكة الوداد .
 - ومن كل هذا الصيد ، والتكديس ، والكبرياء والوجود ، ابحت بيدك فيه ، لن تجد خيطا واحدا ذا سدى ولحمة .
 - لقد مضى أكثر الوقت ، واليوم في آخره ، وأنت لا تزال تجد في صيد الخلق .
 - فهيا دوام على أخذ هذا في شبكتك وترك ذاك ، وهيا صد ذلك الآخر مثل اللئام .
 - ثم اترك هذا وابحث عن آخر ، وهاك لعب الأطفال الغافلين .

(1) حرفيا : بمائتي تحبب .

- 405 -** ويحط الليل ، ولا صيدٌ واحدٌ في شبكتك ، وليست شبكتك إلا صداد لك وقيد .
 - بل تكون قد صدت نفسك بالشبكة ، وبقيت حبيسا محروما من أمانيك .
 - فهل يمكن أن يكون في هذا الزمان أحقق مثلنا يكون صاحب شبكة ، ويقوم بصيد نفسه ؟
 - ولما كان صيد العوام كصيد الخنازير ، بعد تعب لا حد له ، يكون الأكل منه حراما .
 - وإن ما يستحق الصيد هو العشق فحسب ، لكن متى تسعه شبكة أحد ؟
- 410 -** اللهم إلا أن تأتي أنت وتصبح صيدا له ، وتترك شبكتك ، وتمضي إلى شبكته .
 - وإن العشق لا يفتأ يهمس لي في أذني : أن تكون صيدا خير من أن تكون صيادا .
 - فاجعل نفسك مخدوعا بي ، واغتر ، ودعك من تصور نفسك شمسا ، وكن ذرة .
 - كن ساكنا على بابي ، وكن بلا دار ، ولا تدع أنك شمعة ، وكن فراشة .
 - وذلك حتى ترى طعم الحياة ، وترى السلطنة مستترة في العبودية .
- 415 -** وإنك لترى الأمور مقلوبة في الدنيا ، وقد لقبت من هم في الجبيرة بالملوك .
 - فكثير من الحبال في عنقه ، والتاج مشنقة ، وحوله جماعة من الناس في صياح : هاكم الملك المتوج .
 - إنه مثل قبور الكفار ظاهره مزدان بالحلل ، لكن في باطنه قهر الله عز وجل
 - وعندما زينوا قبورهم بالجص ، أسدلوا عليها حجابا من الظن .

- وطبعك المسكين عليه قشرة جص من الفضل ، كأنه نخلة من الشمع ، لا ورق ولا ثمر .

في بيان أن كل إنسان يعرف لطف الحق وكل إنسان يعرف قهر الحق ،
وكلهم متعلقون بلطف الحق هاربون من قهر الحق ، لكن الحق تعالى أخفى
أنواعا من القهر في لطفه وأنواعا من اللطف في قهره ، فهو قلب للزهر ،
ومكر من الله حتى يميز أهل التمييز الذين ينظرون بنور الله من الناظرين
إلى الحاضر والظاهر ، مصداقا لقوله تعالى : لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا *

420 - قال أحد الدراويش لدرويش آخر : كيف رأيت حضرة الحق ؟ أخبرني .
- قال : رأيتها بلا كيف ، لكن من أجل التعبير بالمقال ، لأذكر نبذة عنها ، وعلى سبيل المثال .
- رأيت على يساره نارا ، وعلى يمينه نهرا من الكوثر .
- على يساره ، رأيت نارا محرقة للعالم ، وعلى يمينه ، رأيت نهرا من السعادة .
- ورأيت جماعة مدت الأيدي نحو تلك النيران ، وجماعة أخرى في سرور ونشوة من أجل ذلك الكوثر .

425 - لكن هناك لعبة مقلوبة تماما ، موجودة أمام قدم كل شقي وسعيد .
- فكل من كان يمضي صوب النار والشر ، كان يرفع رأسه من بين الماء ،

- وكل من كان منهم يمضي نحو النهر ، كان يتواجد في النار في التو واللحظة .
- وكل من كان يمضي صوب اليمين والماء الزلال ، أطل برأسه من النار من ناحية الشمال .
- وكل من مضى صوب الشمال النارى ، أطل برأسه من ناحية اليمين .

430 - وقليل ما هم أولئك الذين أدركوا هذا السر المستتر ، فلا جرم أن قليلا هم الذين مضوا صوب تلك النار

- اللهم إلا ذلك الذي انصب على رأسه الإقبال ، فترك الماء وأسرع نحو النار .
- لقد جعل " الله " لذة الحاضر معبودة عند الخلق ، فلا جرم أن أصابهم الغبن من ذلك المكر .
- لأنهم من الحرص والغفلة محترزون من النار ، هاربون صوب الماء ، طائفة بعد طائفة ، وصفا بعد صف .
- فلا جرم أن أطلوا برؤوسهم من النار ، فيا أيها الغافل ، اعتبر ، اعتبر من هذا .

435 - وكانت النار تنادي : أيها الزاهلون المخدوعون ، إنني لست النار ، إنني نبع القبول .

- لقد وضعوا كمامة على العيون يا عديمي النظر ، هلموا إليّ ، ولا تهربوا من الشرر .
- أيها الخليل ، لا شرر هناك ولا دخان ، ليس ما تراه هنا إلا سحر النمرود وخداعه .

- وإذا كنت أرييا ذكيا كالخليل فالنار ماءً بالنسبة لك ، وأنت فراشة " تلك النار " .
- وروح الفراشة لا تفتأ تنادى وتهتف : وآسفاه ، ليتته كان لي مائة ألف جناح .

440 - إذن لا احترقت كلها في النار بلا استغاثة ، برغم أنوف من ليسوا بأهل وقلوبهم .
 - إن الجاهل يشفق على من حماريته ، بينما أشفق عليه أنا ، من قوة بصيرتي .
 - خاصة تلك النار التي هي روح الماء ، وإن أمر الفَراش على عكس أمورنا .
 - إنها ترى النور فتمضي إلى النار ، والقلب يرى النار ويمضي صوب النور .
 - ومثل هذا المكر يأتي من الرب الجليل ، حتى تعرف من هو من آل الخليل .

445 - لقد جعلوا النار على شكل الماء ، وفجروا عين ماء من داخل النيران .
 - وإن الساحر ليبدى بفته طبقا مليئا بالأرز كأنه مليء بالدود على رؤوس الأشهاد .
 - ويبيدي الدار مليئة بالعقارب من نفثات سحره ، ولا وجود فيها لعقرب واحد .
 - وما دام الساحر يبيدي هذا ومئات من أمثاله ، فكيف يكون إذن مكر خالق السحرة ؟ !

- فلا جرم أنهم من سحر الخالق ، قد سقطوا قرنا بعد قرن مستسلمين ، استسلام المرأة لزوجها .

450 - وكان سحرتهم عبيدا وغلما ، وقد سقطوا كما تسقط الصعوة في الشبكة .
 - فها ، واقرأ من القرآن ، وشاهد السحر الحلال ، وانقلاب أنواع المكر الذي كالجبال .
 - ولست بفرعون حتى آتي نحو ماء النيل ، ولأَمْض نحو النيران كأَنْني الخليل .
 - فهي ليست بنار ، إنها الماء المعين ، أما ذلك الماء فمن المكر ، تحول إلى ماء ناري .
 - ومن ثم فما أطيب ما قاله ذلك الرسول الذي أحل الطيبات ، ذرة من العقل أفضل من الصوم والصلاة .

455 - ذلك أن العقل جوهر فيك وهذان عرضان ، ومن المفروض أن يكمل العقل هذان .
 - حتى يكونا كالصقل بالنسبة لتلك المرأة ، فإن الصدر يشرح من الطاعة بالصفاء .
 - لكن المرأة إن كانت فاسدة من الأساس ، فإن الصقل يؤتي أكله فيها متأخرا .
 - لكن تلك المرأة المختارة حسنة الأصل ، يكفيها قليل من الصقل .

تفاوت العقول من أصل الفطرة خلافا للمعتزلة الذين يقولون أن العقول الجزئية
في الأصل متساوية ، وأن هذه الزيادة والتفاوت من التعلم
والرياضة والتجربة

- إعلم جيدا أن تفاوت العقول هذا " موجود " ، ومراتبه من الأرض حتى السماء .

460 - فهناك عقل مثل قرص الشمس ، وهناك عقل أقل من الزهرة والشهاب .
- وهناك عقل كمصباح عند ثمل ، وهناك عقل مثل نجم من النار .
- ذلك أن السحاب عندما ينقشع من أمام " المرء " ، فلينظر إلى نور الله ، يهب " الناس "
العقول . " 1 "
- ولقد أساء العقل الجزئي إلى العقل " الكلي " ، وشهوة الدنيا جعلت المرء محروما .
- فذاك العقل رأى من الصيد حسن الصيد ، وهذا العقل لكونه صيادا يحمل هم الصيد .

465 - وذاك العقل من الخدمة ، وجد الدلال من المخدوم ، وهذا لكونه مخدوما ، حاد عن طريق
العز .
- وذاك العقل من فرعونيته صار أسيرا للماء ، وهذا من معاناته الأسر ، صار من الأسباط وسيدا
عليه . " 2 "

.....
(1) ج / 11 - 214 : - وإن عقول الخلق على عكس عقله ، إن عقله مسك وعقول الخلق
رائحته . - والعقل الكلي والنفس الكلية هو رجل الله ، فلا تعتبرن العرش والكرسي شيئا غيره . -
وذااته الطاهرة هي مظهر الحق ، فاطلب الحق منه لا من غيره .
(2) الترجمة هنا من نسخة جعفري لأنها أكثر وضوحا ومنطقية من نسخة نيكلسون .

- إن اللعب معكوس هنا ، وحصان " الشطرنج " مقيد تماما ، فقلل من احتيالك ، فالأمر أمر إقبال وحظ .
- وقلل نسج سدى " أعمالك " ولحمتها على المكر والحيلة ، فإن الغنى قليلا ما يعطي الطريق للماكر .
- ولتمكر ، لكن في سبيل حسن الخدمة ، حتى تجد " دور " النبوة في الأمة .
- 470 -** ولتمكر حتى تتخلص من هذا المكر ، ولتمكر حتى تنفصل عن الجسد .
- ولتمكر حتى تصبح أقل العباد ، وتمضي في التواضع والقلة لتصبح سيدا .
- ولا تقوم بأعمال الثعالب أيها الذئب العجوز ، لا تقم بها أبدا قاصدا السيادة .
- لكن كن كالفراشة ، واهجم على النار ، ولا تتجاوز هذا الأمر ، واللعب بطهر .
- واترك القوة ، وكن عاكفا على الضراعة ، فإن الرحمة تنصب على المتضرع أيها الفقير .
- 475 -** ضراعة المضطر الظمان إلى المعاني ، لا ضراعة ذلك الغوى الباردة الكاذبة .
- وإن بكاء إخوة يوسف عليه السلام مجرد حيلة ، لأن بواطنهم كانت مليئة بالحسد والمرض .

حكاية ذلك الأعرابي الذي كان كلبه يموت جوعاً ، بينما خرجته مليء بالخبز ،
وأخذ ينوح على الكلب وينشد فيه الشعر ، ويبكي ويلطم رأسه ووجهه ،
بينما يبخل عن إعطاء الكلب لقمة من الخرج

- كان ذلك الكلب يحتضر ، وذلك الأعرابي كان منهمكا في البكاء ، كان يذرف الدمع ويصيح :
واكرباه “ 1 “

- فمر به أحدهم وسأله : ما هذا البكاء ؟ ولماذا تنوح وتصرخ ؟
- قال : كان عندي كلب حسن الخصال ، وها هو الآن يحتضر وسط الطريق .

480 - كان صيادي في نهاري وحارسي في ليلي ، فهو حاد البصر ، أخذ للصيد ، خبير
باللصوص . “ 2 “

- قال : مم يشكو ؟ وهل طعنه أحد ؟ قال : بل الجوع قد هدم من قواه .
- قال : فاصبر إذن على هذا الألم والخسارة والحَرَض ، فإن فضل الحق يهب الصابرين
العوض .

- ثم قال له : أيها السيد الحر ، ما هذا الخرج الملىء في يدك ؟
- قال : إنه خبز وزاد ولحم كتف من أجلي ، أحمله معي لكي يتقوى به بدني .

485 - قال : وكيف لا تعطي ذلك الكلب الخبز والزاد ؟ قل : إلى هذا الحد لم يبلغ بي العطاء
والوداد .

- فالحصول على الخبز لا يتأتى دون دراهم ، أما دمع العينين فبالمجان .

.....
(1) ج / 11 - 217 : - ماذا أفعل يا ترى ؟ وما التدبير يا رب ، وكيف أستطيع الحياة بدونك
بعد ذلك ؟

(2) ج / 11 - 217 : - كان يصيد الصيد ويحتفظ به من أجلي ، ولم يكن يترك لصا يقترب
مني .

- قال : ليفضحك الله أيتها القربة الممتلئة بالريح ، فإن لقمة الخبز أفضل لديك من الدمع ! !
- والدمع دم ، حوله الحزن إلى ماء ، وألا يساوى الدم المسفوك هدر التراب " الذي سفك عليه " ؟

- لقد جعله كله ذليلاً مثل إبليس ، والجزء من هذا الكل ، لا يكون إلا خسيساً 490
- وأنا غلام لذلك الذي لا يبيع الوجود ، إلا لذلك السلطان ذي الأفضال والوجود .
- وعندما يبكي ، تكون السماء باكية من أجله ، وعندما يشكو ، يكون الفلك داعياً معه .
- وأنا غلام لذلك النحاس العابد للهمة ، ذلك الذي لا ينكسر ، إلا إذا عرض على الكيمياء .
- فارتفع في الدعاء يداً كسيرة ، ذلك أن فضل الله يمضي طائراً نحو الكسير .
- وإذا كنت تريد النجاة من هذا الجب السحيق ، فامض أيها الأخ فوق النار دون تأخير .

495 - وانظر إلى مكر الله ، ودعك من مكرك ، يا من مكره يزرى بمكر الماكرين .
- وعندما يفنى مكرك في مكر الرب ، فإنك تفتح كميناً شديداً العجب .
- وأقل ما في هذا الكمين يكون البقاء ، وتظل إلى الأبد في عروج وارتقاء . “ 1 “

.....
(1) ج / 11 - 218 : -

- وابذل جهداً ما من أجل هذا الكمين ، حتى تشم شذى من العلم اللدني .
- وإن كنت تعلم أحوال عروجك جيداً ، فإن هذا يكون خيراً بالنسبة لك .

في بيان أنه لا توجد عين مؤذية للإنسان بقدر العين التي ينظر بها إلى نفسه بعجب
اللهم إلا إذا بدلت عينه بنور الحق مصداقاً ل : بي يسمع وبى يبصر ،
وصارت نفسه بلا نفس

- لا تنظر إلى جناح طاووسك وانظر إلى قدمه ، حتى لا يفتح لك " سوء النظر " كميناً .
- فإن الجبل ينزلق من عيون الحاسدين ، واقرأ من القرآن (يزلقونك) واعلم .
- 500 -** ومن نظرة انزلق أحمد صلى الله عليه وسلم وهو كالجبل ، وذلك في طريق لا طين فيه ،
ولا مطر .
- ولقد بقي مندهشاً " متسائلاً " : من أي شيء هذا الإنزلاق ؟ إنني لا أظن هذا الحال يخلو " من
سر " .
- حتى نزلت الآية ، وعلم أن ذلك الذي حدث له من عين السوء ، ومن الحقد والحسد .
- " وخاطبه ربه قائلاً " : لو كان غيرك لفنى في التو واللحظة ، ولكان صيدا للعين وسخرة
للفناء . " 1

.....
(1) ج / 11 - 222 : - فاعلم معنى عين السوء آخر الأمر ، ومن عين السوء ، اقرأ (وَإِنْ
يَكَادُ)

- لكن عصمة ساعية سابغة خفت إليك ، أما انزلاقك فكان من أجل إعطاء العلامة والدليل .

505 - فاعتبر ، وانظر إلى ذلك الجبل ، ولا تعرض قدرتك ، يا أقل من قشة .

تفسير (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ)

- يا رسول الله ، إن في هذا الجمع أناسا ، يصيبون النسور " الطائرة " بعيونهم الحسود .
- ومن نظراتهم تنشق رأس أسد العرين ، بحيث يئن ذلك الأسد ويتوجع .
- إن أحدهم ليصب نظرة على الجمل كالجمام ، ثم يرسل غلامه في أثره .
- ويقول له : إمض ، واشتر من شحم هذا الجمل ، فيرى الجمل وقد سقط في عرض الطريق .

- 510 -** وقد ذبح ذلك الجمل من مرض " عارض " ، وكان يسابق الجواد في عدوه .
- ومن الحسد ، ومن عين السوء بلا شك ، يحول الفلك سيره وطوافه .
- والماء خفي والساقية ظاهرة ، وفي الدوران يكون الماء هو أصل العمل .
- والعين الطيبة دواء للعين الشريرة ، فإنها تفني عين السوء وتدوسها بالأقدام .

- وسبق الرحمة حق وصدق ، وهي أي عين الرحمة من الرحمة ، وعين السوء نتيجة للقهر واللعنة .

- 515 -** ورحمته تصير غالبية على نقمته ، ومن هنا انتصر كل نبي على خصمه .
 - ذلك أنه من نتاج الرحمة ، وخصمة ذلك القبيح الخصال من نتاج القهر واللعنة .
 - وإن حرص البط لحرص واحد ، وحرص ذلك " الطاوس " خمسون طبقة ، والحرص على الشهوة حية ، أما الحرص على المنصب فأفعوان .
 - وحرص البط من شهوة الحلق والفرج ، وفي الرياسة يضمّر عشرون ضعف لهذا "الحرص" .
 - وإنه ليدعي الألوهية من جاهه لاهيا وعابثا ، ومتى يُعافى ذلك الطامع في الشركة ؟

- 520 -** ولقد كانت زلة آدم من البطن والباه ، أما زلة إبليس فكانت من التكبر والجاه .
 - فلا جرم أن آدم قد سارع في الاستغفار ، بينما استكبر ذلك اللعين عن التوبة .
 - إن حرص الفرج والحلق سوء جبلة ، لكنه ليس تعاليا واستكبارا ، إنه تنزل .
 - " ولحرص " الرياسة هذا جذور وفروع ، إن تحدثت عنها تفصيلا ، للزم لها دفتر خاص .
 - ولقد سمى العرب الجواد الشموس شيطانا ، وليس الدابة التي تبقى في مرعاها

- 525 -** والشيطنة لغة هي العصيان والاستكبار ، ومن هنا استحققت هذه الصفة اللعينة .
 - وإن مائة من الأكلين يستطيعون الجلوس حول مائدة واحدة ، لكن الدنيا لا تسع اثنين من طلاب الرئاسة .
 - فكلاهما لا يريد للآخر أن يظل على وجه الأرض ، حتى أن الملك ليقتل والده خوفا من منازعته إياه .
 - ألم تسمع ما قيل من أن الملك عقيم ، إن طالب الملك ليقطعن رحمه من الخوف .
 - إنه عقيم ، لا نسل له ولا ابن ، كأنه النار لا علاقة له بأحد .
- 530 -** وكل ما تجده تحرقه وتشتته بددا ، وعندما لا تجد ما تأكله ، تأكل نفسها .
 - فكن هباءً ، وانجُ من بين مخالبيها ، وقلل طلب الرحمة من قلبها الذي يشبه السندان .
 - وما دمت قد صرت هباءً ، لا تخش السندان ، وخذ الدرس كل صباح من الفقر المطلق .
 - والألوهية رداءٌ ذي الجلال ، وكل من يرتديه ، ينقلب عليه وبالا .
 - والتاج له ، ولنا حزام " الخدمة " ، وويل لذلك الذي يجاوز حده .
- 535 -** وهو فتنة لك ذلك الجناح الطاووسي ، إنه " يقول لك " : لقد وجبت لك الشركة ، وجاز لك التقديس .

[حكاية ذلك الحكيم الذي رأى طاووسا ينزع جناحه الجميل]

قصة ذلك الحكيم الذي رأى طاووسا ينزع جناحه الجميل بمنقاره ، ويجعل جسده عاريا أقرع قبيحا ، فسأله متعجبا : ألن تندم ؟ قال : لأندم ، لكن الروح عندي أعز من الجناح ، وهو عدو لروحي

- لقد أخذ طاووس ينزع ريشه في واد من الوديان ، وكان أحد الحكماء قد ذهب متنزها إلى ذلك المكان .

- فقال : أيها الطاووس ، كيف تنزع هذا الجناح السنى من أساسه دون أن يعتريك ندم ؟
- وكيف يطاوعك قلبك على خلع هذه الحلل ، ثم تلقي بها هكذا في الوحل ؟
- إن كل ريشة منه يضعها الحافظون في المصحف إعزازا لها وقبولا .

- 540 -** ومن أجل الاسترواح بالهواء النافع العليل ، يصنعون من ريشك هذا المراوح .
- فما كل هذا الجحود ؟ وما كل هذه الجراءة ؟ ألا تعلم من هو الذي صورك ونقشك ؟
 - أو أنك ربما تعرف ، لكنك تبدى الدلال ، وتقوم عامدا بإزالة الزينة التي عليك !!
 - وما أكثر المدللين الذين أسقطهم هذا الذنب من عين المليك .
 - وإبداء الدلال يكون في طعمه أحلى من السكر ، لكن قلل من قضمه ، ففيه مائة خطر .

545 - وطريق الضراعة ذاك عمران آمن ، فاترك التدلل ، وتواءم مع هذا الطريق .

- وما أكثر المتدللين الذين قطعوا أجنحتهم وقوادهمهم ، وصار ذلك في النهاية وبالاً عليهم .
- وإذا كانت لذة التدلل قد رفعتك لحظة ، فإن الخوف والرعب الكامنين فيها لا يلبثا أن يذيباك .
- وهذه الضراعة بالرغم من أنها تصيبك بالنحول ، فإنها تجعل الصدر كأنه البدر الأنور .
- فإذا كان " الله سبحانه وتعالى " يخرج الحي من الميت ، فكل من صار ميتاً ، صار له الرشد .

- 550 -** فصر ميتاً ، حتى يخرج الحي من هذا الميت ، المخرج الحي الصمد .
- وما دام يخرج الميت من الحي ، فإن نفس الحي لا تفتأ تطوف حول الموتى .
 - ولتصبح شتاء لترى إخراج الربيع ، ولتتحول إلى ليل لتري إيلاج النهار .
 - ولا تنزع هذا الجناح فهو لا يقبل الرفو والرتق ، ولا تخمش وجهك حدادا يا جميل الوجه .
 - فإن مثل ذلك الوجه الذي يشبه شمس الضحى ، من الخطأ أن يتعرض للخمش .

- 555 -** فإن آثار الأظافر على مثل ذلك الوجه من قبيل الكفر ، ذلك الوجه الذي يبكي فيه وجه لقمر من فراقه - أو لست ترى إذن وجهك هذا ؟ فاترك الطبع الباحث عن الجدل واللجاج .

في بيان أن صفاء النفس المطمئنة وبساطتها تصبح مشوشة من الفكر ، كما أنك إن كتبت شيئاً على وجه مرآة أو رسمت شيئاً عليه ، يبقى أثر عليها ونقصان ، مهما قمت بمحوه

- إن وجه النفس المطمئنة في الجسد ، تقوم بخمشها أظافر الفكر .
- فاعلم أن الفكرة السيئة أظافر مليئة بالسّم ، وهي تخمش وجه الروح بعمق .
- وهو من أجل أن يفك عقدة المشكّلات ، جعل القوادم الذهبية ملقاة في الحدث . “ 1 “

- 560 -** فاعتبر العقدة محلولة أيها المنتهي ، إنها عقدة صعبة وشديدة على كيس فارغ .
- ولقد شخت في حل العقد ، فاعتبر عدداً آخر من العقد قد حل .
 - والعقدة التي تصبح صعبة على حلوقنا ، هي أن تعلم : هل أنت خسيس أو صاحب إقبال .
 - وحل هذا الإشكال إذن إن كنت آدمياً ، واجعل أنفاسك مصروفة على هذا ، إن كنت من نفس آدم .
 - واعتبر حدود الأعيان والأعراض أمورا معلومة ، لكن اعرف حدك ، فلا مناص لك من هذا .

(1) كما عند جعفري " 233 / 11 " وهي عند نيكلسون : 38 / 5 " الفأس الذهبية ولا معنى لها ، كما أنه أمال كلمة بال بمعنى جناح لتكون بيل أي فأس دون داع من الوزن أو القافية .

565 - وعندما تعرف حدك ، عليك بالفرار من هذا الحد ، حتى تصل إلى اللحد ، يا ناخلا للتراب .

- لقد ضاع العمر في الحديث عن المحمول والموضوع ، ويا فاقد البصيرة ، لقد ضاع عمرك في " المنقول " والمسموع .

- وكل دليل لا نتيجة منه ولا أثر له باطل ، فأمعن النظر فيما نتج عنك .
- وإنك لم تر صانعا إلا عن طريق مصنوع ، وأنت قانع بقياس إقتراني .
- والمشتغل بالفلسفة يزيد في الوسائط ، لكن الصفي على عكسه فيما يتعلق بالدلائل .

570 - فهو يفر من الدليل ومن الحجاب ، ولقد طأطأ متفكرا ، رأسه في جيبه ، من أجل المدلول .

- وإذا كان الدخان دليلا على النار ، فأولى بنا الدخول في نار بلا دخان .
- خاصة تلك النار التي هي من القرب والولاء ، تكون أقرب إلينا من الدخان .
- ومن ثم فمن سواد الفعل ، المضي عن الروح صوب الدخان ، من أجل تصورات هذه الروح .

في بيان قول الرسول صلى الله عليه وسلم : لا رهبانية في الإسلام

- لا تقتلع الجناح ، بل اصرف قلبك عنه ، ذلك أن شرط هذا الجهاد هو " وجود " العدو .

- 575 -** وعندما لا يكون عدو فالجهاد محال ، وإن لم تكن شهوة ، لا يكون هناك امتثال .
 - ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميل ، وعندما لا يوجد خصم ، ما الحاجة إلى قيامك بالاحتفال .
 - فانتبه ، ولا تجعل نفسك خصيا ، ولا تصر راهبا ، ذلك أن العفة رهينة " بوجود " الشهوة .
 - ولا يمكن النهي عن الهوى إن أم يوجد هوى ، ولا يمكن القيام بالغزو ضد الموتى .
 - لقد قال " أنفقوا " ، إذن " فاكسبوا " أولا ، ذلك أنه لا نفقة دون أن يسبقها دخل .
- 580 -** فإذا كان قد قال " أنفقوا " على الإطلاق ، فاقراها أنت " إكسبوا " ثم " أنفقوا " .
 - وكذلك عندما قال " اصبروا " ، ينبغي أن تكون هناك رغبة ، حتى تشيخ عنها بالوجه .
 - إذن فإن " كلوا " من أجل شرك الشهوة ، وبعدها " لا تسرفوا " وهذه هي العفة .
 - وعندما لا يكون هناك محمول به لدى " المرء " ، لا يكون ممكنا أن يوجد المحمول عليه .
 - وعندما لا تكون لديك مشقة في الصبر ، ليس شرطا أن ينزل عليك الجزاء .
- 585 -** حبذا ذلك الشرط ، وما أسعده ذلك الجزاء ، ذلك الجزاء الذي يلاطف القلب ويزيد في الروح .

في بيان أن ثواب عمل العاشق من الحق هو الحق نفسه

- إنه هو فرح العاشقين وترحمهم ، وهو أيضا الأجر ، وثواب الطاعة والخدمة
- وإذا كان غير المعشوق قابلا للرؤية ، لا يكون هذا عشقا ، بل شهوة عابثة
- والعشق هو تلك الشعلة التي عندما تشتعل ، تحرق كل ما تبقى غير المعشوق
- لقد سل سيف " لا " في سبيل قتل ما سوى الحق ، فانظر ماذا تبقى من بعد " لا "

590 - لقد تبقى " إلا الله " ، ومضى كل ما هو سواه ، فلتنهأ أيها العشق العظيم ، يا مهلك الشرك .

- بل إنه هو نفسه الذي يبقى أولا وأخيرا ، ولا تعتبر الشرك إلا من نظرة الأحول .
- فواعجبا ، هل ثم حسن دون أن يكون انعكاسا من حسنه ؟ فليس للجسد حركة من غير الروح .
- وذلك الجسد الذي تكون في روحه الخلل ، لا يكون حلوا ، وإن نقعته وربيته في العسل .
- ويعلم ذلك الشخص أنه كان حيا ، في ذلك اليوم الذي اختطف فيه كأسا من كف روح الروح .

595 - وذلك الذي لم تر عيناه ذلك الوجه ، تكون حرارة الدخان روحا بالنسبة له - وما دام لم ير عمر بن عبد العزيز ، فإن الحجاج يكون أيضا عادلا في رأيه .

- وما دام لم ير ثبات حية موسى عليه السلام ، فإنه يظن حياة في حبال السحر .

- والطائر الذي لم يشرب من الماء الزلال ، يخفق بجناحيه في الماء المالح .

- ولا تمكن معرفة الشيء إلا بضده ، وعندما يذوق " المرء " الجراح ، يعرف الملاطفة والإكرام .

- 600 - فلا جرم أن الدنيا قد قُدمت ، حتى تعرف قدر إقليم " أَلست " .
 - وعندما تنجو من هذا المكان تمضي إلى هناك ، وتصير شاكرا في مصنع سكر الأبد .
 - فنقول : لقد كنت هناك أقوم بنخل التراب ، وكنت هاربا نفورا من هذا العالم الطاهر . " 1 "
 - وآسفاه ، ليتّه كان قد عجل لي في الأجل ، حتى يقل عذابي في الوحل والوجل . " 2 "

في تفسير قول الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم : ما مات من مات إلا وتمنى أن يموت قبل ما مات ، إن كان برا ليكون إلى وصول البر أعجل ، وإن كان فاجرا ، ليقبل فجوره

- ومن هنا قال الرسول الخبير : إن كل من مات وترجل عن " مطية " الجسد ،

- 605 - لا تكون لديه حسرة الانتقال والموت ، بل يحس بحسرة التقصير والفوت
 - وإن كل من يموت ، تكون لديه هذه الأمنية ، وهي ليت أنه قبل هذا قد نقل مقصده ومقامه .
 - ليكون قد قلل من شره إن كان شريرا ، وليكون مجيئه أسرع إلى دار " القرار " إن كان تقيا .

-
 (1) ج / 11 - 245 : كنت قانعا من الكنز بالحية ، وكنت سعيدا من البستان بشوكة .
 (2) عند نيكلسون " 40 / 5 " وحل وعند جعفري " 245 / 11 " وجل فجمعتهما معا .

- فيقول ذلك الفاجر : لقد كنت غافلا ، وكنت أزيد من الحجب لحظة بعد لحظة .
- فلو كان قد بُكر لي في العبور قليلا ، لكنت حجبى وأستاري أقل .

610 - فقلل إذن من تمزيق الوجه القنوع حرصا ، وكفاك أيضا تمزيق الوجه الخشوع كبرياءًا .
 - وكفاك تمزيقا لوجه الجود بخلا ، ومن الإبليسية كفاك تمزيقا لوجه السجود الطيب .
 - ولا تنزع ذلك الجناح المزين للخلد ، ولا تقتلع ذلك الجناح الذي يطوى الطريق .
 - وعندما سمع " الطاووس " النصيحة نظر إليه ، ثم شرع في العويل والبكاء .
 - نواحا وبكاءا متصلين بألم ، فبكى لبكائه كل من كان حاضرا .

615 - وذلك الذي كان يسأل عن سبب نزع الجناح ، حار جوابا ، وأخذ يبكى ندما .
 - قائلا : لماذا سألته من الفضول ؟ لقد كان حزينا ، وهيجت أحزانه .
 - أخذ يذرف الدمع من العين الباكية فوق التراب ، وفي كل قطرة ، أدرج مائة جواب . “ 1 “
 - إن البكاء الصادق يصادف الروح ، ويجعل الفلك والعرش يبكيان . “ 2 “
 - والعقول والقلوب عرشية بلا جدال ، تحيا في حجاب من نور العرش .

.....
 (1) ج / 11 - 250 : - أخذ يذرف الدمع من عينيه على التراب ، وكان التراب يتحول إلى طين من الدمع الهتون
 (2) ج / 11 - 250 : - والبكاء الذي لا صدق فيه لا وجد فيه ، ومن هنا يضحك منه الشيطان . والبكاء الذي لا صدق فيه يكون بلا ضياء ، إنه كالمخيض لا دسم فيه .

في بيان أن العقل والروح محبوسان في الماء والطين مثل هاروت وماروت في جب بابل

620 - إن هذين الطاهرين - مثل هاروت وماروت - قد قيدا هناك في الجب المريع .
- إنهما في العالم السفلي والشهواني ، من الجرم ، صارا رهينة في هذا البئر .
- فالأطهار والأشرار يتعلمون منهما السحر وابطال السحر دون اختيار منهما .
- لكنهما في البداية يقومان بنصحه قائلين ، انتبه ، لا تتعلم السحر منا ، ولا تقتبسسه .
- إننا نعلم هذا السحر يا فلان ، من أجل الابتلاء والامتحان .

625 - فشرط الامتحان هو الاختيار ، ولا اختيار هناك بلا اقتدار .
- والميول كالكلاب النائمة ، قد كمن فيها خيرها وشرها .
- وما لم تكن قدرة فهي نائمة في صفوف ، ومثل حزم الحطب ملقاة في استسلام - حتى تبدو جيفة في الأفق ، فينفج على تلك الكلاب في صور الحرص .
- وعندما نفق حمار في تلك الحارة ، فقد استيقظ مائة كلب نائم من أجله .

630 - وأنواع الحرص المخفية في كتم الغيب ، بدأت في الهجوم ، وأطلعت برؤوسها من جيوبها .
- وصارت كل شعرة من كل كلب أسنانا ، وكل كلب من الاحتيال ، صار مبصبصا بذنبه .
- فنصفه الأسفل من الحيلة ، ونصفه الأعلى من الغضب ، كالنار الضعيفة عندما تجد الحطب .
- فتتواصل الشعل شعلة شعلة من اللامكان ، ويمضي دخان اللهب حتى السماء

- إن مائة من أمثال هذا الكلب قد ناموا في الجسد ، واختفوا ، ما لم يكن لهم صيد .

635 - أو مثل طيور البازي قد خيبت أعينها ، واحترقت في حجاب من عشق الصيد .

- حتى ترفع الكمامة وترى الصيد ، فنقوم آنذاك بالتحليق حول سفوح الجبال

- وشهوة المريض تكون ساكنة ، لكن خاطرها لا يفتأ يمضي صوب الصحة

- وعندما ترى الخبز والتفاح والدابوق ، يتقاتلان معا لذة الطعام وخوف الضرر .

- فإن كان " المريض " صبورا ، تكون الرؤية نافعة له ، ويكون ذلك التهيج نافعا لطبعه العليل .

640 - وإن لم يكن صبر فالأولى عدم الرؤية ، ومن الأولى أن يكون السهم بعيدا عن لا درع

له . “ 1 “

جواب الطاووس على ذلك السائل

- وعندما فرغ من البكاء ، قال له : إمض ، إنك عاكف على اللون والرائحة .

- ألسنت ترى أنه ينصب على مائة بلاء من كل صوب من أجل هذه القوادم ؟

- وما أكثر الصيادين الذين لا رحمة عندهم ، ويضعون الفخاخ في كل صوب من أجل هذا الريش .

- وكثيرا ما يقوم الرامي بالسهم ، بإطلاق السهم حولي في الفضاء من أجل هذه القوادم .

(1) ج / 11 - 255 : - عد وأتم الحكاية ، وتحدث عما قاله الطاووس في جوابه . ثم بيت بعد العنوان " 255 / 11 " واستمع الآن من الطاووس إلى الجواب ، حتى تعلم أن هناك خطايا لكل طيب .

645 - وما دامت لا قوة لدى ولا ضبط نفس ، أمام هذا القضاء والبلاء وهذه الفتن ، - فمن الأفضل أن أكون قبيحا كريها ، حتى أكون آمنا في هذا الجبل وهذه الصحراء . “ 1 “
- لقد كان هذا سلاح عُجبي أيها الفتى ، ومن العُجب حاق بالمعجبين بأنفسهم ألف بلاء .

بيان أن الفضائل والمواهب ومال الدنيا مثل ريش الطاووس أعداء للروح

- ومن ثم فإن الفضل هلاك للساذج الغُفل ، الذي من أجل الحبة ، لا يرى الفخ .
- والاختيار يكون خيرا لذلك الذي يكون مالكا لنفسه ، " منفذا لأمره تعالى " :
اتقوا .

650 - وعندما لا يكون حفظ وتقوى فحذار ، ولتبعد الآلة إذن ولتنبذ الاختيار .
- إن موضع التجلي والاختيار عندي هو هذا الجناح ، فلأنتزع هذا الجناح ، الذي يكون خطرا على الرأس .
- والصبور يعتبر جناحه عدما ، حتى لا يلقي به جناحه هذا في الشر والعناء .
- ومن ثم فلا ضرر في الجناح في حد ذاته ، فلا تنزعه ، وإن رميت بسهم ، تلقه بالدرع .

.....
(1) ج / 11 - 255 : - فلأنزع ريشي ريشة ريشة ، حتى لا تسقطني في الفخ كل حيلة . -
فالروح عندي أغلى من المال والريش ، فالروح باقية ، والجسد أبتتر.

- لكن الجناح الجميل عدو لي ، ذلك أنه لا صبر لي عن الظهور والتجلي .

655 - ولو كان الصبر والحفظ مرشدين في طريقي ، لزاد الاختيار في عظمتي وحشمتي .
 - إنني كالطفل أو كالثمل في أوان الفتنة ، لا يصح أن يوضع السيف في يدي .
 - ولو كان لي عقل ومزدجر ، لكان السيف في يدي هو عين الظفر .
 - فينبغي عقل يهب النور وكأنه الشمس ، حتى يضرب بالسيف الذي لا يكون إلا صوابا .
 - وما دمت لا أملك عقلا مستنيرا وصلاحا ، لماذا لا ألقى السلاح إذن في البئر ؟

660 - فلألق الآن في البئر بالسيف والمجن ، فسوف يكونان سلاحا " في يد " خصمي
 - وما دمت لا أملك القوة والعون والسند ، فسيأخذ الخصم السيف من يدي ويضربني به .
 - وبرغم هذه النفس القبيحة التي لا تستر الوجه ، لأقم بخمش هذا الوجه .
 - حتى يقل هذا الجمال وهذا الكمال ، وعندما لا يبقى هذا الوجه " الجميل " ، يقل سقوطي في الوبال .
 - وما دمت أخمش وجهي على هذه النية فلا جرم ، فإن الخمش إخفاء لهذا الوجه

665 - فإذا كان في قلبي هذا صفات النساء " من عفة وحياء " ، لما كان وجهي الجميل ينشر إلا الصفاء .
 - وعندما لم أر في نفسي قوة أو فضلا أو صلاحا ، فإني سرعان ما ألقيت السلاح ، عندما رأيت الخصم .
 - حتى لا يصير سيفي كمالا له ، ولا يصير خنجرى وبالا عليّ .
 - وعلى أن أوصل الفرار ما دام فيّ عرق ينبض ، ومتى كان الفرار من النفس سهلا يسيرا ؟ !

- ذلك أن الذي يهرب من غيره ، عندما يبتعد عنه يقر قراره .

670 - وأنا الذي خصمي هو نفسي في هروب حتى الأبد ، وديدي هو قلبي لنفسي : إمض ،
إنهض .
- فهو لا يكون آمنا حتى ولو مضى إلى الهند وخُتن ، ذلك الذي يكون خصمه هو ظله .

في وصف أولئك الذين انسلخوا عن أنفسهم فأمنوا شر أنفسهم وفضل أنفسهم ،
فهم فانون في بقاء الحق ، كالنجوم التي تفتنى في الشمس نهارا ،
ولا يكون عند الفاني خوف من الآفة والخطر

- عندما يكون لفناء " المرء " زينة من الفقر ، يصبح مثل محمد صلى الله عليه وسلم لا ظل له .
- لقد صار قوله صلى الله عليه وسلم الفقر فخرى زينة للفناء ، وصار هو مثل لهب الشمع بلا
ظل .
- صار بأجمعه لهبا كالشمعة من أخصم القدم إلى قمة الرأس ، لا يكون للظل منفذ إلى الطواف
حوله .

675 - ولقد هرب الشمع من نفسه ومن الظل في الشعاع ، من أجله ، ذلك الذي أراق الشمع .
- ولقد قال هو : لقد صيبتك من أجل الفناء ، فقال : وأنا أيضا هربت في الفناء
- إن هذا الشعاع الباقي هو المفترض ، وليس شعاع الشمس الفاني ، الذي هو عرض .
- وعندما فنى الشمع بكليته في النار ، فإنك لن ترى أثرا للشمع ولا أثرا للشعاع
- إنه واضح فحسب عند دفع الظلمة ، إنها نار صورية ، قائمة على شمعة .

680 - وشمع الجسم على خلاف هذا الشمع ، فهو كلما ذاب وقل ، زاد نور الروح .
 - وشعاع هذا النور باق ، وذلك الشعاع فان ، ذلك أن شمعة الروح ذات شعلة ربانية .
 - وذلك اللهب النارى لأنه نور ، فإن ظل الفناء يكون بعيداً عنه .
 - ويكون للسحاب ظل يسقط فوق الأرض ، ولا يكون الظل جليسا للقمر .
 - والإنسلاخ عن الذات هو انقشاع السحاب يا راغبا في الخير ، إنك في الإنسلاخ عن الذات تكون مثل قرص القمر .

685 - ثم إنه عندما تأتي سحابة مزجاة ، فقد ذهب النور عن القمر ، وبقي خيال منه .
 - فقد صار نوره ضعيفا من حجاب السحاب ، وصار ذلك البدر الشريف أقل من هلال .
 - وإن القمر ليبدى خيالا من السحاب والغبار ، وقد جعلنا سحاب الجسد مغرقين في الخيال .
 - فانظر إلى لطف القمر - وهذا أيضا من لطفه - حين قال إن السحب عدوة لنا .
 - والقمر فارغ من السحاب ومن الغبار ، وله على قمة الفلك المدار .

690 - لقد صار السحاب عدوا لنا خصما لروحنا ، فهو الذي يخفي القمر عن أعيننا .
 - وهذا الحجاب يجعل الحورية عجوزا شمطاء ، ويجعل البدر أقل من هلال .
 - ولقد أجلسنا القمر إلى جوار العز ، واعتبر عدونا عدوا له .

- وإن نور هذا السحاب وبهائه مأخوذان - في الأصل - من القمر ، وكل من سمى السحاب قمرا ، هو شديد الضلال .

- وعندما سطع القمر بنوره على السحاب ، تبدل وجهه المظلم من تأثير هذا القمر .

695 - وبالرغم من أنه في لون القمر وذو صولة ودولة ، فإن هذا النور للقمر في السحاب ، نور مستعار .

- وفي القيامة تعزل الشمس ويعزل القمر ، وتُشغل العين بأصل الضياء .

- حتى تعلم ما هو مملك وما هو مستعار ، وتعرف هذا الرباط الفاني من دار القرار .

- وتكون المرضعة مستعارة لأيام ثلاثة أو أربعة ، فخذينا أيتها الأم في أحضانك - إن جناحي " أنا الطاووس " سحاب وحجاب كشف ، لكنه صار لطيفا من انعكاس لطف الحق .

700 - فلأنزع الجناح وحسنه من الطريق ، حتى أرى حسن القمر مباشرة من القمر .

- أنا لا أريد المرضعة ، إن الأم أفضل منها ، أنا موسى ، ومرضعتي هي أمي .

702 - وأنا لا أريد لطف القمر من الوساطة ، فإن ارتباط القوم بها قد صار هلاكا لهم

- أو ربما يصير السحاب فانيا في الطريق ، حتى لا يصير حجابا على وجه القمر .

- بل يبدي صورته في صفات العدم ، وكأنه أجساد الأنبياء والأولياء .

705 - فلا يبقى مثل ذلك السحاب عاقدا للحجب ، يكون ممزقا للحجب ، ومفيدا في المعاني .

- مثلما حدث ذات صباح صحو ، أن سقطت قطرات مطر ، ولم يكن هناك سحب في السماء .
- كانت تلك السقاية معجزة من معجزات الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم ، فلقد صار السحاب من المحو في لون السماء .
- كان هناك سحب ذهب عنه طبع السحاب ، وهكذا يصير جسد العاشق بالصبر .
- يكون جسدا ، لكن صفات الجسدية قد انتفت عنه ، فلقد بدل ، وذهب عنه اللون وذهبت الرائحة .

710 - إن الجناح من أجل الغير ، لكن الرأس من أجلي أنا ، ومنزل السمع والبصر عماذ للجسد .

- والتضحية بالروح من أجل صيد الغير ، اعلم أنه كفر مطلق ، وقنوط من الخير !!
- هيا انتبه ، لا تصبح كالسكر أمام طيور الببغاء ، لكن كن سما ، وصر آمنا من الخسران .
- فكأنك من أجل أن تجعل نفسك محمودا في الخطاب ، جعلت نفسك جيفة أمام الكلاب .
- من أجل هذا خرق الخضر عليه السلام السفينة ، حتى نجت تلك السفينة ممن كان يأخذ كل سفينة غصبا .

715 - ومن هنا وردت الفقر فخرى عن هذا السني ، حتى أهرع من حرص الطامعين إلى الغني .

- ومن هنا أيضا تخبأ الكنوز في الخرائب ، وذلك حتى تنجو من حرص أهل العمران .

- وإذا كنت لا تعلم كيف تقتلع الجناح فامض واختر الخلوة ، حتى لا تصبح بأجمعك نفقة لهذا وذاك .
- ذلك أنك طعام واكل للطعام ، إنك آكل ومأكول أيها الحبيب ، فانتبه .
- في بيان أن كل ما سوى الله آكل ومأكول ، مثل ذلك الطائر الذي كان يمضي لصيد الجراد ، وكان مشغولا بصيد الجراد غافلا عن البازي الجائع الذي يقصد صيده من خلف ظهره ، والآن أيها الإنسان الصياد الأكل ، لا تأمن عن صيادك واكله ، وإن لم تكن تراه رأى العين ، فداوم النظر إليه بالدليل والاعتبار ، إلى أن تفتح عين السر
- كان طويئر منهمكا في صيد دودة ، فاهتبل القط فرصة ، واختطفه .

- 720 -** لقد كان أكلا ومأكولا ، وغافلا في صيده عن صياد آخر .
- وبالرغم من أن اللص " منهمك " في صيد المتاع ، فإن الشرطة تجد في أثره مع خصومه .
- إن عقله مشغول بالمتاع والقفل والباب ، وهو غافل عن الشرطة ، وآهات " المظلومين " في السحر .
- ويكون غارقا في شهوته ، بحيث يكون غافلا عن طالبيه الباحث عنه .
- وإذا كان العشب يروى بالماء الزلال ، فإن معدة الحيوان في أثره ترعى منه .

- 725 -** فإن ذلك العشب آكل ومأكول ، شأنه شأن كل موجود ، إلا الله تعالى .
- ومصدقا للآية الكريمة **هُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ** 1 “ ليس الحق مأكولا ، بل هو آكل اللحم والوضم .

(1) في المتن وهو يطعمكم وليست موجودة في القرآن الكريم

- ومتى يكون الأكل والمأكول آمنين من أكل آخر يترصدهما في مكن .
- وأمن المأكولين جذوب للمأتم ، فامض إلى تلك العتبة التي نزلت في شأنه الا يُطْعَمُ.
- وكل خيال يأكله خيال آخر ، وكل فكرة ترعى عليها فكرة أخرى .

- 730 -** وإنك لا تستطيع أن تنجو من خيال أو تنام إل بعد أن تخلص منه .
- والفكر كالنحل وخيالك هذا كالماء وعندما تستيقظ يعود إليك كالذباب .
 - ويطير حولك عدد من نحل الخيال ، يجذبك هذا الصوب وذاك ، ويحملك من ناحية إلى أخرى .
 - إن هذا الخيال هو أكل الأكلين ، أما بقية الأكلين فهم في علم ذي الجلال .
 - فهيا أهرب من جماعة الأكلين القساة الغلاظ إليه ، فهو القائل لك : نحن الحفظة لك .

- 735 -** أو نحو ذلك الذي وجد الحفظ ، هذا إذا لم تستطع أن تمضى صوب ذلك الحافظ .
- وإياك أن تضع يدك إلا في يد الشيخ ، فإن الحق صار أخذا بتلك اليد معينا لها
 - وإن شيخ عقلك قد اعتاد على الطفولة ، وذلك من جواره للنفس ، فهو في حجاب .
 - فاجعل عقل الكامل قرينا لعقلك حتى يعود العقل عن تلك الخصلة السيئة .
 - وعندما تضع يدك في يده ، تنجو آنذاك من أيدي الأكلين .

- 740 -** وتصبح يدك من أهل تلك البيعة ، التي نزل في شأنها يدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ.
- ما دمت قد وضعت يدك في يد الشيخ المرشد ، مرشد الحكمة الذي يكون عليما وخطيرا .

- فهو نبي زمانه أيها المرید ، ما دام نور النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ينبعث منه .
- وبهذا تكون قد صرت حاضرا في الحديبية ، وقرينا لهؤلاء الصحابة الذين بايعوا .
- وصرت أيضا من الصحابة العشرة المبشرين بالجنة ، وقد صرت خالصا كالذهب كامل العيار .

- 745 -** وحتى تصح لك المعية ، ذلك أن المرء مع من أحب .
- يكون معه في الدنيا وفي الآخرة ، وهذا هو حديث أحمد صَلَّى الله عليه وسلّم طيب الخصال .
 - لقد قال عليه السّلام " المرء مع محبوبه ، لا يفك القلب من مطلوبه " " 1 " - وقلل الجلوس حيثما يوجد فخ وحَب ، وامض يا آخذا للضعيف ، فانظر إلى آخذي الضعفاء .
 - ويا مستقويا على الضعفاء ، اعلم هذا جيدا ، أن هناك يدا فوق يدك أيها الفتى .

- 750 -** إنك ضعيف وآخذ للضعفاء وهذا عجيب ، فأنت صيد وآخذ للصيد جاد في الطلب .
- ولا تكن كمن قيل فيهموَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا بحيث لا ترى الخصم ، وهو شديد الظهور .
 - وحرص الصياد يصيبه بالغفلة عن أن يصاد وأن فاتنا سوف يسلب منه القلب .
 - فلا تكن أقل من طائر في مرج ، رأى عصفورا من أمامه ومن خلفه .
 - وعندما يقترب من الحبة ، يلتفت بوجهه ورأسه عدة مرات إلى الأمام في لحظة ، وإلى الخلف في الأخرى .

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

755 - ويقول : يا للعجب ، إن هناك صيادا أمامي وآخر خلفي ، حتى أصرف النظر عن هذه اللقمة خوفا منهما .

- فانظر أنت إذن إلى قصة الفجار ، وانظر أمامك موت الرفيق والجار .
- فقد أهلكهم بلا وسيلة أو آلة ، " فالموت " قرينك على كل حال .
- لقد عذب الحق ولا يد هناك ولا مقامع ، فاعلم إذن أن الحق حكم ولا آلة - وذلك الذي كان يقول : إذا كان الحق موجودا فأين هو ؟ فإنه يقر في العذاب أنه هو .

760 - وذلك الذي كان يقول : إن هذا بعيد وعجيب ، يذرف الدمع ويقول :
يا قريب .

- وعندما رأيت أن الفرار من الشبكة واجب ولازم ، كانت شبكتك قد التصقت بجناحك .
- فلأقتلع أنا أوتاد هذه الشبكة المنحوسة ، ومن أجل شهوة لا أمرر فمي .
- لقد أعطيتك هذا الجواب بما يناسب عقلك ، فافهمه ، ولا تتصرف عن البحث والتقصي .
- واقطع هذا الحبل الذي هو الحرص والحسد ، وتذكر في جديها حبلٌ من مسدٍ " 1 “

(1) ج / 11 - 273 :

- وانظر إلى أحوال فرعون وثمرود ، وقوم لوط وقوم صالح وقوم ثمود .
- وانظر إلى حال النمرود الظلوم ، وألق نظرة على مآل قوم نوح .
- وتأمل في قصة شداد وعاد ، وانظر إلى حسرتهم يوم التناد
- حتى تعلم أن الحق سميع وعليم ، لا خوف لديه ولا بأس ولا خشية .

سبب قتل الخليل عليه السلام للغراب وإشارته إلى قمع أية صفة من الصفات الذميمة المهلكة في المريد

- 765 -** لا نهاية لهذا الكلام ولا فراغ منه ، فلماذا قتلت الغراب يا خليل الحق ؟
- من أجل أمر الحكمة . فماذا كان الأمر ؟ ينبغي أن تكشف لنا قليلا من الأسرار .
 - إن نعيق الغراب المستمر وصياحه ، يكون دائما طالبا للعمر في الدنيا
 - مثل إبليس ، طلب من الإله الطاهر الفرد عمر الجسد إلى يوم القيامة .
 - فقال : أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * ، وليته قال : تبنا يا ربنا .
- 770 -** وإن العمر بلا توبة هو عين انتزاع الروح ، والموت الحاضر هو الغياب عن الحق .
- والعمر والموت كلاهما يكون طيبا مع الحق ، وبدون الحق يكون ماء الحياة نارا .
 - وكان ذلك أيضا من تأثير اللعنة ، أنه في مثل تلك الحضرة ، ظل يبدو باحثا عن العمر " الطويل " .
 - وطلب غير الله من الله ، هو تزييد في الظن ، وعدم تقدير للكل حق قدره .
 - خاصة ذلك العمر الغريق في الغربة ، إنه سلوك كسلوك الثعلب في محضر الأسد .
- 775 -** أعطني عمرا أطول حتى أصبح أكثر تقهقرا ، وأمهلي حتى أمضي في النقصان .
- وذلك حتى تكون اللعنة علامة عليه ، وسئ ذلك الشخص الذي يكون باحثا عن اللعنة .

- والعمر الطيب في القرب من رعاية الروح وتربيتها ، وعمر الغراب يكون من أجل أكل البعر .
- أعطني عمرا إذن لكي أكل الغائط ، وأعطني هذا دائما ، فإن جوهرى شديد السوء .
- وإن لم يكن آكلا للغائط ذلك المنتن الفم ، لكان قد قال : خلصني من طبع الغراب فيّ .

مناجاة

- 780 -** يا من بدلت التراب إلى ذهب ، وجعلت من تراب آخر أبا للبشر .
- إن فعلك هو العطاء وتبديل الأعيان ، وفعلى أنا هو السهو والنسيان والخطأ .
- فبدل السهو والنسيان إلى علم ، وأنا بأجمعي خطل وجهل ، فاجعلني صبيرا وحلما .
- يا من تجعل من الأرض البور خبزا ، ويا من تجعل من الخبز الميت ، روحا .
- ويا مرشدا للروح الحائرة ، ويا من تجعل الضال رسولا . “ 1 “

- 785 -** وتجعل قطعة من الأرض سماءً ، وتزيد في الأرض من عدد النجوم .
- وكل من يجعل من هذه الأرض ماء حياة ، يحقق به الموت مبكرا عن الآخرين .

.....
(1) ج / 11 - 283 :

- يا من أعطيت الروح للتراب الكدر ، وأعطيته العقل والحس والرزق والإيمان .
- وتأتي بالسكر من البوص والثمر من الخشب ، ومن المنى الميت حسناء جميلة .
- ومن الطين الورود ومن القلب الصفاء ، وتمنح الشحمة ضياءً ونورا .

- وبصيرة القلب الناضرة إلى الأفلاك ، ترى أنه يوجد هنا في كل لحظة خلقً وتصوير .
- وقلب للأعيان وأكسيزٌ محيطٌ " بكل شيء " ، وإتلاف لخرقة الجسد دون أن تخاط .
- وأنت في ذلك الوقت الذي جئت فيه إلى الوجود ، كنت نارا أو ريحا أو ترابا .

- 790 -** ولو كان لك بقاءٌ على هذا الحال ، فمتى كان هذا الارتقاء يصل إليك ؟
- إن الوجود الأول لم يبق من " تأثير " المبدل ، بل وضع وجودا أفضل في موضعه .
 - وهكذا حتى مئات الآلاف من الموجودات ، واحدةً بعد الأخرى ، التالي خيرٌ من السابق .
 - فانظر إليها على أنها من المبدل ، ودعك من الوسائط ، فمن الوسائط تبتعد عن أصولها .
 - وحيثما زادت الوسائط ، انتفى الوصال ، والوسائط أكثر ازديادا عند من قلت لذته بالوصل .

- 795 -** ومن معرفة السبب تقل حيرتك ، والحيرة هي التي تعطيك الطريق إلى الحضرة .
- لقد وجدت أنواع البقاء هذه من أنواع الفناء ، فلماذا أشحت بوجهك عن الفناء فيه ؟
 - وأي ضرر كان قد أصابك من الفناء ؟ حتى تتشبث بالبقاء أيها النافق ؟
 - وإذا كان ثانيك أفضل من أولك ، فابحث إذن عن الفناء ، واعبد المبدل .

- ولقد رأيت مئات الآلاف من أنواع الحشر أيها العنود ، حتى هذه اللحظة ، ومن بدء الوجود .

800 - من الجمادية - وأنت غافل - حتى حال النماء ، ومن النماء نحو الحياة والابتلاء .
 - ثم نحو العقل والتميزات الطيبة ، ثم خارج هذه " الحواس " الخمسة و " الجهات " الستة .
 - وآثار الأقدام هذه موجودة حتى ساحل البحر ومن بعدها ، توجد آثار الأقدام داخل بحر العدم .
 - ذلك أن منازل اليابسة تكونت على سبيل الاحتياط ، من القرى والأوطان والأربطة . “ 1 ” - ثم
 إن منازل البحر عند التوقف ووقت الموج ، لا عرصات فيها ولا سقوف تحبس المسافرين .

805 - ولا نهاية تبدو واضحة لتلك المراحل ، وهذه المنازل لا علامة لها ولا اسم .
 - وما هو بين المنزلين مائة ضعف لما هو موجود " بين منازل الأرض " ، في ذلك الطرف بين
 النماء وبين تحول الروح إلى عين " من الأعيان .
 - لقد رأيت أنواع البقاء هذه في أنواع الفناء ، فكيف تشبثت ببقاء الجسد ؟
 - هيا ، وابذل هذه الروح أيها الغراب ، وكن مضحيا بالروح أمام تبديل الله .
 - وداوم على أخذ الجديد ، ودعك من القديم ، فكل سنة جديدة أفضل لك من ثلاث سنوات سابقة .

.....
 (1) ج / 11 - 284 : - وذلك أن منازل البحر في ازدياد ، وعند موجه ، لا جدران هناك ولا
 عمد .

- 810 -** وإن لم تك مؤثرا على نفسك كالنخل ، ضع القديم فوق القديم ، واجعل منه مخزنا .
 - واحمل هذا القديم المهترى المتعفن ، وقدمه هدية إلى كل من لم ير " نعمة " .
 - وكل من رأى الجديد لن يكون مشتريا منك ، إنه صيد الحق ، وليس فريسة لك .
 - وحيثما يكن هناك سربٌ من الطير العمياء ، فإنها تتجمع حولك ، أيها السيل المالح .
 - حتى تزداد عمى من المياه المالحة ، وذلك لأن المياه المالحة تزيد في العمى .

- 815 -** وأهل الدنيا لهذا السبب عمى القلوب ، شاربون لمياه الجسد المالحة .
 - فداوم على إعطاء المالح وشراء العمى في الدنيا ، ما دمت لا تملك ماء الحيوان في الخفاء .
 - ومع مثل هذا الحال تريد البقاء والذكر ، وسعيدٌ في سواد الوجه ، كأنك الزنجي .
 - والزنجي مستريح في سواده ، ذلك لأنه زنجي بأصله وميلاده .
 - لكن ذلك الذي كان جميلا وضاء الوجه ، إذا اسود لونه يبحث عن علاج للأمر .

- 820 -** والطائر المحلق عندما يبقى على الأرض ، يبقى في حزن وألم وحنين .
 - لكن الطائر المنزلي يمضي هائنا على الأرض ، ويسرع لالتقاط الحب ، سعيدا نشطا .
 - ذلك أنه في الأصل لا يطير ، لكن الطائر الآخر طيار محلق في الهواء .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ارحموا ثلاثا ، عزيز قوم ذل ،
وغنى قوم افتقر وعالما يلعب به الجهال

- قال الرسول عليه السلام : ارحموا حال " من كان غنيا فافتقر ،
والذي كان عزيزا فاحتقر ، أو صفيا عالما بين المضر " " 1 “

825 - قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ارحموا هؤلاء الثلاثة ، حتى وإن كنتم من صخر أو
من جبل .

- ذلك الذي ذل من بعد الرئاسة ، وذلك الغني الذي صار بلا دينار .
- وثالثهم ذلك العالم ، الذي يكون مبتلى في الدنيا بين البلهاء .
- ذلك لأن الانتقال من العز إلى الذل ، كأنه قطع عضو من البدن .
- والعضو الذي يقطع من البدن يموت ، إنه يتحرك قليلا بعد بتره ، لكن ليس لفترة طويلة .

830 - وكل من شرب من كأس " ألسنت " في العام الفائت ، يحس هذا العام بالألم والخمار .
- وذلك الذي يكون في الأصل ككلب الحظيرة ، متى يكون حريصا على السلطنة .
- إنما يبحث عن التوبة من ارتكب الذنب ، وإنما يتأوه من ضل الطريق .

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

[حكاية سقوط حشف غزال في حظيرة حمر]

قصة سقوط حشف غزال في حظيرة حمر ، وشتتم تلك الحمر لذلك الغريب حيناً على سبيل الشجار وحيناً على سبيل السخرية ، وابتلائه بالقش الجاف الذي ليس طعامه ، وهذه صفة العبد المخصوص من الله بين أهل الدنيا وأهل الهوى والشهوة مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء . صدق رسول الله

- لقد صاد أحد الصيادين غزالاً ، فوضعه في الحظيرة بلا رحمة .
- وحبس الغزال في حظيرة مليئة بالحر والبقر كما يفعل الظلمة .

835 - أخذ الغزال من خوفه يجرى في كل صوب ، وفي الليل وضع الصياد القش أمام الحمر .
 - ومن الجوع أخذ كل حمار وكل بقرة في رعى القش وكأنه أحلى من السكر .
 - وأخذ الغزال يسرع حيناً هنا وحيناً هناك ، وحيناً كان يشيح بوجهه عن الدخان والغبار .
 - وكل من وضعوه مع ضده ، " عاقبوه " بهذا العقاب على أنه مساو للموت .
 - حتى أن سليمان عليه السلام قال : إن لم يقدم الهدد عذراً مقبولاً عن تأخره وعجزه .

840 - فإنني سوف أقتله أو أسومه أشد العذاب ، عذاباً شديداً يفوق الحسبان والتصور .
 - هيا ، أي عذاب هذا أيها المعتمد ، قال : وضعه في قفص واحد مع غير جنسه .
 - والروح بازى والطبائع غربان ، فهي في جراح من الغربان والبوم .

- ولقد بقي الغزال بينها في محنة وعذاب ، مثل من كان يسمى " أبو بكر " بين أهل سبزوار .

حكاية محمد خوارزمشاه الذي استولى بالحرب على مدينة سبزوار
وكل أهلها من الروافض ، فطلبوا الأمان لأرواحهم ،
فقال : أعطيك الأمان ، إذا أحضرت لي كهديّة واحدا
من أهل هذه المدينة يسمى أبو بكر

845 - ذهب محمد الب الغ خوارزمشاه لقتال أهل سبزوار المليئة بالحصون .
- فضيق عليهم جنده الخناق ، وأعمل جيشه القتل في الأعداء .
- فسجدوا أمامه قائلين : الأمان ، ضع حلقات " العبودية " في آذاننا ، وهبنا الحياة
- وكل ما تريده من عطاء أو خراج ، نعطيه لك ، وكل موسم يكون في ازدياد .
- وأرواحنا ملك لك أيضا يا من أنت في طبع الأسد ، فمر بأن تظل أمانة لدينا بعض الوقت .

850 - قال : إنكم لم تخلصوا أرواحكم مني ، ما لم تحضروا لي أحدا يسمى أبو بكر .
- وما لم تحضروا لي كهديّة أحدا يسمى أبو بكر من مدينتكم أيتها الأمة الضالة ،
- فإنني سوف أحصدكم حصاد الزرع أيها القوم الأذنياء ، ولا آخذ خراجا ، ولا أقبل رجاء .
- فوقفوا في طريقة جارين جوالا مليئا بالذهب ، قائلين : لا تطلب من يسمى أبو بكر من مثل هذه
المدينة .

- فمتى يكون أبو بكر في سبزوار ؟ أتوجد مدرة جافة في قاع جدول ؟

885 - فأشاح بوجهه عن الذهب ، وقال : أيها المجوس ، ما لم تقدموا إلى من يسمى أبو بكر ،

- فلا فائدة قط ، ولست طفلا ، حتى أقف أمام الفضة والذهب مندهشا !!

- فما لم تسجد لن تنجو أيها الضعيف المسكين ، حتى ولو قست المسجد بمقعدك

- فبثوا العيون في كل صوب ، سائلين : أين من يسمى أبو بكر في هذه الأرض الخربة ؟

- وبعد أن جدوا في البحث ثلاثة أيام بلياليها ، وجدوا شخصا يسمى أبو بكر ، لكنه شديد النحول .

860 - كان عابر سبيل أقعده المرض في زاوية خربة مليئا بالحرص .

- كان قد نام في ركن منعزل ، وعندما رأوه ، صاحوا به : أسرع .

- إنهض فإن السلطان يطلبك ، وبك سوف تنجو مدينتنا من الذبح .

- قال : لو أن بي قوة أو كنت أستطيع القدوم ، لذهبت أنا بنفسى إلى مقصدى .

- ومتى كنت أبقى في ديار الأعداء هذه ؟ ولكنك قد أسرعت نحو مدينة الأحباب .

865 - فأحضروا محفة مما ينقل عليها الموتى ، ووضعوا عليها أبا بكر المجادل ذاك .

- وأخذ الحمالون يحملونه حملا إلى خوارزمشاه ، حتى يرى الدليل .

- إن سبزوار هذه هي الدنيا ، ورجل الحق فيها ضائع وممتحن .

- ومثل خوارزمشاه كمثّل الربّ الجليل ، إنه يريد القلب من هؤلاء القوم الأراذل

- لقد قال : " إنه لا ينظر إلى تصويركم ، فابتغوا ذا القلب في تدبيركم " . " 1 "

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

870 - وأنا أنظر إليكم من خلال صاحب قلب ، لا إلى صورة السجود ، وإنفاق الذهب .
 - بينما ظننت أنت أن قلبك قلب ، وتركت البحث عن أصحاب القلوب .
 - وقلب " الواحد منهم " لو حلت به سبعمائة من أمثال هذه السماوات السبع ، لتاهت فيه واختفت .
 - فلا تسم فتات القلوب هذه قلوبا ، ولا تبحث في سبزوار عمن يسمى أبو بكر .
 - وصاحب القلب يصبح مرآة سداسية الجهات ، وينظر فيها الحق من الجهات الستة .

875 - وكل ما يوجد في الجهات الستة ، لا ينظر إليه الحق دون واسطة منه .
 - فإن رد فإنما يرد من أجله ، وإن قبل ، فإنه يكون سندا للقبول .
 - وبدونه لا يعطي الحق أحد نوالا ، إن كل ما ذكرته هو نبذة عن صاحب الوصال .
 - إنه يضع ما يهبه على كف يده ، ومن كف يده ، يعطيها لمن رحمهم
 - فلكفه اتصال بالبحر الكلي ، على أتم وجه ، ودون شكل أو كيفية .

880 - إنه اتصال لا يستوعبه كلام ، وقوله يكون بالأمر والتكليف ، والسلام .
 - وإنك لتأتي بمائة جوال من الذهب أيها الغني ، ويقول الحق : بل قدم القلب أيها المنحني .
 - فإن كان القلب راضيا عنك فأنا راض ، وإن كان معرضا عنك ، فأنا معرض .
 - إنني لا أنظر إليك ، بل أنظر إلى ذلك القلب ، فقدمه هدية أيها الحبيب على بابي .

- إنني معك كما يكون هو معك ، مثلما توجد الجنان تحت أقدام الأمهات .

- 885 -** إنه الأب والأم ، بل هو أصل الخلق ، وما أسعده ذلك الذي عرف القلب من القشر .
 - وإنك تقول : ألسنت قد أتيت إليك بالقلب ؟ فيقول لك : إن "قتو" مليئة بأمثال هذه القلوب . "1"
 - بل هات ذلك القلب الذي هو قطب العالم ، وهو روح روح الروح لروح آدم .
 - ومن أجل ذلك القلب الملىء بالنور والبر ، يكون سلطان القلوب ذاك منتظرا .
 - وإنك لتطوف لعدة أيام في سبزوار ، ولا تجد مثل ذلك القلب من الاعتبار .

- 890 -** فتضع قلبا ذابلا مهترىء الروح على محفة جارا إياه إلى تلك الناحية .
 - قائلا : لقد أحضرت إليك قلبا أيها المليك ، وليس هناك أفضل من هذا القلب في سبزوار .
 - فيقول لك : أهذه جبانة أيها المتجرىء حتى تحضر قلبا ميتا إليها ؟
 - إمض وهات قلبا في طبع المليك ، فمن هذا القلب ، يكون الأمان ل " سبزوار " الكون .
 - فتقول : إن هذا القلب خفي عن الدنيا ، وذلك لأن الضياء والظلمة ضدان .

- 895 -** إن العداوة لهذا القلب ميراث عند " سبزوار " الطبع منذ يوم " ألسنت "
 - ذلك أنه بازى ، والدنيا مدينة الغربان ، ورؤية أحد لمن هو من غير جنسه ، بمثابة الكي له .

(1) ج / 11 - 305 : - يقول لك : هذا القلب لا يساوى شروى نقيير .

- إنه إن لطف ، فإنما يفعل ذلك نفاقا ، إنه يستميل حتى يحقق الرفقة .
- إنه يوافق ، لا من أجل الحاجة ، بل من أجل أن يقصر الناصح في نصيحته الطويلة .
- ذلك أن ذلك الغراب الخسيس الباحث عن الجيفة ، لديه الآلاف من أنواع المكر ، بعضها فوق بعض .

- 900 -** فإن قبلتم نفاقه هكذا أيها السالكون ، لصار نفاقه هذا هو صدق المستفيد بعينه .
 - وذلك لأن صاحب القلب ذي العظمة والحشمة ، هو في سوقنا كالحمار المعيوب .
 - فابحث عن صاحب قلب ، إن لم تكن بلا روح ، وكن من جنس القلب إن لم تكن معاديا للسلطان .
 - وذلك الذي يخيل عليك احتياله ومكره ، هو وليك أنت ، وليس ولي الله .
 - وكل من عاش على طبعك وخصالك ، هو الولي والنبي عند طبعك . “ 1 “

- 905 -** فامض ، واترك الهوى ، حتى يصبح أرج " الحقيقة " لك ، وتكون لك تلك الشامة الطيبة الباحثة عن العنبر .
 - ومن ممارسة الهوى ، تكون أنفك فاسدة ، ويكون المسك والعنبر كاسدين أمام لبك . “ 2 “
 - إن هذا الكلام لا نهاية له ، وغزالنا ، يهرب داخل الحظيرة من مكان إلى آخر .

-
 (1) ج / 11 - 306 : - وامض واهجر الهوى ، حتى يأتي إلى مشامك عبير الحق ، أيها العظيم .
 (2) ج / 11 - 306 : - إنك عاشق للنجس كالغراب ، ومن ثم فإن أنفك لا يتلقى رائحة المسك .

بقية قصة الغزال واصطبل الحمير

- ظل ذلك الغزال حسن النافجة لعدة أيام معذبا في حظيرة الحمير .
- كان مضطربا ، يجود بالروح ، كسمكة على اليابسة ، فعند ما يحبس في صندوق صغير يعذبان : البعر والمسك .

910 - كان أحد الحمير يقول له : ها هو ذا أبو الوحوش ، إن فيه طبع الملوك والأمراء ، فاصمت .

- وكان آخر يسخر قائلا : لقد أتى من الجزر والمد بجوهر غالية ، فمتى يبيعه رخيصة ؟
- وطفق حمار ثالث يقول : بهذه الرقة التي فيك ، إمض إلى سرير الملك ، وقل : أين المتكأ ؟
- وحمار رابع أتخم حتى عجز عن الرعي ، فأخذ ينادى الغزال داعيا إياه " إلى الطعام " .
- فهز رأسه بما يعني : لا ، إذهب عني يا فلان ، لا شهية عندي ، ولا أقدر .

915 - قال : أعلم أنك تسوق الدلال ، أو أنك تتجنب الطعام تكبرا عليه .
- فقال لنفسه : إن هذا هو طعامك ، فمنه تتجدد أعضاء جسدك ، وتحيا .
- لقد كنت أليفا للمروج ، وكنت مرفها في الرياض ، و " إلى جوار " الماء الزلال .
- فإذا كان القضاء قد ألقى بي في العذاب ، فمتى تمضي عني تلك الجبلية ، وهذا الطبع الطيب ؟

- وإذا كنت قد صرت شحاذا ، متى أصبح ملحاحا سمجا ؟ وإذا كانت ملابسي قد خلقت ، فأنا لا زلت جديدا نضرا .

- 920 -** ولقد رعيت السنبل والشقائق والريحان ، مع الزهد فيها ، وأضعاف هذا الدلال .
 - قال الحمار : هيا ، أنفج علينا نفاجا شديدا ، ففي الغربة يمكن الادعاء الذي لا يستند على دليل .
 - قال الغزال : إن نافجتي في حد ذاتها شاهد عليّ ، فإنها تزرى بالعود والعنبر .
 - لكن متى يشمها صاحب شم ؟ ، لقد صارت حراما على الحمار عابد البعر .
 - إن الحمار يشم بول الحمار على الطريق ، فكيف أعرض المسك على هذا الفريق ؟

- 925 -** من أجل هذا قال النبي المستجيب ، سر [الإسلام في الدنيا غريب] .
 - ذلك أن أهله أيضا ينفرون منه ، بالرغم من أن الملائكة قرناء لذاته .
 - إن الأنام يرون صورته مجانسة لهم ، لكنهم لا يجدون من " حقيقته " حتى رائحتها .
 - وكأنه أسد في إهاب بقرة ، أنظر إليه على البعد ، لكن إياك أن تشق عنه الإهاب .
 - وإن شقيقته ففرط أولا في بقرة الجسد ، فإنه يمزق البقرة ، ذلك الذي فيه طبع الأسد .

930 - إنه يخرج من رأسك طبع البقر ، ومن الحيوان ينزع الطبع الحيواني - وتكون بقرة فتتقلب لديه إلى أسد ، فإذا كنت سعيدا مع طباع البقر ، لا تبحث عن الأسد .

تفسير (إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ)
 كان الله تعالى قد خلق تلك البقرات العجاف على صفة الأسود الجائعة ،
 حتى أنها كانت تأكل تلك البقرات السبع السمان بشهية ،
 وبالرغم من خيالات صور البقر أبديت في النوم تأمل أنت في المعني

- ذلك الذي كان عزيز مصر يراه في النوم ، عندما انفتح الباب أمام عين غيبه ،
- رأى سبع بقرات سمان حسنة التسمين ، أكلتها تلك البقرات السبع العجاف
- لقد كانت تلك العجاف أسدا في الباطن ، وإلا لما كان لها أن تأكل الأبقار

935 - ومن هنا فإن رجل الأمر قد خلق على صورة الإنسان ، لكن في داخله أسدا خفيا مفترسا للرجال .

- إنه يبتلع المرء سعيدا ويجعله فردا ، ويصفي كدره ، وإن ألمه . “ 1 “
- فهو بهذا الألم الواحد ينقيه من جملة الأكدار ، فيخطو فوق السها . “ 2 “
- فحتام تقول كالغراب شديد النحس : أيها الخليل ، لماذا قتلت الديك ؟
- أجاب : إنه الأمر ، فحدثنا إذن عن حكمة الأمر ، حتى تكون كل شعرة في مسبحة له . “ 3 “

.....
 (1) ج / 11 - 315 : -

- لتكن بقرة الجسد فداءً لأسد الله ، إذا كنت معه ذا صدق وصفاء .
- وإن قتلت الضيف ظللت نفس مخرة الحمار ، فحتام تربى أيها السيد بقرة الجسد .
- (2) ج / 11 - 315 : - يصبح ملكا ويترك العبودية ، ويجد في الموت حياة القلب .
- (3) ج / 11 - 317 : - قال إنه الأمر ، فاقراً علينا حكمة الأمر ، حتى أهّل له بالروح .

بيان أن قتل الخليل عليه السلام لديك كان إشارة إلى قمع أية صفة من الصفات المذمومات المهلكات في باطن المرید

940 - إنه شهواني ، شديد في عبادة الشهوة ، وهو ثمل من ذلك الشراب المسموم الذي لا قيمة له .

- ولو لم يكن النسل مطلوباً يا وصي " آدم " ، لكان آدم قد خصى نفسه من عارها .
- لقد قال إبليس اللعين للخالق : أريد فخاً عظيماً من أجل هذا الصيد .
- فعرض عليه الذهب والفضة وقطعان الخيل " المسومة " قائلاً له : إنك بهذا تستطيع أن تخطف الخلق .
- قال : حسناً ، وعبس بشدقيه ، وصار عبوساً مليئاً بالغضون وكأنه الأترجة .

945 - فقدم الحق لذلك المدبر الذهب والفضة والجواهر والمعادن النفيسة .

- قائلاً : خذ هذه الشبكة الأخرى أيها اللعين ، فقال : زدني عليها يا نعم المعين .
- فأعطاه " الطعام " الدسم والحلو والمشروبات الغالية وكثيراً من الثياب الحريرية .
- فقال : يا رب ، أريد أكثر من هذا المدد ، حتى أشدهم إليّ بحبل من مسد .
- فإن الثملين بك من الأبطال الشجعان ، يقطعون كالرجال تلك الحبال .

950 - وحتى يكون رجلك أنت مميزا عن ليسوا برجال بهذه الفخاخ وحبال الهوى .
 - إنني أريد شبكة أخرى يا سلطان العرش ، شبكة شديدة الاحتيال ، تجندل الرجال .
 - فأنتى بالخمير وآلات الطرب “ 1 “ ووضعها أمامه ، فابتسم لها نصف ابتسامة ، ولم يفرح كثيرا .

- فأرسل " إبليس " رسالة إلى " مظهر قدرة الله " في الإضلال منذ الأزل قائلا :
 فلتجعل التراب يتصاعد من قاع بحر الفتنة .

- أليس موسى واحدا من عبيدك ، وقد عقدت له حجب الغبار من قلب البحر ؟

955 - وأطلقت للماء العنان من كل صوب ، وارتفع غبار من قاع البحر ؟ “ 2 “
 - وعندما أبدى له حسن النساء وفتنتهم ، التي تتغلب على عقول الرجال وصبرهم ،
 - طرّقع بأصابعه فرحا ، وانطلق راقصا ، وقال : أعطنيها سريعا فقد بلغت مرادي .
 - وعندما رأى تلك الأعين المليئة بالخمير ، والتي تجعل العقول والألباب بلا قرار .
 - وذلك الصفاء الموجود في خدود أولئك الفاتنات ، والتي تحترق عليها القلوب وكأنها البخور .

.....
 (1) حرفيا : الصنج وهو آلة موسيقية كالرباب .

(2) ج / 11 - 317 : - أعطني فخا قويا حتى يتم الأمر ، ألقه في أفواههم كأنه اللجام . -
 وأضعهم في وهقي وأجرهم جرا ، بحيث لا يستطيعون عصيان ذلك الفخ .

960 - والوجه والخال والشفاة التي كالياقوت ، وكأنما تجلى فيها الحق من خلف حجاب رقيق .
“ 1 “

- ولقد رأى هو هذا الغنج والتثني اللطيف ، كأنه تجلي الحق من حجاب رقيق . “ 2 “

تفسير لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
وتفسير وَمَنْ نُعَمِّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ
إن الحسن الذي سجد له كما سجدت الملائكة لآدم ،
لم يلبث أن عزل وطرده كما طرد آدم .

- فقال : أواه ، أعدمٌ بعد وجود ؟ فقال : إن جرمك أنك عمرت طويلا .
- كان جبريل يجره أخذا إياه بالنواصي قائلا له : إمض عن هذا الخلد وعن هذه الطائفة من
الحسان .

965 - فقال له : ما هذا الإذلال بعد العز ؟ ، قال : هذا هو العدل وهذا هو الحكم
- يا جبرائيل ، كنت تسجد لي بالروح ، فكيف تطردني الآن من الجنان ؟

.....
(1) ج / 11 - 318 : - والقدر الذي كأنه السر والمتبخر في الرياض ، والخذ كالياسمين
والزهور البيضاء .

(2) ج / 11 - 318 : - فصار عالمٌ والهها حائرا مبهوتا ، من تلك النظرة والدلال الحلو
والجمال .

- إن الحل تتساقط من فوق امتحانا ، مثل تساقط الأوراق من الشجر أوان الخريف .
- وذلك الوجه الذي كان يشع كضوء القمر ، صار من الشيخوخة كأنه ظهر الضب .
- وذلك الرأس وذلك المفرق الجميل الوضاء ، صار قبيحا وقت الشيخوخة ، متساقط الشعر .

970 - وذلك القد الشاق لصفوف الحسان كالسنان، صار في الشيخوخة محنيا كأنه القوس .”1“

- لقد صارت حمرة الشقائق صفرة زعفران ، وقوة الأسد صارت كخور النساء . “ 2 “
- وذلك الذي كان يحمل الرجل تحت إبطه بفن ، صار يؤخذ من تحت إبطيه عند القيام .
- وهذه في حد ذاتها هي آثار الغم والذبول ، وكل واحد منها رسول للموت .

(1) ج / 11 - 321 : صار الشعر الذي كان في سواد الزاغ كالبرَد ، وصار الوجه من التجاعيد مليئا بالجراح والوسم .

(2) ج / 11 - 321 : - صارت العين التي تشبه النرجس ذابلة ، وحرارة الأعضاء تحولت إلى برودة .

تفسير أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون

- لكن ، إن كان طبيبه نور الحق ، فليس له من الشيوخوخة والحمى نقصان ونحول .

- 975 -** يكون وهنه مثل وهن الثمل ، وفي هذا الوهم يحسده " من هو في قوة " رستم .
 - وإن يمت ، تصبح عظامه غريقة في اللذة ، ويصبح ذرة ذرة في شعاع من نور الشوق .
 - وذلك الذي لا يكون له " هذا النور " حديقة بلا ثمر ، يقلبها الخريف رأسا على عقب .
 - ولا تبقى ورود ، بل تبقى الأشواك سوداء ، ولقد صارت صفراء دون ثمر كأنها تل من قش .
 - فما هو الجرم الذي ارتكبته هذه الحديقة يا الله ، حتى تجعلها هكذا مجردة من حللها ؟

- 980 -** لقد نظرت إلى نفسها ، ورؤية النفس سم قتال ، فانتبه أيها الممتحن .
 - وتلك الحسناء التي بكى العالم من حبها ، أخذ عالمها يطردها عنه ، فما ذنبها ؟
 - جرمها أن تلك الزينة كانت عارية عندها ، لكنها ادعت قائلة : هذه الحلل ملك لي .
 - لقد قمنا باسترداده حتى تعلم على سبيل اليقين ، أن البيدر ملك لنا ، والحسان ملتقطات للحب منه .

-وحتى تعلم أن تلك الحلل كانت عارية ، كانت مجرد شعاع من شمس الوجود .

985 - وأن ذلك الجمال ، وتلك القدرة ، وذلك الفن ، قد انتقلت من شمس الحسن نحو هذه الناحية .

-ثم تعود أنوار تلك الشمس من فوق تلك الجدران ، و " تأفل " كأنها النجوم .
-لقد عاد شعاع الشمس نحو موضعه ، وبقي كل جدار أسود مظلماً .
-وذلك الذي جعلك ذاهلاً أمام وجوه الحسان ، هو نور الشمس " قد اخترق " زجاجاً ذا ثلاثة ألوان .
-والزجاج الملون هو الذي يبدي لك ذلك النور الذي لا لون له ، مختلفاً ألوانه .

990 -وعندما لا يبقى الزجاج الملون ، يجعلك النور الذي لا لون له ذاهلاً آنذاك .
-فتعود على رؤية النور بلا زجاج ، بحيث لا تبقى أعمى عندما ينكسر الزجاج .
- وإنك لقانع من علم مكتسب ، وقد أضأت بصرك بمصباح الغير .
-فيقوم بخطف مصباحه حتى تعلم أنك مستعير ، ولست بالفتى .
-فإذا قمت بالشكر وسعي المجتهد ، لا تحزن ، فإنه يرد إليك أضعافاً مضاعفة ، ما فقد .

995 - وإن لم تشكر ، فلتبك الآن دماً ، فقد صار ذلك الحسن بريئاً من الكافر ، " منتفياً عنه . "
" -أمة الكفران أضل أعمالهم ، أمة الإيمان أصلح بالهم " " 1 "

(1) بالعربية في المتن الفارسي.

-لقد ضاع الحسن والفضل لانعدام الشكر ، بحيث لا يرى " الكافر " أثرا منها أبدا .
-فلقد ضاع منه " كل إحساس " بالصلة والقرباة أو بانعدامهما ، وبالشكر والوداد ، بحيث لم يعد يذكرها .

-فإن " أضل أعمالهم " أيها الكافرين ، تعنى ضياع الرغبة من كل من بلغ منيته

1000 - اللهم إلا من أهل الشكر وأهل الوفاء ، فإن الدولة تحل في أثرهم أينما يحلون .

-ومتى تعطي الدولة الزائلة القوة ؟ إن الدولة المقبلة هي التي تهب الخاصة .

-فافترض من هذه الدولة مصداقا لقوله : أقرضوا ، حتى ترى مائة دولة أمامك .

- وقلل من الشرب هنا ، من أجل نفلسك ، حتى تجد حوض الكوثر أمامك .

-وذلك الذي صب جرعة على تراب الوفاء ، متى يستطيع صيد الدولة أن يفر منه ؟

1005 -إنه يسعد قلوبهم مصداقا لقولهاَصَلَحَ بِالْهَمِّ، و " رد من بعد النوى أنزالهم " " 1 “

- قائلا : يا أيها الأجل ، يا أيها التركي المغير على القرية ، رد على هلاء الشكورين ما أخذته منهم .

-فيقوم برده إليهم ، لكنهم لا يقبلونه ، ذلك أنهم نعموا ببضاعة الروح .

-ويقولون : نحن من الصوفية ، وقد مزقنا الخرق ، ولا نأخذها ثانية ، ما دمنا قد قامرنا بها.

.....
(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي.

-لقد عوضنا ، فما هو هذا العوض آخر ، لقد ذهبت عنا الحاجة والحرص والغرض .

1010 -ولقد خرجنا من الماء المالح المهلك ، وتقاطرنا على الرحيق وعين الكوثر .
-وما قمت بفعله أيتها الدنيا مع الآخرين من غدر ومكر ودلال ثقيل ، - نصبه نحن على رأسك
جزاء وفاقا لك ، فنحن شهداء قدمنا إلى الغزو .
-حتى تعلمين أن لئله الطاهر عبادا ، ديدنهم الهجوم والجدال والمعارضة والمرء معك .
-إنهم ينتزعون شوارب مكر الدنيا ، وينصبون خيامهم على قلاع النصر

1015 - لقد صار هؤلاء الشهداء غزاة من جديد ، وهؤلاء الأسرى أوشكوا من جديد على النصر .

-ولقد أطلوا برؤوسهم مرة ثانية من العدم ، قائلين : أنظر إلينا إن لم تكن أكمه .
-حتى تعلم أن هناك شموسا في العدم ، وأن ما يسمى شمس هنا ، هي هناك نجمة سها .
-وكيف يكون الوجود في العدم أيها الأخ ؟ وكيف يكون الضد مكنونا في ضده ؟
-فاعلم أنه يخرج الحي من الميت ، حتى صار العدم أملا عند العابدين .

1020 -وذلك الزارع الذي تكون أهرأوه خالية ومع ذلك يكون سعيدا ، أليس ذلك على أمل ما هو
" موجود " في العدم ؟ !
- فإن ذلك " الزرع " ينبت من العدم ، وافهم ، إن كنت واقفا على المعاني.

- إنك تكون منتظرا لحظة بلحظة " ما يأتي " من العدم ، وأن تجد الفهم ولذة السكينة والبر .
- وليس هناك إذن بكشف هذا السر ، وإلا لجعلت كل " كفرة " الأبخاز من " مؤمني " بغداد .
- ومن ثم فإن خزانة صنع الحق هي العدم ، فهو يأتي منها بالعطايا ، لحظة بلحظة .

1025 - فالحق مبدع ، والمبدع هو الذي يأتي بالفرع ، دون أن يكون له أصل أو سند .

مثال لعالم الوجود الذي يبدو عدما وعالم العدم الذي يبدو وجودا

- لقد أبدى العدم وجودا شديدا الاحترام ، وأبدى الوجود على شكل العدم .
- لقد أخفى البحر وجعل لك الزبد ظاهرا ، وأخفى الريح وأبدى لك الغبار .
- " أبداه لك " كمئذنة من التراب الملتف المتصاعد ، فكيف يصعد التراب من تلقاء نفسه ؟
- لكنك ترى التراب متصاعدا أيها العليل ، ولا ترى الريح إلا بتعريف الدليل .

- 1030 -** ترى الزبد رايبا من كل صوب وناحية ، والزبد لا يتحرك دون وجود البحر .
- إنك ترى الزبد بالحس والبحر بالدليل ، والفكر خفي ، وما هو واضح هو القال والقليل .
 - ولقد كنا نظن النفي إثباتا ، وكانت لنا عيون ترى ما ليس موجودا .

- وذلك الذي ظهر لنا في نوم ونعاس ، ماذا يمكن أن يكون إلا خيال ، وليس برؤية حقيقية ؟
- فلا جرم أننا صرنا دائري الرؤوس من الضلال ، وعندما اختفت الحقيقة ، ظهر الخيال .

1035 - وعندما وضع هذا العدم أمام النظر ، كيف أخفى تلك الحقيقة عن البصر ؟

- فالتناء عليك ، أيها الأستاذ الساحر ، الذي أبديت الكدر للمعرضين صفاءً .
- إن السحرة يقيسون على وجه السرعة ضوء القمر أمام التاجر ، ويقبضون الذهب ربها .
- ويختطفون الفضة على هذا النسق أكداسا أكداسا ، وضاعت الفضة من اليد ، ولا كرباس هناك .

- وهذه الدنيا ساحرة ونحن تجار ، نشترى منها ضوء القمر الذي تم قياسه

1040 - إنها تقيس على وجه السرعة خمسمائة ذراع من الكرباس ، وبشكل ساحر ، من ضوء القمر .

- وعندما سلبت فضة عمرك أيها السالك ، هل تحولت الفضة إلى كرباس ؟ لا ، والكيس فارغ .
- وينبغي لك أن تقر أقل أعوذأيها الأحد ، هيا أبد شكواك من النفاثات في العقد .
- إن أولئك الساحرات ينفثن في العقد ، فالغياث أيها المستغاث من سوء المآل .
- لكن فلتقرأ أيضا بلسان العقل ، فإن لسان القول لسان واهن ، أيها العزيز .

1045 - وهناك ثلاثة رفاق لك في العمر ، أحدهم وفي الآخران غادران .

- أحدهما صحبتك ، وثانيهما متاعك ومالك ، وثالثهما الوفي هو حسن فعالك .
- إن المال لا يخرج معك من القصور ، ويأتي معك صاحب حتى " باب " القبر
- ذلك أنه في يوم مماتك يقول لك ذلك صاحب بلسان حاله :
- لست رفيقا لك أكثر من هذا ، ولأقف برهة على قبرك .

1050 - لكن فعلك هو الوفي فالزمه ، فهو الذي يدخل معك إلى قاع اللحد .

في تفسير قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : لا بد من قرين يدفن معك وهو حي
وتدفن معه وأنت ميت ، إن كان كريما أكرمك ، وإن كان لئيما أسلمك ،
وذلك القرين عملك ، فاصلحه ما استطعت . صدق رسول الله

- ومن هنا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : من أجل هذا الطريق ، ليس هناك من رفيق أوفى من العمل .
- فإن كان طيبا ، يكون رفيقا لك إلى الأبد ، وإن كان سيئا ينقلب عليك حية في اللحد .
- وهذا هو العمل والكسب في طريق السداد ، ومتى يمكن فعله أيها الأب دون تعليم من أستاذ ؟
- وأدنى حرفة تجرى في هذه الدنيا ، لا تكون أبدا دون إرشاد أو أستاذ .

1055 - إن أولها علم ومن بعدها يأتي العمل ، حتى تعطي الثمر من مهلة أو أجل .
- " استعينوا في الحرف يا ذا النهى ، من كريم صالح من أهلها

- أطلب الدر أخي وسط الصدف ، واطلب الفن من أرباب الحرف - إن رأيتم ناصحين أنصفوا ، بادروا التعليم ، لا تستنكفوا " 1 “
- وإن لبس المرء الملابس الخلقة عند قيامه بصناعة الدباغة ، فإن ذلك لا يقلل من سيادته ، إن كان سيدا .

1060 - وعند النفخ " في الكور " إن لبس الحداد الملابس الممزقة ، فإن احترامه لم يقل أمام الخلق .

- فاخلع إذن لباس الكبر عن الجسد ، وعند التعلم ، إلبس لباس الذل .
- والطريق إلى تعلم العلم هو القول ، لكن تعلم الحرفة يكون عن طريق عملي .
- وإن كنت تريد " علم " الفقر فهو قائم بالصحبة ، فلا لسانك يعمل " لاكتسابه " ولا يدك . "2"
- إن معرفته تتلقاها الروح من الروح ، لا عن طريق الكتاب ولا عن طريق اللسان .

1065 - وإن كان موجودا في قلب السالك بشكل غامض ، فليس عند السالك معرفة بالرموز بعد .

- حتى يشرح قلبه ذلك الضياء ، ومن هنا قال تعالى : أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ .
- أي أننا أعطيناك الشرح داخل الصدر ، ووضعنا نحن الشرح داخل صدرك .
- لكنك لا زلت تطلبه حتى الآن من خارجك ، وإذا كان لديك اللب ، فكيف تطلبه من آخرين ؟

.....
(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

(2) ج / 11 - 337 : - والمعرفة أنوار في أرواح الرجال ، لا عن طريق الدفتر والقيـل والقال .

- وهناك عين لبن في داخلك بلا ضفاف ، فكيف تطلب ذلك اللبن " المصبوب في قدر ؟

1070 - وإن لديك منفذا إلى البحر يا طالب السقيا ، فاشعر بالعار من طلبك الماء من الغدير .

- فمن " ألم نشرح " لا شرح لك بعد ، ما دمت باحثا عن الشرح متكديا إياه

- فانظر إلى شرح القلب من داخلك ، حتى لا يأتينك الوصف ب " لا تبصرون " .

تفسير وَهُوَ مَعَكُمْ

- هناك سلة مليئة بالخبز فوق رأسك ، وأنت لا تفتأ تتكدى كسرة خبز من باب إلى باب .

- فخرج على رأسك ، ودعك من دوار الرأس ، وامض ، واطرق باب القلب ، لماذا أنت على كل باب ؟

1075 - إنك واقف في جدول ، ماؤه يصل إلى ركبتيك ، وغافل عن نفسك ، وباحث عن الماء من هذا وذاك .

- فالماء أمامك وخلفك ، وذو مدد ، لكن العيون من بين أيديها سد ، ومن خلفها سد .

- فالجواد موجود تحت الفخذ ، والفارس باحث عن الجواد ، وإن " سئل " :

ما هذا ؟ قال : جواد ، ولكن أين الجواد ؟

- انتبه ، أليس هذا الذي يبدو تحتك جواد ؟ قال : نعم ، لكن من رأى جوادا قط ؟
- إنه ثمل بشيء ، وأمام وجهه ذلك الشيء ، وهو غافل عنه ، وغافل عن تفصيلاته أيضا .

1080 - وهو ثمل شوقا إلى الماء وهو أمام وجهه ، إنه في الماء ، لكنه غافل عن هذا الماء الجاري .

- كالدر في البحر ويتساءل : أين البحر ؟ وذلك خيال ، لأن ، الصدف جدار أمامه " دون البحر " !!

- وتساؤله هذا يصبح حجابا له ، يصبح سحابا على شعاع شمس " حقيقته " .
- إن عينه الرمضاء المريضة هي ختم بصره ، إن ما ينبغي أن يرفع السدود من أمامه ، صار سدا له .
- إن لبه نفسه قد صار ختما على سمعه ، فليكن لبك مع الحق ، يا حائرا في آلائه .

**في تفسير قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : من جعل الهموم هما واحدا ،
كفاه الله سائر همومه ، ومن تفرقت به الهموم ، لا يبالي الله في أي واد أهلكه**

1085 - لقد وزعت لبك على " كثير " من الجهات ، بينما لا تساوى شروى نقيير " 1 " تلك الترهات .

- وكل جذر لشوكة يمتص ماء لبك ، ومتى يصل ماء لبك إلى الثمار ؟ " 2 "

.....
(1) حرفيا : فجلة واحدة .

(2) ج / 11 - 348 : - إن كل نبات لا قيمة منه يجذب الماء منك ، ومتى يصل ماء ذهنك إلى الإله .

- هيا فلتقطع ذلك الغصن السيء ولتقم بتقضييه ، ولترو هذا الغصن الحسن الطيب ، ولتجعله نضرا .
- إن كليهما أخضر في هذه اللحظة ، لكن أنظر إلى العاقبة ، فإن ذلك يذوى ، ومن هذا تنمو الثمار .
- وماء البستان لهذا حلال ولذاك حرام ، وسوف ترى الفرق في آخر الأمر ، والسلام .

1090 - وما هو العدل ؟؟ إنه سقيا هذه الأشجار ، وما هو الظلم ؟ إنه إهدار الماء على تلك الأشواك .

- إن العدل هو وضع النعمة في موضعها ، لا أن تكون ساقيا لكل جذر يكون .
- وما هو الظلم ؟ إنه وضع الشيء في غير موضعه ، وهذا في حد ذاته لا يكون إلا منبعا للبلاء .
- فأعط نعمة الحق للروح والعقل ، لا إلى الطبع كثير الهموم كثير العقد .
- ولتجعل أحمال الحزن كلا على " كاهل " جسدك ، ودعك من وضعها على كاهل الروح ، فإنها تحطم روحك

1095 - لقد وضع " أحدهم " على أم رأس عيسى " الروح " حملا ثقila ، بينما يبرطع حمار " الجسد " في المروج .

- وليس من المعقول وضع الكحل في الأذن ، وليس من المعقول أن تطلب من الجسد أعمال القلب .
- فإذا كنت قلبا تبخر وتدلل ولا تتحمل الذل ، وإذا كنت جسدا ، لا تتلذذ بالسكر ، وتذوق السم .
- فالسم نافع للجسد ، لكن السكر ضار له ، ومن الأفضل للجسد أن يبقى بلا مدد .

- إن الجسد هو حطب جهنم ، فلتصبه بالنحول ، والحطب إن نبت ، إذهب واقتلعه .

- 1100 -** وإلا صرت حطبا وحمالا للحطب ، في الدارين مثل زوج أبي لهب .
 - ولتميزن بين غصن سدره " المنتهى " وبين الحطب ، وإن كان كلاهما أخضر ، أيها الفتى .
 - فأصل ذاك الغصن هو السماء السابعة ، وأصل هذا الغصن من النار والدخان .
 - وهما يتشابهان في الصورة أمام الحس ، فإن عين الحس تخطئ النظر ، وهذا ديدنها .
 - لكن الفرق شديد الوضوح أمام عين القلب ، وجاهد " ولو " جهد المقل ، وتعال نحو القلب .

1105 - وإن لم يكن لك قدم ، فحرك نفسك ، حتى ترى كل قليل وكل كثير . “ 1 “

**في معنى هذا البيت : إن مضيت في الطريق ، فإنهم يفتحون لك الطريق
 وإن صرت عدما ، يتجهون بك إلى الوجود “ 2 “**

- إذا كانت زليخا قد غلقت الأبواب من كل طرف ، فإن يوسف عليه السلام وجد من الحركة المنصرف .
 - فانفتح القفل والباب ، واتضح الطريق ، عندما توكل يوسف عليه السلام وتحرك .

.....
 (1) ج / 11 - 349 : - فإن هذه الحركة قد صارت مفتاحا للبركة ، ومن الحركة تستفيد أيها القلب .

(2) العنوان عند جعفري " 11 - 356 " : في معنى هذه الرباعية ، ثم بيت لإكمال الرباعية بعد البيت المذكور :
 وإن تواضعت لا يسعك العالم ، وآذاك بيدونك لنفسك دون نفسك .

- وإن لم تكن فرجة واحدة ظاهرة وموجودة ، فينبغي السعي على العشواء ، كما فعل يوسف عليه السلام .

- حتى يفتح القفل ، ويبدو الباب ، ويصبح لك منفذٌ إلى اللامكان .

1110 - لقد جئت إلى هذه الدنيا أيها الممتحن ، فهل تراك رأيت قط الطريق الذي جئت منه ؟

- لقد جئت من مكان ما ومن موطن ما ، فهل علمت طريق المجيء قط ؟ أبدا ، على الإطلاق .

- وإذا كنت لا تعلم ، وحتى لا تقول : لا طريق ، فإن من هذا الطريق الذي لا طريق فيه ، ذهابنا .

- إنك في النوم تمضي سريعا إلى اليسار وإلى اليمين ، فهل تعلمن على الإطلاق أين هذا الميدان الذي " تركض فيه " ؟

- فلتغمض هذه العين ، ولتسلم نفسك ، حتى ترى نفسك في تلك المدينة القديمة .

1115 - وكيف تغلق عينيك ومائة عين ذات خمار ، هي غرورا سد أمام عينيك من هذه الناحية .

- وأنت شديد القلق والانتظار عشقا لأولئك الذين يشترون " ما تعرض " وأملا في العظمة والسيادة .

- وإن نمت ، فإنك ترى أولئك المرجوين في النوم ، ومتى تحلم بومة النحس إلا بالخرائب ؟ !

- إنك تريد من يشتري منك كل لحظة ، وفي غاية السعي والقلق ، وماذا لديك لكي تبيع ؟ لا شيء على الإطلاق !!

- فلو كان لقلبك خبزٌ أو أدم ، لفرغت تماما من أولئك المشترين . “ 1 “

(1) ج / 11 - 356 : وإن كان ثم خبز في كيسك ، لفرغت تماما من مشتريي قلبك .

[حكاية ذلك الشخص الذي كان يدعي النبوة]

قصة ذلك الشخص الذي كان يدعي النبوة ، فقالوا له : ماذا أكلت حتى صرت أحقق تهذي ؟ فقال : لو وجدت شيئا أكله ، لما تحولت إلى أحقق ، ولما هذيت ، فإن أي كلام طيب لو قيل لغير أهله يكون من قبيل الهذيان ، وإن كانوا مأمورين بقول هذا الهذيان

- 1120 -** طفق أحدهم يقول " إنني رسول الله ، وأنا أكثر فضلا من كل الرسل والأنبياء .
 - فقيدوا عنقه ، وأخذوه إلى الملك ، وقالوا : إن هذا يقول إنه رسول من الإله .
 - وتجمع عليه الخلق ، كالنمل والجراد ، قائلين : ما هذا المكر ؟ ما هذا الاحتيال ؟ وما هذا الكيد ؟
 - فإن كان رسولا ذلك الذي يأتي من العدم ، فنحن كلنا رسل وفي غاية الاحترام
 - لقد جئنا كلنا من هناك ، ونحن هنا كلنا غرباء ، فلماذا خصصت أنت بها ، أيها البليغ المفوه ؟
 “ 1 “

- 1125 -** ألم تأتوا أنتم إلى هنا كالأطفال النائمين ، وكنتم غافلين عن الطريق ، وعن المنازل .
 - لقد مررتم بالمنازل نياما ثملين " بالنعاس " ، غافلين عن الطريق ومرتفعاته ومنخفضاته .
 - لكننا غدونا السير في اليقظة سعداء " منتبهين " ، مما وراء " الحواس " الخمسة و " الجهات الستة " حتى أرضها وموضعها .
 - ورأينا المنازل من الأصل والأساس ، مثل الأدلاء الخبراء العارفين بالطريق .

(1) ج / 11 - 363 : وأجابهم ذلك الرسول الطيب قائلا : يا جماعة من العمى والجهال وأرباب الفضول . - إنكم لم تعلموا أيها القوم أنه قد قضي عليكم بالوصول إلى هنا ، وهذا من عماكم .

- فقالوا للملك : قم بتعذيبه ، حتى لا يقول أحد على شاكلته هذا الكلام أبدا .

1130 - فرآه الملك شديد النحول والضعف ، بحيث يموت من صفة واحدة ، ذلك المسكين - فكيف يمكن تعذيبه أو ضربه ؟ وبدنه كان قد صار كالزجاج .
- " وقال في نفسه " : على أن تحدث إليه بالحسنى ، وأسأله : لماذا أنت أخذ في التجديف بالعصيان والكفر ؟

- فإن الشدة لا تجدى هنا نفعا ، وبالحسنى واللين ، تطل الحية برأسها من جحرها .
- وأبعد الناس من حوله . كان ملكا رقيقا ، ديدنه اللطف والملاينة .

1135 - فأجلسه ، ثم سأله عن موطنه ، ومن أين يتعيش ؟ وإلى أين يلجأ ويأوى ؟
- قال : أيها الملك ، إنني من دار السلام ، وجئت من الطريق إلى هنا ، دار الملام .
- وأنا لا دار لي ، ولا جليس واحد أجالسه ، ومتى تتخذ السمكة من اليابسة مسكنا ؟ !
- ثم سأله الملك مازحا : إذن ماذا أكلت ؟ وبم ائتدمت ؟
- وهل تشتهي شيئا ؟ وماذا أكلت هذا الصباح ، بحيث إنك منتش إلى هذا الحد ، كثير النفاج شديد الكبرياء ؟

1140 - أجاب : لو كان عندي خبز ، جافا كان أو طريا ، فمتى كان لي أن أدعي النبوة ؟
- إن ادعاء النبوة مع هذا القبيل من الناس ، أشبه بطلب القلب من صخر أو من جبل .

- ولم يطلب أحد من جبل أو من صخر عقلا وقلبا ، ولم يسأله عن فهم نكتة من النكات أو ضبطها .

- فإن كل ما تتفوه به يردده الجبل بعينه ، يردده ترديد الرقية هازئا مازحا .

- فأين هؤلاء القوم من الرسالة ؟ ومن الذي يكون عنده رجاء الروح في جماد ؟

1145 - فلو أنك جئت إليهم برسالة عن النساء والأموال ، لطأطأوا كلهم رؤوسهم طاعة أمامك ، ولسلموك أموالهم .

- ولو قلت لأحدهم إن في موضع كذا حسناء تدعوك ، فقد صارت عاشقة لك ، يعترف بك آنذاك .

- ولو أنك أتيت برسالة من الله كأنها الشهد ، داعيا : تعال إلى الله ، يا طيب العهد ،

- وامض من دنيا الموت نحو الزاد ، وإذا كان البقاء ممكنا ، لا تصر فانيا

- فإنهم يهبون سعيا لسفك دمك وقطع رأسك ، لا حمية للدين ، ولا غيرة على الفضل .

سبب عداوة العوام لأولياء الله الذين يدعونهم إلى الحق وإلى ماء الحياة الأبدية . .
وعيشهم غرباء عنهم

1150 - بل إن ذلك يكون من التصاقهم بالمال والأهل ، ويكون سماع هذا البيان مرا بالنسبة لهم .

- إن خرقة قد التصقت التصاقا شديدا بجرح الحمار ، وعندما تريد أن تنزعها منه قطعة قطعة ،

- فإن ذلك الحمار يرفس بقدميه يقينا من الألم ، وما أفضل من اتقاه وابتعد عنه .

- خاصة إذا كان هناك خمسون جرحا ، وفي كل موضع خرقه ، ملتصقة برأسه ، غارقة في العرق .
- وإن الأهل والأملاك كالخرقة ، وهذا الحرص هو الجرح ، وكلما ازداد الحرص ، ازدادت الجراح .

1155 - إن الأهل والأملاك بمثابة بومة " ملازمة " للخراب فحسب ، فهي لا تسمع أوصاف بغداد وطبس .

- ولو أن بازيًا سلطانيا عاد من الطريق ، وأتى بمائة خبر لهذا البوم عن الملك
- وتحدث مفصلاً عن دار الملك والبساتين والأنهار ، إذن لسخر منه آنذاك مائة عدو .
- قائلين : لقد أتى لنا البازي بأساطير الأولين ، وإنه يخلق الكلام هاز لا مجدفاً .
- والأساطير القديمة هي هم ، وهم المهترئون إلى الأبد ، وإلا فإن ذلك الحديث من البازي ، يجعل القديم جديداً .

1160 - إنه يهب الروح للموتى الذين ماتوا منذ زمن ، ويهب تاج العقل ونور الإيمان .
- فلا تسرق القلب من الفاتن الذي يهب الروح ، فهو الذي يجعلك تمتطي ظهر الجواد الأصيل .
“ 1 “

- ولا تسرق الرأس من الرفيع العظيم الذي يهب التاج ، فهو الذي يفك مائة عقدة من حول قدم القلب .

- ومع من أتحدث ؟ فأين حي واحد في القرية ؟ وأين ساعٍ واحد نحو ماء الحياة ؟

.....
(1) حرفياً : رخش وهو اسم جواد رستم .

- إنك بذلة واحدة هارب من العشق ، وماذا تعرف من العشق سوى الاسم ؟

- 1165 -** وإن للعشق مائة دلال واستكبار ، واليد لا تحصل عليه إلا بعد تدلل كثير منه .
 - ولأن العشق وفي ، فإنه يشتري الوفي ، ولا ينظر أبداً إلى الرفيق الغادر .
 - فالإنسان بمثابة الشجرة ، وجذورها العهد ، وينبغي للجذور أن تتعهد بالرعاية ، وبجهد .
 - وإن العهد الذي يكون فاسداً جذر مهترىء ، قد انقطع عن الثمار ، وعن اللطف .
 - وبرغم أن فروع النخلة وأوراقها خضراء ، لا نفع فيها ، ما دام جذرها فاسداً .

1170 - وإن لم تكن فيها أوراق خضراء وجذورها موجود ، فإنها في النهاية تخرج مئات الأوراق .

- فلا تكن مغروراً بالعلم وابحث عن العهد ، فالعلم بمثابة القش ، والعهد بمثابة لبه .

في بيان أن الرجل الطالح عندما يتمكن في الشر ، ويرى آثار إقبال الطيبين ، ينقلب إلى شيطان ، ويصبح مانعاً للخير من الحسد مثل الشيطان الذي احترق ببيدته ، يريد أن يكون جميع الخلق محترقي البيادر (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى)

- وعندما ترى الأوفياء قد حازوا النفع ، تصبح آنذاك حسوداً كالشيطان .
 - وكل من ساء مزاجه ووهن طبعه ، لا يريد لأحد قط أن يكون صحيح الجسد .
 - فإن لم تكن تريد أن يكون لديك حسد إبليس ، فتعال من باب الدعوى إلى عتبة الوفاء .

1175 - وما لم يكن لديك وفاء لا تتحدث ، فإن أغلب حديث الادعاء مكون من " أنا " و " نحن "

- وهذا الكلام الموجود في الصدور بمثابة الدخـل للألباب ، ومن ثم ففي الصمت مائة نماء للـب الروح .

- وعندما يتفوه به اللسان ، فقد صار إنفاقا من اللب ، فقلل الإنفاق حتى يبقى اللب ألمعيا .

- ولمن قل كلامه ذهن عبقرى ، وعندما زاد قشر الكلام ، فقد ضاع اللب .

- ذلك أنه عندما يزيد القشر يقل اللب ، ويرق القشر عندما يكتمل اللب ويتضخم .

1180 - فانظر إلى هذه الثمار الثلاثة فقد نجت من الفجاجة : الجوز واللوز والفسدق .

- وإن كل من يعصى يكون شيطانا ، ويكون حسودا لدولة الأخيار وإقبالهم .

- وما دمت قد وفيت بعهد الله ، فإن الله تعالى من كرمه يحفظ عهـدك .

- وأنت مغمض العينين عن وفاء الحق ، ولم تسمع (اذكروني أذكركم) .

- وأنصت ، واستمع إلى (أوفوا بعهدي) حتى تأتي (أوف بعهدكم) من الحبيب .

1185 - فأى عهد وأى قرض منا نحن أيها الحزين المسكين ، إنه من قبيل وضع الحبة المتييسة في الأرض .

- لا يكون منها للأرض ضياءً أو نعمة ، ولا لرب الأرض منها الدخل والغنى .

- اللهم إلا أن يتضرع إلى الله قائلا : يا إلهي ينبغي لي دخل من هذه الحبة ، فقد أعطيت أنت أصلها من العدم .

- لقد أكلت أنا " من المحصول " وأتيت بهذه الحبة كدليل ، فقد سقت هذه النعمة إلينا فسقها ثانية .
- فدعك إذن من هذا الدعاء الجاف الذي لا معنى له ، واعلم أن إلقاء البذرة في التراب يريد شجرة .

1190 - وإن لم تكن لديك حبة ، فإن الله سبحانه وتعالى من هذا الدعاء ، يهبك نخلا ، فنعم سعيك الذي سعيت .

- مثل مريم البتول ، كان لديها الألم ، ولم يكن لديها حب ، لكن صاحب الفضل ، جعل لها تلك النخلة خضراء .

- وذلك لأن تلك السيدة العظيمة كانت وفية ، فأعطاه الله مائة مراد ، دون أن تطلب .
- وتلك الجماعة التي كانت ذات وفاء ، زادهم الله في كل شيء عمن هم من جنسهم .
- لقد صارت البحار مسخرة لهم والجبال ، والعناصر الأربعة عبيد أيضا عند تلك الجماعة .

1195 - إن هذا الإكرام في حد ذاته بمثابة الدليل ، حتى يراها أهل الإنكار عيانا بيانا .

- لكن كراماتهم الخفية لا تدركها حواس ، ولا يعبر عنها بيان .

- إن هذا هو ديدنه ، ويكون هذا إلى الأبد ، على سبيل الدوام ، لا ينقطع ولا يسترد . “ 1 “

(1) ج / 11 - 431 : - بل يبقى لحظة بعد لحظة في رقي ، ذلك أن واهبها صاحب كرم وعطاء .

مناجاة

- يا واهب القوت والتمكين والثبات ، ألا فلتخلصن الخلق يا إلهي من عدم الثبات هذا .
- وعلى ذلك الأمر الذي ينبغي الثبات عليه ، اجعل النفس مقيمة ، فهي نزاعة إلى الهوى .

1200 - وامنحهم - يا إلهي - الصبر وكفة الميزان الثقيلة ، وخلصهم - يا إلهي - من فن من يصورون لهم السوء .

- واشهرهم ثانية من الحسد أيها الكريم ، حتى لا يتحول كل منهم من الحسد إلى شيطان رجيم .
- وفي النعيم الفاني للمال والجسد ، لا يفتأون يحترقون جميعا من الحسد .
- فانظر إلى الملوك الذين يجرون الجيوش ويسوقونها ، ويقتلون أقاربهم من الحسد .
- والعشاق للحسان المليئات بالقدر والدنس ، أخذوا يسعون في دماء بعضهم البعض وأرواحهم .

1205 - فأقرأ " ويس ورامين " و " خسرو وشيرين " ، وماذا فعل من جراء الحسد أولئك البلهاء .

- ولقد فنى العاشق كما فنى المعشوق ، فهم ليسوا بشيء ، وهواهم ليس بالشيء الذي يذكر .
- والإله الطاهر الذي يضرب العدم ببعضه ، هو الذي يجعل العدم عاشقا للعدم .
- ومن القلب الذي ليس بقلب تطل أنواع الحسد ، وهكذا يجعل العدم مضطرا إلى أن يبدو وجودا .

- وهؤلاء النساء اللاتي هن أكثر شفقة ، أليس من الحسد تأكل إحداهما الأخرى عندما تكون ضرة لها ؟

1210 - فما بالك بالرجال وهم بطبعهم قساة القلوب ، ترى في أي منزل هم من منازل الحسد ؟
 - ولو لم يقدم من الشريعة رقية تلطف " هذا الجحيم " لمزق كل خصم جسد خصمه .
 - فإن الشرع يشير بالرأي من أجل دفع الشر ، ويحبس الشيطان في قارورة الحجة .
 - فلا يزال بالبرهان والأيمان والنكوص " عن الادعاء " ، حتى يدخل شيطان الفضول في القارورة .
 - مثل الميزان الذي يجمع رضا الضدين ، على سبيل اليقين في الجد وفي الهزل .

1215 - فاعلم أن الشرع بمثابة الميزان والمكيال على وجه اليقين ، فبه ينجو الخصمان من القتال ومن الحقد .
 - وإن لم يكن ثم ميزان ، فمتى كان الخصم من الجدال ، يتخلص من وهم أنه " قد تعرض " للحيف والاحتيال .
 - ومن هنا ففي هذه الجيفة القبيحة التي لا وفاء عندها ، يوجد كل هذا الحسد وكل هذه الخصومة وكل هذه القسوة .
 - إذن فمن أين يكون فيها إقبالٌ ودولة ، والجنى والإنسي ماضيان في الحسد ؟
 - وأولئك الشياطين أنفسهم حسودون قداماء ، وهم لا يتوقفون لحظة واحدة عن قطع الطريق .

- 1220 -** وأولئك الأدميون الذين زرعوا العصيان ، تحولوا بدورهم من الحسد إلى شياطين .
 - فافقرأ من القرآن أن شياطين الإنس ، قد صاروا من مسخ الإله لهم ، من نفس جنس الشياطين .
 - وعندما يصبح الشيطان عاجزا عن الفتنة ، فإنه يطلب العون من هؤلاء الإنس .
 - قائلا لهم : أنتم أعوان لي ، فالعون العون ، وأنتم إلى جانبي ، فقدموا لي المساعدة والتأييد .
 - وإن قُطع الطريق على أحد في الدنيا ، فإن هذين النوعين من الشياطين يهبان فرحين .

- 1225 -** وإن نجا أحد بروحه ، وصار عاليا في الدين ، فإنهما ينوحان ، كلا الحاسدين .
 - وكلاهما يصر على أسنان الحسد ، على كل من وهبه الله العقل .

**سؤال الملك مدعي النبوة هذا عن الرسول الصادق وماذا يكون معه يهبه لأتباعه
 وماذا يجدونه في حضرته وصحبته غير النصيحة التي يقولها بلسانه**

- فسأله الملك : بماذا أوحى إليك ؟ وأي نفع يتأتى أصلا من ذلك الذي يكون نبيا ؟ “ 1 “
 - قال : قل لي أنت ما الذي لم ينزل به الوحي بعد ؟ وأية دولة بقيت ، ولم يصل النبي صلى الله عليه وسلم إليها ؟

(1) ج / 11 - 447 : - وأي شيء يهبه للمرء في حديثه ؟ غير النصيح وغير الأوامر والنواهي .

- وأي نفع من محضرة وصحبته ، وفي أي رتبة ودرجة يكون من يتبعه ؟

- ولنفرض أن الوحي الذي نزل عليّ ليس هو وحي الرسول خزانة " المعرفة " ، إنه ليس أقل من الوحي الذي نزل على النحل .

1230 - وعندما نزلت (أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) ، جعل منزل وحيه مليئاً بالشهد .
 - وهو بنور وحي الحق عز وجل ، جعل عالماً مليئاً بالشمع والعسل .
 - وذلك الذي نزلت في حقه (كَرَّمْنَا) ، وهو يمضي إلى أعلى عليين ، متى يكون وحيه أقل من وحي النحل
 - وألم تقرأ أنت (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ، إذن فلماذا بقيت جافاً متيبساً ظمآنًا ؟
 - أو ربما كنت أنت فرعون ، والكوثر كالنيل ، قد تحول من أجلك إلى دم كدر أيها العليل .

1235 - فهيا ، تب ، وكن ضائقا نفورا من كل عدو ، ليس لديه ماء الكوثر في وعائه . “ 1 “
 - وكل من رأيته أحمر الوجه من ماء الكوثر ، فهو في طبع محمد صلى الله عليه وسلم قد تطبع بطبعه .
 - حتى تأتي في حساب [أحبه الله] ، فإن معه تفاحا من الشجرة المحمدية .
 - وكل من تراه ظامياً الشفة من الكوثر ، عاده كأنه الموت أو كأنه الحمى . “ 2 “
 - حتى ولو كان أباك ولو كان أمك ، فإنه في الحقيقة شاربٌ لدمك .

1240 - وتعلم هذه السيرة من إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقد صار في البداية ضائقا من أبيه ، نفورا من " مسلكه " .

.....
 (1) حرفيا : قرعته .

(2) ج / 11 - 447 : - فقد صار لك كأبي جهل وأبي لهب ، إبتعد عنه حتى لا تسقط في الكرب .

- حتى تكون أمام الحق ممن قيل فيهم [ابغض الله] ، حتى لا يصيبك حسد العشق بالنحول والسل .

- وما لم تقرأ " لا " و " إلا الله " ، فإنك لن تجد منهاج هذا الطريق .

قصة ذلك العاشق الذي أخذ يعدد لمعشوقه أنواع إخلاصه ووفائه والليالي الطويلة ليالي (تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ)

وقلة الزاد وظماً الكبد في الأيام الطويلة .

وأخذ يقول : لا أعرف وفاءً إلا هذا ، فإن كانت هناك خدمة أخرى وطاعة أخرى أرشدني إليها فأنا مطيع لكل ما تأمر به سواء كان الدخول في النار كالخليل عليه السلام أو السقوط بين فكي الحوت كيونس عليه السلام أو العمى

من البكاء كشعيب عليه السلام أو التعرض للقتل سبعين مرة مثل جرجيس عليه السلام ،

ولا حد لوفاء الأنبياء وتضحياتهم ولا حصر . . .

وجواب المعشوق عليه - أخذ أحد العشاق يعدد أمام معشوقه ، أحواله وأموره والطاعات التي قام بها له .

- قائلاً : لقد فعلت من أجلك كذا وكذا ، وتعرضت للسهام والرماح في هذه الموقعة .

1245 - وذهب المال وهدت القوة وفقدت السمعة ، وكم من الخسائر حاقت بي من عشقك .

- لم يرني صبح قط ضاحكا أو نائما ، ولم يرني مساء قط مستقرا ساكنا .

- وأخذ يعدد له ما احتسأه من أجله من ألم وكدر ، واحدا واحدا وبالتفصيل .

- لا من أجل أن يمنن عليه ، بل كان يقدم على صدق محبته مائة شاهد .

- والعقلاء تكفيهم إشارة واحدة ، ومتى يذهب ظمأ العاشقين منها ؟

1250 - فهو يكرر القول بلا ملال ، وبإشارة واحدة متى يكتفي الحوت من الماء الزلال .
 - ولقد أسهب في القول عن هذا الألم القديم ، وما زال يشكو قائلاً : لم أنطق بكلمة واحدة ! !
 - كان يحس بنار لم يكن يعلم كنهها ، لكنه كان يبكي من لهيبها وكأنه الشمع . “ 1 “
 - قال المعشوق : لقد فعلت كل هذا ، لكن افتح أذنيك تماماً وافهم جيداً :
 - إنك لم تفعل أصل أصل العشق والولاء ، وكل ما فعلته هو مجرد فروع .

1255 - قال له العاشق : قل لي ، ما هو هذا الأصل ؟ قال : إن أصله هو أن تموت وتتحول إلى عدم .
 - لقد فعلت كل هذا ولم تمت ، وما زلت حياً ، فهيا مت أيها الحبيب المضحي بالروح . “ 2 “
 - فاستلقى في التو واللحظة وأسلم الروح ، وقامر برأسه كأنه الوردة ضاحكاً وسعيداً .
 - فصارت هذه الضحكة وقفاً عليه إلى الأبد ، مثل عقل العارف وروحه بلا نصب ولا كبد .
 - ومضى يتلوث نور القمر ، وإن سطع هذا النور على الصالح والطالح إلى الأبد .

(1) ج : 11 / 451 - 452 وبعد أن بكى قال : كل هذا مضى ، لكن أرشدني الآن يا صديقي الطبيب . - إنني ممثّل بروحي لكل ما تأمر به ، إنني وفق أمرك ، فقد ألقيت بالرأس والقدم . فإن كان ينبغي على أن أمضي إلى النار كالخليل ، أو أن أجعل دمي مسفوكاً مثل يحيى . - أو أن أصير أعمى من البكاء مثل شعيب ، أو أمضي إلى فم الحوت كيونس . أو ترسلني كيوسف إلى الجب والسجن ، أو تجعلني كعيسى بن مريم في فقره . - فإنني لا أحول الوجه عنك ولا أرجع ، فإن روحي وجسدي من أجل أمرك .
 (2) ج : 11 / 452 : عندما سمع ذلك العاشق المنسلخ عن ذاته ، أطلق آهة حزينة من روحه وقلبه .

- 1260 -** إنه يعود صوب الإله بريئاً طاهراً منهم جميعاً ، كأنه نور العقل ونور الروح .
 - وتظل صفة الطهر وقفاً على القمر ، وإن كان سطوعه على أقدار الطريق .
 - ومن نجاسات الطريق والأوضاع الموجودة فيه ، لا فساد هناك يحصل للنور .
 - ولقد سمع نور الشمس نداء " ارجعي " ، فعاد إلى أصله على وجه السرعة .
 - فلا بقي عليه عار من المزابل التي " سطع عليها " ، ولا بقي عليه لون من الرياض . " 1 “

1265 - وعاد نور العين إلى منبع الضياء ، وبقيت الصحارى والوديان في ولهاها عليه .

.....
 (1) هنا بيت زائد عن جعفري " 11 - 452 " وهو في رأيه ليس خالياً من الإبهام " 11 - 457 " وإن كنت أراه شديد الوضوح : وعندما عاد نوره من الأرض الخراب ، ظل منتظراً عودته إليها ، أي أن سطوع النور على المزابل لا يجعله ينفر منها بل يظل مشتاقاً إلى العودة إليها .

سأل أحدهم عالما عارفا : إن بكى أحدهم في الصلاة بصوت مسموع وتأوه ونام ، فهل تبطل صلاته ؟

فأجاب : إن اسمه ماء العين وهو مرتبط بما رآه الباكي ، فإن كان قد رأى الشوق إلى الله سبحانه وتعالى ، أو بكى ندما على الذنب ، فإن صلاته لا تبطل بل تكتمل إذ لا صلاة إلا بحضور القلب ، وإن كان قد تذكر تعب البدن أو فراق الولد تبطل صلاته ، فأصل الصلاة ترك الجسد وترك الابن مثل إبراهيم عليه السلام الذي كان يضحى بابنه من أجل تمام الصلاة وأودع جسده نار النمرود ، وقد أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه الخصال في قول الله تعالى (اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) وقوله (كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ)

- سأل أحدهم أحد المفتين في خلوة : هل إذا بكى أحدهم نائحا في الصلاة ، ترى هل تبطل صلاته ؟ أو تكون كاملة ومقبولة ؟
- قال : فلماذا سمي إذن ماء العين ؟ أنظر إلى ما قد رآه ثم بكى !!
- ماذا رآه ماء العين في باطنه ؟ حتى صار هكذا سيالا من مآقيه ؟ “ 1 “

1270 - فإذا كان قد رأى تلك الدار ذلك الممتلىء ضراعة ، فإن تلك الصلاة تجد رونقها من النواح .

(1) ج / 11 - 458 : - فإذا كان يبكي طويلا من شوق إلى الحق ، أو يبكي في الصلاة ندما على الذنب . - أو كان البكاء خوفا من الحق فهو مستحب ، ذلك أن دمعك هذا ماء دافع للنار . - فلا شك أن صلاته تزددان بالكمال ، ولا جدال في أنه يجد القرب في طريق الحق .

- وإذا كان ذلك البكاء من أجل تعب في بدنه أو حداد عنده ، فقد تقطع الخيط وانكسر المغزل .
“ 1 “

دخل مريد في خدمة شيخ ، ولا أقصد بالشيخ كبير السن بل شيخ العقل والمعرفة ، وإلا فإن عيسى عليه السلام كان شيخا في المهد ويحيى عليه السلام كان شيخا في مكتب الأطفال ، ووجد المريد الشيخ باكيا ، فوافقه وبكى ، وعندما انتهى وخرج ، خرج خلفه مريد آخر كان أكثر فهما لحال الشيخ مسرعا بسبب غيرته على الشيخ ، وقال له : يا أخي يجب أن أقول لك ، ناشدتك الله ألا تفكر وتقول : ما دام الشيخ يبكي فأنا أيضا أبكي ، إذ تلزم ثلاثون سنة من الرياضة التي لا رياء فيها ، وينبغي عبور عقبات وبحار مليئة بالتماسيح وجبال قاحلة مليئة بالأسود والنمور ، حتى تصل أو لا تصل إلى ذلك البكاء للشيخ ، فإن وصلت فكرر شطر " زويت لي الأرض كثيرا " .

- لقد جاء أحد المريدين إلى الشيخ ، وكان الشيخ في بكاء وفي نواح .
- وعندما رأى ذلك المريد الشيخ باكيا ، بكى بدوره وسال الدمع من عينيه .
- والسميع يضحك مرة واحدة ، لكن الأصم يضحك مرتين ، وعندما يقص أحد الناس فكاهاة لرفيقه ،

1275 - فإنه يضحك للمرة الأولى تقليدا وكما تملي عليه نفسه ، لأنه يرى القوم جميعا يضحكون .

.....
(1) ج / 11 - 458 :-

- وإذا كان ينوح من فراق الابن ، لأن قلبه وروحه في ألم حداد عليه .
- فإن تلك الصلاة لا تساوي حبتي شعير ، وذلك لأنه يسلم قلبه إلى الأغيار .
- فإن صلاته تبطل بلا شك ، ولكان بكاءه أيضا بلا فائدة .
- ذلك أن ترك الجسد هو أصل الصلاة ، وترك النفس ، وترك الولد ، هذه هي الضراعة .
- فتعلم من خليل الله وضع بالولد ، واجعل جسدك معرضا لنار النمرود .
- والخلاصة حتى تعلم أيها العظيم ، أن هناك فرقا بلا حد بين بكاء وبكاء .

- فهو وإن كان يضحك مثلهم جميعا في تلك اللحظة ، إلا أنه يكون غافلا عن حال الضاحكين .
 - ثم يعود فيسأل : مم كان الضحك ؟ ويضحك ثانية بعد أن يسمع بأذنه .
 - ومن هنا فالمقلد مثل الأصم ، في مثل ذلك الفرح والسرور الذي في رأسه .
 - فالشيخ هو الشعاع والشيخ هو المنهل ، وفيض السرور لا يكون من المريدين ، بل من الشيخ .
- “ 1 “

- 1280 -** مثل سلة في الماء ونور على زجاج ، إذا اعتبراهما من ذاتيهما ، فهذا من الغفلة .
- وعندما ينفصل عن النهر يعلم ذلك العنود ، أن الماء العذب كان فيه من الجدول .
 - وتعلم الزجاجة أيضا من غياب القمر “ 2 “ أن تلك اللع كانت داخلها من القمر المنير الطيب .
 - وعندما يفتح الأمر ب " قم " عينيه ، يضحك إذن كالفرح للمرة الثانية .
 - ثم يضحك من ضحكته الأولى تلك ، التي كانت تأتيه على سبيل التقليد .

- 1285 -** ويقول : لقد كانت هذه الحقيقة وهذه الأسرار والرموز من عدة طرق نائية وبعيدة وطويلة - وكيف كنت أنا في ذلك الوادي ، أقوم على البعد بإبداء السرور على العمياء ومن محض الحماس .
- وبأي شيء كنت أربط الخيال ، وماذا كان ذلك ؟ إن إدراكي الواهن كان يبيدي صورة باهتة .

-
- (1) ج / 11 - 462 : - إن الشعاع هو الشيخ نفسه ، وما كان يفعله تقليد الشيخ ، إذ أنه يرى السرور من تأييد الشيخ .
- (2) حرفيا : الغروب .

- فأين لطفل الطريق فكرة الرجال ، وأين خياله من الحقيقة الصحيحة ؟ !
- وإن فكر الأطفال يكون في المرضعة أو الرضاع أو الزبيب والجوز ، أو البكاء والصياح .

1290 - وذلك المقلد يكون كالطفل العليل ، حتى وإن كان له بحث عميق ودليل
- وذلك التعمق في الدليل والبحث في الإشكالات ، يسوقه بعيدا عن بصيرة " القلب " .
- لقد أضاع المادة التي تكون كحلا " لبصيرة " سره ، وقصر عمله على الحديث عن
الإشكالات .

1293 - فعد أيها المقلد عن بخارى " العلم الظاهري " ، وامض صوب الذلة حتى تصير أسد
الرجال .
- حتى ترى بخارى أخرى في باطنك ، وأولئك الذين يشقون الصفوف ، " لا يفقهون " في
محفلها .

1295 - والرسول مهما كان على الأرض سريع الخطو ، عندما يذهب إلى البحر يكون خائر
القوى مقطوع العرق .
- إنه إنما يتبع " حملناهم في البر " فحسب ، وجدير بأن يسمى رجلا ذلك المحمول في البحر ،
فحسب .
- وإن الملك ليجزل له عطاءً غير ممنون ، يا من صرت رهنا للتصور والوهم .
- لقد كان ذلك المرید الساذج يبكي أيضا ، لكن بكاءه كان وفقا لبكاء ذلك " الشيخ " العزيز .
- لقد كان يتصرف تقليدا كالرجل الأصم ، كان يرى البكاء ، ولم يكن يعرف سببه .

1300 - وعندما بكى كثيرا ، أدى فروض الاحترام ومضى ، فخرج في أثره سريعا مرید من خواص " الشيخ

- وقال له : يا باکيا کالسحاب بلا علم ، ووفقا لبكاء شيخ النظر ،
- ناشدتك الله مرار أيها المرید الوفي ، بالرغم من أنك مستفيد من التقليد ،
- ألا تقول : رأيت هذا الملك يبكي ، وأنا بكيت مثله ، فهذا منكر .
- فبكاؤك مليء بالجهل والتقليد والظن ، وليس مثل بكاء ذلك المؤمن .

1305 - ولا تقم بقياس بكاء على بكاء ، فمن هذا البكاء إلى ذلك طريق طويل وبون شاسع .
 - فإنه حتى بعد ثلاثين سنة من الجهاد ، لا يستطيع العقل أن يصل إلى حيث يكون .
 - فإن بينه وبين تلك الناحية من العقل مائة منزل ، فلا تعتبرن العقل واقفا على تلك القافلة .
 - وإن بكاءه ليس من الحزن وليس من الفرح ، وتعلم الروح ذلك البكاء ، إنه من الأمور النادرة الطريفة .
 - وبكاؤه وضحه نابعان من تلك الناحية ، ومما يكون وهم العقل بريئا منه

1310 - ودمع عينه على مثال عينه ، ومتى تصبح العين التي لم تبصر عينا ؟ !
 - وما يراه هو من المحال أن يمس ، لا عن طريق قياس العقل ولا عن طريق الحواس .
 - والليل يفر هاربا عندما يرى النور من على البعد ، فأی علم إذن لظلمة الليل بأحوال النور . ؟ !

- وإن البعوضة لتهرب من الرياح ذات الدهاء ، فمن أين تعلم البعوضة إذن طعم الرياح ؟
- وعندما يعن القديم يتحول الحديث إلى عبث ، فأني علم للحديث إذن بالقديم ؟ !

1315 - وعندما يقع القديم على الحديث يصيبه بالذهول ، وما دام قد حوله إلى عدم فقد جعله من نفس لونه .

- وإذا أردت فإنك تجد مائة نظير " لهذه الأمثلة " ، لكنني لا أجرؤ على قولها أيها الفقير .
- إن " ألم " و " حم " وهي مجرد حروف ، تصبح كعصا موسى عليه السلام عندما تتصدى " لغيرها من الحروف " .
- والحروف كلها تشبه في ظاهرها هذه الحروف ، لكنها تكون مفتقرة إلى صفاتها .
- وكل من يمسك بعصا على سبيل الامتحان ، متى تكون مثل عصا موسى عليه السلام عند البيان ؟

1320 - وهذا النفس العيسوي ليس مثل كل ريح ونفس ، يتأتى من فرح أو من حزن .
- و " ألم " و " حم " هذه أيها الأب ، قد جاءت من حضرة مولى البشر .
- ومتى تشبهها أي " ألف " وأي " لام " إذن ؟ فإن كنت صاحب روح ، لا تنظر إليها بعينيك هاتين .

- حتى وإن كانت في تركيبها مجرد حروف أيها الهمام ، فإن العوام أيضا ينتشابهون في التركيب .
- وتركيب محمد صلى الله عليه وسلم أيضا من لحم وجلد ، وبالرغم من أن تركيب كل جسد يكون من جنسه ،

1325 - يكون فيه لحم وجلد وعظام ، فإن هذا التركيب لا يشبهها في قليل أو كثير .
 - ففي هذا التركيب ، حلت المعجزات التي تجعل كل الأجساد لا تقوى على عمل .
 - كذلك تركيب " حم " في الكتاب ، إنها شديدة العلو والارتفاع ، والحروف الأخرى شديدة الدنو .
 - ذلك أن الحياة تتأتى من هذا التركيب ، إنها مثل نفخ الصور ، تفعل فعلها في العجز .
 - تتحول إلى أفعى وتشق البحر ، عندما تكون عصا " حم " من عطية الله .

1330 - وظاهرها يشبه بقية الظاهر ، لكن قرص الرغيف بعيد تماما عن قرص القمر .
 - وإن بكاءه وضحكه ونطقه أمور ليست كلها منه ، إنها من خلق " هو " .
 - وعندما أخذ الحمقى بالظاهر ، احتجبت عنهم تماما تلك الدقائق .
 - فلا جرم أن حجبوا عن الوصول إلى الغرض ، فقد فاتت النقاط الدقيقة في موضع الاعتراض .
 “ 1 “

قصة تلك الجارية التي كانت تقضي وطرها مع حمار سيدتها وكانت قد دربته كما يدرّب الماعز والدب على جماع الآدميين “ 2 “ ،
 وكانت تضع قرعة في عضو الحمار حتى لا يجاوز الحد ، وعلمت السيدة ذلك ، لكنها لم تر النقطة الدقيقة الكامنة في القرعة . . .
 فصرفت جاريتهما بحجة ما إلى مكان بعيد ، واجتمعت بالحمار

.....
 (1) ج / 11 - 467 : - وأقول لك حكاية على مثال هذا الأمر ، حتى تنال حصة من بياني هذا . - وهي قصة طويلة وعريضة ومخيفة ، إنها بعيدة الغور ، لكنها قريبة تماما .
 (2) عند يوسف بن أحمد " 303 / 5 " كما يدرّب الماعز على الوقوف على قاعدة المصباح والدب على الرقص ، وكذا عند الأنقروى " 325 / 5 " .

بلا قرعة ، وهلك مفتوحة . وعادت الجارية فجأة وناحت عليها قائلة : يا روي ويا نور عيني : رأيت القضيبي ولم ترى القرعة . . .
 رأيت الذكر ولم ترى الآخر . كل ناقص ملعون وإن كان الناقصون في عين الظاهر مرحومين وليسوا ملعونين ، فاقراً : لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ * فهي قد نفت الحرج ونفت اللعنة ونفت الغضب .

- لقد استقلت جارية تحت حمار ، من فرط الشهوة ، ومرض الشذوذ ، والحرص " على الجماع "

1335 - كانت قد دربت ذلك الحمار الفحل على مجامعتها ، وكان الحمار قد فهم جماع الآدمي .
 - وكانت هناك قرعة وضعتها تلك المحتالة في ذكر الحمار ، من أجل الحد .
 - ولقد وضعت القرعة في الذكر تلك الداهية ، حتى يولج نصف الذكر عند الإيلاج .
 - ذلك أن ذكر الحمار إن أولج فيها بأجمعه ، لمزق رحمها وأمعاءها .
 - كان الحمار يزداد نحولاً ، وعجزت السيدة " عن فهم " لم صار هذا الحمار في نحول الشعرة ؟

1340 - وقد عرضته على البيطرة قائلة : ما بال هذا الحمار ؟ وما هي علته تلك ، التي أدت إلى نحول هكذا ؟

- لكن علة لم تظهر فيه قط ، ولم يعرف أحد قط سر ذلك .
 - فبدأت في تفحص الأمر بجد شديد ، صارت لحظة بلحظة مستعدة للتفتيش والبحث .
 - وينبغي أن تكون الروح أمة للجد ، ذلك أن الباحث بجد ، يجد في النهاية .
 - وعندما تفحصت وتجسست عن أحوال الحمار ، رأت تلك الجارية نائمة تحت الحمار .

- 1345 -** لقد رأت من فرجة الباب هذا الحال ، فتعجبت تلك العجوز كثيرا من ذلك الأمر .
 - لقد كان الحمار يضاجع الجارية ، كما يفعل الرجال مع النساء ، بتعقل ونظام .
 - فأحست نحوها بالحسد ، وقالت لنفسها : ما دام هذا الأمر ممكنا ، فأنا أولى ، فالحمار ملكي .
 - لقد تهذب الحمار وصار مدربا ، والمائدة ممتدة ، والمصباح مضاء .
 - وتجاهلت ما رأت ، ودقت باب الدار قائلة : أيتها الجارية ، حتام تنهمكين في كنس المنزل ؟

1350 - كانت تقول هذا الكلام على سبيل التعمية ، بما يعني : يا جارية ، لقد جننت ، فافتحي الباب .

- وصمتت ، ولم تفتح الجارية ، وأخفت السر من أجل طمعها الخفي .
 - ثم إن الجارية أخفت كل أدوات الفساد ، وتقدمت ، وفتحت الباب .
 - وعبست بوجهها ، وعيناها مليئتان بالدمع ، وحكت شفتيها بما معناه : إني صائمة .
 - وفي كفها مكنسة مبللة ، أي : لقد كنت أكنس الدار ، وأزيل عنها القذر .

- 1355 -** وعندما فتحت الباب والمكنسة في يدها ، قالت السيدة هامسة لنفسها :
 أيتها الأستاذة ، - عبست بوجهك ، والمكنسة في يدك ، فما هذا الحمار الذي عافت نفسه الطعام ؟
 - لقد أتم نصف العمل ، والغضب باد عليه ، ينظر نحو الباب متحرك الذكر منتظرا إياك .
 - لقد همست بهذا خفية عن الجارية ، وعاملتها بإعزاز كما يعامل الأبرياء .

- ثم قالت لها : خذي طراحتك ، واذهبي إلى منزل كذا ، وبلغني عنى هذه الرسالة . .

1360 - هكذا قولي ، وهكذا فافعلي ، وكذلك ، لقد اختصرت أنا ثرثرة النساء .
 - فخذ أنت لب ما هو مقصود . وعندما صرفتها السيدة العجوز ، - كانت شديدة الفرح من نشوة الشهوة ، فأحكمت رتاج الباب ، وأخذت تقول في تلك اللحظة :
 - لقد ظفرت بخلوة ، فلأصرخ شاكرة ، لقد خلصت من جماع الرجال قويهم وضعيفهم .
 - ومن الطرب ، صارت تلك المرأة كالماعز ، بل ألف ماعز ، لا يقر لها قرار في لهيب اشتهاا الحمار .

1365 - فيا لها من ماعز ، صادتها الشهوة صيد الماعز ، وليس من العجيب أن يصاد المذهول صيد الماعز - إن الميل إلى الشهوة يجعل القلب أعمى وأصم ، حتى ليبدى الحمار " في جمال " يوسف ، والنار نورا .
 - وما أكثر الثملين بالنار الباحثين عن النار ، والذين يعتبرون أنفسهم نورا مطلقا .
 - اللهم إلا أن يكون المرء عبدا لله ، فيوضع على الجادة بجذب الحق ، ويتحول المصير .
 - حتى يعلم أن ذلك الخيال النارى ، ليس إلا من قبيل الشيء المستعار على الطريق .

1370 - وإن الشره ليبيدين القبائح طيبات ، ولا يوجد أسوأ من الشهوة ، من آفات الطريق .
- لقد جللت بالعار آلافا من ذوى السمعة الطيبة ، وجعلت مئات الآلاف من الأذكاء حمقى مذهبولين .

- وإذا كانت قد أبدت حمارا في جمال يوسف المصري ، فكيف تبدى تلك اليهودية من هو في جمال يوسف - لقد جعل سحرها البعر لك شهدا ، فكيف تبدى الشهد نفسه وقت الالتحام ؟
- والشهوة من الطعام ، فقلل الطعام ، أو فعليك بالنكاح ، واهرب من الشر

1375 - فإنك إن أكلت تقوم بجرك نحو الحرم ، ولا بد للدخل من نفقة .
- ومن ثم فإن النكاح مثل نطقك " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، حتى لا يلقينك الشيطان في البلاء .
- وإذا كنت حريصا على الطعام ، عليك بالزواج سريعا ، وإلا أتى القط ، واختطف منك الشحمة .

- وضع الحمل الثقيل سريعا على ظهر الحمار الذي يقفز ويبرطع ، قبل أن يلقي بك من فوق ظهره .
- وإنك لا تعرف فعل النار أيها البرد ، فلا تحم حول النار بمثل هذه المعرفة .

1380 - وإن لم يكن لك علمٌ بالقدر والنار ، فلن تبقى القدر من النار ولا الحساء .
- فينبغي أن يكون الماء حاضرا وأيضا الدراية ، حتى يطبخ ذلك القدر ، ويخرج سالما من الغليان .

- وما دمت جاهلا بفن الحدادة ، فإنك تحرق شعرك ولحيثك عندما تمر بحانوت الحداد .
- ولقد أغلقت تلك المرأة الباب ، وسحبت الحمار سعيدة ، فلا جرم أن لقيت جزاءها .
- فأنت به ساحبة إياه إلى باحة الدار ، ونامت تحت ذلك الحمار الفحل ، الذي يصيد الحمير .

1385 - وعلى نفس ذلك المقعد الذي رأت عليه الجارية ، لتقضى وطرها أيضا تلك البغي .
 - ورفعت ساقها ، فأولج الحمار فيها ، واشتعلت فيها النيران من قضيب الحمار
 - لقد أولج الحمار المدرب في السيدة في التو واللحظة حتى خصيته ، فماتت السيدة على الفور .
 - ولقد تمزق كبدها من طعنة قضيب الحمار ، وتفسخت أمعاؤها ، كل عن الأخرى .
 - ولم نتبس تلك المرأة ، وأسلمت الروح في الحال ، وسقطت المرأة في ناحية ، والمقعد في ناحية أخرى .

1390 - وامتلاً صحن الدار بالدم ، والمرأة منقلبة ، لقد ماتت ، وسلب روحها ريب المنون .
 - وبهذا الموت السيء المقترن بمائة فضيحة أيها الأب ، فهل رأيت قط شهيدا لقضيب حمار ؟
 - فاستمع من القرآن إلى (عذاب الخزي) ، ولا تضح بالروح لمثل هذا العار .
 - واعلم أن هذه النفس البهيمية حمارٌ فحل ، وأن يكون المرء تحتها خاضعا لها أشد عارا .

- ولو مت في أنيتك عن طريق النفس ، اعلم حقيقة أنك مثل تلك المرأة .

- 1395 -** إنه يجعل نفوسنا على صورة الحمار ، ذلك لأنه يجعل الصورة على وفق الطبع .
 - وهكذا يكون إظهار السر في القيامة ، ناشدتك الله ، ألا فلتفر من الجسد الذي يشبه الحمار .
 - لقد خوف الله سبحانه وتعالى الكفار من النار ، وقال هؤلاء الكفار : النار ولا العار .
 - قال : بل إن هذه النار هي أصل أنواع العار ، إنها مثل تلك النار التي قضت على تلك المرأة .
 - ومن حرصها لم تأكل لقمة مناسبة لها ، فغص حلقها بلقمة الموت السيئة .

1400 - فكل اللقمة المناسبة في حجمها أيها الرجل الحريص ، حتى ولو كانت اللقمة من الحلوى والخبيص .

- لقد أعطى الحق تعالى للميزان لسانا ، فانتبه واقرأ من القرآن سورة الرحمن .
 - وهيا ، لا تترك الميزان من حرصك ، فإن الحرص والطمع خصمان مضلان لك .
 - إن الحرص يبحث عن الكل ويتجاوز عن الكل ، فلا تعبد الحرص أيها المهيمن ابن المهيمن . “ 1
 - “ وأخذت تلك الجارية تروح وتجيء صارخة : أواه ، لقد صرفت أيتها السيدة أستاذتك .

1405 - لقد أردت القيام بالعمل دون أستاذ ، وأردت أن تقامرى بالروح بجهل .

(1) حرفيا : أيها الفجل بن الفجل .

- يا من سرقت مني علما ناقصا ، هل شعرت بالعار من السؤال عن أحوال الشراك ؟
- ولو كان الطائر قد التقط الحب من بيده ، لما سقط " في الشراك " والحبل في عنقه .
- فقلل من أكل الحب ، ولا تقم برفو " الجسد " كثيرا " بالطعام " ، وما دمت قد قرأت (كلوا) فاقراً (لا تسرفوا) .
- وما لم تأكل الحب ، لا تسقط في الشراك ، هذا هو ما يفعله العلم والقناعة ، والسلام .

1410 - وإن العاقل يأكل النعمة من الدنيا ، ولا " يتجرع " الأحزان ، والجهلاء قد بقوا محرومين " غرقى " في الندم .

- وما دام حبل الشراك قد أخذ بأعناقهم ، صار التقاط الحب حراما على الجميع - ومتى يلتقط الطائر الحب وهو ساقط في الشراك ، كما يفعل هؤلاء العوام في شراك الدنيا ؟
- ثم إن الطيور العاقلة الذكية ، قد منعت أنفسها عن الحب بشدة وحسم . " 1 “

1415 - ففي هذه الشبكة حبوب مغموسة في السم ، وأعمى ذلك الطائر الذي طلب الحب من الشراك .

- وصاحب الشبكة قطع رؤوس البلهاء ، وأجلس " تلك الطيور " الظريفة في " صدور " المجالس .
- ذلك أن ما يفيد من تلك الطيور البلهاء هو لحومها ، أما ما ينفع من الطيور الذكية الأريية ، فهو الغناء والتغريد .

.....
(1) حرفيا : قيدت نفسها عن الحب بحبل شديد .

- لقد دخلت الجارية من خوخة الباب ، فوجدت السيدة ميتة ، تحت الحمار .
- فصاحت : أيتها السيدة البلهاء ، ما هذا بالذي كان يحدث ، لو كان لك أستاذ أبدى لك الأمور .

1420 - لقد رأيت ظاهره وبقي سره خفيا عليك ، ودون أن تتقني الصنعة ، فتحت الدكان .
 - لقد رأيت القضيب كأنه الشهد وكأنه الخبيص ، فكيف لم ترى تلك القرعة أيتها الحريصة ؟
 - أو أنك كنت مستغرقة في عشق الحمار ، فبقيت تلك القرعة خفية عن ناظريك - لقد رأيت
 ظاهرا من الصنعة من الأستاذ ، فاحترفت الأستاذية فرحة سعيدة .
 - ورب محتال مخدوع عديم فهم ، لم ير من طريق الرجال سوى الصوف .

1425 - وما أكثر الوقحاء من تعلم قليل واحتراف ، لم يتعلموا من ملوك " الطريق " إلا
 الثرثرة .
 - وكل من في يده عصا ، صاح : إني موسى ، وآخر ينفخ في " وجوه " البلهاء قائلا : أنا
 عيسى .

- وآه من ذلك اليوم الذي يطلب فيه منك حجر الامتحان صدق الصادقين .
- ولتسألن في النهاية عن الأستاذ الباقي ، فإن الحريصين كلهم عمى وخرس .
- لقد بحثت عن الجميع وتخلفت عن الجميع ، وهذا القطيع الأبله صيد للذئاب .

1430 - ولقد سمعت صورة " كلام " فتحولت إلى ترجمان ، وأنت لا تفهم ما تقول ، وكأنك
 ببغاء .

تمثيل تلقين الشيخ للمريدين والرسول للأمة التي لا طاقة لها لتلقين الحق ولا ألفة لها مع الحق بالبيغاء الذي لا ألفة له مع صورة الآدمي

بحيث يلقي منه ، فالحق تعالى يضع الشيخ كما توضع المرأة أمام البيغاء ويلقنه من خلف المرأة ، مصداقا لقوله تعاليلًا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانُكَ وَهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى هُنَا بَدَايَةُ مَسْأَلَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ، بحيث أن تحريك البيغاء لمنقاره في المرأة والذي تسميه خياله هو بلا اختيار ولا تصرف منه فالصورة هي قراءة البيغاء من الخارج وهو المتعلم لا صورة ذلك المعلم ذلك المعلم الذي وراء المرأة ، فقراءة البيغاء الظاهرة تحت سيطرة ذلك المعلم . . . ومن ثم فهذا مثال لا مثل

- إن ذلك الذي يراه البيغاء في المرأة ، هو صورته هو وقد ظهرت أمامه .
- وخلف المرأة هناك مدرب خفي ، إنه يتحدث بلسان أديب حسن اللسان .
- ويظن البيغاء الصغير أن هذا الكلام الهامس ، هو كلام البيغاء الذي في المرأة
- ويظن أنه يتعلم الكلام من جنسه ، وهو غافل عن مكر ذلك الذئب العجوز .

- 1435 -** فإنه يعلمه من وراء المرأة ، وإلا فإنه لا يتعلم إلا من جنسه .
- لقد تعلم الكلام من ذلك الرجل الفاضل المحنك ، لكنه غافل عن سره ومعناه .
 - وأخذ منطقته من الإنسان كلمة كلمة ، وماذا يتعلم البيغاء الصغير من البشر سوى هذا .
 - وكذلك ففي مرآة جسد الولي ، يرى المريد الممتليء " نقصا وأنية " نفسه
 - لكنه متى يرى العقل الكلي عند الحديث والفعل كامنا خلف المرأة ؟

- 1440 -** إنه يظن أن من يتحدث إليه بشر ، لكن الآخر سر وهو عنه بلا علم أو خبر .
- وهو يتعلم الحروف ، لكنه لا يعلم السر القديم الأزلي ، فهو ببغاء ، وليس بالنديم .

- والخلق أيضا يتعلمون صفيير الطير ، ذلك لأن هذا الأمر من فعل الحلق والفم
- لكنهم غافلون عن المعاني التي تدور في " أفكار " الطيور ، ومن يعلمه إلا سليمان عليه السلام
صاحب الإقبال الذي بلا نظير .
- ولقد تعلموا كثيرا من ألفاظ الدراويش ، وأضاءوا المحافل والمنابر بها .

1445 - فإما أن رزقهم قد اقتصر على تلك الألفاظ ، أو تحل بهم رحمة " الله " في النهاية فتبدى لهم الطريق .

رأى أحد أصحاب القلوب كلبة حبلى ، وكانت الجراء تنبح في بطنها ، فتعجب وقال لنفسه : إن الحكمة من نباح الكلاب هي الحراسة ، والنباح في بطن الأم ليس من قبيل الحراسة ، كما أنه ليس طلبا للعون أو الرضاع أو ما إليها ولا شيء يوجد من هذه الفوائد قط .
وعندم عاد إلى وعيه نادى حضرة اللھوما يَعْلمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللّهُ فكوشف أن هذه حالة قوم لم يخرجوا من الحجاب ولم تفتح منهم أعين القلوب ، لكنهم يدعون البصيرة ، ويتحدثون بالمقالات ، فلا قوة ولا عون تصل إليهم ، ولا تصل إلى مستمعهم هداية ولا يصل إليهم رشد

- كان أحدهم يرى فيما يرى النائم أثناء خلوة أربعينية ، أن ثمة كلبة حبلى في الطريق ،
- وسمع فجأة نباح جرائها ، وكانت الجراء لا تزال في بطنها .
- فأصابه ذلك النباح بدهشة شديدة ، و " تساءل " : كيف نبحت الجراء في البطن ؟ يا الله .
- إن أحدا لم ير قط في الدنيا ، جراء نابحة وهي لا تزال في بطن " أمها " .

1450 - وعندما استيقظ من النوم ، ونجا من الواقعة ، وعاد إلى وعيه ، أخذت حيرته تزداد لحظة بعد لحظة

- ومن يستطيع في الخلوة أن يفسر هذا الأمر المعضل اللهم إلا أن يتوجه إلى الحضرة الإلهية ؟

- قال : يا رب ، لقد عجزت عن ذكرك في الخلوة من هذا الإشكال ، ومن القيل والقال .
- فهيا ، أطلق جناحي يا الله حتى أخلق عليا ، وأمضي إلى روضة الذكر وحديقة التفاح .
- وفي التو واللحظة جاءه هاتف قائلا : إن هذا الأمر مثال على ثرثرة الجهال .

1455 - أولئك الذين لم يخرجوا بعد من الحجب والأستار ، ومع ذلك فهم يتحدثون بالهذر ، مغمضو الأعين .

- فنباح الجراء في البطن عمل لا فائدة منه ، فلا هي طاردة لصيد ، ولا حارسة لبليل .
- إنها لم تر ذنباً لتمنعه ، كما أنها لم تبصر لصاً لتنبحه .
- وأولئك من الحرص واشتهاء الرئاسة ، عندهم كلل في البصر ، وجرأة على الحديث والنفاق .
- وإن أحدهم من هواه في الأتباع والمريدين والمشجعين ثابت القدم في " إدعائه ونفاجه " .

1460 - وإنه ليعطي الأمارات العديدة عن القمر دون أن يراه ، وهو يضل الريفي الساذج بهذا الأمر . " 1 "

- وهو من أجل " الطالب المتابع " المشتري ، يتحدث عن مائة أماراة عن القمر دون أن يراه ، ومحض الجاه .
- إن المشتري الذي فيه النفع واحد " أحد " ، لكنهم بالنسبة له ، في ريب وشك .
- ومن أجل مشتر لا قيمة له ولا قدر ، أذهبت هذه الجماعة المشتري " الحقيقي " أدراج الرياح .

.....
(1) ج / 11 - 478 : - وهو يقول مائة أماراة دون أن يرى طالبا واحدا ، ويهزل ويشرب المخيض مصفقا .

- وإن المشتري لنا هو من ورد في الآية الكريمة إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ، فهيا اسمُ واعلُ عن الهم من أجل أي مشتر .

1465 - وابحث عن المشتري الذي يبحث عنك ، والعالم بمبدئك ومنتهاك .
 - وانتبه ، ولا تقم بجذب كل مشتر بيدك ، فإن ممارسة العشق مع معشوقتين أمر سيئ .
 - فإنك لن تجد من هذا المشتري نفعا وفائدة إذ يشتريك ، وليست له في حد ذاته قيمة العقل والنهي .
 - وليس عنده أصلا ثمن فردة حذاء ، ومع ذلك تعرض عليه أنت الياقوت والعقيق .
 - لقد أعماك الحرص ، ثم يصيبك بالحرمان ، ويجعلك الشيطان مثله رجيمًا .

1470 - كأصحاب الفيل وكقوم لوط ، جعلهم ذلك الممسوخ مرجومين مثله .
 - لقد وجد الصابرون المشتري والطالب ، عندما لم يهرعوا إلى كل مشتر وطالب .
 - لكن كل من حول وجهه عن ذلك المشتري " الفرد " ، قد بريء منه الحظ والإقبال والبقاء .
 - وبقيت الحسرة للحريصين إلى الأبد ، مثل حال أهل ضروان " وما أصابهم " من الحسد .

قصة أهل ضروان وحسدهم للفقراء قائلين : كان أبونا من طيبته يعطي أغلب دخل الحديقة للمساكين ،

فعندما كان العنب ينضج كان يعطي عشرة ، وعندما كان يتحول إلى زبيب ودبس كان يزكي بعشره ، وعندما كان يصنع منه حلوى وفالودج كان يعطي عشره ، وكان يعطي من القصيل " المحصول بالسنابل " العشر ، وعندما يجهز حبوبه في البيدر يزكي بعشرها ، وعندما كان يفصل القمح عن التبن ، كان يزكي بعشره ، وعندما كان يطحنه كان يعطي العشر ، وعندما كان يعجنه كان يعطي أيضا العشر ، وعندما كان يخبزه ، كان يعطي العشر أيضا . فلا جرم أن الحق تعالى كان قد وضع البركة في هذه المزرعة والحديقة ، بحيث صار كل أصحاب الحدائق يحتاجون إليه سواء في الثمر أو في المال ، ولم يكن هو محتاجا إلى أحد منهم ، وكان أبناؤه يرون إخراج هذا العشر المتكرر ، ولم يكونوا يرون تلك البركة . مثل تلك المرأة الشقية التي كنت قد رأيت ذكر الحمار ولم تكن قد رأيت القرعة

- كان هناك رجل صالح رباني ، كان كامل العقل ، متديبرا للعواقب .

1475 - وكان شهيرا في قرية ضروان بالقرب من اليمن ، بالتصدق والخلق الحسن .

- كان الحي الذي يسكن فيه قبلة للفقراء ، وكان المحتاجون يفتدون إليه .
- كان يعطي العشر من السنابل دون رياء ، كما كان يعطي العشر من القمح عندما يفصله عن التبن .

- وعندما كان يطحنه كان يعطي أيضا العشر ، وعندما كان يخبزه ، كان يعطي العشر من الخبز . “ 1 ”

- لم يكن يغفل عطاء العشر من كل دخل ، كان يخرج " الزكاة " أربع مرات على كل ما يزرع .

1480 - وكان ذلك الفتى الجواد يكثر من وصاياه لأولاده كل لحظة وهم مجتمعين ،

- ويقول لهم : الله بيني وبينكم في نصيب المسكين " بعد وفاتي " ، إياكم أن تمنعوه من حرص أنفسكم .

(1) ج / 11 - 485 : - كان يعطي العشر من العنب ثم من الزبيب ، وكان يعطي أيضا العشر من الدبس . - وكان يعطي العشر من حلوه ومن الفالودج ، ولم يكن يغفل شيئا قل أو كثر .

- حتى يبقى لكم الزرع وتبقى لكم الثمار ، دائمين ثابتين في حمى طاعة الحق .
- إن كل الثمار والدخول من الغيب ، لقد أرسلها سبحانه وتعالى دون ظن أو ريب .
- وإذا أنت أنفقت في موضع الكسب وفي أوانه فقد ربحت .

- 1485 -** والتركي يقوم بغراس أغلب المحصول في مزرعته ثانية ، فهو أصل الثمار .
- إنه يزرع معظمه ، ويأكل منه القليل ، فليس لديه أدنى شك في أنه سينمو ثانية ويربو .
 - ومن هنا فإن التركي يفرط في البذار ، ذلك أن تلك الغلة نتجت بدورها من تلك الأرض .
 - والإسكاف يشتري الجلد والأديم والجلد غير المدبوغ مما يزيد على قوته
 - إنه يقول لنفسه : لقد كانت هذه الأشياء هي أصول دخلي ، ومنها أيضا يحل قيد الرزق .

- 1490 -** لقد جاء الدخل من ذلك الباب لا جرم ، ومن ثم فهو على ذلك الباب يقوم بالعطاء ، ويبيدي الكرم .

- وهذه الأرض " للزراع " والجلد غير المدبوغ " للإسكاف " مجرد دريئة وحجاب فحسب ، واعلم أن أصل الرزق في كل نفس من الله .
- ذلك أنك تزرع في الأرض التي هي أصل العمل والزرع ، حتى تنبت لك من كل حبة مائة ألف حبة .
- فلأفرض أنك إذا قمت الآن بزراعة الحب ، في الأرض التي ظننتها سببا ،

- ماذا تفعل إن ظلت عامين أو ثلاثة لا تنبت ، إلا أن ترفع كفيك داعيا متضرعا ؟

1495 - وتضرب رأسك بكفيك أمام الإله ، وهذه اليد وهذه الرأس تكونان شاهدين على إعطائه الرزق .

- وذلك حتى تعلم أنه أصل الرزق ، حتى يبحث عنه كل من هو باحث عن الرزق .
- فاطلب الرزق منه ، لا من زيد ومن عمرو ، واطلب السكر منه ، لا من المخدر ولا من الخمر .

- واطلب الغنى منه ، لا من الكنز والمال ، واطلب النصرة منه ، لا من العم والخال .
- إنك سوف تفارق هؤلاء كلهم ، انتبه . . . من سوف تدعو في تلك اللحظة .

1500 - فادعه من الآن ، ودعك من الباقيين ، حتى تصبح وارثا لملك الدنيا .
- فما دام يومٌ سوف يأتي يفر المرء فيه من أخيه ، ويهرب المولود من أبيه ،
- ولذلك يصبح كل صديق آنذاك عدوا ، إذ كان صنما لك ومانعا في طريقك " إلى الله " .
- وأنت كنت تشيح بوجهك عن الذي صور الوجه " الحسن " ، لأنك كنت تجد أنس القلب من صورة .

- والآن إذا انقلب أصحابك أعداء لك ، وتحولوا عنك ، ولجوا في الخصومة ،

1505 - فهيا قل : الآن سعد زماني ، أن ما كان سيحدث في الغد قد حدث اليوم
- لقد صار أهل الدار أعداء لي ، حتى صارت القيامة بالنسبة لي واقعا مسبقا

- وذلك قبل أن أخسر أيامي ، وأنهى عمري وأنا بينهم .
- لقد كنت شاربا لبضاعة معيوبة ، والحمد لله أن اكتشفت عيبها مبكرا .
- وذلك قبل أن تضيع ثروتي من يدي ، وفي النهاية أفاجأ بأنها معيوبة .

1510 - " ويقال لي " : لقد ضاع المال وضاع العمر أيها الحسيب النسيب ، لقد بذلت المال والروح من أجل سلعة فاسدة .

- و " أرى " أنني أعطيت المال وأخذت ذهباً مغشوشاً ، وأخذت أمضي به فرحاً سعيداً نحو الدار .

- فالشكر " لله " أن هذا الذهب المزيف قد كشف الآن ، وذلك قبل أن يمضي من عمري أكثر " مما مضى " .

- ويبقى الزائف في رقبتى إلى الأبد ، وأتحسر على أنني قد أضعت عمري فيه .

- وما دام الذهب قد أبدى زيفه لي مبكراً ، لأبتعد عنه إذن بأسرع ما يمكنني .

1515 - وعندما يبدي صديقك لك العداوة ، ويطفح عليه جرب حقه وحسده .

- لا تصرخ أنت شاكياً من إغراضه هذا ، ولا تجعل نفسك بهذا جاهلاً أبلاًه .

- بل أشكر الله ، ووزع الصدقات " 1 " ، أنك لم تعمر معه طويلاً في جوال واحد .

- وأنت خرجت من جواله سريعاً ، حتى تبحث عن رفيق الصدق السرمدي .

- ذلك الصديق المخلص الذي من بعد موتك ، يصبح حبل صداقته أكثر إحكاماً وقوة . " 2 "

1520 - وربما يكون ذلك الصديق سلطاناً أو ملكاً رفيع الشأن ، أو مقرباً لدى السلطان ، مقبولة شفاعته .

- لقد نجوت من المزور المحتال الماكر ، ورأيت زيفه عياناً بياناً قبل الأجل .

.....

(1) حرفياً : الخبز .

(2) حرفياً : ثلاثي الخيط .

- وذلك الجفاء الذي يبيديه لك الخلق في الدنيا - لو تعلم - هو كنز ذهبي خفي من أجلك .
- ولقد جعل الناس يكونون معك على هذا النسق من سوء الخصال ، حتى تضطر إلى اللجوء إلى تلك الناحية .
- واعلم يقينا أنهم جميعا في النهاية ، سوف يتحولون إلى خصوم وأعداء ، وعصاة لك .

- 1525 -** وتبقى أنت في صراخ وعويل وأنت في اللحد ، داعيا الأحد قائلا: رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا .
 - يا من جفاؤك أفضل من عهود الأوفياء ، كما أن شهد الأوفياء من عطائك أيضا .
 - فاستمع إلى نصائح " عقلك " يا صاحب الأهرام ، وأودع قمحك أرض الله .
 - حتى يأمن اللص ويأمن السوس ، واقتل شيطان " الهوى " سريعا وأرضة " العقل والتدبير " .
 - فهو الذي يخوفك في كل لحظة من الفقر ، فصدده كالمقطا أيها الصقر الشجاع .

- 1530 -** ومن العار لبازي السلطان العزيز الموفق ، أن يكون صيدا لقطة .
 - لقد أوصاهم " ذلك الأب " كثير أو ألقى ببذور الوعظ ، لكنه لم يجد نفعا ، فقد كانت أرضهم بورا .

- فإنه إن كان للناصح مائة " نصيحة " داعية ، ينبغي لنصحه أذن واعية .
- وإلا فإنك تتصح المرء بمائة تلطف ورقة ، وهو يهز كتفيه استهانة بنصحك .
- وإن إنسانا واحدا معرضا عن الاستماع من جدله ورفضه ، يصيب بالإحباط مائة من المتحدثين .

1535 - ومن يكون ألطف لهجة وأكثر نصحا من الأنبياء ، أولئك الذين أثرت أنفاسهم الربانية حتى في الحجر

- ذلك أن الجبل والصخر قد تأثروا بهم وجالوبوهم ، لكن قيد المدبر لم يفك عنه
- وكذلك تلك القلوب التي ديدنها " الإحساس بالذات " وقول أنا ونحن ، صار الوصف " الصادق " عليها أنها أشد قسوة " من الحجارة " .

**بيان أن عطاء الحق والقدرة ليسا موقوفين على القابلية ، لأن العطاء قديم والقابلية حادثة ،
والعطاء صفة الحق والقابلية صفة المخلوق ، ولا يكون القديم متوقفا على الحادث ،
وإلا استحال الحدوث .**

- والحل بالنسبة لذلك القلب " القاسي " عطاءً مبدل ، والقابلية ليست شرطا لعطائه .
- لكن عطاءه هو الشرط للقابلية ، فالعطاء لب ، والقابلية هي القشر .

1540 - وأن تصير العصا لموسى عليه السلام ثعبانا ، وتصير كفه مشرقة كأنها الشمس ،
- ومئات الآلاف من معجزات الأنبياء ، تلك التي لا تستوعبها ضمائرنا وعقولنا ،
- ليست من الأسباب ، لكنها من تصريف " المشيئة " الإلهية ، ومتى كانت هناك قابلية
للمعدومات ؟

- وإذا كانت القابلية شرطا لفعل الحق ، لما خُلِق موجود قط من العدم .
- ولقد وضع سنة للطالبيين تحت هذه الخيمة الزرقاء وأسبابا وطرقا ! !

1545 - والأمور بأغلبها تجرى طبقا لسنة " الله " ، لكن القدرة أحيانا تخرق السنة .

- لقد وضع سنة وعادة ذات نسق ونظام ، ثم خلق المعجزة كخرق للعادة و " السنة " .
- وإذا كان العز لا يصل إلينا دون سبب ، فإن القدرة على عزل السبب ليست منتفية .
- فيا أسير السبب ، لا تحلق بفكرك خارج السبب ، لكن لا تظن أن " فعله " عاجز عن الاستغناء عن السبب .
- فإن كل ما يشاءه هذا المسبب يفعله ويأتي به ، فإن القدرة المطلقة تمزق الأسباب .

- 1550 -** لكنه يجعل " نفاذ " أمره جاريا على الأسباب ، حتى يعلم الطالب البحث عن المراد .
- فإن لم يكن ثم سبب ، فأى طريق يبحث عنه المرید ؟ ومن هنا ينبغي أن يكون السبب واضحا في الطريق .
 - وإن هذه الأسباب مجرد حجب على صنعه ، فليست كل الأنظار جديرة بالنظر إلى صنعه .
 - إذ ينبغي بصيرة نفاذة فيما وراء الأسباب ، حتى تقشع الحجب من جذورها وأصولها .
 - حتى تبصر المسبب في اللامكان ، وتعتبر الجهد والكسب والتجارة من قبيل الهزل .

- 1555 -** وأن الخير والشر كليهما يصلان من المسبب ، فلا أسباب هناك ولا وسائط أيها الأب .
- اللهم إلا خيالات وأوهام متراكمة على طريق الحياة ، حتى يبقى عهد الغفلة ردحا من الزمان .

**في ابتداء خلق جسد آدم عليه السلام عندما أمر الحق سبحانه وتعالى
جبريل بأن يمضي ويأخذ من هذه الأرض قبضة من التراب وفي رواية :
من كل ناحية منها قبضة من التراب**

- عندما أراد الصانع الخالق خلق البشر ، من أجل ابتلائهم بالخير والشر .
- قال لجبريل الصدق : إمض ، وخذ قبضة من تراب الأرض ، و " ايت به " كرهينة .
- فشمر عن ساعد الجد ، ونزل إلى الأرض حتى ينفذ أمر رب العالمين .

1560 - ومد يده نحو التراب ذلك الحامل لأمر الله ، فجمع التراب نفسه وانكمش حذرا خائفا .
ثم انطلق في الحديث متضرعا قائلا : بحق حرمة الخلاق الفرد .
- دعني وامض ، وهبني روحي ، وحول عني عنان جوادك الأشهب .
- فبالله دعني ، ولا تحملني في مزالق التكاليف والمخاطر .
- بحق ذلك اللطف الذي به اصطفاك الحق ، وجعل علم اللوح الكلي مكشوفاً لك

1565 - حتى أصبحت معلما للملائكة ، وكنت دائما متكلماً مع الحق .
- و " بحق " أنك سوف تصير سفيراً للأنبياء ، وأنت حياة نور الوحي ولست بالبدن .
- والفضل لك على إسرافيل لأنه حياة الجسد وأنت حياة الروح .
- وإن نفخة الصور هي نشأة الأجساد ، لكن نفختك أنت نشأة للقلب الفريد .
- وروح روح الجسد حياة للقلب ، ومن ثم فإن عطاءك أفضل من عطائه .

1570 - ثم إن ميكائيل هو الذي يوزع رزق الجسد ، لكن سعيك أنت يهب رزق القلب المنير .

- إنه قد ملأ الحجر من عطاء يكال بالكيل ، لكن عطاء رزقك أنت لا يستوعبه كيل .
- وأنت أيضا أفضل من عزرائيل صاحب القهر والغضب ، ذلك لأن للرحمة سبقت الغضب .
- وأنتم الأربعة حملة العرش ، وبانتباهك ، أنت أيها المليك أفضل هؤلاء الأربعة .
- ومن يحملون العرش يوم القيامة ثمانية ، وأنت أفضل الثمانية في ذلك الوقت .

1575 - وهكذا لأخذ يعدد " مناقبه " وبيكي ، وكان هو يفهم طرفا من المقصود من هذا " الرجاء "

- وكان جبريل معدنا للحياء والخجل ، وسدت عليه الأيمان السبل .
- ومن كثرة ما تضرع إليه " التراب " وأقسم عليه بالأيمان ، عاد " جبريل " وقال : يا رب العباد ، - لم أكن أنا بالذي يهمل تنفيذ أوامرك ، لكنك أعلم بما جرى .
- لقد ذكر الاسم الذي من هوله أيها البصير ، تتوقف الأفلاك السبعة عن المسير .

1580 - فاستحييت ، وخجلت من اسمك ، وإلا فنقل قبضة من الطين أمر يسير .
- ذلك أنك قد وهبت الملائكة ، قوة يستطيعون بها تحطيم هذه الأفلاك " 1 “

(1) ج / 11 - 501 : - وأي قدر لقبضة التراب وأية قوة لها للوقوف أمامك ، لكن الرحمة غلبت .

إرسال ميكائيل لقبض حفنة من التراب من الأرض من أجل تصوير الجسد المبارك
لأبي البشر خليفة الحق الذي سجدت له الملائكة
الذين علمهم آدم عليه السلام

- قال لميكائيل : إهبط أنت ، واختطف من الأرض قبضة من التراب كالأسد .
- وعندما انتقل ميكائيل إلى الأرض ، مد يده لكي يختطف تلك القبضة .
- فارتعد التراب ، وأخذ يجد في الهرب ، وصار متضرعا نائحا ذارفا للدمع .

- 1585 -** ولقد تضرع بجد وجهد وصدر محترق ، وأقسم عليه ، يسبقه دمه الدامي .
- وقال : بحق الإله اللطيف الذي لا ند له ، والذي جعلك حاملا للعرش المجيد .
 - ومشرفا على كيل الأرزاق في الدنيا ، ومغرقا " بالفضل " للظالمين إلى فضل الإله .
 - ذلك أن اسم ميكائيل قد اشتق من الكيل ، ومن هنا صار كيل للرزق .
 - " بحقه " هبني الأمان ، ودعني حرا ، وانظر إليّ أخاطبك وأنا مخرج بالدماء .

- 1590 -** وقال الملاك " المخلوق " من معدن رحمة الإله : كيف أنثر الملح على هذا الجرح ؟
- وهكذا فكما أن الشيطان هو معدن القهر ، إذ يجعل بني آدم يجأرون بالصراخ .

- والرحمة قد سبقت الغضب أيها الفتى ، كما أن اللطف يغلب على وصف الإله .
- ولا بد لعبيده أن يتخلقوا بخلقه ، ما دامت قربهم مليئة بماء جدوله .
- وذلك الرسول الحق مرشد السلوك قد قال : الناس على دين ملوكهم .

1595 - فذهب ميكائيل صوب رب الدين ، خاوى اليد ، خالى الوفاض مما طلب منه .
 - وقال : يا عالما بالسر ، أيها الملك الفرد ، لقد قيد التراب " يدي " ببكائه ونواحه .
 - ودمع العين عندك - يا إلهي - ذو قدر ، وأنا لم أستطع تجاهل سماع " ضراسته " .
 - وللآهة والنواح عندك قيمة كبيرة ، لم أستطع أنا التجاوز عن حقوقها - والعين الدامعة ذات احترام كبير عندك ، فكيف أعاند أنا وأجادل بشأنها .

1600 - إن الدعوة إلى لضراعة موجودة خمس مرات في اليوم ، إنها تقول للعبد : أدخل في الصلاة ، ونح ضارعا .
 - وإن المؤذن ليصيح حي على الفلاح ، وهذا الفلاح هو التضرع ، واستجلاب الفضل .
 - وذلك الذي تريد أن تؤلمه من حزنه وهمه ، فإنك تسد طريق الضراعة أمام قلبه .
 - حتى ينزل به البلاء دونما شيء يدفعه ، عندما لا يكون لديه شفيح من الضراعة .
 - وذلك الذي تريد أن تشريه من البلاء ، تدفع روحه دفعا إلى التضرع والاستغاثة .

- 1605 -** وقلت في القرآن أن تلك الأمم التي حل بها ذلك الغضب الجبار " والعذاب الهون " .
 - لأنهم لم يكونوا يتضرعون في ذلك الوقت ، " إلى الله " حتى يرد عنهم البلاء .
 - ولأن قلوبهم كانت قد قست ، كانت ذنوبهم هذه تبدو عبادة " لله " .
 - وما لم يعرف نفسه ذلك المجرم العنيد ، فمن أين له أن يعلم أن يجرى الدمع من عينيه .

قصة قوم يونس عليه السلام بيان وبرهان على أن التضرع والنواح دافعان للبلاء السماوي ،
 والحق تعالى فاعل مختار ، ومن ثم يفيد التضرع والنواح لديه .
 ويقول الفلاسفة هو فاعل بطبع وعلة وليس مختارا ، ومن ثم فإن التضرع لا يغير الطبع
 - عندما ظهر البلاء لقوم يونس عليه السلام ، انفصل عن السماء سحباً مليءً بالنار .

- 1610 -** وأخذ يلقي بالبرق والصواعق فيحرق الحجارة ، وأخذ السحاب يردد فتشحب الوجوه .
 - كانوا جميعاً على سطوح " منازلهم " ليلاً ، عندما ظهرت تلك الكرب والكوارث من فوقهم .
 “ 1 “

- فنزلوا جميعاً من فوق السطوح ، ومضوا عراة الرؤوس إلى الخلاء .
 - وأخرجت الأمهات أطفالهن ، حتى يقوموا جميعاً بالضراعة والدعاء والاستغاثة .
 - ومنذ صلاة العشاء وحتى طلوع الفجر ، أخذ هؤلاء الناس جميعاً يحثون رؤوسهم بالتراب .

- 1615 -** ومن بعد اليأس والآهات المرة ، أخذ السحاب في الانقشاع قليلاً قليلاً .

(1) ج / 11 - 512 : - عندما كان يونس عليه السلام قد مضى عنهم ، وذلك من جحودهم لله
 وحقدهم . - لكنهم عندما رأوا أمارات البلاء ، بدأوا في الضراعة والدعاء . . .

- إن قصة يونس عليه السّلام طويلة مفصلة ، والوقت وقت " قصة " تراب " آدم " والحديث المستفيض عنه .
- وإذا كان للتضرع هذه الاقدار عند الله ، ففي أي مكان آخر يكون للنواح قيمته هناك ؟
- فهيا ، إنهض ، واستعد سريعا للرجاء والأمل ، وإنهض أيها الباكي ، واضحك دائما . “ 1 “

1620 - فإن الملك المجيد ، يسوى الدمع في الفضل بدم الشهيد . “ 2 “

**إرسال إسرافيل عليه السّلام إلى الأرض قائلا له : خذ حفنة من التراب
من أجل تركيب جسد آدم عليه السّلام**

- قال إلهنا لإسرافيل : إمض ، واملا كفك من التراب ، وتعال .
- فجاء إسرافيل بدوره صوب الأرض ، وبدأت الأرض مرة أخرى في التوسل قائلة :
- يا ملاك الصور ، ويا بحر الحياة ، ويا من نفخك الصور ، يجد الموتى الحياة والنشور .
- ومن نفخة واحدة في الصور ينطلق صوت عظيم ، ويمتلئ المحشر بالخلق ، بعد أن كانوا من الرميم .

1625 - إنك تنفخ في الصور مناديا : هلموا إليّ ، إنهضوا يا قتلى كربلاء " الدنيا " .

-
- (1) ج / 11 - 512 : - وكن ملازما للضراعة حتى تصبح فرحا ، وابك ، حتى تصير ضاحكا بلا فم .
 - (2) ج / 11 - 512 : - وكلتضرع يكون مع حرقة وألم يؤثر في المرء . لقد تضرع وذرف الدمع من عينيه ، فعلت الرحمة وسكنت ذلك الغضب .

- يا من هلكتم بسيف الموت ، أطلوا برؤوسكم من التراب " كما تطل " الأغصان والأوراق .
- وبرحمتك ونفختك الجذابة تلك ، يمتليء العالم بمن قد أحياهم " نفيرك " .
- إنك ملاك الرحمة ، فأظهر الرحمة ، وأنت حامل للعرش ، وقبله للعطايا
- والعرش موضع لمعدن العطاء والعدل ، وتحتة أربعة أنهار من المغفرة .

1630 - نهر من لبن ونهر من عسل خالد ونهر من الخمر ونهر كدجلة من الماء الجاري العذب .

- ثم تجرى من تحت العرش داخل الجنة ، ويظهر منها النذر اليسير في الدنيا .
- بالرغم من أن هذه الأنهار الأربعة ملوثة هنا ، مم ؟ من سم الفناء المهلك غير السائغ .
- ولقد صبت من تلك الأنهار الأربعة على التراب الكدر ، وأثيرت بذلك الفتنة
- حتى يبحث عن أصولها أولئك الأخساء ، لكنهم قنعوا بالأربعة الموجودة هنا ، هؤلاء الأذنياء .

- 1635 -** ولقد أعطى اللبن من أجل تربية الأطفال ، وفجر عينا من صدر كل امرأة .
- وجعل عينا من الخمر في الكرم ، لكي يجترىء بعضهم ، ويشربون منها لدفع الحزن والهم .
 - وجعل من باطن النحل عينا للعسل ، وفيه شفاء للأبدان المريضة .
 - وأعطى الماء للناس جميعا بأصولهم وفروعهم ، من أجل التطهر ومن أجل الشرب .
 - حتى تنتبع آثارها حتى الأصول ، لكنك قنعت بما هو هنا يا ذا الفضول .

1640 - فاستمع الآن إلى قصة التراب ، ماذا يقول من رجاء يحرك " القلوب " -
 - لقد قطب وجهه وعبس أمام إسرافيل ، وأخذ يقوم بمائة نوع من التشكل والنفاق
 - وقال له : بحق ذات الجلال الطاهرة ، لا تجعل هذا القهر حلالا على .
 - إنني أشم رائحة ما من تقليبك إياي ، وثمة ظن سئ يسرع إلى ذهني .
 - إنك ملاك الرحمة فارحم ، فإن الطائر الملكي لا يؤدي طائرا صغيرا .

1645 - يا شفاء ورحمة لأصحاب الألم ، إفعل أنت أيضا ما فعله ذلك المحسنان .
 - فعاد إسرافيل سريعا إلى الملك ، وقص عليه ما حدث واعتذر له " قائلا " :
 - إنك أمرت في الظاهر أن خذه ، لكنك ألهمت الضمير بعكس أمرك هذا .
 - لقد كان أمرك للأذن أن إمض واقبضه ، لكنك نهيت اللب عن القسوة . " 1 "
 - والرحمة سبقت الغضب وغلبته ، يا بديع الأفعال ، ويا أيها المحسن الرب .

إرسال عزرائيل ملك الحزم والعزم لحمل حفنة من التراب من أجل أن يسوى
 منها سبحانه وتعالى جسم آدم عليه السلام على وجه السرعة

1650 - قال الإله على وجه السرعة لعزرائيل ، أنظر ذلك التراب صاحب الخيال والأوهام .
 - والحق بتلك الضعيفة الظالمة العجوز ، واحضر إليّ سريعا قبضة من التراب
 - وذهب عزرائيل قائد القضاء نحو كرة التراب من أجل المطالبة والاقتضاء .
 - فبدأ التراب على عادته في الصراخ ، وأقسم عليه ، وأغلظ في الأيمان

(1) ج / 11 - 516 : - ورحمته بلا حد ولا نهاية ، إنه حكيم وكريم ورحيم .

- قائلاً : أيها العبد المقرب ، يا حمال العرش ، ويا مطاع الأمر في العرش والفرش .

1655 - إمض بحق حرمة الرحمن الفرد ، إمض بحق ذلك الذي تلطف معك .
 - بحق المليك الذي لا معبود سواه ، والذي لا ترد عنده ضراعة أحد . “ 1 “
 - قال : إنني لا أستطيع بهذا الرجاء والدعاء ، أن أعصى أمر السر والعلن .
 - قال “ التراب ” : إنه أمر بالحلم آخراً ، وكلاهما أمر ، فخذ الأمر بالحلم عن طريق العلم .
 - قال “ عزرائيل ” : هذا تأويل وقياس ، وعليك في الأمر الصريح أن تقلل البحث عن الغموض والالتباس .

1660 - ومن الأفضل لك أن تؤول ما يعن لك من فكر ، من أن تقوم بتأويل غير المتشابه هذا .
 - وإن قلبي ليشفق من ضراعتك ، ومن دمعك ، إمتلاً صدري دماً .
 - ولست خالياً من الرحمة ، بل إنني أكثر رحمة من أولئك الثلاثة على ألم الذي يعاني ويقاسى .
 - وبالرغم من أنني أقوم بصفع ذلك اليتيم ، وبالرغم من أن ذلك “ الرجل ” الحليم يعطيه الحلوى ، فإن هذه الصفعة ألد من تلك الحلوى ، وإن خدعته الحاوي ، فالويل له .

1665 - إن كبدي ليحترق شفقة وتأثراً بضراعتك ، لكن الحق لا يفتأ يعلمني اللطف .
 - وهناك لطفٌ خفي في أنواع القهر ، وهناك عقيق لا يقدر بثمن مخفي في الحدث .

.....
 (1) ج / 11 - 519 : - وبحق حق الحق أن ترفع يدك عني ، يا من لك من الحق فضائل بلا عدد .

- وقهر الحق أفضل من مائة حلم منى ، ومنع الروح عن الحق ، هو بمثابة نزع الروح .
- وأشد قهر منه أفضل من حلم الكونين ، فنعم رب العالمين ، ونعم العون .
- وهناك أطاف مضمرة في قهره ، وتسليم الروح من أجله ، يمد في العمر .

1670 - فهيا ، انتبه ، ودعك من سوء الظن والضلال ، واجعل الرأس قدما " ساعيا إليه " ما دام قد قال لك تعال .

- والاستدعاء منه يهب كثيرا من العلو والسمو ، إنه يهب النشوة والقرين والبسط والزرابي .
- وإنني لا أجرؤ على تجاهل هذا الأمر السني أو الاستهانة به ، أو أن أكون معوجا ضالا بشأنه .
- ولقد سمع التراب المسكين كل هذا ، لكن كان في أذنيه وقر ، من الظن السيء .
- ثم إن ذلك التراب أخذ يبيكي ويتضرع بطريقة أخرى ، ويسجد ويتمايل كأنه السكران .

1675 - قال : لا ، إنهض ، فلن يحقق بك ضرر من هذا الأمر ، وأنا ضامن لك هذا برأسي وروحي .

- لا تفكر عبثا ، ولا تتضرع ثانية ، اللهم إلا إلى ذلك الملك الرحيم العادل .
- إنني عبد للأمر ، ولا أجرؤ على مخالفة أمره ، ذلك الأمر الذي أثار الغبار من قلب البحر .
- ولا أسمع إلا من ذلك الخالق للسمع والبصر والعقل ، ولا أسمع - حتى من نفسي - إلى الخير والشر .
- إن أذني صماء إلا عن قوله ، وهو عندي أعز من الروح الحلوة .

1680 - فقد وهبت الروح منه ، ولم يوهب هو من الروح ، وهو يهب مئات الآلاف من الأرواح بالمجان .

- وماذا تكون الروح حتى أختارها على الكريم ؟ وماذا يكون البرغوث حتى أحرق من أجله الكليم ؟

- فأنا لا أعلم خيرا إلا خيره ، وأنا بدونه أصم وأبكم وأعمى .

- وأذني صماء عن أولئك الذين يستغيثون ، فأنا في كفه كأني السنان . “ 1 “

بيان أن المخلوق الذي يحيق بك ظلم منه هو في الحقيقة كالآلة ، والعارف هو الذي يرجع إلى الحق لا إلى الآلة ،

وإذا رجع إلى الآلة فذلك في الظاهر فحسب ، ومن أجل مصلحة ،

كما قال أبو اليزيد : لي سنوات لم أتحدث مع مخلوق ولم أسمع كلمة واحدة من مخلوق ،

لكن الخلق يحسبون أنني أتحدث معهم وأسمع منهم ، لأنهم لا يرون المخاطب الأكبر ،

فهم عند حالي بالنسبة له كالصدى ،

ولا يهتم المستمع العاقل بالصدى . كما يقول المثل المعروف قال الجدار للوتد لم تشقني ،

قال الوتد : أنظر إلى من يدقني

- لا تطلب الرحمة بحمق من السنان ، بل أطلبها من ذلك المليك الذي يكون السنان في يده . “ 2 “

1685 - فما بالك تتضرع إلى السنان والسيف ، مع أنه أسيّر في يد ذلك السني

- إنه " أزر " في صنعته وأنا الصنم ، والآلة التي يجعلني إياها أكون إياها .

- فإن جعلني كأسا ، أكون كأسا ، وإن صنع مني خنجرا أصير خنجرا .

- وإن جعلني نبعا فإنني أفيض بالماء ، وإن جعلني نارا ، أهب الدفء .

- وإن جعلني مطرا أهب البيادر ، وإن جعلني سنانا أنفذ في الأجساد .

.....

(1) ج / 11 - 520 : الشطرة الثانية : وأمضي إلى فم الأفعى من أجله .

(2) ج / 11 - 520 : - لا تطلب الرحمة من حد السياف ، بل من الملك الذي هو له في يده

كالصولجان .

1690 - وإن جعلني حية أنفث السم ، وإن جعلني عونا وسندا أقوم بالخدمة . “ 1 “
 - إنني كالقلم بين الإصبعين ، ولست بالمتوسط في صف الطاعة .
 - ولقد شغل التراب بالكلام - ثم اختطف قبضة من ذلك التراب القديم .
 - لقد اختطفها بسحر من موطن التراب ، والتراب يهذى بالكلام كمن فقدوا الوعي .
 - وحمل حتى حضرة الحق التراب الذي لا إرادة له ، حمله كما يحمل الطفل الهارب من المكتب .

1695 - قال الله سبحانه وتالي : بحق علمي المطلق ، لأجعلن منك جلادا لهؤلاء الخلق .
 - قال : يا رب ، إن القوم سوف يعادونني ، عندما أخذ بخلوقهم عند الموت .
 - فهل ترضى أيها الإله السني ، أن تجعلني عدوا مبغوضا كرية الوجه ؟
 - قال : بل لأجعلن " للموت " أسبابا ظاهرة للعيان ، من الحمى والقولنج والدوار و " طعان " السنان . “ 2 “
 - حتى أحول أنظارهم عنك ، إلى الأمراض والأسباب والعلل المتداخلة .

1700 - قال : يا رب ، هناك أيضا من العباد ، من يمزقون حجب الأسباب أيها العزيز .
 - تتجاوز عيونهم الأسباب وتتجاوز الحجب من فضل الرب .

-
- (1) ج / 11 - 526 : - وإن جعلني سكرا ، أصبح حلوا ، وإن جعلني حنظلا أمتليء حقدا . -
 وإن جعلني شيطانا أعصى وأتمرّد ، وإن جعلني محرقا أصبح نارا .
 (2) ج / 11 - 527 : - ومن الصداع والورم الدموي والخناق ، والزكام والجذام والفواق . -
 والسدة والديدان والاستسقاء والسل ، وكسر ذات الصدر واللدغ ووجع القلب .

- ومن وجد كحل التوحيد من كحال الحال ، فقد خلص " من التفكير " في العلة والاعتلال .
- فهم لا ينظرون إلى الحمى والقولنج والسل ، ولا يتركون سبيلا لهذه الأسباب إلى قلوبهم .
- ذلك أن لكل واحد من هذه الأمراض دواء ، وعندما لا يقبل المرض الدواء ، فالفعل إذن هو فعل القضاء .

- 1705 -** فاعلم يقينا أن لكل داء دواء ، مثلما يكون علاج البرد بلبس الفراء .
- وعندما يريد الله لأمريء أن يتجمد من البرد ، فإن البرد ينفذ حتى من مائة فراء .
 - ويضع في جسده رعدة ، لا تذهب عنه بثوب أو بدار .
 - وعندما يحم القضاء ، يصبح الطبيب أبله لا يعي شيئا ، بل ويضل ذلك الدواء طريق النفع .
 - بحيث يصبح إدراك البصير محجوبا ، عن هذه الأسباب التي هي خداعٌ للأبله .

1710 - وإن العين ترى الأصل عندما تكون كاملة ، وعندما يكون المرء أحول لا يرى إلا الفروع .

جواب الله على عزرائيل : إن من لا وجه نظره إلى الأسباب والأمراض والطعن بالسيف فإنه لا يقع عليك أيضا ، لأنك سبب مهما كنت أخفى من تلك الأسباب ، وربما يكون خفيا على المريض لقوله تعالى : وهو أقرب إليكم ولكن لا تبصرون “ 1 “

- قال الله : ذلك الذي يكون عالما بالأصل ، متى يراك إذن بيننا ؟

(1) هكذا في النص ، والآية الكريمة هي : وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ . الواقعة / 85 .

- وبالرغم من أنك أخفيت نفسك عن العوام ، فإنك أمام المستنيرين " مجرد " حجاب و " سبب "

- وأولئك الذين يكون الأجل بالنسبة لهم كالسكر ، ما دامت أنظارهم نشوى بأنواع الإقبال .
- لا يكون موت الجسد بالنسبة لهم أمرا مرا ، فإنهم يمضون من الحب والسجن إلى البساتين والرياض .

1715 - لقد نجوا من الدنيا المليئة بالالتواء والضلال ، ولا يبكي أحد على فوات هباء الهباء .
- فلو أن نقابا حطم برج السجن وهدمه ، لا يضيق بذلك أبدا قلب السجين .
- ولا يتحسر قائلا : وا أسفاه ، لقد حطم هذا الحجر المرمري ، بحيث نجت نفوسنا وأرواحنا .
- ذلك الرخام الجميل وذلك الحجر الأصيل ، كان بهيا بالنسبة لبرج السجن منسجما معه .
- فكيف حطمه حتى نجا السجين ؟ ينبغي أن تقطع يده في هذا الجرم .

1720 - ولا يوجد سجين قط يتحدث بهذا الهراء ، اللهم إلا ذلك الذي يؤخذ من السجن إلى المشنقة .

- ومتى يكون مرا على الإنسان ، أن يُحمل من " موطن " سم الأفاعي إلى الشهد والسكر ؟
- لقد صارت الروح مجردة عن ضجة الجسد وضوضائه ، إنها تحلق بجناح القلب ، لأقدم الجسد .
- مثل ذلك السجين في الحب ، الذي يقضى الليالي " الطوال " راقدا يحلم بالرياض والبساتين .

- إنه لا يفتأ يقول : إلهي ، لا ترجع روحي إلى الجسد ، حتى أصول وأجول في هذه الروضة .

1725 - فيقول الله له : لقد استجيبت دعوتك ، لا تعد ، والله أعلم بالصواب
- فانظر إلى هذا الحلم كيف يكون حلوا ، أن يدخل المرء الجنة دون أن يذوق الموت .
- إنه لا يتحسر أبدا على اليقظة ، وعلى الجسد المقيد بالأغلال في قاع الجب .
- فادخل آخرا أيها المؤمن في المعمة ، فإن هناك فوق السماوات حفلا مقاما من أجلك .
- وقم آملا في الطريق الأسمى ، " قيام " الشمع أمام المحراب ، أيها الغلام .

1730 - وداوم على ذرف الدمع والاحتراق في الطلب ، مثل الشمع مجزوز الرأس ، طوال الليل .

- وأضمم شفتيك عن الطعام والشراب ، واسرع نحو المائدة السماوية .
- وليكن ذلك الرجاء في السماء لحظة بعد لحظة ، " ولتكن " راقصا في هوى السماء كأشجار الصفصاف .
- فإن الماء والنار يأتياك لحظة بلحظة من السماء ، فيزداد رزقك .
- وإذا حملك إلى هناك بعدها فلا عجب ، ولا تنتظر إلى العجز ، وانظر إلى الطلب .

1735 - وهذا الطلب منك وديعة من الله ، لأن كل طالب جدير بما يطلب .
- وجاهد حتى يزيد - سبحانه وتعالى - في هذا الطلب ، حتى يخرج قلبك من جب الجسد .

- ويقول الخلق : لقد مات فلان . . ذلك المسكين ، وتقول أنت : بل أنا حي أيها الغافلين .
- وإذا كان جسدي قد ثوى كما تثوى الأجساد ، فإن الجنان الثمانية قد تفتحت في قلبي .
- وإذا كانت الروح قد استقرت بين الورد والنسرين ، فأني بأس وحزن أن يكون الجسد في ذلك البعر ؟

- 1740 -** وأي خبر للروح الآمنة عن الجسد ، سواء كان في روضة أو مستودع قمامة .
- ما دامت الروح في العالم السماوي تصيح : يا ليت قومي يعلمون .
 - وإذا كانت الروح لن تعيش دون هذا البدن ، فايوان من إذن سوف يكون الفلك ؟
 - وإذا كانت الروح سوف تعيش بدون البدن ، فرزق من إذن سيكون مصداقا لوفي السماء رزقكم؟

في بيان وخامة دسم الدنيا وحلوها ، ومنعه لطعام الله الوارد في
[الجوع طعام الله يحيي به أبدان الصديقين]
أي أن في الجوع طعام الله ، وقوله عليه السلام
[أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني] وقوله تعالى يُرزقون فرحين

- عندما تتخلص من فتات هذا الطعام الدنس ، فإنك تحصل على الدسم والقوت الشريف .
- 1745 -** ذلك الذي إن أكلت من دسمه آلاف الأبطال ، فإنك تمضي خفيفا طاهرا كأنك الملاك .
- فلا هو يصيبك باحتباس الرياح أو القولنج ، ولا هو يؤدي بك إلى قعود " بألم " المعدة .

- وإنك إن أكلت " هنا " قليلا ، تظل جائعا كالزراغ ، وإن أكلت حتى امتلأت ، يأخذ التجشؤ بمجامع أنفك .
- فقلة الطعام تؤدي إلى ضيق الخلق واليبوسة والسل ، والشره إلى الطعام يؤدي إلى تخمة الجسد .
- ومن طعام الله والقوت المستساغ الهنيء ، صر كالسفينة ، طافيا على مثل هذا البحر .

- 1750 -** وكن في الصوم صبورا صامدا ، منتظرا لحظة بعد أخرى قوت الله .
- فإن ذلك الإله الحكيم حسن الفعال ، يعطي الكثير من الهدايا في الانتظار .
 - والرجل الشبع لا ينتظر الخبز ، وهل يأتي قوته سريعا أو بطيئا متأخرا .
 - لكن فاقد الزاد يقول في كل لحظة : أين ؟ وهو منتظر في جوعه في كد ونصب .
 - وعندما لا تكون منتظرا لا يأتينك ذلك النوال من الدولة ذات السبعين ضعفا .

- 1755 -** فالانتظار الانتظار أيها الأب ، من أجل المائدة العلوية كما يفعل الرجال
- وكل جائع قد وجد قوتا في نهاية الأمر ، وسطعت عليه شمس دولة ما .
 - والضيف صاحب الهمة عندما يقلل في شرب الحساء ، يحضر له صاحب المائدة طعاما أفضل .
 - اللهم إلا إذا كان صاحب المائدة فقيراً بخيلا ، فكفاك سوء ظن بالرزاق الكريم .

- واشمخ برأسك مثل جبل ، أيها " السيد " السند ، حتى يسطع عليك أول شعاع من الشمس .

1760 - فإن قمة الجبل العالي المستقر ، هي التي تنتظر الشمس في أول سطوعها .

**الجواب على ذلك المغفل الذي قال : ما أحلى هذه الدنيا لو لم يكن موت
وما أحلى ملكها لو لم يكن إلى زوال . وعلى هذه الوتيرة من " الفشارات "**

- كان أحدهم يقول : ما أحلى الدنيا ، إن لم يخطُ فيها الموت بقدميه .

- فقال آخر : إن لم يكن موت ، لما ساوت هذه الدنيا المليئة بالضلال قشة واحدة .

- وكأن بيدرا قد بُسط في واد ، وترك مهملا ، لم يُدرس ، ولم يُدق .

- ولقد اعتبرت الموت حياة ، وألقيت بالبذور في الأرض البور .

1765 - والعقل الكاذب يرى الأمور على عكسها ، ويرى الحياة موتا أيها الظالم .

- فيا أيها الإله ، فلتبدلنا الأشياء على حقيقتها في دار الخداع .

- ولا يوجد ميت قط يتحسر بسبب الموت ، إنما تكون حسرته دائما من قلة زاده .

- وإلا فإنه قد انتقل من بئر إلى خلاء ، بين ألوان الإقبال والمتعة والسعة .

- ومن موضع المأتم هذا والمقام الضيق ، قد نقل إلى الخلاء الواسع

1770 - ومقعد الصدق لا إيوان الباطل ، وخمر الخواص ، لا السكر من المخيض .

- لقد صار في مقعد الصدق وجليسا للحق ، ونجا من معبد نار الجسد هذا .
- فإن لم تكن قد عشت حياة مضيئة ، فقد بقيت فيها لحظة أو لحظتين ، فمت كالرجال .

فيما يرجى من رحمة الله تعالى ، معطي النعم قبل استحقاقها وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ورب بعد يورث قربا ، ورب معصية ميمونة ورب سعادة تأتي من حيث يرجى النقم ،
ليعلم أن الله يبدل سيئاتهم حسنات

- جاء في الحديث أنه في يوم القيامة ، يأتي الأمر لكل جسد أن : إنهض " من جدتك " .
- ونفخ الصور أمر من الإله الطاهر ، معناه : أطلوا برؤوسكم أيها الخلائق من التراب .

1775 - وتعود روح كل امرئ إلى بدنه ، تماما كما يحدث في الصباح عندما يعود الوعي إلى البدن .

- وتعرف الروح جسدها عندما يطلع النهار ، وتعود إلى خرائبها كما تعود الكنوز .
- إنها تعرف جسدها وتحل فيه ، فمتى تذهب روح الصائغ نحو جسد الخياط ؟
- وروح العالم تمضي صوب العالم ، كما تسعى روح الظالم نحو الظالم .
- فقد علمها كلها علم الإله ، كما يميز - عند الصباح - الحمل من الشاة .

1780 - والقدم تعرف نعلها في الظلام ، فكيف لا تعرف الروح جسدها أيها الصنم .

- والصبح هو الحشر الصغير أيها المستجير ، وقس عليه إذن الحشر الكبير .
- وكما تطير الروح " عائدة " نحو الطين ، تحلق الكتب ذات اليسار وذات اليمين .
- ويوضع في كف " المرء " كتب البخل والجود ، وكتب الفسق والتقوى ، ما كان قد إعتاد عليه .
- وعندما يستيقظ من النوم عند السحر ، يرجع إليه ، ذلك الخير وذلك الشر .

- 1785 -** فإذا كان قد عود خصاله على الرياضة ، فهي ما يأتي أمامه أو ان يقظته .
- وإذا كان بالأمس غفلا قبيحا في ضلال ، فإنه يجد كتاب العزاء الأسود في الشمال .
 - وإذا كان بالأمس طاهرا تقيا ذا دين ، فإنه عند اليقظة يظفر بالدر الثمين .
 - فإن منامنا ويقظتنا شاهدان على صفة موتنا وحشرنا .
 - ولقد أبدى الحشر الأصغر الحشر الأكبر ، وفسر الموت الأصغر الموت الأكبر .
- 1790 -** الكتاب هنا خفي و " مجرد " خيال ، ويصير ذلك الكتاب في الحشر عيانا بيانا .
- فهذا الخيال هنا خفي واضح الأثر ، ومن هذا الخيال تنبت هناك الصور .

- فانظر ، إن صورة الدار تكون في قلب المهندس ، كأنها بذرة في باطن التراب
- ثم تأتي تلك الصورة من الباطن إلى الظاهر ، كالأرض التي تلد من البذر المدفون .
- وكل خيال يجعل من القلب موطننا ، سوف يتصور في يوم الحشر

1795 - مثل الخيال الموجود عند ذلك المهندس في الضمير ، وكالنبات في الأرض القابلة للبذر .

- إن ما أهدف إليه من الحديث عن هذين المحشرين موضوعا ما ، يكون في بيانه حصة للمؤمنين .

- وعندما تسطع شمس القيامة ، ينسلون من الأجداث سراعا ، الصالحون والطالحون .
- ويمضون ساعين نحو ديوان القضاء ، ويدخل النقد الصحيح والنقد الزائف إلى الكير .
- ويصبح النقد الصحيح الطيب سعيدا مكرما ، أما النقد الزائف ، فيصير في عذاب وذوبان .

1800 - وتصل ألوان الامتحان لحظة بعد أخرى ، وتبدو أسرار القلوب في الأجساد .

- مثلما صار ظاهرا من القنديل الماء والزيت ، أو كالتراب الذي ينبت " ما دفن فيه " من أسرار .

- وإن يد الربيع لتبدى ما غرس في الشتاء ، من بصل وكراث وخس .
- فتمة ما يكون مخضرا نضرا سعيدا من (نحن المتقون) ، وآخر كالبنفسج ناكس الرأس .

- لقد جحظت العيون من " شدة " الخطر ، وصار المطمئن شديد القلق " 1 " من الخوف المستقر .

1805 - وثمة عيون قد كلت من الانتظار ، خوفا من تأتيها الكتب من الشمال .
 - فالعيون دائرة ذات اليمين وذات اليسار ، ذلك أن قدوم الكتاب باليمين ليس بالأمر السهل .
 - وثمة كتاب يأتي إلى أحد العباد ، أسود بأجمعه ، محشو بالفسق والفساد .
 - ليس فيه حسنة واحدة أو عمل واحد موفق ، ليس فيه إلا ما يؤذى قلب الصديق .
 - إنه مليء بالقبح والذنوب من بدايته إلى نهايته ، والسخرية والتصفيق استهزاء من أهل الطريق .

1810 - إنه مليء بسرقات ذاك وأنواع إحتياله ومكره ، ويقول هذا كالفراعين " أنا " و " إنا " .
 - وعندما يقرأ ذلك المثقل " بالذنوب " كتابه ، يعلم أن مآله هو الرحيل إلى السجن .
 - ثم يمضي إلى المشنقة كأنه اللصوص ، فجرمه ظاهر ، وقد سد طريق الاعتذار .
 - وتلك الآلاف من الأعذار والحجج والأقوال المشينة ، صارت سدا لقمه كأنها مسمار السوء .

(1) حرفيا : ذا عشرة عيون .

- فالمتاع المسروق موجود على جسده وفي داره ، وقد كشف أمره ، وضاعت أسطوره .

1815 - ثم يمضي سائرا نحو سجن السعير ، فالشوك لا محيص له من النار .
- وهؤلاء الملائكة الموكلون من قدام ووراء ، كانوا في الدنيا مستورين ، فصاروا ظاهرين كالعسس .

- إنهم يحملونه ويخزونه بالمناخس قائلين : فلتمض أيها الكلب نحو حظائك " الجديدة بك " .
- وهو يجر قدمه في بداية كل طريق ، ربما ينجو من ذلك الجب " السحيق " .
- ويقف منتظرا ، مستسلما ، ويتلفت حوله ، وينظر خلفه آملا .

1820 - ويذرف الدمع " الهتون " كأقطار الخريف ، وأمله واه الأساس ، وماذا لديه سواه ؟
- يتلفت كل لحظة بوجهه ، ويتوجه نحو العتبة المقدسة .
- فيأتي الأمر من الحق من إقليم النور ، أن قولوا له : أيها الفاسد العاري " من كل فضل " .
- ماذا تنتظر يا معدن الشر ؟ وما التفاتك يا دائر الرأس .
- إن كتابك هو الذي جاء في يدك ، يا من قدمت الأذى لله والعبادة للشيطان

1825 - وما دمت قد رأيت كتاب أعمالك ، فإلى أي شيء تنظر ؟ أنظر إذن إلى جزاء عملك ! ! .

- ولماذا تتلكأ عبثا ؟ وفي هذه الحفرة من الجحيم ، أي أمل في شعاع نور ؟ !

- فإنك لم تقدم في ظاهر الأمر طاعة واحدة ، وليس لديك في باطنك نية " لفعل حسنة واحدة " .
- ولا أنت قدمت في الليل المناجاة والقيام ، ولا كان لك في النهار تقى أو صيام .
- ولا أنت حفظت اللسان عن إيذاء الناس ، ولا كان لك نظراً باعتبار إلى ما هو قدامك وخلفك .

1830 - وما هو ذكرك لما هو قدامك ؟ إنه ذكرك لموتك ونزعك ، وما هو ذكرك لما هو خلفك ؟ إنه موت الرفاق من قبلك .

- ولا كان لك عن الظلم توبة " تجأر " فيها بالضراعة ، أيها الغشاش المحتال ، يا من تعرض القمح وتبيع الشعير .

- وما دام ميزانك أنت كان مزيفاً معوجاً ، فأى استقامة تطلبها من ميزان الجزاء ؟ !
- وما دمت قد سعت بشمالك في الغدر والخسران ، كيف يأتيك الكتاب إذن في يمينك ؟ !
- ولما كان الجزاء بمثابة الظل يا محني القوام ، فإن ظلك يسقط أيضاً منحنيًا أمامك .

1835 - وعلى هذا المنوال يسمع موجه القول ، والذي منه يقصم ظهر الجبل .

- ويقول العبد : إن ما تفضلت به من بيان ، أنا " من السوء " مائة ضعف له ، مائة ضعف ، مائة ضعف .

- وأنت نفسك قد سترت ما هو أسوأ بحلمك ، وإلا فإنك تعلم فضائحي بعلمك .

- لكن خارج جهادي وخارج فعلي ، ومن وراء الخير والشر والكفر والدين ،
- " وخارج " ضراعتي بعجز ، وما لا يدور في خيالي ووهمي أو وهم مائة مثلي ،

1840 - كنت راجيا في محض لطفك ، بصرف النظر عن إستقامتى أو عتوى .
- " كنت أرجو " عطاء محضا من اللطف الذي لا يعوضه " لطف " ، كنت آملا فيك يا مكرما
بلا غرض .

- ولقد التقت أنا إلى ذلك الكرم المحض ، وأنا لم ألتفت نحو " ما قدمت " من عمل .
- لقد التفت بوجهي نحو ذلك الرجاء الذي وهبني الوجود من قبل القبل .
- ووهبني خلعة الوجود بلا مقابل منى ، وكنت دائما معتمدا على ذلك .

1845 - وعندما يعدد ذنوبه وأخطائه ، فإن ذلك العطاء المحض يبدأ في العطاء .
- قائلا : أيها الملائكة ، ردوه إلينا ، فإن عين قلبه كانت على الرجاء .
- ولننجه دون مبالاة منا ، " ولنتجاهل " كل هذه الخطايا ، ولنشطب عليها .
- فإن عدم المحاسبة إنما يباح لمن لا يصيبه نفع أو ضرر من الغدر أو من الصلاح .
- ولنشعل نارا طيبة من كرمنا ، بحيث لا تبقى زلة أو ذنب ، قلا أو كثيرا .

1850 - نارا من أقل شرر منها ، يحترق الذنب ، ويحترق الجبر والاختيار

- ولنضرم نارا في الأصل البشرى الإنساني ، ولنحول الشوك إلى روضة من رياض الروح .
 - فنحن من الفلك التاسع قد أرسلنا كيمياء " تبديل " ، فحواها يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ.
 - وأمام النور المستقر ، ماذا يكون في حد ذاته ، كر إختيار أبي البشر وفره .
 - وقطعة من اللحم أداة للحديث عنده ، وقطعة من الشحم موضع البصر فيه
- 1855 -** وموضع السمع فيه قطعتان من العظام ، وموضع إدراكه قطرتان من الدم ، أي القلب .
- إنه مجرد دودة صغيرة مليئة بالأقذار ، لكنه ملأ الدنيا بالضجيج والصخب
 - لقد كنت نطفة من مني " يمني " ، فاترك قولك " أنا " ، وتذكر يا إياز ذلك الرداء الجلدي .

[حكاية إياز]

قصة إياز وامتلاكه لحجرة ليحتفظ فيها بحذائه القديم وسترة الرعي الخاصة به ، وظن الحاشية أن له فيها كنزا مدفونا ، وذلك لإحكامه غلق الباب وثقل القفل

- لقد دفع ذكاء إياز إياه " على الاحتفاظ " بحذائه وسترته الجلدية " معلقين " على جدار .
 - كان يمضى كل يوم إلى حجرة منزوية ، قائلا لنفسه : هذا حذاؤك القديم ، فلا تغتر .
- 1860 -** فقالوا للملك : إن له حجرة " خبأ " فيها الذهب والفضة ، ودفن فيها الجرار .
- وهو لا يسمح لأحد بدخولها ، كما أنه يغلق بابها على الدوام .

- وقال الملك : عجباً لهذا الغلام ، ما الذي يخفيه عنا ويستتره علينا ؟ !
- ثم أمر أحد الأمراء قائلاً : إمض في منتصف الليل ، فافتح تلك الحجرة ، وادخلها ،
- وكل ما تجده فيها ، إنهبه ، وافش سره للندمان .

1865 - فهو مع مثل هذا اللطف والإكرام الذي لا حد له ، يخفي الفضة والذهب من لؤمه " وخسته " .

- ويظهر الوفاء والعشق والوجد ، في حين أنه يعرض القمح ويبيع الشعير .
- وكل من يجد الحياة في العشق ، يكون كل ما سوى العبودية ، كفراً عنده .
- وفي منتصف الليل تشاور ذلك الأمير مع ثلاثين من خاصته في فتح حجرة إياز .
- وحمل عدد من المقاتلين المشاعل ، ومضوا نحو الحجرة فرحين .

- 1870 -** قائلين : إن أمر السلطان هو أن نسطو على الحجرة ، ويحمل كل منا كيساً من الذهب .
- فكان أحدهم يقول : ها ، أي ذهب تقصد ؟ تحدث عن العقيق والياقوت والجواهر .
 - إنه كبير خواص خزانة السلطان ، بل إنه بمثابة الروح بالنسبة للملك .
 - فأية قيمة عند ذلك المحظي المقرب للمرجان والياقوت والزمرد والعقيق ؟ !
 - لم يكن الملك يسيء الظن به ، لكنه كان يسخر ويهزأ ليمتحن " الأمراء " .

1875 - لقد كان يعرف أنه برئ من الغل والغش ، لكنه كان مرتعد القلب من ظنه أيضاً .

- قائلًا : ربما كان الأمر كذلك - لا قدر الله - ويتألم ، وأنا لا أريده أن يشعر بالخجل .
- إنه لم يفعل هذا ، وجائز له إن فعل ، قل له : إفعل ما تريد ، إنه محبوبنا .
- وكل ما يفعله محبوبي ، فقد فعلته أنا ، فهو أنا وأنا هو ، بالرغم من أنني محبوب عنه .
- ثم عاد يقول : إنه بعيد عن هذه الطباع والخصال، ما هذا الخلط ؟ بل ما هذا الهذيان والخيال؟!

- 1880 -** إن هذا في حد ذاته يستبعد عن إياز ، بل هو محال ، إنه بحرٌ لا يسبر غوره .
- بل إن البحار السبعة قطرة واحدة منه ، وكل الوجود رشحة من موجه .
 - وكل أنواع الطهر تُؤخذ من هذا البحر ، بل إن قطراته قطرة قطرة تقوم بكيمياء " التبديل .
 - إنه ملك الملوك ، بل هو صانع الملوك ، وسمي " إياز " دفعا للحسد .
 - بل إن العيون الطيبة لتحسده بدورها ، غيرة منه ، فإن حسنه بلا حد .

- 1885 -** إنني أريد فما في سعة الفلك ، حتى أصف ذلك الذي يزرى بالملك
- ولو أجد فما قدر هذا الذي أطلبه بل مائة ضعف ، فإن ما أحس به من حنين ، يضيق به الصراخ .
 - ولو لم أقل هذا القدر أيضا أيها السند ، فإن زجاجة القلب تنكسر من الضعف .

- ولما رأيت زجاجة القلب رقيقة " هشة " ، لكي أسكن " ما بي " مزقت كثيرا من الأقبية .
- وأنا - أيها المحبوب - ينبغي على أن أجن بلا جدال ، ثلاثة أيام على رأس كل شهر .

1890 - فانتبه ، هذا هو اليوم الأول ، إنه يوم النصر ، لا يوم الفيروز
- وكل قلب يحتوى على حزن الملوك ، تكون كل لحظة كأول الشهر بالنسبة له .
- وما دمت قد صرت مجنونا ، فإن قصة محمود وأوصاف إياز ، قد خرجت الآن عن إيقاع
اللحن .

بيان أن ما نذكره هنا هو مجرد صورة القصة لكي تكون مناسبة لمن يأخذون بالصورة وجديرة
بمرآة تصويرهم ، ومن القدسية التي هي حقيقة هذه القصة يخجل النطق من مجرد التفوه بها ،
ومن الخجل يضل الرأس واللحية والقلم والعقل تكفيه الإشارة

- ذلك أن فيل " روي " رأى هند " الجنان " في الحلم ، فاقطع الأمل إذن في الخراج ، فقد
خربت القرية .
- " كيف يأتي النظم لي والقافية ، بعد ما ضاعت أصول العافية

- 1895 -** ما جنون واحد لي في الشجون ، بل جنون في جنون في جنون - ذاب جسمي من إشارات الكنى ، منذ عانيت البقاء في الفنا " 1 “
- يا إياز ، لقد صرت من عشقك " في نحول " الشعرة ، وعجزت عن إتمام قصتك ، فحدثنا أنت بها .
- ولطالما قرأت أسطورة عشقك بالروح ، ، فاقر أنني أنت إذن ، فقد صرت أسطورة .
- إنك أنت الذي تقرأ لا أنا أيها المقتدى ، إنني الطور وأنت موسى ، وهذا هو الصدى .
- 1900 -** وأي علم للجبل المسكين بالكلام والحديث ، إن موسى يعلم أن الجبل خال " من الفكر والقول " .
- إن الجبل يعلم ، لكن ما أتيح له من علم ، والجسد " يستمد " قليلا من لطف الروح .
- والجسد قد خلق كالإصطرلاب من أجل الحساب ، وهو آية من الروح التي هي كالشمس الساطعة .
- ولأن ذلك المنجم ليس حاد البصر ، يشترط أن يكون هناك رجل يصنع له الإصطرلاب .
- وذلك حتى يصنع الإصطرلاب من أجله ، وحتى يفهم شيئا عن حالة الشمس .
-
- (1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

1905 - والروح التي تبحث عن الصواب عن طريق الإصطرلاب ، أي قدر تعرفه عن حالة الفلك والشمس ؟

- وأنت تنظر إذن بعين الإصطرلاب ، فأنت في رؤيتك للعالم قاصر جدا على وجه اليقين .
- لقد رأيت الدنيا بقدر رؤيتك ، فأين الدنيا إذن ؟ لماذا تتحسس شاربك " كبرياء " ؟
- وإن للعارفين كحلا " يجلي البصر " فابحث عنه ، حتى تصير كالبحر هذه العين التي تشبه الجدول .

- ولو كان معي ذرة من العقل والوعي ، أي هوس هذا وتجديف في القول ؟

1910 - وبما أن رأسي قد خلت من الوعي والذكاء ، فأني ذنب لي في هذا الخلط في الكلام ؟

- إن الذنب ذنبه هو ، ذنب من سلبني العقل ، وقد مانت أمامه عقول كل العقلاء .

- " يا مجير العقل فتان الحجي ، ما سواك للعقول مرتجي

- ما اشتبهت العقل مذ جنتني ، ما حسدت الحسن مذ زيننتي

- هل جنوني في هواك مستطاب ، قل : بلى ، والله يجزيك الصواب " " 1 “

1915 - فسواء تحدث هو بالفارسية أو بالعربية ، أي أذن وأي لب يستطيعان فهم أعماقه ؟

- وليست خمره جديرة بكل وعي ، وحلقته ليست مبدولة لكل أذن .

.....
(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- ها أنا قد جننت مرة ثانية كالمجنون ، هيا إمض ، إمض أيها الحبيب ، وهات القيد سريعا .
 - وفيما عدا ذلك القيد الذي هو من جدائل حبيبي ، إن جئتني بمائتي قيد ، فإني أحطمها تحطيمًا .
- “ 1 “

حكمة النظر في الحذاء القديم والسترة الجلدية مصداقا لقوله تعالى فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

- عد بنا مرة أخرى إلى قصة عشق إياز ، فهي كنز مليء بالأسرار .
- 1920 -** لقد كان كل يوم يذهب إلى الغرفة العليا ، كي يشاهد الحذاء القديم والسترة الجلدية .
- وذلك أن وجود " النعمة " يحدث سكرًا شديداً ، ويسلب العقل من الرأس والحياء من القلب .
- ونفس سكر الوجود هذا قد قطع لطريق من مترصده على مئات الآلاف من القرون السابقة .
- لقد صار عزازيل من هذا السكر إبليس ، واعترض قائلاً : لماذا يصبح آدم رئيساً على ؟
- إنني سيد وابن سيد أيضاً ، وجديرٌ بمائة فضل مستعد له .

- 1925 -** وليست بأقل من أحد في الفضل ، حتى أقف احتراما أمام العدو .
- لقد خلقت أنا من النار وخلق هو من الوحل ، وما قيمة الوحل إلى جوار النار ؟

(1) ج / 11 - 573 :

- إن على قدم قلبي قيذاً من العشق ، فبأي شيء يجديني هذا الوعظ والنصح ؟ .
- وقصة العشق لا مطلع لها ، وبالتالي لا مقطع لها أيضاً .

- وأين كان هو في ذلك الزمان الذي كنت أنا فيه صدرا للعالم وفخرا للزمن ؟ !

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ إِبْلِيسَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ

- لقد كانت نار روح السفية تلقي باللهب ، فقد كان ناريا ، والولد سر أبيه .
- لا ، لقد أخطأت ، بل كان غضب الله ، فلماذا تبحث عن العلل والأسباب ؟

1930 - إن الأمر الذي بلا علة مبرأ من العلل ، إنه مستقر ومتواصل منذ الأزل .

- وفي كمال الصنع المتواصل المستمر ، أي موضع للعلة الحادثة أو الحدث ؟

- وأي شيء يكون سر الأب هذا ، إن أبانا أيضا من صنعه ، إن الصنع لب ، والأب الصوري هو القشر .

- فاعلم أن العشق - يا هش القشر كالبنديق - هو رفيقك ، وروحك تبحث عن اللب ، وتدق القشر منك .

- وجهنمي ذلك الذي يكون القشر رفيقا له ، لقد أعطى جلده مصداقا لبذلناهم جلوداً .

1935 - والمعنى واللب فيك مسيطران على النار ، لكن قشورك حصب جهنم .

- والقدر الخشبي الذي يكون فيه ماء الجدول ، تكون قدرة النار كلها على ظاهره .

- لكن معنى الإنسان مسلط على النار ، إنه مالك خازن الجحيم ، فكيف يكون هالكا فيه ؟
- فلا تزدد إذن في البدن ، وزدد في المعنى ، حتى تصير سيدا على النار مثل مالك .
- وها أنت تقوم بزيادة القشر فوق القشر ، فلا جرم أنك كالقشر في دخان .

- 1940 -** ذلك أنه لا طعام للنيران إلا القشور ، وقهر الحق سالخ لجلد ذلك الكبرياء .
- وهذا الكبرياء نتيجة للقشور والجلد ، ومن هنا فالمال والجاه صديقان حميمان لذلك الكبرياء .
 - وما هو هذا الكبرياء ؟ إنه الغفلة عن اللباب ، إنه متجمد غافل غفلة الثلج عن الشمس " الساطعة " .
 - وعندما يأتيه علم بالشمس ، لا يبقى ثلجا ، يصير لنا حارا ويجد في السير .
 - وعندما يرى الجسد اللب يصير بجملته طامعا فيه ، ويصير ذليلا عاشقا ، إذ : ذل من طمع .

- 1945 -** وعندما لا يرى اللب يقنع بالقشر ، ويصبح قيد " عز من قنع " مطوقا إياه في سجنه .
- والعز هنا " بالدنيا " هو مجوسية وذل للدين ، وما لم يفن الحجر ، متى صار فصا ؟
 - أتقول " أنا " وأنت في مقام الحجرية لا تزال ، إن الأوان هو أوان تحولك إلى مسكين فان .
 - ومن هنا يبحث الكبرياء دائما عن الجاه والمال ، لأنه من كثرة " البعر " يكون الكمال لمستودع القمامة .

- فإن هاتين المرضعتين تربيانه ، وتحشوانه بالشحم واللحم والكبرياء والعنجهية .

1950 - ولم تمعنا النظر في لب اللب ، ومن ثم فقد ظننا القشر لباً .
 - لقد كان إبليس هو الإمام في هذا الطريق ، ، إذ سقط في شبكة الجاه .
 - فالمال كالحية ، والجاه ذاك أفعى ، وظل الرجال بمثابة الزمرد لهذين .
 - وذلك لأن الزمرد يقتلع عين الحية ، فتمعى ، ويجد السالك الطريق .
 - ولأن ذلك الرئيس قد وضع هذه الشوكة في الطريق ، فكل من جرح به ، قال : لعنة الله على إبليس .

1955 - يعنى أن هذا الحزن قد حاق بي من غدره وجحوده ، وذلك المقتدى سباق القدم في الغدر .

- ومن بعده ، جاءت القرون في أثر بعضها ، كلها قد سارت على نهجه ، واتبعت سنته .
 - وكل من يسن سنة سيئة أيها الفتى ، حتى يتخبط الخلق من بعده في العمى ،
 - فإن كل أوزارها تتجمع عليه ، فقد كان رأساً ، والباقون مجرد ذيول " له "
 - لكن آدم كان يضع أمامه ذلك الحذاء وتلك السترة ، قائلاً : إنني من طين .

1960 - مثل إياز ، كان حذاؤه مزاراً له ، فلا جرم أن صار محمود العاقبة .
 - إن الوجود المطلق إنما يقوم بكل أحواله في العدم ، وما هو موضع صنع " كن " إلا العدم ؟
 - وإن أحداً قط لا يكتب على ورقة مكتوبة ، كما أن أحداً لا يغرس غصناً فوق غصن مغروس .

- " فالكاتب " يبحث عن ورقة " بيضاء " لم يكتب عليها شئ ، و " الغارس " يغرس بذرته في موضع لا بذرة فيه .

- فكن أيها الأخ موضعا لم يغرس فيه أحد شيئا ، وكن ورقة بيضاء لم يكتب عليها شئ .

1965 - حتى تصبح مشرفا ب (نونوَالْقَلَم) ، حتى يلقي فيك بذرة ذو الجود والكرم .

- وخذ من هذا الفالودج الذي لم يلحق ، وتجاهل ذلك المطبخ الذي رأيت .

- ذلك أنه يوجد في ذلك الفالودج أنواع من السكر ، تذهب الحذاء القديم والسترة الجلدية من ذاكرتك .

- وعندما يحين النزع والموت تتأوه ، وتذكر آنذاك السترة والحذاء القديم .

- وما دمت غريقا في أمواج القبح ، حيث لا عون هناك من ظهير أو حميم .

1970 - ولا تذكر سفينة الصدق ، فإنك لا تنتظر في الحذاء القديم ولا في السترة الجلدية .

- وما دمت عاجزا غريقا في دوامة الفناء ، فإنك تجعل منظرنا أنفسناوردا على الولاء .

- ويقول الشيطان : انظروا إلى هذا الساذج ، واقطعوا رأس هذا الديك الذي يؤذن في غير وقت .

- وإن هذه الخصلة بعيدة عن فضائل إياز ، أن تبدو صلاته مجرد مظهر ولا صلاة فيها .

- فلقد كان ديكا للسماء من قبل ، وكان أذانه دائما في وقته .

في معنى [أرنا الأشياء كما هي]
ومعنى [لو كشف الغطاء ما ازدادت يقينا]
وقوله : في كل ما تنتظر إليه بعين السوء إنما تنتظر إليه من كوة وجودك
و " الدرجة العوجاء تلقي ظلا أعوج "

1975 - أيتها الديكة ، تعلمي الصباح منه ، فهو يصيح من أجل الحق ، لا من أجل دانق .
- إن الصبح الكاذب يأتي ولا يخدعه ، والصبح الكاذب هو الدنيا بخيرها وشرها .
- وأهل الدنيا أصحاب عقول ناقصة ، بحيث ظنوها صبحا صادقا .
- ولقد حطم الصبح الكاذب القوافل التي خرجت على أمل الصباح .
- فلا كان الصبح الكاذب مرشدا للخلق ، فلقد أذهب كثيرا من القوافل أدراج الرياح .

1980 - ويا من صرت رهنا للصبح الكاذب ، لا تقل عن الصبح الصادق أنه أيضا كاذب .
- فإن لم يكن عندك أمان من النفاق والسوء ، فمن أي شيء تظن برفيقك نفس الظن ؟
- وقبيح الفعل غالبا ما يكون سئ الظن ، إنه يقرأ في حق رفيقه كتابه هو .
- وأولئك الأخساء الذين ظلوا على ضلال ، سمو الأنبياء السحرة والضالين .
- وأولئك الأمراء الأخساء صناع الزيف ، ظنوا نفس الظن بالنسبة لحجرة إياز .

1985 - وأن له فيها دفيئة وكنزا ، فلا تنتظر إلى الآخرين من مرآة " نفسك

- كان الملك نفسه يعرف براءته وطهره ، وكان هذا البحث والتجسس من أجلهم هم .
- فأخذ يقول : أيها الأمير ، افتح باب تلك الحجرة في منتصف الليل ، عندما يكون غافلا عنها .
- حتى تظهر أنواع مكره ومن بعد ذلك علينا نحن عقابه .
- لقد وهبتكم أنا ذلك الذهب والجواهر ، ولا أريد من تلك الأموال إلا الخبر .

- 1990 -** لقد كان يقول ذلك القول وقلبه يخفق من أجل إياز الذي لا نظير له .
- وكان يتساءل بينه وبين نفسه : هل هو أنا الذي يقول هذا الكلام ؟ ! وإلام يصير حاله إذا سمع هذا الجفاء ؟
 - ثم يعود ويقول : بحق دينه ، إن ثباته ووقاره أعظم من أن ، - يتطير أو يضيق من قلبي القبيح ، أو يجهل الغرض الحقيقي من فعلي هذا .
 - وعندما يرى المبتلى تأويلات الألم ، يراه كسبا ، فمتى يصير ذاهلا منه ؟

- 1995 -** وصاحب التأويل والتفسير إياز الصابر ، الذي هو ناظرٌ إلى بحار العواقب ،
- مثل يوسف عليه السلام ، ورؤى صاحبي السجن ، تعبيرها أمامه واضح للعيان .
 - وإذا لم يدرك الرجل الصالح تفسير رؤياه ، متى يكون واقفا على أسرار رؤى الغير ؟ !
 - وإني إن ضربته مائة ضربة بالسيف على سبيل الامتحان ، فلن تضعف علاقة ذلك الشفوق الرحيم بي .

- إذ أنه يعلم أنني أضرب نفسي بهذا السيف ، إنني هو في الحقيقة ، وهو أنا .

بيان اتحاد العاشق والمعشوق على وجه الحقيقة بالرغم من أنهما متناقضان تناقض الاحتياج والاستغناء ، كالمرآة الخالية ولا صورة فيها ، وانعدام الصورة متناقض مع وجودها ، لكن بينهما اتحادا في الحقيقة يطول شرحه والعامل تكفيه الإشارة

2000 - اشتكى المجنون مرضا في جسده فجأة من جراء الفراق والهجر .

- لقد جاش دمه من لهيب الشوق ، فظهرت عليه أعراض مرض الخناق .

- وجاء الطبيب ليداويه ، فقال : لابد من فصده .

- ينبغي فصده من أجل دفع الدم ، واستدعى فصادا بارعا في صنعته .

- فربط ساعده ، وأمسك بمبضعه ، فصاح به على الفور ذلك العاشق بطبعه

2005 - وقال : خذ أجرك ، ودعك من الفصد ، وإذا مت ، قل للجسد الذي اهترأ : ألا فلتمض .

- فقال له : ما الذي تخشاه آخر الأمر من هذا ؟ إنك لا تخاف من أسد العرين .

- فالأسد والذئب والدب ، وكل حمار وحش ووحش ، قد تجمعت حولك طوافة بالليل .

- فهي لا تشم فيك رائحة بشر ، من فرط الوجد والعشق الذي أدمى كبذك .

- إن الذئب والدب والأسد تعلم ما هو العشق ، وأقل من كلب ذلك الذي لا يبصر العشق .

2010 - فإن لم يكن في الكلب عرق من العشق ، فمتى كان كلب أصحاب الكهف باحثا عن " أرباب " القلوب ؟

- وهناك كلاب كثيرة على شاكلته في هذه الدنيا ، وإن لم تتل شهرته .
- وإنك لم تفهم النزر اليسير عن قلب من هو من جنسك ، فمتى تعرف شيئا عن قلوب الذئاب والنعاج ؟

- فإن لم يكن عشق ، متى كان الوجود يصبح وجودا ؟ ومتى تبدل الخبز إلى وجودك أنت ؟
- فمن أين صار الخبز لك ؟ من العشق والاشتهاء ، وإلا متى كان للخبز طريق إلى الروح ؟

2015 - إن العشق هو الذي يجعل الخبز الميت روحا ، وهو الذي يجعل الروح الفانية خالدة .
- قال المجنون : إنني لا أخاف من الموضع ، بل إن صبري عليه أكثر من الجبل الراسخ .
- وأنا مشرد لا يستريح جسدي دون جراح ، إنني عاشق أحوم حول الجراح .
- لكن وجودي ممتليء بليلى ، وهذا الصدف مليء بصفات ذلك الدر .
- وأخاف أيها الفصاد إن قمت بفصدي ، أن يخز مبضعك ليلى فجأة .

2020 - ويعلم ذلك العاقل الذي نور قلبه ، أنه لا فرق هناك بيني وبين ليلى . “ 1 “

.....
(1) ج / 11 - 597 : - فمن أكون أنا ؟ أنا ليلى ، ومن ليلى ؟ هي أنا ، نحن روح واحدة سكنا بدنين .

سأل معشوق عاشقا : هل تحبني أكثر أو تحب نفسك ؟
 قال : لقد مت عن نفسي وصرت حيا بك وفنيت عن ذاتي وصفاتي وصرت موجودا بك ،
 ونسيت علمي وصرت عالما بعلمك ،
 ونسيت قدرتي وصرت قادرا بقدرتك ، فإن أحببت نفسي فكأنني أحبك ،
 وإن أحببتك فكأنني أحب نفسي :
 كل من تكون له مرآة اليقين * يكون ناظرا إلى الله وإن كان ناظرا إلى نفسه
 أخرج من صفاتك إلا خلقي ، من رآك رآني ، ومن قصدك قصدني ، وعلى هذا المنوال

- ذات صبح ، قال محبوب لمحبوبه على سبيل الاختبار ، قل لي يا فلان ابن فلان ،
 - هل تحبني أكثر أو تحب نفسك ، هيا قل لي يا ذا الكرب ؟
 - قال : لقد صرت فانيا فيك ، بحيث صرت ممثلا بك من الرأس إلى القدم ، - فلم يعد لي من
 وجودي إلا الاسم ، وليس في وجودي إلاك يا حسن الثغر

2025 - لقد فنيت بحيث صرت ك " قطرة " من خل ، ذائبا فيك أنت يا بحرا من عسل .
 - مثل حجر يصير بأجمعه ياقوتا خالصا ، إذ يمتليء هو بصفات الشمس .
 - ولا تبقى فيه صفات الحجر ، ويمتليء بصفات الشمس وجهها وظهرا .
 - ومن بعد ذلك إن أحب نفسه ، يكون حبه كله للشمس أيها الفتى .
 - وإن أحب الشمس بكل كيانه ووجدانه ، يكون حبه لنفسه دون " أدنى " شك .

2030 - سيان إذن حب ذلك الياقوت الخالص لنفسه ، وحبه للشمس .
 - وبين هذين الحبين لا فرق هناك يذكر ، فلا يوجد في كلا الجانبين إلا الضياء " النابع " من
 المشرق .

- إنه إن لم يصبر ياقوتا فهو عدو نفسه ، لا تكون هناك آنية واحدة ، بل آنيتان .
- ذلك أن الحجر ظللاني أعشى في ضوء النهار ، والظلماني في الحقيقة عدو للنور .
- وإنه إن أحب نفسه آنذاك يكون كافرا ، ذلك أنه يكون جاحدا للشمس الكبرى .

2035 - ومن ثم لا يليق بالحجر أن يقول أنا ، إنه ظللاني وفي معرض الفناء
 - فقد قال فرعون : أنا ربكم الأعلى وصار ذليلا ، وقال ابن منصور : أنا الحق فنجا .
 - فإن تلك ال " أنا " (من فرعون) قد استتبع لعنة الله ، أما هذه الأنا (من المنصور) فلها
 رحمة الله أيها المحب .
 - ذلك أن فرعون كان حجرا مظلما ، وكان " منصور " عقيقا ، كان ذاك عدوا للنور ، وكان هذا
 محبا عاشقا .
 - إن " أنا " المنصور هي " هو " في باطنها وحقيقتها أيها الفضولي ، إنها من اتحاد النور ، لا
 من الإعتقاد في الحلول .

2040 - فجاهد حتى تقل فيك طبيعة الحجر ، وحتى يصبح حجرك منورا ب " طبيعة " الياقوت .

- واصبر في الجهاد وفي الفناء ، وشاهد دائما البقاء في الفناء لحظة بعد أخرى .
- وكلما قل فيك وصف الحجرية ، ازداد فيك وصف الياقوتية ثباتا وإحكاما .
- يمضي وصف الوجود عن جسدك الفاني ، ويزداد وصف السكر في رأسك .

- فصر بأجمعك سمعا وكأنك أذن ، حتى تجد قرطا من حلقة الياقوت .

2045 - ومثل حفار الآبار ، دوام على إخراج التراب إن كنت إنسانا ، حتى تصل إلى الماء من ذلك الجسد الترابي .

- وإن جذبة الحق لو وصلت إلى الماء المعين ، لانبثق البئر من الأرض دون حفر .
- لكن داوم على العمل ، ولا تعول على هذا الأمر كثيرا ، وداوم على إخراج التراب قليلا قليلا من البئر .

- فقد وجد الكنز كل من تجشم المشاق ، وكل من جد ، أتاه الجد والإقبال .
- فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن الركوع والسجود ، هو دق لحلقة الوجود على باب الحق .

2050 - وكل من يقرع حلقة ذلك الباب ، ، يطل له الإقبال برأسه منه . “ 1 “

مجيء ذلك الأمير النمام مع القواد والعسكر في منتصف الليل لفتح حجرة إياز
ورؤيتهم للرداء الجلدي والحذاء القديم معلقين ،
وظنهم أن ذلك حيلة ومكر وتعمية ، وحفرهم لأرضية الحجرة في كل ركن يعن لهم ، وحفر
الحفر ونقب الجدران ، وعدم عثورهم على شيء ، وخجلهم وشعورهم بالخيبة ، كمن ساء
ظنهم وتوهموا ما ليس بكائن عن الأنبياء والأولياء ، إذ كانوا يقولون أنهم سحرة صنعوا
أنفسهم ، وتصوروا عليهم ، وبعد البحث والتفحص يخجلون ويندمون ،
حيث لا يجدى الخجل والندم

- لقد انطلق هؤلاء الأمناء " ! ! " إلى باب الحجرة ، طالبين للكنز والذهب والجرار المدفونة .

.....
(1) ج / 11 - 589 : - عد وأعد القول في قصته ، أقصد إياز ، وماذا جرى من أحواله .

- وبشغف شديد أخذ هؤلاء الأشخاص المعدودون يفتحون القفل ، وبمائتي علم وفن .
- ذلك أن القفل كان صعبا ، وكان لسانه ملتويا ، كان قد أحسن اختياره .
- ليس بخلا بالفضة والمال والذهب الخالص ، بل من أجل كتم السر عن العوام

2055 - " كان يقول لنفسه " : إن جماعة تطوف حول ظن السوء ، وجماعة أخرى تسميني المشعوذ المحتال .

- وصاحب الهمة تكون عنده أسرار الروح ، أكثر حفظ عن العوام من ياقوت المنجم .
- والذهب أغلى من الروح عند البلهاء ، لكنه عند الملوك فداء الروح .
- كانوا يسرعون بنشاط من حرصهم على الذهب ، ، ومانت عقولهم تقول لهم :
إمشوا الهوينى .
- إن الحرص يسرع عبثا نحو السراب ، فيقول له العقل : انظر جيدا ، ليس هذا بماء .

- 2060 - ولقد غلب الحرص وصار الذهب كالروح ، واختفت آنذاك صيحات العقل المحذرة .**
- فصار حرص المرء أضعافا مضاعفة ، واختفت حكمة " عقله " وإشاراتِهِ .
 - وذلك حتى يسقط في بئر الغرور ، وحينذاك يسمع الملامة من " عقل " الحكمة
 - وعندما تحطم كبريأؤه من قيود الشراك ، وجدت النفس اللوامة السيطرة عليه .
 - وما لم تصطدم رأسه بجدار البلاء ، فإن أذنه الصماء لا تسمع نصيحة القلب .

2065 - والأطفال من حرصهم على حلوى الجوز والسكر ، يجعلون كلتا الأذنين أصميين عن النصيح .

- وعندما تبدأ آلام القروح عند " الطفل " ، تتفتح كلتا أذنيه لسماع النصيح .
- ولقد فتحوا الحجرة بحرص وبشغف شديد ، في تلك اللحظة ، هذا النفر .
- وتقاطروا من الباب متزاحمين ، تقاطر الهوام في المخيض المتعفن .
- إنها تسقط فيه بعشق واندفاع ، ولا إمكان للأكل منه ، والجناحان مقيدان

2070 - ونظروا إلى اليسار وإلى اليمين ، ووجدوا حذاءً ممزقا وسترة جلدية .
لكنهم غادوا يقولون : إن هذا المكان لا يخلو من شبهة ، والحذاء لا يوجد هنا إلا من أجل التعمية .

- هيا هاتوا السفافيد الحادة ، وتحسسوا وجود الحفر والقنوات المغطاة .
- وقاموا بالحفر في كل موضع ، وجدوا في البحث ، وحفرت الحفر العميقة والآبار .
- كانت الحفر تصيح بهم في تلك اللحظة " نحن حفر خالية ، أيها الدنسين .

2075 - فأخذوا يحسون بالخلل من ذلك التفكير ، وأخذوا يردمون الحفر ثانية .
وأخذوا يحوقلون بينهم وبين أنفسهم كثيرا ، فلقد بقيت طيور طمعهم " محرومة " من الحب .
ومن تلك الضلالات التي كانت تسوقهم عبثا ، كان نقب " الجدران " و " كسر " الباب تنشى بها .

- فلم يكن في الإمكان دهان تلك الجدران ، ولا إمكان هناك للإنكار مع إياز

- فالجدار وساحة الحجره يشهدان عليهم ، إن تظاهروا بالبراءة بشكل خادع . “ 1 “

2080 - أخذوا يرجعون إلى الملك خجلين صفر الوجوه ، تعلو " وجوههم غبرة " .

عودة النمامين من حجرة إياز إلى الملك وهم خلاة الوفاض ججلين مثل أولئك الذين
أساءوا الظن في حق الأنبياء عليهم السلام عند ظهور براءتهم وطهرهم ،
مصادقا لقوله تعالى يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ وقوله تعالى
تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ- قال الملك قاصدا :
هه ؟ ما الأحوال ؟ ما بال أباطكم خالية من الذهب والفضة ؟

- وإن كنتم قد أخفيتم الدنانير والدوانق ، فأين نضرة الفرح في الوجه وعلى الوجنتين ؟
- وإن كان كل جذر مختفيا ، فإن ورقسيماهم في وجوههم يكون أخضر " منبئا عنه " .
- وكل ما امتصه ذلك الجسد من سم وشهد ، ينادى به الغصن المرتفع في التو واللحظة .

2085 - فإذا كان الجذر بلا زاد خاليا من الغذاء ، فما هذه الأوراق الخضراء الموجودة في
الغصن ؟

.....
(1) ج / 11 - 610 : - فأى عذر يقدمونه جميعا لاحتياهم ، حتى ينجوا بأرواحهم من هذه
الورطة . - وفي النهاية يائسين عاضين على الشفة وبنان الندم ، لاطمين رؤوسهم بأيديهم كالنساء
،

- إنه يضع ختما على لسان من أصله من طين ، فتشهد عليه فروعه ، أي يدها وقدماه .
- فانطلق هؤلاء الأمراء جميعا معتذرين ، وسجدوا كالظل أمام القمر .
- واعتذارا عن هذا الاندفاع والتجديف والهديان بالأنية ، ذهبوا إلى الملك حاملين الأكفان والسيوف .
- كانوا جميعا من الخجل يعضون بنان الندم ، وأخذ كل منهم يقول : يا ملك العالم .

- 2090 -** إن سفكت دمنا فهو لك حلال بلال ، وإن عفوت ، فهو إنعام منك علينا ونوال .
- لقد فعلنا ما نحن جديرون بفعله ، والأمر لك أيها الملك المجيد .
 - فإن تجاوزت عن جرمننا يا مستنير القلب ، فقد فعل الليل أفعال الليل ، والنهار أفعال النهار .
 - وإن عفوت ، فقد وجد القنوط الرجاء والسعة ، وإلا فليكن مائة من أمثالنا فداءً للملك .
 - قال الملك : لا ، فإن هذا الحلم أو ذاك العقاب ، لن أفعله أنا ، فهو من حق إياز .

**تحويل الملك إلى إياز مسألة قبول توبة النمامين ومقتحمي الحجرة أو عقابهم ،
بما يعني أن هذه الجناية قد حدثت في حق عرضه**

- 2095 -** إن هذه الخيانة في حقه وفي عرضه ، إنها طعنة في عروق ذلك المبارك القدم .

- وبالرغم من أننا - روحا - نفس واحدة ، إلا أننا منفصلان فيما يختص بظاهر النفع والضرر .
- إن اتهام العبد ليس عارا على الملك ، وليست إلا زيادة في حلمه وتحمله .
- وقد يجعل الملك المتهم في غنى قارون ، فما بالك إذن بما يمكن أن يصنعه مع البريء !! .
- فلا تظنن الملك غافلا عن فعل أحد ، إنما يمنع حلمه إظهار هذا الفعل فحسب

2100 - فمن الذي يشفع عنده أمام علمه، ومن الذي لا يبالي " بإحسان أو إساءة " اللهم إلا حلمه؟

- إن ذلك الذنب إنما يبدر " اعتمادا " على حلمه في البداية ، وإلا فمتى كانت هيئته تعطي له مجال " الظهور " ؟ !
- ودية جرم النفس العاقلة لا تكون إلا على حلمه ، وذلك لأن

[الدية على العاقلة] .

- ونفوسنا ثملة غائبة عن الوعي من حلمه ، وقد اختطف الشيطان القلنسوة من فوق رأسها " أي خدعها " في سكرها .
- وإن لم يكن ساقى الحلم صابا للخمر ، فمتى كان للشيطان أن يجادل آدم ويعاديه ؟

2105 - ومن كان آدم عليه السلام وقت أن وُهب العلم بالنسبة للملائكة ؟ " لقد جعله " أستاذا للعلم ، والنقاد للجواهر .

- لكنه عندما شرب في الجنة خمر الحلم ، صار أصفر الوجه من لعبة واحدة من الشيطان .

- إن تلك الأدوية المقوية “ 1 “ من تعليم الودود ، كانت قد جعلته ذكيا ماهرا عالما ،
- ثم إن أفيون حلمه شديد التأثير ، قد جذب اللص صوب متاعه .
- فيأتي العقل ناحية حلمه مستجيرا قائلا : لقد كنت ساقيا لي ، فخذ بيدي .

قول الملك لأياز : اختر بين العفو والعقاب ، فكل ما تفعله من عدل أو لطف صواب هنا ، وفي كل منها مصالح ، ففي العدل أدرج آلاف من اللطف وَلَكُم فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ وَإِنْ مِنْ يَسْتَكْرِه الْقِصَاصِ إِنَّمَا يَأْخُذُ فِي الْحِسْبَانِ حَيَاةً قَاتِل ، ولا ينظر في مائة ألف حياة سوف تعصم وتحقق في حصن الخوف من العقاب

- 2110 -** احكم على المجرمين يا إياز الطاهر ، احكم باحتراز وحذر شديدين
- وإني وإن كنت قد قمت بتجربتك في العمل مائتي مرة ، فإنني لا أجد في كفك الجلد خطأ واحدا .
 - وخلق بلا عد ولا حصر خجلون عند الامتحان ، لكن كل أنواع الامتحان خجلة منك أنت .
 - فيا له من بحر لا يسبر غوره ، ليس العلم فحسب باللازم له ، ويا له من جبل ومائة جبل . . لا يلزمها الحلم فحسب .
 - قال : إنني أعلم أن اللازم هو عطاؤك المحض ، وإلا فأنا ذلك الحذاء القديم وسترة الراعي .
- 2115 -** ومن هنا فإن الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم قد شرح هذا الأمر ، عندما قال : [من عرف نفسه ، فقد عرف ربه] .

(1) حرفيا : معجون الجوز المرقش وهو دواء مقو ومنبه لفاقدي الوعي .

- إن حذاءك هو النطفة ، ودمك هو سترة الراعي ، وكل ما تبقى أيها السيد ، هو محض عطائه .
- ولقد أعطى هذه العطية حتى تستزيد منها ، فلا تقل : ليس عنده سوى هذا القدر .
- ومن هنا فإن البستاني يعرض عددا من ثمار التفاح ، حتى تعرف أشجار البستان وما تغله .
- والزارع يعرض كفا من القمح على المشتري ، حتى يعرف " نوعية " القمح الموجود في الأهراء .

- 2120 -** والأستاذ يشرح نقطة واحدة من الموضوع ، حتى تعرف علمه الفياض ، وتستزيد منه .
- وإن قلت إن هذا هو ما عنده فحسب ، فإنه يبعدك عنه ، كما يبعد قشة علقت بلحيته .
 - يا إياز تعال الآن واحكم ، وضع في العالم أساس العدل الذي يندر مثاله .
 - إن الذين أجزموا في حقك يستحقون القتل ، وإن كانوا طمعا يحومون حول عفوك وحلمك .
 - فهل يا ترى تغلب الرحمة أو يغلب الغضب ، وهل يا ترى يغلب ماء الكوثر أو اللهب ؟

2125 - وكلاهما موجودان من أجل اجتذاب الخلق منذ يوم العهد ، غصن الحلم وغصن الغضب .

- ومن هنا فإن لفظ " ألسنت " أيها الطالب للتفسير ، نفي وإثبات مقترنان في لفظ واحد .
- ذلك أن هذا الاستفهام للإثبات ، وإن كان لفظ " ليس " مدرجا فيه .

- ودعك من هذا حتى يظل هذا الموضوع غامضا ، ولا تضع أطباق الخواص على مائدة العوام .
- وهناك قهر ولطف كريح الصبا وريح الوباء ، أحدهما يجذب الحديد ، والآخر يجذب القش .

2130 - والحق يجذب الصادقين حتى الرشد ، وأصول الباطل تجذب أهل الباطل إليها .
- والمعدة الجديرة بالحلو ، تجذب إليها الحلو ، لكن المعدة المصابة بالصفراء ، تجذب إليها الخل .

- والفرش الدافئ يقضي على برودة الجالس عليه ، والفرش البارد المتجمد يمتص الحرارة .
- وعندما ترى الحبيب تفيض منك الرحمة ، وعندما ترى العدو ، تفور منك السطوة . “ 1 “
- هيا يا إياز أنجز هذا الأمر على وجه السرعة ، فإن الانتظار في حد ذاته نوع من الانتقام .

**تعجيل الملك إياز قائلا : افصل سريعا في الأمر ولا تُنظر ، ولا تقل : لتكن الأيام بيننا ،
فالانتظار هو الموت الأحمر ، وجواب إياز على الملك**

2135 - قال : أيها الملك ، إن الأمر كله " يرجع " إليك ، وإن طلعت الشمس ، تفنى النجوم .

.....
(1) ج / 11 - 623 :

- وترى النور فينشر الضياء حوله ، وترى النار ذات الدخان فتزيد الظلمة .
- وترى الخصم والرفيق والنور والنار والفخر والعار ، والعرش والمشنقة والبارد والحار والورد والشوك .
- والنحلة والحية والسدى واللحمة والخفيض والجهير ، اعتبر كلا منها مجدا مع جنسه .

- ومن تكون الزهرة أو عطارد أو الشهاب ، حتى تطلع " في حضور " الشمس ؟
- ولو كنت قد تجاوزت عن الاهتمام بالخرقة والسترة ، لما كنت قد زرعت هكذا بذور الملام .
- وما وضع قفل على باب الحجرة ، وسط مائة من الغرماء الذين يسرعون خلف خيالاتهم ؟
- لقد مدوا أيديهم داخل جدول الماء ، وكل منهم يبحث عن قطعة جافة من المدر .

2140 - ومتى تكون هناك مدرة جافة في قاع الجدول ؟ ومتى تكون السمكة عاصية للماء ؟

- ومن قسوتهم يشكون فيّ أنا المسكين ، والوفاء نفسه يخجل من وفائي .
- وإن لم يكن في هذا تحميل مشقة لمن لم يؤذن لهم ، لتحدثت ببضع كلمات عن الوفاء .
- وما دام عالمٌ بأسره باحثاً عن الشبهة والإشكال ، فإننا نسوق من الكلام قشره الخارجي فحسب .
- وينبغي عليك أن تحطم ذاتك لتصبح لباً ، وأنداك يمكنك أن تسمع الحكايات العميقة اللطيفة .

2145 - وللجوز عندما يكون في قشره ضجة وصخب ، فأين إذن صوت اللب وصوت الزيت ؟

- إن له صوتاً ، لكنه ليس مناسباً للأذن ، إن صوته شهد خفي في الأذن .
- وإن لم يكن هناك للب صوت حسن ، فمتى يسمع أحد خشخشة أصوات القشور ؟

- وإنك لتسمع خشخشتها من أجل أن تسطو بصمت على اللب .
- فابق فترة من الوقت دون أذن ودون شفة ، وأذاك تصبح شفتاك قرينتين لشهده .

2150 - لقد قلت كثيرا من النظم والنثر على الملأ ، فجرب ولو لمدة يوم واحد أن تكون أخرس .

حكاية في بيان هذا الكلام : إنك قد جربت الكلام كثيرا فلتجرب الصبر والصمت فترة

- لقد طبخت كثيرا من المن الحريف والمملح ، فجرب هذه المرة طبخ " المن " الحلو . “ 1 “
- وإن أحدهم لينتبهن يوم القيامة ، فيرى أن كتاب العصيان الأسود في كفه .
- وهو مسود الفاتحة كخطابات التعزية ، ومليء بالمعاصي في المتن والحواشي .
- ولقد كان كله فسقا ومعصية ، كان كدار الحرب مليئا بالكفر .

2155 - ومثل ذلك الكتاب الدنس المليء بالوبال ، لا يأتي في اليمين بل يأتي في الشمال .
- فانظر بنفسك إلى كتابك وأنت لا زلت هنا ، هل هو جدير بالشمال أو خليق باليمين .
- والنعل الأيمن والنعل الأيسر كلاهما موجود في الحانوت ، ونعرفهما قبل أن تقوم بتجربتهما .

.....
(1) ج / 11 - 632 : -

- وكم أكلت الدسم والحلو من الطعام ، فاختر نفسك عدة أيام بالصيام .
- ولليال طوال صرت أسيرا للنوم ، فقم ليلة واحدة ، واحصل على الإقبال .
- ولقد قضيت أياما طويلة في الهزل والهذر ، فامض لأيام قليلة ، وكن مستعدا للجهد والعمل .

- وإن لم تكن يمينا ، فاعلم أنك شمال ، وكلاهما ظاهر ، زئير الأسد ، وصوت القرد .
- وذلك الذي جعل الورد جميلا طيب الرائحة ، يستطيع فضله أن يجعل الشمال يمينا .

- 2160 -** وهو الذي يعطي لكل شمال يمينا ، وهو الذي يسير الماء المعين في البحر .
- فإذا كنت شمالا ، كن يمينا مع حضرته ، حتى ترى مكاسب أطافه .
 - وإنك لتجيز أن ينتقل هذا الكتاب المهين ، من الشمال ليستقر في اليمين .
 - ومثل هذا الكتاب الملى بالظلم والجفاء ، متى يكون في حد ذاته لائقا باليمين ؟

في بيان الإنسان الذي يقول كلاما لا يناسب حاله أو دعواه ، مثل الكفرة وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ * وهم يقدسون الأوثان ويضحون من أجلها بالأرواح والأموال ، فأى تناسب بين هذا وبين الروح التي تعلم أن خالق السماوات والأرض إله سميع بصير حاضر مراقب مستول غيور . . . إلى آخره

- كان لأحد الزهاد زوجة شديدة الغيرة ، كما كان عنده جارية حسناء كأنها من الحور . “ 1 “

- 2175 -** كانت الزوجة من " شدة " غيرتها لا تفتأ تراقب زوجها ، ولم تترك له فرصة يختلى فيها بالجارية .
- وظلت المرأة في مراقبتها فترة من الوقت ، حتى لا تعن لهما فرصة الخلوة كل بالآخر .

(1) ج / 11 - 635 : - كان للمرأة جارية قمرية الوجه ، أضرمت نار " عشقها " في قلب الزاهد .

- حتى حل حكم الإله وتقديره ، فضل عقل الحارس وفسد .
 - وماذا يكون العقل عندما يحل حكمه وتقديره ، وإن القمر نفسه ليصاب بالخسوف .
 - كانت تلك المرأة في الحمام ، وفجأة تذكرت الطست ، وكان في المنزل .
- 2170 -** فقالت للجارية : هيا ، اذهبي في سرعة الطير ، وهاتي الطست الفضي من منزلنا .
- فأحست تلك الجارية بالحياة " تدب فيها " عندما سمعت هذا القول ، فسوف يتم الوصال بينها وبين سيدها وشيكا .
 - كان السيد وحيدا في المنزل في ذلك الوقت ، فأسرعت نحو المنزل وهي في شدة الفرح .
 - ولقد كانت الجارية تشتهي منذ سنوات ست ، أن تجد السيد في خلوة كهذي الخلوة .
 - فطارت طيرانا وأسرعت نحو الدار ، ووجدت السيد في خلوته " قابعا " في الدار .
- 2175 -** ولقد اختطففت الشهوة العاشقين معا ، بحيث إنهما لم يحتاطا ، ولم يغلقا الباب .
- وامتزجا ، وتعانقا ، واشتبكا من السرور ، واتصلت الروح بالروح في تلك اللحظة من الامتزاج .
 - وفي تلك اللحظة تذكرت الزوجة وقالت لنفسها : ويلي ، كيف أرسلتها إلى الدار والمستقر؟!!
 - لقد وضعت بنفسها القطن إلى جوار النار ، وألقيت بالكبش الفحل وسط النعاج

- وأزاحت حجر الطفل غاسلة رأسها ، وأسرعت مسلوقة الروح في أثرها ، وهي تجر جر ملاءتها .

2180 - لقد كانت الجارية تسرع من أجل عشق الروح ، وأسرعت هذه خوفا ، وأين العشق من الخوف ؟ ! إن بينهما فرقا عظيما .

- وسير العارف في كل لحظة يكون إلى عرش الملك ، وسير الزاهد في كل شهر طريق يوم واحد .

- ومهما كان رزق الزاهد عظيما ، فمتى كان يومه بخمسين ألفا ؟

- لكن قدر كل يوم من عمر العارف ، يساوى خمسين ألف سنة من سنين الدنيا .

- والعقول خارج باب هذا السر ، وإن تمزقت جراءة الوهم ، فقل لها : تمزقي .

2185 - والخوف لا يساوى مقدار شعرة إلى جوار العشق ، وكلهم ضحايا في مذهب العشق .

- إن العشق هو وصف لله ، أما الخوف ، فهو وصف للعبد المبتلى بالفرج والجوف .

- وما دمت قد قرأت من القرآن يُجِبُّونَهُ ، فقد قرأت معها يُجِبُّهُمْ فِي نفس الموضع .

- فاعلم إذن أن المحبة هي وصف للحق والعشق أيضا ، ولا يوصف الله تعالى بالخوف أيها العزيز .

- وأين صفة الحق من صفة حفنة من التراب ؟ وأين وصف الحادث من وصف الطاهر ؟

2190 - ولولا أنى تحدثت في العشق على الدوام ، لمرت مائة قيامة وهو غير تام .
- ذلك أن تاريخ القيامة محدود بزمان ، وأين يكون الحد ، حين يكون وصف الإله ؟
- وإن للعشق خمسمائة جناح ، وكل جناح ، يمتد من فوق العرش حتى طباق الثرى .
- والزاهد يسرع على قدمه بخوف ، والعشاق أكثر تحليقا من البرق والهواء .
- ومتى يصل أولئك الخائفون إلى غبار العشق ؟ وألم العشق يجعل السماء أرضا .

2195 - اللهم إلا أن يأتي عنايات الضياء ، قائلة : تحرر من الدنيا ومن سيرها .
- وتخلص ثانية من أوهامك ورؤاك ، فإن ذلك الصقر الملكي قد وجد الطريق إلى الملك .
- إن هذا الوهم وتلك الرؤية جبر واختيار ، ومن وراءيهما معا ، هناك جذب الحبيب .
2198 - وعندما وصلت تلك المرأة إلى المنزل ، فتحت الباب ، ووصل إلى سمعيهما معا صرير فتحه .
- فانفلتت الجارية مضطربة من الالتحام ، وقفز الرجل ، ودخل في الصلاة .

2200 - ورأت المرأة جارياتها مشعثة الشعر مضطربة مرتبكة ذاهلة ، - ورأت زوجها قائما في الصلاة ، فارتابت المرأة من تلك الهزة .

- ورفعت طرف ثوب زوجها بلا حذر ، فرأتها ملوثة بالمنى ، الخصيتين والذكر .
- كانت بقية المنى تقطر من الذكر ، وقد تلوث منها فخذة وركبته .
- فصفعته المرأة فوق رأسه قائلة : أيها الحقير ، أهكذا تكون خصية المصلي ؟

- 2205 -** وهل يليق بالصلاة والذكر هذا الذكر ؟ ! ومثل هذا الفخذ وهذه العانة الملوثتين بالقدر ؟
- والكتاب الملى بالظلم والفسق والكفر والحد ، أكون لائقا باليمين ؟ أنصف ، واصلقني القول .
 - وإنك إن سألت المجوسي : من خالق هذه السماء ، وهذا الخلق وهذه الدنيا ؟
 - ليقولن : خلقها الله ، وإن صنعه دليل على ألوهيته .
 - فهل يكون كفره وفسقه وظلمه البين أمورا لائقة بإقراره هذا ؟

- 2210 -** وهل تليق بمثل هذا الإقرار الصادق تلك الفضائح وتلك الأفعال القبيحة ؟
- وإن فعله هذا قد كذب هذا القول ، حتى صار مستحقا للعذاب البئيس ذي الهول .
 - ففي يوم الحشر يظهر كل خفي ، وكل مجرم ، تقوم بفضحه نفسه .
 - فاليد والقدم تشهدان ببيان وحديث ، على فساد أمام المستعان .
 - تقول اليد : هكذا سرقت ، وتقول الشفة : هكذا قبلت . “ 1 “

(1) في نسخة نيكلسون " سألت " وتبعثها بقية النسخ ، والبيت لا يوجد في نسخة قونيه ، والشرطة هنا مترجمة عن نسخة جعفري " 11 / 642 " .

- 2215 -** وتقول القدم : وأنا مشيت حتى منى ، فيرد الفرج : وأنا ارتكبت فاحشة الزنا .
 - وتقول العين ، لقد نظرت نظرة إلى حرام ، وتقول الأذن : وأنا استمعت إلى النميمة .
 - فيكون كاذبا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، إذ قام بتكذيبه حتى أعضاء بدنه .
 - مثل ذلك الذي أثناء الصلاة التي تهب الضياء ، صار مفتضحا من خصيتيه .
 - فقم إذن بذلك الفعل الذي يكون بلا لسان ، شهادة لك ، وعين البيان .

2220 - فجسدك كله ، وبأعضائه عضوا عضوا يا بني ، يكون قائلا : إنني أشهد في النفع والضرر .

- وسير العبد خلف السيد دليل على أنه محكوم ، وأن هذا " السيد " هو مولاه .
 - وإذا كنت قد سودت كتاب عمرك ، فقتب عما قد فعلت من قبل .
 - وإذا كان العمر قد مر ، فارو جذره إن كان قد جف ، بماء التوبة على الفور .
 - ولترو ذلك الجذر بماء الحياة ، حتى تصبح شجرة عمرك ذات أوراق وثمار .

2225 - فيصير كل ما مضى على ذلك النسق حسنا طيبا ، والذي كان سما ، يصبح بهذا سكرا .
 - ويقوم الحق بتبديل سيئاتك ، بحيث يتحول كل ما سبق منك " من ذنب " إلى طاعة .

- فيا أيها السيد ، طف جيذا حول التوبة النصوح ، وجاهد سواءً بالجسد وسواءً بالروح .
- واستمع مني إلى بيان هذه التوبة النصوح ، وإن كنت قد ملت إليها ، فمل من جديد .

[حكاية التوبة النصوح]

حكاية في بيان التوبة النصوح التي تشبه اللبن الذي يخرج من الثدي ولا يعود إليه ثانية . .
فكل من تاب توبة نصوحا لا يذكر ذنبه أبدا فيميل إليه ، بل يزداد كرها له كل لحظة ، وتلك الكراهية دليل على أنه قد وجد لذة القبول ، وأن تلك الشهوة الأولى قد صارت بلا لذة ، وحلت هذه اللذة محل تلك اللذة كما قيل :
لا يقضى على العشق إلا عشق آخر * فلماذا لا تتخذ رفيقا أفضل وذلك الذي يميل قلبه إلى ذلك الذنب مرة أخرى ، يكون دليلا على أنه لم يجد القبول ، ولم تحل لذة القبول محل لذة الذنب ، ولم تكن من نصيبه (سنيسره لليسرى) وبقيت عليه لذة (سنيسره للعسرى)

- كان هناك فيما مضى رجل يسمى نصوح ، تيسر له الرزق من القيام بتدليك النساء .

2230 - كان وجهه كوجوه النساء ، وكان " بالطبع " يخفي كونه رجلا .

- لقد كان دلاكا في حمام النساء ، ولم يكن في المكر والحيلة ، بالذي يشق له غبار .
- وظل لسنوات يقوم بهذا العمل ، دون أن يفهم أحد حقيقة هوسه وسره .
- وذلك لأن صوته ووجهه كانا " كما يكونان " عند النساء ، لكن شهوته كانت كاملة يقظة .
- لقد لبس الملاءة والطراحة وتنقب بالنقاب ، لكنه كان رجلا شهوانيا في شرخ الشباب .

- 2235 -** وعلى هذا النحو ، ظل ذلك الشهواني المحب ، يقوم بتدليك بنات السادة جيدا .
 - كان يتوب مرات ، وينسحب " من هذا العمل " ، لكن النفس الكافرة كانت تمزق توبته .
 - فذهب ذلك القبيح الفعال إلى أحد العارفين ، وقال له : اذكرنا في دعائك .
 - وعرف سره ذلك الرجل الحر ، لكنه لم يظهره له ، وكأنه حلم الله .
 - فعلى فمه قفل ، وفي القلب أسرار ، والشفة صامتة ، والقلب مليء بالضجيج .

- 2240 -** فالعارفون الذين شربوا من كأس الحق ، عرفوا الأسرار ، لكنهم قاموا بإخفائها وسترها .
 - وكل من قاموا بتعليمه أسرار الأمور ، ختموا على فيه ، وخاطوه " على ما فيه " .
 - فتبسم ضاحكا ، وقال له : يا سئ الأصل ، تاب الله عليك مما تعلمه .

في بيان أن دعاء العارف الواصل ، وطلبه من الحق ،
 مثل طلب الحق من نفسه مصداقا لـ [كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويذا]
 وقوله وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى والآيات والأخبار في هذا كثيرة ،
 وشرح تهينة الحق للسبب ، حتى يأخذ بأذن المجرم جارا إياه إلى التوبة النصوح .

- لقد نفذ هذا الدعاء من السماوات السبع ، فانصلح أمر هذا المسكين آخر .
 - فهو دعاء الشيخ ، وليس مثل كل دعاء ، إنه فان ، وقوله هو قول الله .

- 2245 -** وعندما يسأل الله نفسه ويطلب منها ، كيف يرد إذن دعاء نفسه ؟ !
- ولقد هياً صنع ذي الجلال سببا ، حتى يخلصه من اللعنة ومن الوبال .
 - كان يملأ الطست في ذلك الحمام ، عندما ضاعت جوهرة من بنت الملك .
 - وفقدت جوهرة من قرطها وهو في أذنها ، وأخذت كل امرأة في البحث والتفحص .
 - ثم أحكموا رتاج باب الحمام ، لكي يبحثوا في البداية بين طيات الملابس .
- 2250 -** وبحثوا في كل الملابس ولم يجدوها ، ولم يكتشف سارق الجوهرة
- وجدوا في البحث وكيفما اتفق ، أخذوا في البحث في الأفواه والأذان وفي كل شق .
 - في كل شق ، أسفل وأعلى ، وفي كل ناحية ، أخذوا يفتشون عن الدرة الغالية الثمينة .
 - وتعالى هتاف بأن يخلعن جميعا ملابسهن ، كل من كانت عجوزا أو شابة
 - وأخذت الحاجة في تفتيشهن الواحدة بعد الأخرى ، لتجد الجوهرة الغالية الثمينة .
- 2255 -** وانتحى نصوح ركنا من الخوف ، شاحب الوجه أزرق الشفة ، " خشية افتضاح أمره "
- كان يرى الموت ماثلا أمام عينيه ، فأخذ يسير وهو يرتعد كأوراق " الصفصاف " .
 - وقال : يا رب ، لقد نكصت مرات عديدة عن التوبة وحنثت بالعهد .

- ولقد ارتكبت يا إلهي ما كنت أهلا له ، حتى يحل بي مثل هذا السيل الأسود .
- وإذا وصلت نوبة البحث إليّ ، ويلى ، أية مصائب سوف تحقيق بي .

- 2260 -** لقد اندلع في كبدي لهيب شديد ، فانظر في مناجاتي إلى لهيب كبدي .
- فلا أصاب كافرا مثل هذا الغم ، ولقد تعلقت بطرف رداء الرحمة ، فالغياث . . الغياث .
 - وليت أُمي لم تلدني ، أو ليت ليثا افترسني في الأجم .
 - فافعل أنت يا إلهي ما أنت أهل له ، فمن كل حجر تقوم حية بلدغي .
 - وإن لي روحا ثقيلة وقلبا حديديا ، وإلا لصارا دما ، في هذه الشدة والضراعة .

- 2265 -** والوقت ضيق أمامي ، وأمامي لحظة واحدة ، فزاول ملوكيتك ، وأدركني . . . أيها الإله .
- ولو أنك سترتني هذه المرة ، لتبت عن كل ما لا ينبغي فعله .
 - فاقبل توبتي هذه المرة أيضا ، حتى أعقد مائة حزام " جهدا " في التوبة .
 - وإن قصرت وأذنبت ونكصت هذه المرة ، فلا تسمع من بعدها منى قولا أو دعاء .
 - وهكذا أخذ يتضرع ودموعه تسيل ، قائلا لنفسه : لقد سقطت في أيدي الشرطة والجلادين .

2270 - فلا مات أحد - حتى من الفرنجة - هذه الميته ، ولا اضطر ملحد قط إلى هذا التضرع والأنين .

- وأخذ ينوح على عمره وهو يرى وجه عزرائيل يقترب منه
- فأخذ يردد : يا الله . . يا الله . . ويكررها كثيرا ، بحيث جارتها في دعائه الأبواب والجدران .
- وأثناء ندائه المستمر للعتبات الإلهية ، ارتفع صوت من بين التفتيش والبحث .

وصول الدور في التفتيش إلى نصوح ، ونداء : لقد فتشنا الجميع ففتشوا نصوح أيضا ، وفقدان نصوح الوعي خوفا ، وانفراج حاله بعد نهاية الشدة ، مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه مرض أوهم : [اشتدى أزمة تنفرجي]

- " وقال الصوت " : لقد فتشنا الجميع ، فتقدم يا نصوح ، ففقد الوعي على الفور ، وطارت روحه شعاعا .

- 2275 -** وسقط كأنه جدار مهدم ، وضاع وعيه وعقله ، وصار كالجماد .
- وعندما غادر وعيه جسده ، اتصل سره بالحق في تلك اللحظة
 - وعندما صار فارغا ، ولم يبق له وجود ، استدعى ذو الجلال بازي روحه إليه .
 - وعندما تحطمت سفينته وباءت بالخذلان ، سقطت من البحر على شاطئ الرحمة .
 - ولقد اتصلت روحه بالحق عندما فقد الوعي ، وجاشت أمواج الرحمة في تلك اللحظة .

2280 - وعندما نجت روحه من عار الجسد ، مضت فرحة سعيدة نحو أصلها .

- فالروح كالبازي ، والجسد بالنسبة لها كالنير والطوق الثقيل ، يكون منه مقيد القدم ، كسير الجناح ، عبدا ذليلا .
- وعندما ذهب الوعي عنه ، وفك القيد من قدمه ، يطير ذلك البازي صوب السلطان .
- وعندما جاشت بحار الرحمة ، شربت حتى الحجارة ماء الحيوان .
- وصارت الذرة الضئيلة عظيمة فخمة ، وصار الأديم الترابي ، أطلس مطرزا بالذهب .

- 2285 -** وخرج من قبره ذلك الرجل من بعد مائة عام ، وصار الشيطان الملعون يزرى في حسنه بالهور .
- وصار كل وجه الأرض أخضر يانعا ، وأنبت الخشب اليابس البراعم ، وصار نضرا لطيفا .
 - وصار الذئب جليسا للشاة في مجلس الصراح ، وصار القانطون متهللين مقبلين .

العثور على الجوهرة واعتذار صاحبات الأميرة وجواريتها لنصوح

- ومن بعد ذلك الخوف الذي كان هلاكا للروح ، وصلت البشارات صائحة :
هاك الذي فقد منك .
 - ووصل " هتاف " الهاتف فجأة أن : رُفع الخوف ، لقد تم العثور على تلك الدرة اليتيمة الضائعة .
- 2290 -** لقد وُجدت ، وها نحن قد تقلبنا في السرور ، بشروا الجميع ، فقد وجدنا الجوهرة .
- ومن الصياح والتهليل والتصفيق ، امتلأ الحمام ، فقد زال الحزن .

- وذلك " النصوح " الذي كان قد غاب " عن نفسه " عاد إلى وعيه ، ووجدت عينه نور مائة نهار أمامه .

- وأخذت كل منهن تعتذر له وتطلب منه السماح ، وأخذن في إبطار يديه بالقبل .

- قائلات : لقد أسأنا بك الظن فسامحينا ، وأكلنا لحمك بالقليل والقال .

2295 - ذلك أن أكثر ظن جميعهن كان فيه ، إذ كان مقربا من " الأميرة " عن الجميع .

- لقد كان نصوح دلائكها الخاص وموضع سرها ، بل كانا كروح واحدة في جسدين .

- فإذا كانت الجوهرة قد سرقت ، فهو الذي سرقها فحسب ، فلم يكن هناك من هو ألصق بالسيدة منه .

- لقد كانت عندما قامت الضجة تريد تفتيشه أولا ، لكنها أخرت تفتيشه لاحترامها " له " .

- فربما يلقي بها في مكان ما ، وليخلص نفسه في هذه المهلة التي أعطيت له .

2300 - فأخذن يطلبن منه العذر والسماح ، ونهضن جميعهن معتذرات له .

- فقال : إنه من فضل الله العادل ، وإلا فإنني أسوأ بكثير مما قيل في .

- وأي عفو وسماح ينبغي أن يطلب مني ، وأنا أكثر أهل العصر إجراما .

- إن ما قلناه عني من السوء ، واحد في المائة " مما أنا عليه " وعلى كشف هذا الأمر وتفسيره إن شك في صحته أحد .

- فما الذي يعلمه عني أحد إلا القليل ، ويعرف من آلاف الجرائم والقبائح جرما واحدا .

2305 - إنني أعلم جرائمك وقبح فعالتي ، كذلك يعلمها ذلك الذي ستر عليّ
- لقد كان إبليس أستاذا لي من البداية ، ثم صار إبليس إلى جواني مجرد هباء .
- ولقد رأى الحق كل هذا وتغاضى عنه ، حتى لا أصير من الفضيحة مصفر الوجه .
- ثم إن الرحمة أخذت ترتق ما " تمزق " من ردائي ، وجعلت التوبة الحلوة كالروح رزقا لي .
- وجعلني حرا كأنني شجرة سرو أو سوسن ، وجعلني سعيدا كأنني الحظ والإقبال .

2310 - وكل ما ارتكبته واقترفته اعتبرني لم أفعله ، وما لم أقم به من طاعة ، اعتبرني قد قمت به .

- وكتب اسمي في سجل الأطهار الأبرار ، وكنت من أهل الجحيم فوهبني الجنة .
- وقد تأوّهت فصارت أهتي كأنها الحبل المتين ، صارت حبلا مد من أجلي داخل البئر .
- فأمسكت بذلك الحبل وخرجت من بئر " المعصية " ، سعيدا سميئا متوردا .

2315 - كنت مقيما في قعر البئر مسكينا فاقد الحيلة ، والآن أصبحت بحيث لا يسعني العالم كله . “ 1 “

(1) ج / 12 - 112 : - فلتكن أنواع الثناء لك يا رب ، فقد خلصتني فجأة من الحزن .

- فلو أن طرف كل شعرة مني تجد لسانا ، لا تتأتى أنواع شكرك في بيان
- وهنا أنا أصبح في هذه الروضة وهذه العيون ، هاتفا في الخلقيا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ.

استدعاء الأميرة لنصوح لتدليكها بعد ثبات التوبة وقبولها " من الله " وتعلله ورفضه

- ثم أتاه من بعدها أحدهم قائلا : إن أميرتنا تدعوك راجية إياك ،
 - إن الأميرة تدعوك قائلة : تعالى ، هيا ، واغسلي رأسي أيتها التقية .
- 2320 -** فهي لا ترغب في أحد سواك لتدليكها ، ثم غسل شعرها بحجر الطّفل .
- فقال له : إليك عني ، وامض ، فقد كلت يدي من العمل ، وهذا النصوح قد مرض الآن .
 - واذهب وابحث عن سواي سريعا ، فأنا والله قد كلت يدي من العمل .
 - وقال لنفسه : لقد جاوز الجرم الحد ، فمتى يمضي عن قلبي ذلك الخوف والحزن ؟
 - لقد مت مرة ، ثم عدت ، ولقد تذوقت مرارة الموت والعدم .
- 2325 -** ولقد ثبتت توبة حقيقية إلى الله تعالى ، ولا أعود عنها حتى تغادر روحي بدني .
- ومن بعد هذه المحنة ، من الذي يمضي ثانية صوب المحنة اللهم إلا إذا كان حمارا .

حكاية في بيان أن الذي يتوب ويندم ثم ينسى ندمه ، ويجرب المجرب يقع في خسارة الأبد
إذ لا يصل إلى توبته مدد من الثبات والقوة والحلاوة والقبول ،
تكون كشجرة بلا أصل تزداد اصفرارا وتيبسا والعياذ بالله

- كان هناك أحد القصارين ، وكان لديه حمار جريح الظهر خاوى البطن هزيل .
- كان يقضي يومه حتى الليل بين الصخور الخالية من العشب بلا زاد ولا ملاذ
- ولم يكن هناك من طعام إلا الماء ، وكان الحمار فيه ليل نهار كالأعمى والتائه .

- 3230 -** وكانت هناك في تلك الأنحاء غابة وأجمة ، وكان فيها أسد عمله الصيد .
- ووقعت معركة بين ذلك الأسد وبين فيل مفترس ، فجرح الأسد ، وعجز عن الصيد .
 - وظل فترة عاجزا عن الصيد من الضعف ، فظلت الوحوش من حوله بلا زاد تتبلغ به .
 - ذلك أن كل ما كان يتبقي من الأسد ، يكون من أجلها ، وعندما مرض الأسد ، ضاق به الحال .
 - فأمر الأسد أحد الثعالب قائلا : امض ، وصد من أجلي حمارا .

2335 - فإذا وجدت حمارا بين المروج ، فاذهب ، واحتل عليه بحلو الكلام ، واخذه ،
وأحضره إلي .

- وعندما أسترده قوتي من لحم الحمار ، أصيد حينذاك صيدا آخر
- فأكل منه القليل ويكون باقية لكم ، فأنا بالنسبة لكم ، سبب من أسباب الرزق .

- فابحث لي عن حمار أو عن بقرة ، واستخدم شيئاً من تلك الخدع التي تجيدها .
- وبكلامك المنمق وألفاظك الحلوة ، اسلبه عقله ، واسحبه إلى هذا المكان .

تشبيه القطب العارف الواصل في إعطاء الخلق الرزق من قوت المغفرة والرحمة على المراتب التي يلهمه الحق إياها وتمثيله بالأسد الذي تكون الوحوش آكلة من قوته ومن بقاياها على مراتب قريهم من الأسد ، ليس القرب المكاني بل قرب الصفة ، وتفاصيل هذا كثيرة ، والله الهادي

- 2340 -** إن القطب هو الأسد وعمله الصيد ، وبقية الخلق من أكلة بقاياها .
- فجاهد ما استطعت في رضا القطب ، حتى يقوى ويقوم بصيد الوحوش .
 - ثم إنه عندما يتعب يظل الخلق بلا زاد ، وذلك لأن رزق الخلق بأجمعه يكون من كف العقل .
 - ولأن وُجد الخلق يكون من باقي طعامه ، فاحفظ هذا ، إن كان قلبك باحثاً عن الصيد .
 - إنه كالعقل ، والخلق كأعضاء الجسد ، وتدبير البدن منوط بالعقل .

- 2345 -** وضعف القطب يكون من الجسد لا من الروح ، إن الضعف يكون في السفينة ، لا في نوح عليه السلام .
- والقطب هو ذلك الذي يكون طوافه حول نفسه ، بينما يكون دوران الأفلاك حوله هو .
 - فساعده إذن في مرمة سفينته ، إن صرت من خاصة غلمانة ومن عبيده .
 - فإنك بعونك هذا تربو ولا يربو هو ، لقد قال الحقان تَنْصُرُوا اللَّهَ فَإِنَّكُمْ تَنْصُرُوا .

- وقم بالصيد كالثعلب ، واجعل " صيدك " فداءً له ، حتى تأخذ عوضاً عنه آلاف الفرائس .

- 2350 -** فإن صيد المرید يكون كصيد الثعلب ، لكن الضبع الضخم لا يصيد إلا الميتة .
- وإنك لتجرن الميت إليه فيصير حياً ، والقمامة في المزرعة تقوم بإنبات النبات .
- وقال الثعلب للأسد : السمع والطاعة ، إنني سوف أحتال عليه حتى أسلبه عقله .
- فإن الاحتيال وتنميق الكلام هما عملي ، عملي هو الخداع بالقصص والحكايات ، والإضلال .
- ونزل مسرعاً من قمة الجبل إلى جانب الجدول ، فوجد ذلك الحمار المسكين الهزيل .

- 2355 -** فألقى السلام عليه بحرارة وتقدم منه ، وذهب إلى ذلك الساذج الغفل الفقير .
- وقال له : كيف أنت في هذه الصحراء القاحلة ، بين الحجارة وفي هذا المكان الموحش ؟
- فقال الحمار : سواء كنت في حزن أو في إرم ، فهكذا قسم لي الحق ، وأنا شاكر له .
- إنني أشكر الحبيب في الخير وفي الشر ، فهناك في القضاء ما هو أسوأ من السوء .

- وما دام هو القسام فالشكوى كفر ، إذ ينبغي الصبر ، والصبر مفتاح العطاء . “ 1 “

2360 - وكل من هم غير الحق أعداء وهو الحبيب ، ومتى تكون الشكوى من الحبيب مستحبة أمام العدو ؟

- وإن أعطاني المخيض فلن أطلب العسل ، وذلك أن كل نعمة مقرونة بغم . “ 2 “

حكاية رؤية حمار الحطاب النعم التي فيها الخيول العربية الأصيلة في الإصطبل الخاص وتمنيه لذلك الإقبال ،

وفي الموعظة أنه لا ينبغي التمني إلا في المغفرة والعناية ، فلو كنت في مائة شقاء وظفرت بلذة المغفرة تكون كلها حلوة ، أما فيما تبقى ، فكل حظ تتمناه بلا تجربة فهو قرين لشقاء لا تراه ، بحيث لا يظهر من كل فخ إلا الحب والفخ خفي وأنت في هذا الفخ تتمنى قائلاً :
ليتني أمضي إلى هذا الحب ، ظاناً أنها حبوب بلا فخ “ 3 “

(1) ج / 12 - 119 :

- ثم قال : الصبر مفتاح الفرج ، ومتى يحقق بالصابرين الجور والحرَج ؟
- إنني راض بقسمة القسام ، فهو إله الخواص ومن هم من العوام .
- والخواص والعوام ذوو نصيب من نعمته ، وهو الذي يوصل الرزق للوحوش والهوام .
- والطيور والأسماك كلها تأكل رزقها ، والنمل والحيات كلها تأكل من نعمته
- ومائدته ممتدة للعالم بأجمعه ، وعلى مائدته يكون الخلائق في دهشة شديدة .
- إنهم يأكلون ولا يقل شيء منها قط ، فدلني من ذلك الذي يكون بلا رزق في هذه الدنيا ؟ !
- فكن راضياً إن كنت ذا قلب حي ، فإنه هو الذي يوصل الرزق لكل عبد .

(2) ج / 12 - 119 : - فاشكر حتى لا يأتينك ما هو أسوأ من السوء ، وإلا عجزت على حين غرة كحمار في وحل .

(3) ج / 12 - 124 : أتذكر حكاية عن أبي ، إذ قال لي ذات يوم ناصحاً . ورغم أن العنوان ينص على حمار الحطاب فالحمار في النص لسقاء ، ولعل مولانا كان قد وقف عند عنوان الحكاية ثم عاد إليه بعد فترة . وعلى كل فهذا لا يغير شيئاً من لب الموضوع .

- كان هناك أحد السقائين ، وكان عنده حمار ، صار منحنيا من المحن كأنه القوس .
- كان في ظهره مائة جرح من الحمل الثقيل ، وكان يتمنى يوم موته عاشقا له .
- فأين منه الشعير وهو لا يشبع من القش اليابس ، وفي أعقابه الضرب والمنخاس الحديدى .

- 2365 -** ورآه أمير الإصطبل وأشفق عليه ، فقد كان الرجل من معارف صاحب الحمار .
- فسلم عليه ، وسأله عن الحال ، ومن أي شيء صار هذا الحمار منحنيا كحرف الدال .
 - فأجاب : من فقرى وتقصيري في حقه ، فإن هذا الحيوان الأعجم لا ينال حتى القش .
 - فقال له : سلمه لي لعدة أيام ، حتى يقوى في إصطبل الملك .
 - فسلمه الحمار ، وذلك العاشق للرحمة ، ربطه في وسط إصطبل السلطان .

- 2370 -** ورأى الحمار في كل ناحية جوادا عربيا أصيلا ، منعما سمينا طيبا عليه نضرة "النعيم" .

- كان ما تحت أقدامها مكنوسا مرشوشا ، والتبن والشعير يقدمان في الموعد .
- ورأى حك الجياد وتدليكها ، فمد فمه رافعا إياه قائلا : أيها الرب المجيد ،
- على فرض أنني حمار ، أأست مخلوقا لك ؟ فلماذا أنا مسكين جريح الظهر نحيل ؟
- وفي الليل من ألم الجراح في الظهر ومن الجوع في البطن ، أتمنى الموت لحظة بلحظة ؟

- 2375 -** وما لهدى الجياد في حال مرفه ومنعم ، فلأي شيء خصصت أنا بالعذاب والبلاء ؟ !
 - وفجأة علا صياح الحرب والقتال ، وأن للجياد أن تسرج وتعمل .
 - فتعرضت لطعنات السهام من العدو ، واخترمتها الرماح من كل صوب .
 - وعادت تلك الخيول من ميدان القتال ، وسقطت كلها " على ظهورها " في الإصطبل .
 - فشددت قوائمها بالحبال بإحكام ، ووقف البيطرة صفوفها .

- 2380 -** وأخذوا يشقون أجسادها بالمباضع ، لكي يقوموا بإخراج النصال منها .
 - ورأى ذلك الحمار هذا الأمر فقال : يا الله ، لقد رضيت بالفقر والعافية .
 - إنني رافض لذلك النعيم " تتلوه " تلك الضربات الموجعة ، وكل من أراد العافية ، نبذ الدنيا .

عدم قبول الثعلب قول الحمار " اني راض بما قسم لي "

- قال الثعلب : إن طلب الرزق حلال ، فرض من أجل الامتثال .
 - إنه عالم بالأسباب ، ولا يتأتى شيء بلا سبب ، والمهم إذن هو الطلب .
2385 - وقد أمرنا سبحانه قائلًا : **وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**، حتى لا يلزم الغصب ، كما يفعل النمر .
 - وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لقد أغلق على الرزق باب أيها الفتى ، وفوق هذا الباب أقفال .
 - وحركتنا وسعيننا واكتسابنا بمثابة المفتاح لذلك القفل و " الكشف " لذلك الحجاب

- ولا سبيل لفتح هذا الباب دون مفتاح ، وليس من سنة الله أن يوجد خبز ذو طلب . “ 1 “

جواب الحمار على الثعلب

- قال : إن هذا يكون من ضعف التوكل ، وإلا فإن الذي يهب الروح يعطيها أيضا الخبز .

- 2390 -** وكل من يبحث عن الملوكية والظفر ، لن يعدم لقمة خبز يا بني .
- والوحوش والحيوانات كلها آكلة للرزق ، لا هي تسعى في كسب ، ولا أحد " يحمل " إليها الرزق .
- فالرزاق يرزق كل ما خلق ، ويضع قسمة " كل واحد " من الخلق أمامه .
- والرزق يصل إلى كل من صبر ، وكل ما تقوم به من سعي من انعدام صبرك .

جواب الثعلب على الحمار

- قال الثعلب : إن ذلك التوكل أمر نادر ، وقليل ما هم ، أولئك الذين وفقوا فيه .

- 2395 -** وطلب النادر من قبيل الجهل ، ومتى كان طريق سلاطين " الدين " ميسرا لكل إنسان ؟
- وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال : القناعة كنز ، فمتى يصل الكنز المخبوء إلى كل إنسان ؟

.....
(1) ج / 12 - 127 : - وإنك إن قبعث في قاع بئر فمتى يأتيك الرزق يا ذا الفضل ؟ .

- فاعرف حدك ، ولا تحلق عاليا ، حتى لا تسقط في هاوية الفتنة والشر . “ 1 “

جواب الحمار على الثعلب

- قال الحمار : اعلم أنك تعكس الأمور ، فالفتنة والشر يجتمعان في الروح من الطمع .
- فمن القناعة لم يسلم أحد قط الروح ، ومن الحرص لم يصبح أحد قط سلطانا

2400 - والخبز لا ينقطع عن الخنازير والكلاب ، وليس من كسب الناس ، هذا المطر وهذا السحاب .

- فكما يكون العاشق للرزق طالبا إياه متضرعا من أجله ، فإن الرزق أيضا يكون عاشقا لآكله .
“ 2 “

في تقرير معنى التوكل . . حكاية ذلك الزاهد الذي كان يمتحن التوكل فخرج من المدينة
ومن بين الأسباب ، وابتعد عن أماكن تردد الناس وطرق مرورهم ،
ووضع رأسه على حجر في سفح جبل مهجور مفقود وهو في غاية الجوع ،
ونام قائلا لنفسه : توكلت على خلقك للأسباب ورزقك وانقطعت عن الأسباب ،
حتى أرى أن التوكل سبب

- سمع أحد الزهاد أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد قال ، إن الرزق يأتي يقينا للروح من قبل الله .

- سواء أردت أو لم ترد ، فإن رزقك يأتيك مسرعا إليك من عشقه إليك .
- ومن أجل الامتحان ، ذهب ذلك الرجل ونام مسرعا في صحراء بالقرب من جبل .

.....
(1) ج / 12 - 130 : - فجاهد واسع في طلب الرزق ، ما لم يكن لك صبر على التوكل .
(2) ج / 12 - 131 : - وإن لم تسع يأتك حتى بابك ، وإن سعيت فلا نصيب لك إلا الصداق .

2405 - قائلا : لأرى هل يأتيني الرزق ، حتى يقوى ظني وإيماني أن الرزق من الله .
 - وضلت قافلة طريقها ، وسارت نحو الجبل ، فرأت ذلك الذي يمتحن " ربه " نائما .
 - فقالوا : كيف يكون هذا الرجل وحيدا في هذه الناحية ؟ في صحراء بعيدة عن المدينة وعن الطريق ؟
 - عجبوا ، هل هو حي أو ميت ؟ وكيف لا يخاف من ذئب أو من عدو ؟ ! - وتقدموا وأخذوا يتحسسونه بأيديهم ، فلم يتحدث ذلك الرجل عن عمد .

2410 - ولم يتحرك ، ولم يحرك رأسه ، ولكي يتم امتحانه ، لم يفتح حتى عينيه ! !
 - فقال " أحدهم " : إن هذا المسكين المحروم ، قد سقط هكذا بالسكينة من الجوع
 - فأتوا بالخبز وبطعام في قدر ، حتى يصبوه في حلقه وفي فيه .
 - فضم الرجل عامدا أسنانه بشدة ، حتى يرى صدق ذلك الوعد .
 - فأشفقوا عليه قائلين : إنه شديد الجوع ، وهو هالك " لا محالة " من الجوع و " ماض " إلى الفناء .

2415 - فأتوا بسكين وأسرعوا إليه ، وفصلوا ما بين أسنانه التي أطبقها .
 - وصبوا الحساء في فمه ، وأخذوا يدسون لقيمات الخبز في فيه .
 - فقال : أيها القلب بالرغم من أنك أخذ في الاستسلام ، فإنك تعرف السر لكنك تتدلل .
 - قال القلب : نعم ، أعلم ، وأفعل ما أفعله عن عمد ، فالرازق هو الله ، لجسدى وروحي .

- وكيف يكون هناك امتحان أكثر من هذا ؟ ، إن الرزق يمضي سعيدا إلى الصابرين . “ 1 “

جواب الثعلب على الحمار وحثه إياه على الكسب

- 2420 -** قال الثعلب : دعك من هذه الحكايات ، واطرق أبواب الكسب ، ولو بجهد المقل .
 - لقد أعطاك الله يدا ، فقم بعمل ما ، وقم بكسب ما ، وعاون العدو والصديق .
 - فكل من يخطو خطوة نحو الكسب ، فإنه يقوم بعون أصدقاء آخرين .
 - ذلك أن كل الكسب لا يتأتى من شخص واحد ، فهناك نجار وهناك سقاء وهناك حائك .
 - وهذه الدنيا قائمة على المشاركة ، وكل إنسان يختار عملا ما من افتقاره .

2425 - وليس للخيال الساذج مجال هنا ، فإن سبيل السنة هو العمل والاكتساب .

جواب الحمار على الثعلب أن التوكل هو أفضل الكسب فكل إنسان محتاج إلى التوكل ، حتى يدعو : اللهم هيء لي هذا العمل ، والدعاء يتضمن التوكل والتوكل كسب لا يحتاج إلى كسب آخر قط . . . إلى آخره

- قال " الحمار " : إنني لا أعلم في الدارين كسبا أفضل من التوكل على الله " تعالى " .

.....
 (1) ج 12 / 133 - 134 : - حتى تعلم ذلك ولا تترك التوكل ، وماذا يكون الحرص ؟ من الحمارية والجهل . - ثم فتح بعد ذلك ذلك المسكين فمه ، وقال : لقد قمت بامتحان رزقي . - وكل ما قاله ذلك الرسول طاهر الجيب ، حق ، ولا يوجد فيه أدنى ريب .

- ولا أعرف نظيرا للكسب المتمثل في شكره تعالى ، حتى يجذب شكر الله مزيدا من الرزق .
“ 1 “

- وطال بينهما الجدل والخطاب ، حتى حارا سؤالا ، واحتارا في الجواب .
- ثم قال " الثعلب " : اعلم أنه بشأن هذه المهلكة ، قد ورد نهى الله فقال

[لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة] .

2430 - والصبر في صحراء قاحلة وبين الأحجار يكون من الحمق ، وذلك لأن أرضالله واسعةٌ
*

- فانتقل من هنا صوب المروج ، والرع الخضرة هناك ، إلى جوار النهر الجاري .
- والمرج " هناك " أخضر وكأنه الجنان ، والخضرة هناك نامية ، تصل حتى الوسط .
- وسعيد ذلك الحيوان الذي يمضى إلى هناك ، إن الجمل نفسه ليختفي بين الخضرة .
- وكل ركن فيه نبع فياض ، والحيوان منعم فيه وفي أمان

2435 - ومن حماريته لم يقل له الحمار : أيها اللعين ، لقد جئت من هناك ، فلماذا أنت نحيل ؟
- وأين امتلاؤك ؟ وأين نضرة النعيم ؟ وأين بهاؤك ؟ وما هذا النحول في جسدك المهدود ؟
- وإذا لم يكن كلامك المفصل عن الروضة كذبا وبهتانا ، فلماذا لا أرى في عينيك النشوة ؟

.....

(1) ج / 12 - 139 :

- والتوكل في حد ذاته هو أفضل الكسب ، ذلك أنك في كل كسب ممدود اليد إلى الله .
- داعيا : يا الله هيء لي من أمرى رشدا ، وهذا الدعاء من قبيل التوكل إن فكرت جيدا .
- ففي التوكل لا يكون ثم احتياج قط ، وهو الفراغ من نقص الدخل ومن الخراج .

- وهذا الإلحاح والطمع ، وهذا العمى في البصر ، " نابعان " من كونك متسو لا ، لا من أنك قد تبوأتم الإمارة
- وإذا كنت قد جئت من النبع ، فكيف تكون جافا هكذا ؟ وإذا كنت نافجة غزال ، فأين أريج المسك ؟ ! “ 1 “

2440 - وكيف لم تبذ عليك أمانة واحدة مما تتحدث عنه أو تفصل فيه أيها المحترم ؟

ضرب الجمل للمثل

في بيان أن المخبر عن دولة ونصرة ونعيم لا ترى أثرها عليه يكون موضع اتهامه بأنه مقلد في الحديث عنها

- سأل أحدهم الجمل قائلا : ها ، قل لي من أين أنت قادم يا مبارك الخطي ؟
- قال من الحمام الساخن الموجود في حيك ، قال : هذا واضح من ركبتيك !!
- لقد رأى فرعون العنود حية موسى عليه السلام ، فأخذ في طلب المهلة وإبداء اللين
- وقال الأذكىاء : كان ينبغي عليه أن يكون أكثر حدة وغضبا ما دام هو رب الدين .

2445 - وسواء كانت المعجزة أفعى أو حية ، ترى ماذا حدث لألوهيته وكبريائه ؟

- لقد كان يهتفاننا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى عند جلوسه ، فما هذا الهلع الذي يبديه من أجل دودة ؟
- وما دامت نفسك ثملة بالنقل والنبذ ، فاعلم أن روحك لم تبصر العناقيد من الغيب .

(1) ج / 12 - 139 : - وإذا كنت قادما من الجنان ، فأين باقة الورد التي جئت بها كهدية ؟ !

- فهناك أمارات تدل على هذا النور ، هي " التجافي منك عن دار الغرور " . " 1 " -
- وعندما يطوف الطائر حول الماء الأجاج ، فذلك لأنه لم يجد المدد من الماء العذب .

2450 - بل إن إيمانه يكون تقليدا ، وروحه لم تر وجه الإيمان .
- ومن هنا يكون المقلد في خطر عظيم ، في الطريق من قاطع الطريق ، الشيطان الرجيم .
- وعندما يرى نور الحق يصير آمنا ، ويصبح ساكنا مطمئنا من اضطرابات الشك .
- فإن زبد البحر يكون دائما في اضطراب وجيشان ، ما لم يصل إلى أصله أي التراب .
- إن هذا الزبد ترابي الأصل وغريب عن الماء ، ولا بد من وجود الاضطراب في الغربة .

2455 - وعندما تتفتح عيناه ويبصر صورة " الحق " ، لا يجد الشيطان عليه بعد يدا .
- وإذا كان الثعلب قد تحدث إلى الحمار بالأسرار ، فقد ألقى بها على عواهنها ، وتحدث بها كالمقلد .
- لقد مدح الماء ، لكنه لم يكن تواقا إليه ، وخمش وجهه ومزق ثوبه ، ولم يكن عاشقا .
- والعذر من المنافق مردود وليس طيبا ، ذلك أنه صادر من الشفة لا من القلوب .

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- إن فيه رائحة التفاح ، لكنه ليس جزءاً من التفاح ، وهذه الرائحة فيه ليست إلا من أجل الأذى .

2460 - وإن هجوم المرأة في قلب المعركة ، ليس شاقاً للصفوف ، بل يجعل الأمر خراباً .
 - وبالرغم من أنك تراها تحمل على الصف حملة الأسد ، إلا أنها إذا أمسكت بالسيف ، ارتعد كفها .
 - فويله ذلك الذي يكون عقله في طبع الأنثى ، وتكون نفسه القبيحة ذكراً مسلطاً على هذا العقل .
 - فلا جرم أن عقله هذا يكون مهزوماً ، ولا ينقله إلا صوب الخسران .
 - وما أسعد ذلك الذي يكون عقله ذكراً ، وتكون نفسه القبيحة أنثى تحت سيطرته .

2465 - يكون عقله الجزئي ذكراً وغالباً ، ويكون سالباً " لسطوة " النفس الأنثى .
 - وهجوم الأنثى جريء أيضاً بصورته وظاهره ، لكن آفته من طبعه الحماري ، مثل ذلك الحمار .
 - والوصف بالحيوانية يزداد في حق المرأة ، ذلك لأنها تركز كثيراً إلى الألوان والروائح .
 - لقد سمع ذلك الحمار " وصف " ألوان المروج ورائحتها ، ففرت كل الحجج التي ساقها من طبعه .
 - لقد احتاج الظمان المطر ولا سحاب ، وأحست النفس بالجوع الشديد ولا صبر .

2470 - والصبر يكون درعا حديديا أيها الأب ، وقد كتب الحق على الدروع : جاء الظفر .
 - والمقلد يسوق مائة دليل في بيانه ، لكنه يبديها على سبيل القياس ، لا عن طريق العيان .
 - إنه يبدو مضمخا بالمسك ولا مسك ، إنها مجرد رائحة مسك ، وليس لديه إلا البعر .
 - وحتى يتحول البعر لديك إلى مسك أيها المرید ، ينبغي أن ترعى سنوات في هذه الروضة .
 - فلا ينبغي أكل التبن والشعير كالحمير ، بل ارفع الأرجوان في " ختن " كالغزلان .

2475 - ولا ترع إلا القرنفل أو الفل أو الورد ، فامض إلى صحراء ختن مع هذا النفر " من الأولياء " .

- واجعل المعدة معتادة على ذلك الريحان والورد ، حتى تجد الحكمة وقوت الرسل .
 - وحل ما بين المعدة وهذا التبن والشعير ، وابدأ في أكل الريحان والورد .
 - ومعدة الجسد تجر المرء نحو مزود التبن ، ومعدة الروح تجذبه نحو الريحان .
 - وكل من يأكل القش والشعير يصير أضحية " للذبح " ، وكل من يكون غذاؤه نور الحق يصبح قرآنا .

2480 - فانتبه ، إن نصفك من المسك ، ونصفك من البعر ، فهيا ، لا تزدد في البعر ، وزد في مسك الصين .

- إن ذلك المقلد يأتي بمائة دليل ومائة بيان ، لكم من طرف اللسان ، ولا روح .
- وعندما لا يكون لدى القائل روح وبهاء ، متى يكون لقوله ورق أو ثمر .
- إنه يتوقع على الناس في الطريق ، لكنه في روحه وداخله أكثر ارتعادا من القشة .
- ومن ثم ، فبالرغم من أن حديثه يكون ذا رواء شديد ، فإن الرعدة تكون مستترة فيه .

الفرق بين دعوة الشيخ الكامل الواصل وبين كلام الناقصين الذين يدعون الفضل لتعلقهم بفضلات العلم التحصيلي

- 2485 -** إن الشيخ النوراني يخبر بالطريق ، ويجعل النور لحديثه " نعم " الرفيق
- فجاهد حتى تصير ثملا ونورانيا ، وحتى يصير نوره لحديثك رفيقا .
 - وإن كل ما يغلي في الدبس ، يكون له في الحقيقة طعم الدبس .
 - وإنك لتجد منه لذة الدبس ، سواء كان من الجزر أو من التفاح أو السفرجل والجوز .
 - وعندما صار العلم مخمرا بالنور ، يجد القوم اللد من علمك النور .
- 2490 -** وكل ما تقوله يكون منورا ، ذلك أن السماء لا تمطر أبدا إلا الطاهر .
- فصر سحابا ، أو صر سماءً وأمطر ، فإن المطر يجعل القناة بلا فائدة .
 - والماء في القناة على سبيل العارية ، لكنه فطرة في السحاب وفي البحر .
 - والفكر والظن على مثال القناة ، والوحي والكشف سحاب وسماء .

- وماء المطر يجعل الحديقة ذات مائة لون ، لكن القناة تجعل الجيران يتشاحنون " على الماء " .

2495 - لقد جادل الحمار الثعلب مرتين أو ثلاث مرات ، ولما كان مقلدا في الأصل ، فقد تجرع الخديعة .

- لم تكن لديه عظمة الإدراك ورؤيته ، فما لبثت فيهقة الثعلب أن أسكتته .
- ولقد جعله الحرص على الطعام ذليلا بحيث هزمه " وأفحمه " وهو يمتلك خمسمائة دليل .

حكاية ذلك المخنث وسؤال اللوطي له أثناء اللوطة : من أجل ماذا هذا الخنجر الذي معك ؟
فقال : من أجل أن أمزق بطن كل من أرادني بسوء فكان اللوطي يروح ويجيء وهو يقول :
الحمد لله أنني لا أريدك بسوء إن بيتي ليس بيتا ، إنه إقليم * وهزلي ليس هزلا ، إنه تعليم إنَّ الله لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا أَيُّ مَا فَوْقَهَا فِي تَغْيِيرِ النَفُوسِ بِالْأَفْكَارِ ،
فإن سأل أحدهما ذا أراد الله بهذا مثلا فيجيب حينذاك : هكذا أردت يضلُّ به كثيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا فكل فتنة كالميزان ، تحمر منها وجوه كثيرة ، ويصبح كثيرون محرومين ، ولو تأملت فيه قليلا وجدت من نتائجه الشريفة كثيرا

- أخذ لوطي مآبونا إلى منزله ، وقلبه وأولج فيه .
- ثم رأى على منطقته خنجر ذلك اللعين ، فسأله : ما هذا الذي على خاصرتك ؟

2500 - فقال : إنه معي بحيث إن أرادني شرير بسوء ، مزقت به بطنه .
- فقال اللوطي : الحمد لله على أنني لم أقصدك بسوء ، وهذا من حصافتي وذكائي .

- فإن لم تكن ثم رجولة ، فما فائدة الخناجر ؟ وإن لم يكن ثم قلب ، فما جدوى المغفر والخوذة ؟
- إنك " قد " ترث عن علي رضي الله عنه سيفه المسمى ذا الفقار ، فإن كان لك ساعد أسد الله ، فأيت به .
- وإذا كنت تعلم دعاء إحياء الموتى من المسيح عليه السلام ، فأين شفتا عيسى وأسنانه أيها القبيح .

- 2505 -** وإنك لتصنع سفينة مما جمعت من صحبتك وفتح " الله به عليك " ، فأين ملاح السفينة مثل نوح عليه السلام ؟
- ولنفرض أنك قمت بتحطيم الأصنام مثل إبراهيم عليه السلام ، فأين التضحية بصنم الجسد في النار ؟
 - وإن كان لديك دليل ، استخدمه ، واجعل سيفك الخشبي " في مضاء " ذي الفقار .
 - وإن ذلك الدليل الذي يمنعك من العمل ، إنما يكون نقمة من الله " لا نعمة " .
 - ولقد جعلت الخائفين في الطريق شجعانا ، وأنت في الحقيقة أكثر ارتعادا ورعبا منهم جميعا .
- 2510 -** وتقوم بإلقاء الدروس في التوكل على الجميع ، وأنت تقصد البعوضة في الهواء " من حرصك " .
- ويا أيها المخنث ، لقد تقدمت على الجيش ، لكن ذكرك " العاقل " يكذب وجود اللحية " في وجهك " .
 - وما دام القلب ممتلئا بانعدام الرجولة ، تكون لحيتك وشاربك من أسباب السخرية منك .
 - فنتب ، واذرف الدموع مدرارا كالமطر ، وخلص لحيتك وشاربك من السخرية ، واشترهما ثانية .

- واشرب دواء الرجولة في العمل ، حتى تصير شمسا حامية في " برج " الحمل .

2515 - ودعك من المعدة ، وتبخر صوب القلب ، حتى يأتيك السلام من الحق دون حجاب .
“ 1 “

- وامض خطوة وخطوتين ، وتكلف بفن ، وأنداك يأخذ العشق بأذنيك جارا إياك . “ 2 “

غلبة حيلة الثعلب على إستعصام الحمار وتعففه وجر الثعلب الحمار نحو عرين الأسد .

- كان الثعلب ثابتا في احتياله ، فأخذ بلحية الحمار ، واصطحب ذلك الحمار .
- فأين مطرب تلك الزاوية حتى ينقر على الدف بنشاط ويغني : ضاع الحمار ، ضاع الحمار .
- وما دام أرنب قد جر أسدا نحو البئر ، فكيف لا يأتي ثعلب بحمار نحو العشب ؟

2520 - فسد أذنيك ، ولا تتجرع وساوس الشيطان ، ولا تسمع إلا وحي ذلك الولي العادل .
- فإن كلامه ذاك ألد من الحلوى ، ذلك الذي تكون كل الحلوى ترابا لقدمه .
- والدنان الخسروانية المليئة بالخمير ، قد أخذت مادتها من خمر شفتيه .

.....
(1) ج / 12 - 165 : - وإذا كنت تريد البطولة كرستم ، فاحمل الخنجر ، وإذا كنت ميالا إلى
الخنوثة ، فالبس طراحة .

(2) ج / 12 - 165 : - وكن ثابتا في الميدان كالرجال ، حتى لا تصبح مبتلى أسفل لمشنقة . -
وحتام تتحدث عن الثياب كالنساء ، ادخل في صفوف الرجال كأنك السنان .

- وتكون عاشقة للخمر تلك الروح المبعدة ، التي لم تبصر خمر شفتيه الياقوتيتين
- وما دام الطائر الأعمى لا يرى الماء العذب ، كيف لا يطوف إذن حول الماء الأجاج ؟

2525 - وموسى الروح يجعل الصدر " في قدسية " سيناء ، ويجعل البغاوات المصابة بالعمى قوية الإبصار .

- ولقد حلت نوبة خسرو عاشق شيرين الروح ، فلا جرم أن السكر قد صار رخيصا في المدينة .
- وأمثال يوسف يحملون بعسكرهم من الغيب ، ويجرون معهم أحقاق السكر .
- وحولت إبل مصر وجوها نحونا ، فاسمعوا أيها الببغاوات صليل الأجراس .
- فإن مدينتنا سوف تصبح في الغد مليئة بالسكر ، والسكر رخيص ، لكنه سيصبح أرخص .

2530 - فهيا يا باعة الحلوى ، تمرغوا في السكر ، كأنكم الببغاوات ، وأنوف المصابين بالصفراء راغمة .

- ودقوا قصب السكر ، فهذا هو عملكم فحسب ، وضحوا بالأرواح ، فهذا هو الحبيب فحسب .
- ولم يبق عابس واحد في مدينتنا ، ذلك أن " شيرين " بلغت من هم أمثال " خسرو " مرادهم .
- فالنقل فوق النقل ، والخمر على الخمر ، فهيا ، واصعد المئذنة ، وقم بدعوة الناس إلى العطاء .
- فالخل الذي عتق تسع سنوات يصير حلوا ، ويتحول حجر المرمر إلى ياقوت مطعم بالذهب .

- 2535 -** والشمس فوق الفلك تقوم بالتصفيق ، والذرات لاعبة في الجو ، وكأنها العشاق .
 - والعيون صارت ناعسة من المروج ، والورود تتفتح فوق الأغصان .
 - وعين الإقبال والدولة تقوم بالسحر المطلق ، وصار المنصور روحا ، فهو لا يفتأ يصيح " أنا الحق " . " 1 "
- فإذا كان الثعلب يقوم بخداع الحمار ، قل له : فلتأخذه ، ولا تكن أنت حمارا ، ولا تغتم .

حكاية ذلك الشخص الذي من خوفه على نفسه ألقى بنفسه في دار شاحب الوجنتين كالزعران،
 أزرق الشفتين كالنيلة مرتعد اليدين كأوراق الشجرة ،
 فسأله رب الدار : ما الخبر ؟ وماذا حدث ؟ قال : إنهم في الخارج يأخذون الحمير للسخرة ،
 قال : مبارك عليهم ، إنهم يأخذون الحمير ولست حمارا ، فلماذا تخاف ؟
 قال : إنهم يجدون في أخذها ، وقد زال التمييز وأخشى اليوم أن أعتبر حمارا

- أخذ أحدهم يمضي هاربا داخل منزل ، شاحب الوجه ، أزرق الشفة ، مخطوف اللون .

- 2540 -** فقال له صاحب الدار : خيرا ؟ ! ما بالك ترتعد هكذا كيد العجوز ؟
 - ما الخبر ؟ ولماذا هربت ؟ ولماذا أنت شاحب الوجه هكذا ؟
 - قال : إنهم يأخذون الحمير خارج الدار من أجل السخرة للملك الطاغية .

.....
 (1) ج / 12 - 169 :

- وصارت زليخا من " وصال " يوسف شابة من جديد ، فابدأ اللهو من جديد سعيدا هانئا .
 - وأضرم نارا داخل القلب ، وأحرق عليها البخور لدفع عين السوء .
 - وكن " منغمسا " في حالك مقيما عليه سعيدا ، حتى تجد المراد في عالم الروح .

- قال : فليأخذوها ، فأين الحمار يا روح عمك ؟ وما دمت لست حمارا ، فامض ، فما عليك من بأس .

- قال : إنهم في منتهى الجد ، ويأخذونها بحماس ، وليس من العجيب أن يعتبروني حمارا .

2545 - لقد جدوا في أخذ الحمير جدا شديدا ، والتمييز بدوره قد انتفى .

- وما دام الذين يرأسوننا بلا تمييز ، فإنهم يأخذون صاحب الحمار بدلا من الحمار .

- لكن عليك مدينتنا نحن ليس بالأخذ كيفما اتفق ، فإن لديه تمييزا ، وهو السميع البصير .

- فكن إنسانا ، ولا تخش أخذى الحمير ، لست حمارا يا عيسى عصرى ، فلا تخف .

- والفلك الرابع مليء أيضا بنورك ، وحاشا لله أن يكون مقامك الإصطبل .

2550 - إنك أعلى من الفلك والكواكب ، وإن كنت من أجل المصلحة " مربوطا " في حظيرة .

- لكن شتان ما بين أمير الإصطبل وبين الحمار ، فليس كل من أقام في الإصطبل حمارا .

- وما وقوعنا هكذا في أثر الحمار ؟ ! ، تحدث عن الروضة وعن الورود النظرة .

- تحدث عن الرمان والأترج وأغصان التفاح ، وعن الشراب والحسان بلا حد ولا حصر .

- أو عن ذلك البحر الذي موجه كله من الجواهر ، وجوهره متحدث وذو بصيرة .

2555 - أو عن تلك الطيور التي تقطف الورود ، وتضع بيضا ذهبيا وفضيا .
 - أو عن تلك البزاة التي تربي طيور القطا ، وتقوم بالطيران على وجوها وعلى ظهورها .
 - فهناك سلام خفية في الدنيا ، موجودة درجة درجة حتى عنان السماء .
 - ولكل جماعة سلم مختلف ، ولكل نوع من السير سماء مختلفة .
 - وكل جماعة لا علم لها بحال الأخرى ، إنه ملك عريض لا نهاية له .

2560 - وهذا حائر ، لماذا هذا الآخر سعيد هكذا ، وهذا الآخر مندهش من حيرته .
 - وساحة أرض الله ساحة واسعة ، وكل شجرة قد أطلت من أرض ما .
 - والأوراق والأغصان شاكرة على الأشجار ، قائلة " ما أعجبه من ملك ! ! وما أبدعها من ساحة واسعة ! !
 - والبلايل حول البراعم المليئة بعقد " الأزهار " قائلة لها : أعطينا مما تأكلين
 - وهذا الكلام لا نهاية له ، فعد بنا نحو ذلك الثعلب والأسد والسقم والجوع .

أخذ الثعلب الحمار إلى الأسد ، وهرب الحمار من الأسد ،
 ولوم الثعلب للأسد قائلا : لقد تعجلت والحمار لا يزال بعيدا ،
 واعتذار الأسد ورجاؤه الثعلب قائلا : إمض ، واخذه مرة أخرى

- 2565 -** عندما اصطحبه من الجبل صوب المروج ، حتى يمزقه الأسد إربا بهجومه عليه .
 - كان لا يزال بعيدا عن الأسد ، لكن ذلك الأسد لم يصبر برهة على الهجوم حتى يقترب منه .
 - وقوس الأسد المهول ظهره كالقبة وهو فوق مرتفعه ، لكنه لم يكن له في الأصل حولٌ أو طول .
 - فرآه الحمار من على البعد ، وعاد أدراجه هاربا ، نحو سفح الجبل ، ممزقا حدوته .
 - قال الثعلب للأسد : يا مليكنا ، لماذا لم تصبر عندما حل الوغى ؟
- 2570 -** حتى يقترب منك ذلك المخدوع ، وحتى تتغلب عليه بأقل جهد ممكن ؟
 - إن العجلة والتسرع من مكر الشيطان ، والصبر والاحتساب من لطف الرحمن .
 - لقد كان بعيدا ، ورأى الهجوم ، وانطلق هاربا ، وظهر ضعفك للعيان ، وأريق ماء وجهك .
 - قال : لقد ظننت أنني لا زلت على قوتي ، ولم أكن أعلم أن الضعف قد أصابني إلى هذا الحد .
 - كما أن جوعي وعوزي قد جاوزا الحد ، وتاه صبري ، وضاع عقلي من الجوع .
- 2575 -** فلو استطعت بما لك من عقل أن ترده إلي ، وأستعيده ، - فإنني أكون ممتنا لك كثيرا ، فاجتهد ، ربما تستطيع أن تأتي به بفنك .
 - قال " الثعلب " : نعم ، إن أعانني الله تعالى ، ووضع على قلبه ختما من العمى .

- أو ينسى الهول الذي قد رآه ، وهذا ليس ببعيد عن حماريته .
- لكن عندما آتي به ، لا " تتسرع " في الهجوم عليه ، حتى لا تفقده ثانية من عجلتك .

2580 - قال الأسد : نعم ، لقد جربت الأمر ، و " أدركت " أنني مريض جدا ، وصار جسدي مضعضعا .

- ولن أتحرك ما لم يقترب مني الحمار تماما ، وسوف أكون هامد الجسد .
 - فسار الثعلب وهو يدعو قائلا : الهمة أيها المليك ، حتى تحجب غفلة ما عقله .
 - فلقد تاب الحمار مرات عديدة إلى الله ، ألا يتجرع خديعة كل محتال شرير .
 - فلأنكث أنا كل توباته بفني ، فنحن أعداء العقل والعهد البين الواضح .
- 2585 -** وإن رأس الحمار بمثابة الكرة في أيدي أطفالنا ، وفكره العوبة في أيدينا ، ووساوسنا .
- والعقل الذي يكون " مكتسبا " من دوران زحل ، لا قيمة له أمام العقل الكلي .
 - لقد صار ذلك العقل عالما من عطارذ ومن زحل ، لكن " عقلنا " من عطية الله المتخلق باللفظ .
 - إن قولهم الإنسان ما لم يعلم هو هيئة طغرائنا ، و [العلم من عند الله] هو مقصدنا .
 - ونحن ربائب تلك الشمس المنيرة ، ومن هنا فنحن نتوجه قائلين : سبحان ربي الأعلى .

2590 - فإن كانت قد صارت لديه تجربة من كل ما رآه ، فإن مائة تجربة تتحطم من هذه النفثات .

- فلعله يرجع عن توبته ذلك الواهن الطبع ، ويحقيق به شؤم النكوص عن هذه التوبة .

في بيان أن نقض العهد والتوبة يكون موجبا للبلاء بل والمسوخ كما ورد
في حق أصحاب السبت وأصحاب مائدة عيسى عليه السلام :
وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وفي هذه الأمة يكون مسخا للقلب ،
ويوم القيامة تصور الأجساد كما تكون القلوب

- إن نقض الميثاق والرجوع عن التوبة مرارا ، يصبح في النهاية موجبا للجنة .
- وإن نقض أصحاب السبت للعهد والميثاق ، كان سببا في المسخ والإهلاك والمقت .
- لقد جعل الله من هؤلاء القوم قرودا ، عندما نكثوا عهد الله من مرائهم .

2595 - وفي هذه الأمة لا يكون مسخ البدن ، لكنه يكون مسخ القلب ، يا ذا الفطن .
- وعندما يصير قلبه ذاك قلب قرد ، فإن بدنه يصير ذليلا من قلب القرد .
- ولو كان لقلبه فضل من الاختيار ، فمتى كان ذلك الحمار يحس بالذل من صورته ؟
- وكان كلب أصحاب الكهف طيب السيرة ، فلم يعتره أي نقص من شكله وصورته .
- وكان لأصحاب السبت المسخ الظاهر ، حتى يرى الخلق أنهم كبتوا عيانا بيانا .

2600 - وعن طريق الباطن والسر هناك آلاف آخرون ، صاروا من نقض التوبة حميرا
وخنازير .

عودة الثعلب إلى الحمار الهارب ليعاود خداعه

- ثم جاء الثعلب سريعا نحو الحمار ، فقال الحمار : الحذر من مثلك رفيقا .
- أيها القدم ، ماذا اقترفت في حقك حتى حملتني إلى الأفعى ؟ ! “ 1 “
- وما هو سبب حقدك على روحي ، اللهم إلا خبت جوهرك أيها العنود .
- مثل العقرب التي تلدغ قدم الفتى ، دون أن يلحقها منه أدنى أذى .

- 2605 -** أو الشيطان الذي هو عدونا للدود ، ولم يلحقه منا ضرر أو خسران .
- بل إنه بالطبع خصم لدود للإنسان ، وسعادتته في هلاك الإنسان .
 - إنه لا ينقطع عن مطاردة الإنسان ، فمتى يترك جبلته وطبعه القبيح ؟
 - ذلك أن خبت ذاته بلا موجب أو سبب ، يجذبه دائما نحو الظلم والعدوان .
 - إنه في كل لحظة يدعوك نحو الإيوان ، حتى يلقي بك في قاع الجب .

- 2610 -** ويقول لك : في مكان كذا عيون وجداول ، حتى يلقي بك منقلبا في حوض الماء .
- وآدم عليه السلام مع هذا الوحي والنظر ، ألقى به ذلك اللعين في الفتنة والشر . “ 2 “
 - وذلك دون ذنب ودون أذى سبق " منه " ، أو ظلم بدر من آدم عليه السلام في حقه . “ 3 “

.....

- (1) ج / 12 - 195 : - أيها القدم ، ماذا اقترفت في حقك ، حتى تجعلني أنازل أسدا ؟
- (2) ج / 12 - 195 : - وآدم عليه السلام مع كل هذا الوحي والنذير ، جندله هذا اللعين وحمله حتى البئر .
- (3) ج / 12 - 195 : - فمتى يحيق به ظلم من الناس ، بحيث يأتيهم في كل لحظة بأحمال من الغم .

- قال الثعلب : لقد كان ما رأيته طلسمًا مسحورًا ، بدا لعينيك كأنه أسد .
- وإلا فأنا أشد ضعفًا منك جسداً ، وها أنا أعيش هناك ليل نهار وأرعى .

- 2615 -** ولو لم يصنعوا طلسمًا سحريًا على هذا الشكل ، لهجم كل شره على ذلك المكان .
 - وهناك عالم محروم مليء بالفيلة والخراتيت ، فمتى كان مرجٌ أخضر يبقى دون طلسم ؟ !
 - لقد أردت أنا نفسي أن أقول لك وأخبرك ، ألا تخاف عندما ترى ذلك الهول .
 - لكنني نسيت أن أخبرك به وأعلمك ، فقد كنت مشغولًا بالشفقة عليك ، والرقعة لحالك .
 - لقد رأيت شديد الجوع والإملاق والحرمان ، فكنت أسرع حتى آتي بك نحو الدواء .
- 2620 -** وإلا لكنت قد قلت لك كل شيء عن الطلسم ، وأنه خيال ذلك الذي يظهر لك ، وليس بالجسد المحسوس . “ 1 “

جواب الحمار على الثعلب

- قال الحمار : هيا ، إمض عني أيها العدو ، حتى لا أرى وجهك يا قبيح الوجه .
 - وذلك الإله الذي جعلك شقيًا ، جعل وجهك القبيح كريها صفيقًا
 - فبأي وجه قد جئت إليّ ؟ ، إن مثل هذا الجلد السميك لا يكون حتى للكركدن .
 - ولقد سعيت في دمي عيانًا بيانا ، قائلًا لي : سوف أصحبك إلى المرج .
-
- (1) ج / 12 - 196 : - ولقد نسيت أن أقص عليك أخبار هذا الشيء المهيّب الذي يخطف القلوب .

2625 - حتى رأيت وجه عزرائيل " رأى العين " ، ثم جئت إليّ ثانية باحتيالك وتسويلاتك .
 - وبالرغم من أنني حمارٌ بل عار على الحمر ، فأنا حي وذو روح ، فمتى يخيل عليّ هذا ؟
 - وما رأيت من هول لا يرحم ، إن كان طفلاً قد رآه ، لشاخ من فوره .
 - وخوفاً من ذلك الهول ، ألقيت بنفسي منقلباً من فوق الجبل ، وقد سلب مني القلب ، وسلبت مني الروح .
 - ذلك أن قدمي كانت قد انعقدت في تلك اللحظة من الرعب ، عندما رأيت ذلك العذاب سافر الوجه بلا حجاب .

2630 - ولقد عاهدت الله قائلاً : يا ذا المنن ، فلتفك هذا القيد من حول قدمي .
 - ولا أستمعن لوسوسة أحد من بعد هذا ، فلقد عاهدت ونذرت أيها المعين .
 - ولقد فك الحق تلك اللحظة القيد عن قدمي ، من دعائي ذاك وتضرعي وإشاراتي .
 - وإلا للحق بي ذلك الأسد الهصور ، وماذا كان الحمار يصبح بين مخالب الأسد ؟
 - ثم أرسلك ثانية أسد العرين ذاك ، إلى من مكره ، يا بئس القرين .

2635 - وبحق ذات الله الصمد الطاهرة ، إن الحية الرقطاء أفضل من رفيق السوء .
 - فإن الحية الرقطاء تسلب الروح من الملدوغ ، ورفيق السوء يأتي برفيقه نحو نار الأبد .
 - ومن القرين - دون قول ودون حديث - يسرق قلب قرينه في الخفاء خصاله من خصال قرينه .

- وعندما يلقي عليك بظله ، يسرق منك ذلك الدنيء قيمتك وقدرك .
- وحتى إن كان عقلك قد صار حية ثملة " بقوتها " ، إعتبر رفيق السوء بمثابة الزمرد له .

2640 - فإن بصيرة عقلك تنطلق خارجة منه ، وتضعك طعنته بين كفي الطاعون . “ 1 “

جواب الثعلب على الحمار

- قال الثعلب : ليس هناك كدر في صفائنا ، لكن الأمور التي يصورها الوهم ليست بالشيء الهين .
- وكل هذا وهم منك يا ساذج القلب ، وإلا فليس عندي بشأنك غل أو غش .
- فلا تنظر إليّ بخيالك القبيح ، فمن أي شيء أسأت الظن بالمحبيين ؟
- وظن خيرا دائما في إخوان الصفاء ، حتى ولو رأيت منهم الجفاء ظاهرا
- 2645 -** فإن هذا الخيال والوهم السيء عندما بدا ، قد فرق بين مئات الآلاف من الرفاق وبين رفاقهم .
- وإذا ما قام مشفق بالجور على سبيل الامتحان ، فينبغي أن يكون هناك عقل ، حتى لا يساء الظن .
- وبخاصة أنني لم أكن سئ الجبل ، وإن كنت قبيح الاسم ، وما رأيته ، لم يكن شرا ، كان طلسما .
- وحتى وإن كان ما أفكر فيه بشأنك من قبيل السوء ، فإن الرفاق يتجاوزون عن هذا الخطأ .
- فإن عالم الوهم ، وخیال الطمع والخوف ، هي سدٌ عظيم بالنسبة للسالك .

(1) ج / 12 - 199 : - ولا يوجد في الدنيا ما هو أسوأ من رفيق السوء ، وقد صار لي هذا في حد ذاته عين اليقين .

2650 - وإن الصور التي يبديها ذلك الخيال المصور ، صارت أذى وضرا لمثل إبراهيم الخليل عليه السّلام الذي كان جبلا .

- فقال إبراهيم العظيم عليه السّلام : هذا رَبِّي * ، عندما سقط في عالم الخيال والوهم .
- وهكذا أول ذكر إبراهيم عليه السّلام للكواكب ، ذلك الشخص الذي ثقب در التأويل .
- أن عالم الوهم والخيال الذي يقيم سدا أمام البصر ، اقتلع ذلك الجبل من مكانه .
- حتى تفوه بعبارة هذا رَبِّي * ، فماذا يكون حال الحمار أو حال أشباهه ؟

2655 - ولقد غرقت عقول كأنها الصم الرواسي ، في بحار الوهم ودوامة الخيال .

- ومن هذا الطوفان افتضاحٌ للجبال ، فأين الأمان اللهم إلا في سفينة نوح عليه السّلام .
- ومن هذا الخيال القاطع لطريق اليقين ، انقسم أهل الدين إلى أتباع لاثنتين وسبعين مذهباً .
- ورجل اليقين نجا من الوهم ونجا من الخيال ، ولا يقول عن شعرة من حاجبه أنها الهلال .
- وذلك الذي لا يكون له سند من نور عمر رضي الله عنه ، تقطع الطريق عليه شعرة ملتوية من حاجبه .

2660 - ومئات الآلاف من السفن الضخمة المهولة ، تحولت إلى ألواح محطمة في بحر الوهم .

- وأقلها فرعون النابغة الفيلسوف ، وقمره في برج الوهم في خسوف .

- ولا أحد يعرف من تكون المرأة البغي ، وذلك الذي يعرفها ، لا يقع في الظن والوهم .
- وما دام الوهم الذي أنت مقيم عليه يدير منك الرأس ، فلماذا تطوف حول وهم طف برأس آخر ؟
- وأنا عاجز من هذه " الأنا " (التي لي) ، فلماذا جلست أمامي وأنت ممثليء بأنييتك ؟

- 2665** - إنني أبحث بالروح دون " أنا " ودون " محن " ، حتى أصبح كرة لهذا الصولجان .
- وكل من صار بلا " أنا " صارت كل " الأنات " له ، وصار حبيبا للجميع من لم يحب نفسه .
 - والمرأة الخالية من الصور ترتفع قيمتها ، ذلك أنها تكون عاكسة لكل الصور .

حكاية الشيخ محمد سررزي الغزنوي

- كان هناك زاهدٌ في غزنة عنده مزية من العلم ، كان اسمه محمد وكنيته سررزي .
 - كان إفطاره في كل ليلة طرف غصن من الكرم " سر رز " ، وظل سبع سنوات ساعيا في أثر مطلب واحد .
- 2670** - كان قد رأى كثيرا من العجائب من مليك الوجود ، لكن هدفه ومطلبه ، كان " إجتلاء " جمال " المليك .
- فصعد إلى قمة جبل ذلك الملول من نفسه ، وقال : فلتتجل لي ، أو لألق بنفسي إلى الهاوية .

- فكوشف أن لم يأت أوان هذه المكرمة ، وإن سقطت ، فلن تموت ، ولن أقتلك .
- فألقى بنفسه من فرط المودة والعشق ، لكنه سقط في ماء عميق .
- وعندما لم يمت ، ناح هذا الرجل الملول من روحه على نفسه ، من الخيبة ، وفراق الموت .

- 2675 -** فقد كانت هذه الحياة تبدو له كالموت ، وكانت الأمور بأجمعها قد انقلبت أمام ناظريه .
- لقد كان يستجدي الموت من الغيب ، وكان يصيح : " إن في موتي حياتي " .
 - كان مستقبلا للموت وكأنه الحياة ، وكان مصمما على هلاك روحه .
 - كان السيف والخنجر ريحانة له ، وكأنه على المرتضى رضي الله عنه ، والنرجس والنسرين أعداء روحه .
 - فهتف به الهاتف قائلا : إمض من الخلاء إلى المدينة ، كان هاتفا عظيما مما وراء السر والجهر .

- 2680 -** فقال له : يا عالما بسرى شعرة بشعرة ، ماذا على أن أفعل في المدينة ؟ قل لي .
- قال : إن ما ستفعله ، أن تجعل من نفسك فترة " كعباس الدبس " من أجل إذلال النفس .
 - فداوم على تكدي المال فترة من الأغنياء ، لكن داوم أيضا على توصيله إلى الفقراء .
 - هذه هي خدمتك التي تقوم بها لفترة من الزمن . فقال : السمع والطاعة ، يا ملاذ الروح .

- وكان هناك سؤال وجواب وحوار طويل ، بين الزاهد وبين رب الورى .

2685 - بحيث امتلأت السماء والأرض بالنور ، وكل هذا مذكور في المقالات .
- لكنني اختصرت ذلك المقال ، حتى لا يحتسى كل خسيس الأسرار .

مجيء الشيخ بعد عدة سنوات من الخلاء إلى مدينة غزنة ، وطوافه بالزنبيل " متكديا "
طبقاً للأوامر الغيبية ، وقيامه بتوزيع كل ما يجمعه على الفقراء كل من
كان لروحه عز لبيك * تتوالى عليه الرسائل واحدة بعد الأخرى ورسول بعد رسول
كما تكون كوة الدار مفتوحة ، لا ينقطع عنها نور الشمس أو ضياء القمر
أو المطر أو الرسائل وما إليها

- اتجه إلى المدينة ذلك المطيع للأمر ، فنورت مدينة غزنة بوجهه .
- وذهب جمع غفير لاستقباله فرحاً به ، لكنه تسلل سريعاً من طريق غير مطروق .
- ونهض كل الأعيان والعظماء ، وزينوا قصورهم من أجله .

2690 - فقال : إنني لم آت من أجل إظهار النفس ، لم آت إلى هنا إلا من أجل الذل والتكدي .
- ولست عازماً على إلقاء المواعظ والدروس ، لكنني عازمٌ على الطواف من باب إلى باب ،
والزنبيل في يدي .
- إنني عبد للأمر ، وهذا أمر الله ، أن أكون متسولاً ، فلاأكن إذن متسولاً .
- وعلى أيضاً ألا تلفظ أثناء التسول بلفظ نادر ، وألا أسلك إلا طرق الشحاذين الأخساء .
- حتى أصبح غريقاً تماماً في المذلة ، وحتى أسمع الشتائم من خاصة الناس وعامتهم .

2695 - إن أمر الحق روح ، وأنا تبع له ، لقد أمر بالطمع ، وذل من طمع
 - وما دام سلطان الدين يريد مني الطمع ، فليكن التراب إذن على مفرق القناعة
 - إنه يريد الذل ، فمتى أطوف حول العز ؟ وهو يريد الكدية ، فكيف أقوم بالإمارة .
 - ومن الآن فصاعدا ، ليكن التكدى والذل لروحي ، وليكن هناك عشرون " من أمثال " عباس في
 خرجي .
 - وأخذ الشيخ يطوف والزنبيل في يده صائحا : شيئا لله يا سيدي ، وفقك الله .

2700 - إن أسرارهِ أعلى من الكرسي والعرش ، وعمله هو التسول قائلا : شيئا لله ، شيئا لله .
 - وهذا هو نفسه عمل الأنبياء ، إنهم يتكدون من الخلق المفلسين .
 - إنهم يصيحون : أقرضوا الله ، أقرضوا الله ، إنهم يتحدثون على العكس ويقولون : أنصروا
 الله .
 - وهذا الشيخ يتضرع من باب إلى باب ويلح ، وفوق الفلك ، هناك مائة باب مفتوحة أمامه .
 - فإن تلك الكدية التي كان يقوم بها بجد ، كانت في سبيل الله ، ولم تكن من أجل الخلق .

2705 - وحتى إن كان يقوم بها من أجل الخلق ، فإن ذلك الخلق كان ساميا من نور الله .
 - فإن أكل الخبز وشرب اللبن من جانبه ، أفضل من أربعينية أو طي لثلاثة أيام من مائة فقير .

- إنه يحتسي النور ، فلا تقل أنه يأكل الخبز ، إنه يزرع الشقائق ، وإن كان يأكلها ظاهرا .
- إنه كاللهب الذي يشرب الزيت من الشمع ، ويزداد النور من أكله إياه ، بين الجمع .
- ولقد قال الله بشأن أكل الخبز لا تُسرُّفُوا، لكنه لم يقل بشأن أكل النور : اكتفوا .
- 2710 -** إن ذلك الحلقوم من أجل الابتلاء ، وهذا الحلقوم فارغ من الإسراف وآمن من الغلو .
- كان أمرا ، لم يكن حرصا وطمعا ، فمثل تلك الروح ، لا تكون للحرص تبعا .
- فإن قالت كيمياء " التبديل " للنحاس : إعطني نفسك ، لا يكون طمعا ، بل علو همة . “ 1 “
- كان قد عرض كنوز الأرض أمام شيخ الحق حتى الطباق السابع .
- فقال الشيخ : أيها الخالق ، إنني عاشق ، وإذا بحثت عن سواك ، أكون فاسقا
- 2715 -** وإذا وضعت الجنان الثمانية في الحساب ، أو قمت بالخدمة والطاعة خوفا من سقر ،
- أكون مؤمنا باحثا عن السلامة ، وهاتان كلتاها من حظ البدن .
- والعاشق الذي أكل قوته من عشق الله ، لا يساوى مائة بدن عنده خردلة . “ 2 “
-
- (1) ج / 12 - 211 : - إن ذلك التكدى الذي كان يقوم به بجد ، كان من آثار حكمته هو .
- (2) حرفيا : توتة فجة .

- وهذا البدن الذي كان لذلك الشيخ الفطن ، كان قد صار شيئاً آخر فلا تسمه بدنا .
- فهل ثم عاشق لله و " طمع في الأجر " ؟ وهل يتفق أن يكون جبريل مؤتمنا ثم يكون لصا ؟

2720 - إن العالم في نظر عاشق ليلى ذلك المضطرب الحزين ، لا يساوى شروى نقيير . “ 1
“ - لقد تساوى عنده التراب والذهب ، وماذا يكون الذهب عندما لا يكون للروح نفسها خطر ؟
- ولقد فهمه الأسد والذئب والوحش ، فتحلقوا جميعاً حوله ، كالأهل والأقارب .
- ذلك أنه قد صار بريئاً تماماً من طبع الحيوان ، إمتلاً بالعشق وصار لحمه وشحمه مسممين .
- وإن ما يصبه العقل من سكر يكون سما بالنسبة للحيوان ، ذلك أن الطيب تماماً يكون ضد الشرير .

2725 - ولا يجرؤ الوحش على التهام لحم العاشق ، فإن العشق معروف لدى الصالح والطالح .
- وإن أكله الحيوان على سبيل الفرض ، يكون لحم العاشق سما بالنسبة له ويقتله .
- فكل ما هو سوى العشق صار مأكولاً للعشق ، والعالمان كحبة واحدة أمام " منقار " طائر العشق .

- فهل أكلت حبة طائراً قط ؟ ، وهل رعى مزوداً جوداً قط ؟
- فقم بالعبودية علك تصبح عاشقاً ، فالعبودية كسب ، يتأتى من العمل

.....
(1) حرفياً : ورقة كراث .

- 2730 -** والعبد يطمع في الحرية " إن سمح " إقباله ، لكن العاشق لا يريد الحرية إلى الأبد .
 - والعبد دائما ما هو طالب للخلعة والأجر ، وخلعة العاشق دائما هي رؤية الحبيب .
 - والعشق لا يستوعبه مقال أو بيان ، فالعشق بحرٌ لا يبدو له قرار .
 - ولا يمكن عد قطرات البحر وحصرها ، والبحار السبعة صغيرة أمام هذا البحر .
 - وهذا الكلام لا نهاية له يا فلان ، فعد بنا إلى قصة شيخ الزمان

في معنى [لولاك لما خلقت الأفلاك]

- 2735 -** صار شيخ كهذا متسولا من حي إلى حي ، فقد جاء العشق وهو لا يبالي ، فاتقوه .
 - إنه يجعل البحر يغلي وكأنه القدر ، كما أنه يبرى الجبل ، فكأنه الرمل .
 - والعشق يصيب الأفلاك بمائة شق ، والعشق يزلزل الأرض زلزالا ولا يأبه بها .
 - لقد كان عشق الطاهر قرينا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل هذا العشق ، قال له الله :
 لولاك .
 - ولما كان في العشق فردا ، فقد خصه صلى الله عليه وسلم من بين كل الأنبياء .

- 2740 -** فلو لم يكن من أجل العشق الطاهر ، متى كنت أخلق الأفلاك ؟
 - ولقد رفعت الفلك السني ، ذلك لكي تفهم علو العشق .
 - وهناك منافع أخرى تتأتى من الفلك ، تابعة له ، كما تتبع البيضة الفرخ .
 - ولقد جعلت التراب بأجمعه ذليلا ، حتى تفهم شيئا ما من ذل العاشقين .
 - وأعطيت التراب أيضا الخضرة والنضرة ، حتى تصبح عارفا بتبديل الفقير .

- 2745 -** وتحدثك أيضا تلك الجبال الراسيات ، عن أحوال العشاق في ثباتهم .
 - وبالرغم من أن كل هذه صور وذاك معنى يا بني ، إلا أنها هكذا من أجل أن تكون أقرب إلى فهمك .
 - ولقد شبهوا الأحزان بالأشواك ، وهي ليست على شكلها ، لكنه تنبيه إلى المعنى .
 - وذلك القلب القاسي الذي سموه حجرا ، لم يجدوا الوصف مناسباً ، فضربوا لك مثلاً .
 - وإن لم يُتصور عين الشيء المراد ، يكون العيب منصبا على الصورة ، لكن إياك أن تنفيها .

ذهاب ذلك الشيخ كل يوم أربع مرات إلى منزل أحد الأمراء متكدياً بزنبيله
إطاعة لإشارة الغيب ، ولوم الأمير له على هذه
الوقاحة واعتذاره للأمير

- 2750 -** ذهب الشيخ ذات يوم أربع مرات إلى قصر أحد الأمراء ، يتكدى وكأنه " المتسول " الفقير .
 - الزنبيل في يده وهو يصيح : شيئاً لله ، إن خالق الروح يطلب لقمة من الخبز .
 - إنها أفعال تجرى عكس ما ينبغي يا بني ، تجعل العقل الكلى بدوره دائر الرأس .
 - وعندما رآه الأمير قال له : أيها الوقح ، سوف أقول لك شيئاً ولا تسمني شحيحاً . " 1 "
 - ما هذا الجلد السميك وهذا الوجه الصفيق وهذا الفعل السوء بحيث تأتي في اليوم الواحد أربع مرات ؟

(1) ج / 12 - 300 : - أيها الخسيس معدوم الحياء حتام هذا الإلحاف في الطلب ، وإلام تنحني هكذا من أجل الرزق ؟

- 2755 -** وما هذا أيها الشيخ الذي تعلقت به وارتبطت ؟ إنني لم أر شحاذا فحلا مثلك ؟
- لقد قضيت على حرمة الشحاذين وأرقت ماء وجوههم ، فما هذا التسول القبيح كتسول عباس " الدبس " الذي قمت به ؟
- إن عباس الدبس تابع من أتباعك ، فلا كان لملحد قط هذا النفس النحس .
- قال الشيخ : أيها الأمير ، إنني عبد للأمر فاصمت ، لست عارفا بنارى فكفاك غليانا .
- فلو أنني رأيت في نفسي حرصا على الخبز ، لمزقت هذا البطن الذي يطالب بالخبز .
- 2760 -** ولسبع سنوات من حرقه العشق التي تشوى الجسد ، قد أكلت في الخلاء أوراق الكرم .
- وكان من أكلى للأوراق الخضراء واليابسة ، أن أخضر لون جسدي هذا .
- وما دمت أنت موجودا في حجاب أبي البشر ، فقلل النظر باستهانة إلى العاشقين .
- والأذكىاء الذين دققوا كثيرا في الأمور ، قد أدركوا علم الهيئة بأرواحهم .
- وعلم النير نجات والسحر والفلسفة ، بالرغم من أنهم لا يعرفونها حق المعرفة .
- 2765 -** إلا أنهم جاهدوا بقدر إمكانهم ، حتى بزوا فيها كل أقرانهم .
- لكن العشق أحس بالغيرة ، وأخفى نفسه عنهم ، وغابت عنهم مثل تلك الشمس .

- ونور العين الذي رأى النجم في وضح النهار ، كيف أخفت شمس نفسها عنه ؟
- دعك من هذا ، واقبل مني هذه النصيحة : أنظر إلى العاشقين بعين العشق - والوقت ضيق ، والروح في مراقبة ، ولا يمكنني أن أثبت عذري لك الآن

- 2770 -** فافهم ، ولا تكن موقوفا على ذلك القول ، وقلل من خمش صدور العاشقين .
- فليس الأمر كما ظننت ، من جراء هذا الاندفاع ، فلا تفرط في الحزم ، وداوم على الاحتياط .
 - فهناك واجب وجائز ومستحيل ، فتوخ الوسط من بينها ، عند الحزم أيها الدخيل .

بكاء الأمير من نصيحة الشيخ ، وانعكاسا لصدقه ، وإيثاره إياه بخزانته
جزاء هذه الوقاحة ، واستعصام الشيخ ، وعدم قبوله إياها ،
وقوله : لا أستطيع أن أتصرف دون أمر

- قال هذا وانفجر في البكاء والعويل ، وسال الدمع على خديه ، موضعا بموضع .
 - فآثر صدقه في ضمير الأمير ، والعشق يطبخ قدرا طريفة في كل لحظة .
- 2775 -** إن صدق العاشق يؤثر على الجماد ، فأني عجب أن يؤثر في قلب العالم ؟
- لقد أثر صدق موسى عليه السلام على العصا وعلى الجبل ، بل أثر على البحر الخضم المهيّب .

- وصدق أحمد صلى الله عليه وسلم أثر على جمال القمر ، بل إنه قطع الطريق على الشمس الساطعة بالضياء .

- كانا كل منهما في مواجهة الآخر ، وكلاهما في صياح وعويل ، سواءً الأمير والفقير .
- وعندما بكيا فترة طويلة ، قال له الأمير : إنهض أيها المكرم العزيز !!

2780 - اختر ما تشاء من الخزانة ، وإن تستحق مائة ضعفها .

- إن الدار دارك ، فخذ ما تريد وتختار ، فالعالمان شيء قليل " بالنسبة لقدرك " .

- قال : لا إذن لي بمثل هذا ، وأن أكون آخذاً لشيء بيدي مختاراً إياه .

- ولا أستطيع أن أقوم من تلقاء نفسي بهذا الفضول ، وأن أتدخل بنفسي " أدنى " تدخل .

- وهكذا تعلل ، وأغلق مجال الحديث ، فهل كان ما يمنعه أن العطاء لم يكن صادقاً ؟

2785 - لا ، بل كان صادقاً خالياً من الغل والانفعال ، لكن كل صدق لم يكن يبدو للشيخ مقبولاً .

- فقال : هكذا أمرني الله قائلاً لي : إمض ، وتسول الخبز كما يفعل الشحاذون . “ 1 “

.....
(1) ج / 12 - 310 : - لقد طلبنا من هذا الباب بتسول ، وإلا فإننا لا نهتم بما فيه من أموال

وصول الأمر إلى الشيخ من الغيب قائلا له : لقد أخذت طوال العامين الماضيين وأعطيت ،
ومن الآن إعط ولا تأخذ ،

داوم على وضع يدك تحت الحصير ، فقد جعلناه كهميان أبي هريرة من أجلك ، فإنك تجد تحتها
ما تريد ، حتى يؤمن الناس أن وراء هذا العالم عالما تمسك فيه التراب بيدك فيصير ذهباً
ويدخل إليه الميت فيصير حياً ، كما يدخل إليه النحاس الأكبر فيصير سعداً ،
ويأتي إليه السم فيصير ترياقاً ، وهو ليس داخل هذا العالم ولا خارجه ، ولا تحته ولا فوقه ،
ولا متصل به ولا منفصل عنه ، فهو بلا كيف أو كيفية ، وكل لحظة تأتي منه آلاف الآثار
والنماذج كصناعة اليد مع صورة اليد ، وغمزة العين مع صورة العين ، وفصاحة اللسان مع
صورة اللسان ، لا هي داخلة فيه ولا خارجة عنه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه .
والليبيب تكفيه الإشارة

- لقد قام هذا الرجل الجدير بهذا الأمر لمدة عامين بما أمر به ، ثم أتاه أمر آخر من الخالق ،
- بعد الآن ، داوم على العطاء ، لكن لا تطلب شيئاً من أحد ، لقد أعطيناك من الغيب هذه القدرة .
- وكل ما يطلبه أحد منك ، قليلاً أو كثيراً “ 1 “ ، ضع يدك تحت الحصير وأخرجه .

2790 - هيا ، داوم على العطاء من كنز الرحمة بلا مرأى ، فإن التراب يتحول في كفك إلى
ذهب ، فأعط .

- أعط كلما يطلب منك ، ولا تفكر فيه ، واعلم أن عطاء الله في ازدياد .
- وفي عطائنا لا تخسير ولا نقص ، ولا ندم ولا حسرة ، من هذا الكرم .
- ضع يدك تحت الحصير أيها السند ، وذلك من أن يكون في الأمر حجاب ودريئة لعين السوء .

(1) حرفياً : من واحد إلى ألف .

- ثم املأ قبضتك مما هو موجود تحت الحصير ، وضعه في يد السائل كسير الظهر .

2795 - من بعد " التكدى " أعط من الأجر الذي لا منة فيه ، إعط لكل من يريد الجوهر المكنون .

- إمض ، وكن مصداقاً ليدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، ووزع الرزق كيفما أتفق ، كيد الحق .
- وخلص المدينين من ديونهم ، واجعل بساط الدنيا أخضر نضراً كأنك المطر .
- وظل الشيخ عاماً " آخر " وهو يقوم بهذا العمل ، كان يهب الذهب من كيس رب الدين .
- كان التراب الأسود يصير ذهباً في كفه ، وكان حاتم الطائي شحاذاً في صفه .

معرفة الشيخ ضمير السائل دون أن يتحدث ، ومعرفته مقدار دين المدينين دون حديث منهم ، وهذا دلالة على مصداق

[أخرج بصفاتي إلى خلقي]

2800 - وذلك الفقير ، وإن لم يكن يذكر حاجته ، كان يعطيه إياها ، وكان يعرف ما في ضميره .

- وما كان في قلب ذلك الكسير الظهر ، كان يعطيه مقداره ، دون زيادة أو نقصان .
- ثم قيل له : أي علم لك يا عماء بذلك القدر الذي يفكر فيه ؟
- فكان يقول : إن منزل القلب خلوة ، وهو خال من الكدية ، وكأنه الجنة .

- وليس فيه من عمل إلا عشق الله ، وما فيه من ديار إلا خيال الوصال .

2805 - لقد كنست منزل " القلب " مما فيه من خير وشر ، فأصبح منزل " قلبي " مليئاً بعشق الأحد .

- وكل ما أراه فيه غير الله ، لا يكون ملكاً لي ، بل انعكاس لضمير السائل - فإذا ظهر في الماء صورة عرجون أو نخلة ، فإنه لا يكون إلا انعكاساً لنخلة خارج الماء .
- وإن رأيت صورة في قاع النهر ، فإن تلك الصورة تكون انعكاساً لشيء موجود في الخارج أيها الفتى .
- لكن هذا الأمر يحدث عندما ينقى الماء من القذى ، فالتنقية في نهر البدن شرط لهذا الأمر .

2810 - حتى لا يبقى فيه كدر أو غشاء ، حتى يصبح أميناً يعكس صور الوجوه .
- وليس في بدنك إلا ماء مكدّر بالطين أيها المقل ، فصف الماء من الطين يا خصم القلب .
- وإنك مستمر في كل لحظة من الأكل والنوم ، في طمس هذا البئر بالتراب أكثر .

سبب معرفة ضمائر الخلق

- وعندما يكون قلب ذلك الماء خالياً من هذه الأشياء ، تنعكس فيه صور الوجود من خارجه .
- وإلا فإن لك باطناً لم يُصَف بعد ، والمنزل مليء بالشياطين والقردة والوحوش .

2815 - أيها الحمار الذي بقي في حماريته من العناد ، متى تعرف شيئاً عن الأرواح التي تشبه روح المسيح

- وأي علم لك إن أطل خيال ، من أي مكنم يطل ؟
- إن الجسد ليصير خيالا من الزهد ، حتى " يتاح له " كنس الخيالات من الباطن . " 1 “

غلبة مكر الثعلب على استعصام الحمار

- لقد جاهد الحمار كثيرا ودفعه بالقول ، لكن الجوع الشديد كان ملازما للحمار .
- وغلبه حرصه ، وكان احتمالاه ضعيفا ، وما أكثر الحلو التي ذبحها عشق الرغيف .
- 2820** - وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تيسرت له كل الحقائق " قوله " [كاد الفقر أن يكون كفرا] .
- كان ذلك الحمار قد صار رهين الجوع ، فقال في نفسه : إن كان في الأمر مكر ، فهي ميتة واحدة .
- فأنجو أيضا من عذاب الجوع هذا ، وإن كانت هذه هي الحياة فالموت أفضل لي .
- وإذا كان الحمار قد تاب في البداية وأقسم ، فقد تخطى في النهاية من حماريته .
- والحرص يجعل المرء أعمى وأحمق وجاهلا ، ويجعل الموت سهلا على الحمقى .
- 2825** - والموت ليس بالأمر السهل على أرواح الحمير ، فليس لديهم ماء الروح الخالدة .
-
- (1) ج / 12 - 318 : - فاكنس هذا الخيال الضال من الباطن ، حتى لا يجعلنك من أهل الظاهر .

- ولأنه لا يملك روحا خالدة فهو شقي ، وجرأته على الأجل من جراء حمقه .
- فجاهد حتى تكون لك روح خالدة ، حتى يكون لك زاد يوم الموت .
- ولم يكن اعتماده على الرزاق ، وأنه ينثر الجود عليه من الغيب .
- لم يكن الفضل حتى الآن قد حرمه يوما من الرزق ، بالرغم من أنه كان يسلط عليه الجوع بين الآن والآخر .

- 2830 -** وإن لم يكن ألم الجوع فهناك مائة ألم آخر ، يحيق بك من جراء التخمة .
- وألم الجوع أفضل من كل تلك العلل ، سواء في لطف " حديثه " أو في خفته أو " من أجل " العمل .
 - وألم الجوع أكثر طهرا ولطفا من كل الآلام ، خاصة وفي الجوع مائة نفع وفضل .

في بيان فضيلة الحمية والجوع

- إن الجوع في حد ذاته هو سلطان الأدواء ، فاستمسك به بروحك ، ولا تستهن به . “ 1 “
- وكل المرضى قد شفوا بالجوع ، وكل المتع مردودة ، إن لم يجرب الجوع .

مثل

- 2835 -** كان أحدهم يأكل خبز الشعير ، فسأله أحدهم : كيف تأكل هذا الخبز بهذا الشره ؟

.....

(1) ج / 12 - 323 : - والجوع يكون نورا للعين عند الإبصار ، ويكون قابلية في النظر والفكر .

- فقال : عندما يكون الجوع قد أصبح ضعف الصبر ، يصبح خبز الشعير أمامي كالحلوى .
- ومن ثم أستطيع أن ألتهم كل شيء وكأنه الحلوى ، عندما أصبر ، وأنا بلا شك صبور .
- والجوع بالنسبة لكل شخص ليس من عدم الحيلة أو اضطرارا ، فإن مواضع الطعام تفوق الحد والحصر .
- ولقد وهب الله سبحانه وتعالى الجوع للخاصة ، حتى يصبحوا من الجوع أسودا قوية .

2840 - ومتى يعطي الجوع لكل جلف شحاذ ، ما دام الطعام ليس قليلا فإنه يضعه أمام المرء ،
- قائلا له : هيا كله ، فأنت تستحقه ، إنك طائر خبز ولست بطائر ماء . “ 1 “

حكاية المريد الذي وقف الشيخ على حرصه وضميره فنصحته باللسان ، وفي خلال النصيحة وهبه قوة التوكل بأمر الحق

- أخذ الشيخ يمضي مع أحد مريديه دون تلوؤ ، نحو مدينة كان الخبز فيها شحيجا .
- كان الخوف من الجوع والقحط مسيطرًا على فكر المريد ، ومن غفلته ، كان هذا الخوف يبدو عليه في كل لحظة .
- وكان الشيخ عارفا وواقفا على الضمير ، فقال : حتام وأنت في قلق وخوف ؟

(1) ج / 12 - 324 : - لا يوجد في رأسك إلا التفكير في الخبز ، ولا يأتي إلى خاطرك إلا ذكره . - فماذا يكون محصولك بعد عدد من السنين ؟ إن الموت جوعا أفضل لك من هذه الحياة .

- 2845 -** لقد احترقت من أجل هم الخبز ، وخطت عين التوكل والصبر .
 - وأنت لست من أولئك المدللين الأعزاء ، بحيث تحفظ عندهم دون جوز أو زبيب .
 - فالجوع هو رزق أرواح خواص الله ، فمتى يكون نصيبا لمسكين مثلك وشحاذا ملحاح ؟
 - فكم مطمئنا ، فأنت لست منهم ، وأنت في هذا المطبخ لست " محروما " من الخبز .
 - إن الطبق فوق الطبق والخبز فوق الخبز على الدوام ، من أجل هؤلاء الشرهين العوام .
- 2850 -** وعندما يموت يتقدم الخبز قائلا : يا من قتلت نفسك خوفا من الحرمان ،
 - لقد مضيت ، وبقي الخبز : من بعدك " فانهض وخذه ، يا من قتلت نفسك خوفا وهلعا . " 1
 - هيا وتوكل ، ولا تصب اليد والقدم بالردة والرعشة ، إن رزقك أكثر عشقا لك منك له .
 - إنه عاشق ، لكنه يتلأأ عليك ، لأنه يعلم انعدام صبرك أيها الفضولي
 - ولو كان عندك صبر لأتاك الرزق ، ولألقى بنفسه عليك ، كما يفعل العشاق .
- 2855 -** فما هذه الحمى ذات الرعشة خوفا من الجوع ؟ ما دام العيش ممكنا بشبع في التوكل .
-
 (1) ج / 12 - 326 : - وعلى كل لقمة مكتوب بوضوح ، أنها لفلان بن فلان بن فلان .

حكاية تلك البقرة التي كانت وحيدة في جزيرة كبيرة ، والحق تعالى يملأ تلك الجزيرة بالأعشاب والرياحين وهي علف البقرة ،

وحتى دخول الليل كانت البقرة تأكل وتسمن كأنها قطعة من الجبل ،

وعندما يجن الليل لا تنام من القلق والخوف محدثة نفسها قائلة :

لقد أكلت كل المرعى فماذا أرى غدا ؟

حتى تصاب بالانحول من هذا القلق كأنها عود الخلال ، وتنهض صباحا فتري المرعى أكثر

نضرة وأكثر خصبا مما كان عليه بالأمس ، فترعى ثانية وتسمن ، ثم يحل بها نفس الغم ليلا ،

ولسنوات وهي ترى نفس ما تراه ولا تطمئن

- هناك جزيرة خضراء في الدنيا ، فيها بقرة وحيدة حسنة الفم .

- وهي تقوم برعى كل المرعى حتى الليل ، حتى تصبح سمينة ضخمة فخمة .

- وفي الليل من كثرة تفكيرها فيما سوف تأكله في الغد ، تصير نحيلة كالشعرة من الغم .

- وعندما يسفر الصباح ، يصير الوادي شديد الخضرة ، ويصل القصيل الأخضر والعشب حتى وسطها .

2860 - فتنهال البقرة عليه من شدة جوعها ، وتظل قائمة بالرعى حتى يأتي الليل .

- فتصبح مرة ثانية سمينة ممتلئة ضخمة ، ويمتلئ جسدها شحما وقوة .

- وفي الليل تصاب مرة ثانية بالحمى من الفزع ، حتى تصير نحيلة من الخوف الذي يلم بها .

- وتتساءل : ماذا آكل في الغد عندما يحين أوان الطعام ؟ وهذا هو ديدن تلك البقرة لسنوات .
- إنها لا تفكر أبدا ولا تقول لنفسها : إنني أرعى لسنوات من هذا المرعى وهذه الروضة .

- 2865 -** ولم ينقص رزقي منها ذات يوم قط ، فما هذا الخوف والحزن والقلق الذي لدى ؟ !
- لكنها عندما يحل الليل ، فإن تلك البقرة الضخمة لا تفتأ تنن وتتوجع قائلة : لقد انقطع الرزق .
 - إن النفس هي تلك البقرة ، وذلك الوادي الأخضر هو الدنيا ، فهي لا تزال تصاب بالانحول خوفا على الخبز .
 - قائلة : عجبا ! ! ماذا سأكل في المستقبل ، ومن أين أطلب الدسم في الغد ؟
 - لقد أكلت لسنوات ، ولم ينقص الطعام ، ودعك من التفكير في الغد ، وانظري إلى الماضي .
- 2870 -** وتذكرى ما قد أكلت من لحم وشحم ، ولا تفكرى في المستقبل البعيد ، وكفاك نواحا .
- “ 1 “

.....

(1) ج / 12 - 328 : - فلتلق بقصة هذه البقرة جانبا ، وأرسل رسالة إلى ذلك الحمار وذلك الأسد الفحل .

صيد الأسد لذلك الحمار ، وظميء الأسد بعد افتراسه للحمة ، فذهب ليشرب من عين ماء
وحتى عودته كان الثعلب قد أكل القلب والكبد والكلى وهي ألد ما فيه ،
فطلبها الأسد ولم يجدها ، وسأل الثعلب : أين القلب والكبد ؟
فقال الثعلب : لو كان له قلب أو كبد ثم رأى ذلك الرعب في ذلك اليوم ونجا بنفسه بألف حيلة ،
فمتى كان سيعود إليك ؟
لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ، مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ

- لقد اصطحب الثعلب الحمار حتى الأسد ، ، فمزقه إربا ذلك الأسد الهصور .
- وظميء من لحمه ملك الوحوش ، فذهب صوب النبع ليشرب الماء .
- فأكل الثعلب كبده وقلبه في تلك اللحظة ، عندما سنحت له الفرصة .
- وعندما عاد الأسد من النبع إلى الطعام ، بحث في " جثة " الحمار عن القلب ، فلم يجد لا قلبا ولا كبدا .

- 2875 -** فقال للثعلب : أين الكبد ؟ وماذا حدث للقلب ؟ فلا بد لكل حي من وجود هذين ! !
- فأجاب : متى كان سيعود إلى هنا ، إن كان له قلب أو كبد ؟
 - كان قد رأى تلك القيامة والحشر ، وسقوطه من الجبل والهول والفرار ، - فلو كان له كبد أو كان له قلب ، متى كان سيعود إليك ثانية ؟
 - وعندما لا يكون نور في القلب ، لا يكون قلبا ، وعندما لا تكون روح ، ليس ثم إلا طين .
- 2880 -** وتلك الزجاجاة التي لا تحتوى على نور الروح ، هي قارورة بول ، لا تسمها قنديلا .
- ونور المصباح عطية من ذي الجلال ، وذلك الزجاج والخزف هو صنعة الخلق .

- فلا جرم أن يكون التعدد موجودا في الآنية ، ولا يكون في اللهب والنور إلا الوحدة .
- ذلك أنه عندما تمتزج أنوار قناديل ستة ، لا يكون في أنوارها عد أو حصر .
- لقد أشرك ذلك اليهودي لأنه " وقف " على الآنية ، لكن ذلك المؤمن رأى النور وأدركه . “1“

- 2885 -** وعندما يقع بصر الروح على الوعاء ، تراهما اثنين شيث ونوح عليهما السلام .
- والجدول الحقيقي هو الذي يحتوى على ماء ، والإنسان هو الذي يكون ذا روح .
- أما هؤلاء " الذين تراهم " فليسوا برجال ، إنهم صور ، فهم موتى الخبز وقتلى الشهوة .

حكاية ذلك الراهب الذي كان يطوف نهارا بمصباح وسط السوق مما كان يعانيه من حال

- كان أحدهم يطوف بالسوق نهارا وهو يحمل مصباحا ، وقلبه مليء بالعشق والحرقة .
- فقال له فضولي : هيا ، قل لي ، عم تبحث وتمضي صوب كل حانوت ؟

2890 - هيا ، قل ، عم تطوف باحثا بالمصباح في رابعة النهار المضيء ، فأني بحث هذا ؟

.....
(1) ج / 12 - 330 : - وعندما ينظر المرء إلى الروح ، يجدهما واحدا ، المصطفى والخليل عليهما السلام .

- قال : إنني أبحث في كل صوب عن إنسان ، يكون حيا بحياة تلك النفخة " الإلهية " " 1 “
- فهل ثم رجل ؟ فأجاب : هذا السوق مليء بالرجال آخرا أيها الرجل الحر
- قال : أريد رجلا على الجادة في طريقين ، إن وجد في طريق الغضب ، وإن وجد في طريق الشره والشهوة .
- فأين رجل عند الغضب وعند الشهوة ، إنني أسرع من حي إلى حي طالبا لرجل ! !

- 2895 -** فأين رجل واحد في الدنيا إن وجد في هاتين الحالتين ، حتى أفديه بروحي اليوم .
- قال : إنك تبحث عن شيء نادر ، لكنك غافل عن الحكم والقضاء ، فانتبه .
 - وأنت ناظرٌ إلى الفرع غافلٌ عن الأصل ، ونحن فروع ، والأصل هو أحكام القدر .
 - والقضاء يجعل الفلك الدوار ضالا ، والقضاء يجعل من مائة عطارذ بلهاء .
 - ويجعل دنيا من الحيل شديدة الضيق ، ويجعل الحديد والصخر ماء .

- 2900 -** فيا من رسمت " وخططت " للطريق خطوة بخطوة ، إنك ساذج سذاجة شديدة .
- فما دمت قد رأيت دوران حجر الطاحون ، أنظر آخرا إلى ماء الجدول وتعال .

-
- (1) ج / 12 - 333 : - قال : لقد صرت باحثا عن إنسان ، ولا أجد إنسانا على الإطلاق ، وصرت حائرا .

- ورأيت التراب قد ارتفع في الهواء ، فانظر إلى الريح من بين التراب .
- وإنك لترى قدور الفكر وهي آخذة في الغليان ، فانظر أيضا إلى النار بوعي ويقظة .
- وقد قال الحق لأيوب عليه السلام " وهو يحدثه " عن مكرماته له : لقد أعطيتك صبورا بكل شعرة فيك .

- 2905 -** فانتبه ولا تنتظر إلى صبرك هذا كثيرا ، لقد رأيت الصبر ، فانظر إلى عطاء الصبر .
 - وحاتم تنتظر إلى دوران الساقية ، أطل برأسك ، وانظر أيضا إلى الماء المندفِع .
 - وأنت لا تفتأ تقول : إنني أراه ، لكن رؤيته ذات علامات وأمارات واضحة .
 - ولما كنت قد رأيت شيئا من دوران الزبد ، فإن كنت تريد الحيرة ، فأمعن النظر في البحر .
 - فذلك الذي رأى الزبد ، يكون متحدثا بالأسرار ، وذلك الذي رأى البحر ، يكون حائرا .

- 2910 -** وذلك الذي رأى الزبد ينتوى النوايا ، وذلك الذي رأى البحر خاطر وتهور وأقدم .
 - وذلك الذي رأى الزبد يكون مشغولا بالعدد ، وذلك الذي رأى البحر ، صار بلا اختيار .
 - وذلك الذي رأى الزبد ، يكون في دوار وطواف ، وذلك الذي رأى البحر ، يكون صافيا لا كدر فيه . “ 1 “

-
 (1) ج / 12 - 334 : - وذلك الذي رأى الزبد جعله عاطلا ، وذلك الذي رأى البحر حمله إلى المشنقة . - وذلك الذي رأى الزبد صار ثملا به ، وذلك الذي رأى البحر غرق في ذاته هو . -
 وذلك الذي رأى الزبد أخذ

[حكاية المسلم مع المجوسي] دعوة المسلم للمجوسي

- قال أحدهم لمجوسي : هيا يا فلان ، أدخل في دين الإسلام ، وكن من المؤمنين .
- قال : إن شاء الله أصير مؤمنا ، وإن زادني من فضله ، أكون أيضا موقنا .

- 2915 -** فقال له : إن الله يريد إيمانك ، حتى يخلص روحك من بين براثن الجحيم .
- لكن النفس الشؤم وذلك الشيطان القبيح ، يجرانك نحو الكفران ونحو معبد النيران .
 - فقال له : أيها المنصف : إذا كان هذان غالبين ، فلأكن رفيقا لمن يكون قويا .
 - إنني أستطيع أن أكون رفيقا لذلك الذي يكون غالبا ، وأنضم إلى ناحيته فالغالب جاذب .
 - فإذا كان الله يريد مني الصدق القوى العظيم ، فأني نفع لإرادته هذه إن لم تتقدم وتغلب ؟

- 2920 -** والنفس والشيطان قد أرادا ونفذا ، أما تلك العناية فقد هزمت وتحطمت ، وصارت بددا .
- و " هب " أنك قد بنيت قصرا شامخا ، وقمت بتزيينه بمئات الصور الجميلة .
 - وقد أردت أن يكون ذلك المكان مسجدا للخير ، فجاء آخر وجعل منه ديرا

في الحديث ، وذلك الذي رأى البحر ، فرغ من " أنا " و " نحن " .

- وذلك الذي رأى الزبد صار مصفى " من الكدر " ، وذلك الذي رأى البحر ، إستراح من كل شيء .

- أو أنك نسجت كرباسا لتجعل منه قباءً تلبسه سعيدا ،
- وكنت تريده قباء ، فجاء خصمك معاندا وجعل من الكرباس سروالا بالرغم منك ،

2925 - فما حيلة الكرباس يا روجي إلا الاستسلام لذلك الرأي الغالب ؟
 - وإذا كان الكرباس قد أرغم ، فما ذنبه ؟ ومن ذلك الذي لا يكون مغلوبا لمن يكون غالبا ؟
 - وإذا كان أحدٌ قد هاجم أحدهم رغم إرادته ، وغرس أجمة شوك في منزله وفي ملكه ،
 - ويكون صاحب الدار على هذه الدرجة من الضعف والذلة ، بحيث يجرى عليه هذا الأمر خلافا
 لرغبته ، - أأصير أنا مهانا خلقا لمثل هذا الدليل حتى وإن كنت نصرا فتيا ؟ !

2930 - وما دامت رغبة النفس قد انتصرت ، فإن قولك " ما شاء الله كان " يكون سخرية .
 - وأنا وإن كنت عارا على المجوس كافرا ، فلست بالذي أظن في الله هذا الظن .
 - وهو أن يكون أحدٌ على غير مشيئته ورغبته نافذ الأمر في ملكه .
 - وتقوم النفس بالاستيلاء على ملكه هذا ، ولا يستطيع خالق النفس أن ينبس بحرف .
 - إنه يريد دفعه وهكذا ينبغي له ، لكن الشيطان يزيد له في الأحزان في كل لحظة .

2935 - فينبغي أن يكون المرء إذن عبدا للشيطان ، ما دام الشيطان هو الغالب في كل محفل .

- وذلك حتى لا ينتقم الشيطان منى ، ولا كان ذلك ، وأي عون يسديه لي آنذاك ذو المنن ؟ !
- وما دام ما يريده ذلك " الشيطان " يتحقق له ، فمن أي شيء إذن ينصلح حالي وأمرى ؟

مثل الشيطان على باب الرحمن

- حاشا لله ، بل ما شاء الله كان ، هو الحاكم " الفرد " في المكان واللامكان .
- ولا أحد يزيد في ملكه بمقدار طرف شعرة واحدة ، اللهم إلا كان هذا بأمره .
- 2940 -** فالملك ملكه ، والأمر له ، وذلك الشيطان هو أقل الكلاب على بابه .
- ذلك أن التركماني إن كان له كلب على بابه ، فإنه إنما ييمم وجهه ورأسه شطر هذا الباب .
- فيقوم أطفال الدار بشدة من ذيله ، ويكون ذليلاً بين أيدي أولئك الأطفال .
- لكن عندما يمر غريب بهذه الديار ، يهجم عليه وكأنه الأسد الهصور .
- إنه يعمل مصداقاً لأشدَّاء على الكفار ، إنه ورد على الولي شوك على العدو .
- 2945 -** ومن الماء بالدقيق أو النخالة الذي يطعمه إياه التركماني ، صار وفياً إلى هذا الحد وحارساً .
- ومن هنا فإن الكلب الشيطان الذي يخلقه الحق ، يجدل " في خلقته " مائة فكرة ومائة حيلة .

- ويجعل طعامه من ماء وجوه " البشر " ، حتى يريق ماء وجه الصالح والطالح - والماء بالنخالة بالنسبة له هو ماء وجه العموم ، إذ يجد منه الكلب الشيطان القوت والطعام .
- فكيف لا تكون روحه فداءً للحكم على باب مخيم القدرة ؟ ألا فلتخبرني .

2950 - والحاكمون والمحكومون قطيعا قطيعا ، كالكلاب " على هذا الباب " باسطو أذرعهم بالوصيد .

- إنه على باب كهف الألوهية كأنه الكلب ، ممتثلا للأمر بكل كيانه ، نافر العرق " تحفزا " .
- ويا أيها الكلب الشيطان ، داوم على الامتحان ، حتى ترى كيف يضع الخلق أقدامهم في هذا الطريق

- وداوم على الهجوم والمنع ، وانظر ، حتى يتميز الذكر من الأنثى في الصدق .
- فمن أي شيء تكون " المعوذة " ؟ عندما يصبح الكلب من التوقح سريع الهجوم .

2955 - فإن المعوذة تعني : أيها التركي الخطائي ، استدع كلبك ، وافتح الطريق .

- حتى آتي على باب مخيمك ، وأطلب حاجة من جودك ومن جاهك .
- وإذا كان التركماني عاجزا أمام سطوة الكلب ، فإن هذه " المعوذة " وهذا الصياح لا يجوز أن .
- وهل يقول التركي أيضا : إنني استعيز بالله من الكلب ، فإنني أيضا قد ضقت ذرعا بالكلب في موطني ؟

- وإنك لا تجرؤ على المجيء إلى هذا الباب ، كما أنني لا أجرؤ على الخروج من نفس الباب .

2960 - فلتحت التراب إذن على رأس التركي ورأس ضيفه ، ذلك أن كلبا يأخذ بخناقيهما .
- حاشا لله ، إن التركي ليصيح صيحة واحدة ، وماذا يكون الكلب بعدها ؟ إن الأسد الهصور ليقيء دما .

- وأنت يا من سميت نفسك أسد الله ، لقد مضت سنوات وأنت عاجز من كلب .
- وإذا كان هذا الكلب يقوم بالصيد من أجلك ، فكيف أصبحت صيدا للكلب على الملاء ؟

جواب المؤمن السني على الكافر الجبري ، وإيراده الدليل على إثبات الاختيار للعبد ، والسنة طريق سلكه الأنبياء عليهم السلام ،
وعلى يمين ذلك الطريق صحراء الجبر التي لا ترى لنفسها اختيارا وتنكر الأمر والنهي وتقوم بتأويلها ، وإنكار الأمر والنهي يستلزم إنكار الجنة والنار ،
فإن الجنة هي جزاء مطيعي الأمر ، والنار جزاء مخالفين الأمر ، ولا أقول إلام يتطور الأمر فالعقل تكفيه الإشارة ،
وعلى يسار ذلك الطريق صحراء القدر التي تعتبر قدرة الخالق مغلوبة لقدرة الخلق ، ومن ذلك تتولد أنواع من الفساد يعددها ذلك المجوسي الجبري .

- قال المؤمن : استمع أيها الجبري إلى الخطاب ، لقد قلت ما عندك ، وأتيك عليه الآن بالجواب .

2965 - ولقد رأيت لعبتك يا لاعبا بالشطرنج ، فانظر إلى لعبة خصمك نظرة شاملة متمعنة .
- ولقد قرأت كتاب اعتذارك ، فاقرأ كتاب السني ، ولأي شيء عجزت .

- لقد ذكرت نقطة عن القضاء كما يقول الجبريون ، فاستمع إلى سرها الآن ، فيما حدث .
- فإن لنا اختيارا دون أدنى شك ، وإنك لا تستطيع أن تنكر الحس ، عيانا بيانا . “ 1 “
- فإن أحدا لا يقول للحجر تعال ، ومن مدر لا يطلب أحد الوفاء .

- 2970 -** ولا يقول أحد لإنسان : هيا ، طر ، أو تعال أيها الأعمى وانظر إليّ .
- فقد قال الله : لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ * ، فمتى يضع على أحد حرجا رب الفرج ؟
 - ولا يقول أحد لحجر لماذا تأخرت في المجيء ، أو يقول : أيتها العصا ، لماذا قمت بضربي ؟
 - فهل يطالب أحد مجبرا بأشياء ، أو هل يلومن أحد معذورا أو يضربه ؟
 - فالأمر والنهي والغضب والعقاب والثواب ، لا تكون إلا للمختار يا طاهر الجيب .
- 2975 -** وهناك اختيار في الظلم والضميم ، وأنا الذي أردتهما من الشيطان والنفس .
- وهناك اختيار كامن في باطنك ، ما لم ير مثيل يوسف ، لا يقوم بجرح اليد .
 - كان الاختيار وكان الداعي موجودا في النفس ، رأى وجهه ففتح الجناح والقوادم .

.....

(1) ج / 12 - 357 : - فانظر إلى اختيارك ولا تكن جبريا ، ولقد تركته فعد إليه ، ولا تمش باعوجاج .

- فالكلب قد نام وضاع منه اختياره ، وعندما رأى السقط بصبص بذببه .
- والحصان يصهل عندما يرى الشعير ، والقطة تموء عندما يتحرك اللحم .

- 2980 -** فالرؤية تحريك لهذا الاختيار ، كالنفخ يثير من النار الشرار
- ومن هنا فإن اختيارك قد تحرك ، عندما صار إبليس رسول غرام ، وأتاك برسالة من محبوبك . “ 1 “
 - وعندما يعرض الشيء المشتهى على امرئ ما ، فإن الاختيار النائم يتمطى وتتفتح أعطافه .
 - ثم إن ملائكة الخير - برغم أنف الشيطان - تعرض هي الأخرى ما لديها وتقيم ضجة في القلب .
 - حتى يتحرك اختيار الخير لذلك ، فقبل العرض ، تكون هاتان الخصلتان نائمتين داخلك .

- 2985 -** إذن فالملاك والشيطان كلاهما عارض عليك ، وذلك من أجل أن تتحرك عروق الاختيار فيك
- فمن أنواع الإلهام وأنواع الوسوسة ، يكون اختيار الخير والشر عندك ، بقدر ما يكون عند عشرة أشخاص .
 - ومن هنا فعند ختم الصلاة أيها المليح ، ينبغي منك السلام على الملائكة .
 - وكأنك تقول : إنه من دعائكم وإلهامكم الطيب ، كان اختياري لهذه الصلاة مشمولاً بالنفاز .
 - ثم إنك من بعد ارتكاب الذنب تلعن إبليس ، الذي صرت من وساوسه منحنيا هكذا .

(1) حرفيا : من ويس ، وويس هو محبوب رامين في القصة المشهورة .

2990 - إن هذين الضدين يقومان بعرض " ما لديهما " عليك في الباطن ، جاء من حجاب الغيب عارضين عليك .

- وعندما يرتفع حجاب الغيب من أمامك ، فإنك ترى وجوه من يقومون باقتيادك
- وتعلم ثانية من كلامهم دون أدنى أذى أو ضرر ، أنهم هم الذين كانوا يتحدثون إليك في السر .
- فيقول لك الشيطان : يا أسير الطبع والجسد ، لقد كنت أعرض عليك ، ولم أجبرك .
- ويقول لك ذلك الملاك : لقد قلت لك أنك سوف تزداد حزنا من هذا السرور " الذي أنت فيه " .

2995 - وألم أقل لك في يوم كذا أن طريقك إلى الجنان موجود من هذه الناحية ؟

- ونحن محبوبك بالروح ، ونحن الذين نطيل في عمرك ، ونحن الذين سجدنا بإخلاص لأبيك .
- ونحن الآن لا زلنا في خدمتك ، ونحن الذين ندعوك نحو السيد " العظيم " - وتلك الجماعة كانت عدوة لأبيك ، وقد رفضت الخطاب الإلهي القائل **سَجُدُوا لِأَدَمَ *** .
- ولقد أخذت ما قدموا ، وتركت ما قدمناه ، ولم تعرف لنا حق الخدمة والاحترام .

3000 - فانظر الآن عيانا إلينا وإليهم ، وأمعن النظر ، وتعرف من اللهجة والبيان .

- إنك عندما تستمع إلى سر في منتصف الليل من صديق ، تعرف من هو هذا الصديق عندما يتحدث عند انبلاج الصبح .

- وإذا جاءك شخصان بخبر بليل ، فإنك تعرفهما في ضوء النهار عندما يتحدثان .
- لقد بلغ مسمعه زئير الأسد ونباح الكلاب في الليل ، لكنه لم ير شكل أيهما في الظلمة .
- وعندما انبلج الصبح ، وأطلق كل منهما صوته المعهود ، فإنه يعرفهما من الصوت ، ذلك الذكي الأريب .

3005 - الخلاصة ، أنهما كلاهما الشيطان والروح عارضان ، كلاهما موجود من أجل إتمام الاختيار .

- وهناك اختيار في وجودنا مستتر غير ظاهر ، وعندما يرى موضوعين يزداد - والأساتذة يقومون بضرب الأطفال " تأديبا " ، ومتى يقومون بتأديب الحجارة السوداء هكذا ؟
- وإنك لا تقول أبدا لحجر : تعال غدا ، وإن لم تأت عاقبتك عقابا شديدا .
- فهل يضرب عاقل قط مدرا ؟ وهل يعاقب أحد قط حجرا ؟

- 3010 - والجبر في نظر العقل أكثر افتضاحا من القدر ، ذلك أن الجبري ينكر حسه .**
- لكن القدري ليس منكرا للحس ، إنه يقول : إن فعل الله لا يكون حسيا يا بني .
 - والمنكر لفعل الإله الجليل ، هو قائم على إنكار المدلول الذي قام عليه الدليل .
 - إنه - أي القدري - يقول : هناك دخان ولا نار ، وهناك نور شمع ، دون شمع مضيء .

- أما هذا - أي الجبري - فيرى النار جهارا نهارا ، ويقول أنها غير موجودة لمجرد الإنكار .

3015 - إن ثوبه يحترق ، ويقول : لا توجد نار ، وهو يخييط ثوبه ، ويقول : لا يوجد خيط .
- ومن ثم فدعوى الجبر هذه من قبيل السفسطة ، ومن هنا فهي أسوأ في هذه الناحية من دعوى القدر .

- والجبري يقول : هناك عالم ، لكن لا رب ، وذلك لأنه يقول : يا رب ، ولا يستجاب له .
- والآخر يقول : الدنيا في حد ذاتها عدم وهباء ، فهو سوفسطائي في التواء واعوجاج .
- فالعالم بأجمعه مقر بالاختيار ، والأمر والنهي ، وافعل هذا ولا تفعل ذاك .

3020 - وهو يقول بأنه لا أمر ولا نهي ولا اختيار ، وهذا كله هباء .
- والحيوان مقر بالحس أيها الرفيق ، لكن إدراك الدليل " بالنسبة له " دقيق .
- ذلك أن الاختيار محسوس لنا ، ويجمل أن يأتي عليه التكليف بالأمر .

في بيان أن الإدراك الوجداني كالاختيار والاضطرار والغضب والاصطبار والشبع والجوع في محل الحس الذي يعلم الأصفر من الأحمر ويفرق بينهما ،
والصغير من الكبير والمر من الحلو والمسك من البعر والخشن من الناعم بحس اللمس ،
والحار من البارد والمحرق من الفاتر واللين من الخشن ولمس الجدار من ملمس الشجرة إذن
فمنكر الوجدان هو منكر الحس ، ونزيد على ذلك بأن الوجدان أظهر من الحس لأنه من الممكن
قطع الطريق على الحس ومنعه من الإحساس ، وليس ممكنا قطع الطريق على الوجدانيات
ومدخلها ، والعقل تكفيه الإشارة

- إن الإدراك الوجداني يا عماه هو في موضع الحس ، كلاهما يجريان في جدول واحد .
- وبهذا يلطف الأمر والنهي والتكليف وما يجرى وما يقال .

3025 - وقولك : أأفعل هذا " الأمر " غدا أو ذاك الأمر هو دليل الاختيار أيها الوسيم الحسن .
- وذلك الندم الذي يعتريك أنك أكلت من ذلك " الطعام " السيء ، قد صرت مهتديا إليه باختيارك أيضا .

- وكل القرآن أمر ونهي و " وعد " ووعد ، ومن رأى حجرا من المرمر قد وجه إليه أمر ؟
- ولا يوجد عالم أو عاقل قط يغضب من حجر أو مدر أو يحقد عليه .
- قائلا : لقد قلت لكم افعلوا هذا أو افعلوا ذاك ، فكيف لم تقوموا بفعله ، أيها الموتى العجزة ؟

3030 - ومتى يحكم العقل على الخشب أو الحجر ، ومتى ينشب الإنسان مخالفه في صورة مخلب ؟

- أو يقول : أيها الغلام المقيد اليد المبتور القدم ، هيا خذ الرمح وتعال صوب الوغى ؟
- والخالق الذي يخلق الكواكب والأفلاك ، كيف يقوم بأمر أو نهى يدل على جهل ؟
- لقد محوت احتمال العجز عن الحق ، ثم اعتبرته - جل وعلا - جاهلا ذاهلا سفيها .
- والعجز لا يكون من القادر وإن نسبته إليه ، وإن الجهل ليكون أقبح من العجز .

- 3035 -** والتركي يقول لضييفه من كرمه ، تعال إلى بابي بلا كلب ولا خرقة .
 - وتعال من ناحية كذا بتؤدة وأدب ، حتى يصرف الكلب عنك أسنانه وفمه .
 - وأنت تفعل عكس ما يقول وتمضي نحو الباب ، فلا جرم أن تجرح من عضه الكلب .
 - كذلك فامض كما مضى الغلمان ، ليصبح كلبه حنونا مؤدبا .
 - وإنك إن اصطحبت معك كلبا أو ثعلب ، فإن كل كلب يثور ويهيج من داخل كل خيمة .
- 3040 -** وإن لم يكن هناك اختيار لغير الحق ، فكيف تغضب أنت على المجرم ؟
 - وكيف تصر بأسنانك غضبا على العدو ، عندما ترى منه ذنبا وجرما ؟
 - وإذا انكسر لوح خشب من سقف المنزل ، وسقط عليك وجرحك ،
 - فإنك لا تغضب أبدا على هذا اللوح من الخشب ، ولا تكون حياتك كلها وقفا على الانتقام منه .
 - وأنت تتساءل : لماذا سقط علىّ وكسر يدي ؟ لقد كان عدوا لي وخصما لروحي .
- 3045 -** وكيف تضرب الأطفال الصغار ، ما دمت تنزه الكبار عن " ارتكاب الجرم " ؟
 - ومن يسرق مالك ، تقول : اقبضوا عليه ، واقطعوا يده ورجله ، واسجنوه .

- ومن يقصد حريمك بالسوء ، يتفجر فيك عليه مئات الآلاف من أنواع الغضب .
- وإن أتى سيل وجرف متاعك ، فهل ينتقم عاقل قط من سيل ؟
- وإن هبت الريح واختطففت عمامتك ، متى أبدى قلبك ضيقا من تلك الريح ؟

- 3050 -** لقد صار غضبك بيانا للاختيار ، حتى لا تقوم - كما يفعل الجبريون بالاعتذار .
- وإن ضرب جملاً جملاً ، فإن ذلك الجمل يهاجم الجمال الضارب .
 - ولا ينصب غضب الجمل على العصا التي ضربته ، إذن فقد فهم البعير شيئاً عن الاختيار .
 - وهذا الكلب إن رميته بحجر ، فإنه ينتنني عليك أنت بالهجوم .
 - وإن أبدى بعض الغضب على الحجر ، فلأنك بعيد ولا تطولك يداه .

- 3055 -** وإذا كان عقل الحيوان قد فهم الاختيار ، فلا تقل هذا القول يا عقل الإنسان ، واخجل .
- وهذا شديد الوضوح ، لكن طمعا في السحور ، يغمض ذلك الأكل عينيه عن النور .
 - ولما كان كل ميله منصبا على الطعام ، فإنه يتجه إلى الظلام ، قائلاً : لم يطلع النهار .
 - وإذا كان الحرص يخفي الشمس ، فأى عجب أن يعطي ظهره للبرهان ؟

حكاية في إثبات الاختيار أيضا
وبيان أن القضاء والقدر لا ينفيان الاختيار

- قال لص للشرطي : أيها العظيم “ 1 “ ، إن ما ارتكبته كان من حكم الإله .

3060 - قال الشرطي : وما أفعله أنا أيضا " من عقاب " ، هو حكم الله أيضا يا نور عيني .
 - فإن سلب أحدهم فجلة من حانوت ، على أن هذا هو حكم الحق عليه أيها العاقل ،
 - فإنك تقوم بلكمه على رأسه مرتين أو ثلاثة قائلا له : أيها الكريه ، هذا هو حكم الحق ، أعد ما سرقت .
 - فإذا كان عذرك هذا لا يكون لدى البقال مقبولا في شأن فجلة أيها الفضولي ،
 - فكيف تعتمد على هذا الغدر ، وتحوم حول مواضع الأفاعي ؟

3065 - ومن مثل هذا العذر أيها الساذج الوقح ، كيف تحل دماء الناس وأموالهم وأعراضهم ؟
 - فإن كل إنسان إذن يقوم بنزع شعر شاربك ، ويعتذر لك بأنه مجبر على هذا الأمر .
 - فإذا كان يجوز لك بأن تعتذر بأن الأمر هو حكم الحق ، علمني إذن إياه وافتني .
 - فإن عندي مائة نزوة وشهوة ، لكن يدي معقودتان خوفا وهيبة " من الله " .
 - فتكرم علينا إذن وعلمنا العذر ، وفك القيود عن أيدينا وأقدامنا .

3070 - لقد قمت بحرفة ما طوعا واختيارا ، قائلا : إن لي اختياري وفكري

.....
 (1) حرفيا : أيها الملك .

- وإلا ، كيف اخترت تلك الحرفة من بين الحرف يا عينا من الأعيان .
- وعندما تأتي نوبة النفس والهوى ، يكون عندك اختيار بقدر ما يكون عند عشرين رجل .
- وعندما يبخسك رفيقك مثقال حبة ، فإن اختيار العراك قد تفتح في روحك .
- وعندما تحل نوبة شكر النعم ، فلا اختيار لك ، وتكون أقل من حجر .

3075 - وبقينا أن الجحيم سوف يعتذر لك قائلا : أعذرنى في حرقى " إياك " هكذا .
 - إن أحدا لن يعتذر بك بهذه الحجة ، ولن تبعدك هذه الحجة عن كف الجلال .
 - ومن ثم فإن الدنيا قد انتظم سلوكها بهذا الحاكم ، ومنها صار حال الآخرة معلوما برمته لك .

حكاية جوابا على الجبري أيضا وصحة الأمر والنهي ،

وبيان أن عذر الجبري ليس مقبولا في أية ملة وأي دين ، وليس موجبا للخلاص مما تم اقترافه من ذنوب ، مثلما لم ينج إبليس الجبري بقوله رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي والقليل يدل على الكثير

- أخذ أحدهم يتسلق شجرة ، وأخذ خلسة يلقي بثمارها بشدة .
- فجاء صاحب الحديقة وقال : أيها الدنيء ، أين حيائك من الله ؟ ماذا تفعل ؟

3080 - قال : إذا أكل عبد الله الثمر “ 1 “ من حديقة الله ، فإن هذا هو عطاء الحق ، قد أعطاه إياه .

.....
 (1) حرفيا : البلع .

- فكيف تقوم بلومي هكذا بشكل عامي ؟ أثم بخل على مائدة الله الغنى ؟
- فنادى : يا أيبك ، هات ذلك الحبل ، حتى أجيب على حاوي المحاسن هذا .
- فأحكم شد وثاقه إلى الشجرة ، وأخذ يضربه بالعصا على ساقه وظهره ضربا شديدا .
- فقال له : إستحي آخر من الله سبحانه وتعالى ، إنك تقتل هذا البريء صبيرا .

- 3085 -** فقال : إن عبد الله يضرب عبده الآخر بعصا الله ، " يضربه " على ظهره سعيدا .
- إنها عصا الحق ، كما أن الظهر له ، والجنب له ، وأنا مجرد غلام له ، وأداة لتنفيذ أمره .
 - قال : لقد تبت عن الجبر أيها الماكر ، هناك اختيار ، هناك اختيار ، هناك اختيار .
 - واختياره هو الذي اختار كل أنواع الاختيار ، واختياره كالفارس " مخفي " في الغبار .
 - واختياره هو الذي يقوم باختيارنا ، ومن ثم صار الأمر مستندا على الاختيار .

- 3090 -** والتسلط على صورة بلا اختيار ، موجود عند كل مخلوق عند قدرته عليها .
- حتى ليجر الصيد دون اختيار من هذا الصيد ، وحتى يسحب زيدا جارا إياه من أذنيه .
 - لكن صنع الصمد يستطيع بلا آلة قط ، أن يجعل اختياره وهقا له .
 - فإن اختياره يقيد زيدا هذا ، يصيده الحق دن كلب دن فخ .

- النجار يكون مسلطا على الخشب ، وذلك المصور يكن حاكما على الجمال " الذي صوره " .

- 3095 -** كما أن الحداد قيم على الحديد ، والبناء مسيطر على آلة عمله .
 - العجيب أن كل هذه الاختيارات ، تسجد أمام اختياره كالعبيد .
 - قدرتك على الجمادات في صراعك " مع الحياة " ، متى نفت الجمادية عن أي منها ؟
 - ومن ثم فإن قدرته على المخلوقات المميزة ، لا تقم بنفي الاختيار عنها .
 - فدام على القل بأنها مشيئة الله على وجه الكمال ، فليس فيها نسبة الجبر أو الضلال .

- 3100 -** ما دمت قد قلت إن كفرى هو مشيئته ، اعلم أن مشيئتك أيضا موجودة .
 - ذلك أن كفرك لا يكون دون مشيئة منك ، إن الكفر بلا مشيئة منك قول متناقض .
 - فالأمر للعاجز قبيح وذميم ، والغضب " عليه " أقبح ، خاصة عندما يكون من الرب الرحيم .
 - والثور الذي لا يقبل النير يتعرض للضرب ، لكن ثورا لم يحقر قط لأنه لم يطر .
 - وإذا لم يكن الثور معذورا في فضول الفعل والقول ، فمن أي شيء يكون صاحب الثور الوقح معذورا ؟

- 3105 -** وما لم تكن مريضا ، لا تربط رأسك ، فالإختيار لك ، ولا تسخر من شاربك .

- وجاهد حتى تجد جرعة من كأس الحق ، فتصير آنذاك متجردا عن ذاتك بلا اختيار .
- وعندما تصبح تلك الخمر هي اختيارك الكلي ، تصير كالثمل معذورا على الإطلاق .
- وكل ما تدقه ، يكون مدقوقا بتلك الخمر ، وكل ما تكنسه يكون مكنوسا بها .
- ومتى يفعل ذلك الثمل إلا العدل والصواب ، فلقد شرب من كأس الحق الشراب .

3110 - ولقد قال السحرة لفرعون : قف ، ليس عند الثمل اهتمام باليد والقدم .
 - إن أيدينا وأقدامنا هي خمر ذلك الواحد ، واليد الظاهرة مجرد ظل لا قيمة له . “ 1 “

**معنى ما شاء الله كان أي أن المشيئة مشيئته والرضا له ، فاطلبوا رضاه ،
 ولا تضيقوا برد الآخرين وغضب الآخرين ، وبالغم من أن كان فعل ماض
 إلا أنه لا ماض ولا مستقبل في فعل الله مصداقا لـ (ليس عند الله صباح ولا مساء)**

- إن قول العبد : ما شاء الله كان ، ليس من أجل أن تتكاسل على أساسه .
- لكنه تحريض على الإخلاص والجد ، أي زد في تلك العبادة وكن مستعدا .
- فإذا قيل لك : إن الأمر أمرك أيها العظيم ، والفعل فعلك ، " فقم به " حسب هواك .

.....
 (1) ج / 12 - 405 : - وما دامت كأسه مليئة من خمره على الدوام ، فإنه يستولي على منزل القلب بأجمعه

3115 - يجوز لك حينذاك أن تتكاسل ، فإن كل ما تريده وكل ما تقوله هو الذي يصير .
 - وعندما يقال لك : ما شاء الله كان ، يعني أن الحكم حكمه تعالى وإلى الأبد .
 - وإلا فلماذا أنت في ورده وذكره كمائة رجل ، وكيف لا تطوف بعبودية حول بابه ؟
 - فإذا قيل : إن كل ما يريده الوزير يكون له ، سواء في الأخذ أو في الرد ،
 - فهل تحوم حوله سريعا وبقوة مائة رجل ، حتى ينثر فوق رأسك الإحسان والجود .

3120 - أو تهرب من الوزير ومن قصره ؟ إن هذا لا يكون بحثا عن " عطائه " وعن نصره .
 - لقد قلبت هذا الكلام وصرت كسولا ، وصرت معكوس الخاطر والإدراك
 - " فالأمر أمر السيد فلان " ماذا تعني ؟ ، تعني : قلل الجلوس مع غيره .
 - وطف حول السيد ما دام الأمر له ، إنه يقتل العدو ، وينجي روح الصديق
 - وكل ما تريده سوف تجده على سبيل اليقين ، وقلل السير عبثا ، واختر محضره وخدمته .

3125 - أو . . لا . . ما دام حاكما لا تطف حوله ، حتى تصير أسود الكتاب مصفر الوجه . "1"
 - إن التفسير الصحيح هو الذي يجعلك متحمسا ، ويجعلك مليئا بالنشاط والرجاء وذا حياء .
 - أما إذا جعلك واهنا ، فاعلم حقيقة أنه تبديل ، ليس بتأويل " أو تفسير " .

.....
 (1) ج / 12 - 412 : - فما دام هو الحاكم ، إلزمه فحسب ، فليس لغيره حكم ولا منه عون .

- ولقد جاء هذا القول من أجل التشجيع ، وجعل المرء متحمسا ، وذلك حتى يأخذ بأيدي القانطين .

- فاسأل عن معنى القرآن من القرآن فحسب ، ومن ذلك الذي أضرم النار في هوسه ونزوته .

3130 - وصار للقرآن فداءً وأمامه ذليلا ، حتى صارت عين روحه قرآنا .
- والزيت الذي صار بأجمعه فداءً للورد ، سواءً عليك أن تشمه زيتا أو تشمه وردا . “ 1 “

**وأيضا [قد جف القلم] يعنى جف القلم وكتب لا تستوى الطاعة والمعصية
لا تستوى الأمانة والسرقة ، جف القلم ألا يستوى الشكر والكفران ،
جف القلم أن الله لا يضيع أجر المحسنين**

- وهكذا أيضا تأويل قد جف القلم ، إنها من أجل التحريض على الشغل الأهم .
- إذن فقد كتب القلم أن لكل فعل ما يليق به من تأثير وجزاء .
- تسير معوجا ، يأتيك الاعوجاج ، جف بهذا القلم ، وإن أتيت بالصدق والاستقامة ، تتولد لك السعادة .

3135 - وإذا ارتكبت الظلم ، فأنت مدبر سئ الحظ ، جف القلم بهذا ، وإن عدلت ، فأنت ذو نصيب من الرحمة ، بهذا جف القلم .
- وعندما يسرق أحد ، فقد ضاعت يده ، جف القلم ، ومن يشرب الخمر يصير ثملا ، جف القلم .

.....
(1) ج / 12 - 413 : - وإن كنت لا تعلم فابحث عن تأويله ، حتى تشرق " الحقيقة " على قلبك عيانا .

- فهل تجيز ، وهل يكون في الأصل جائزا أن يكون الحق معزولا عن حكمه الذي سبق ؟
- أو أن يقول لك : لقد خرج الأمر من يدي ، فلا تلجأ إليّ كثيرا وكفاك تضرعا لي ؟
- لكن معنى جف القلم أنهما ليسا عندي سيان : العدل والظلم .

3140 - ولقد فرقت ما بين الخير والشر ، كما فرقت أيضا بين السيء وما هو أسوأ .
 - فإن كانت عندك ذرة من الأدب ، أكثر مما لدى رفيقك ، فإنما يعلمها فضل الرب .
 - فيعطيك الزيادة بقدر هذه الذرة ، وتظهر هذه الذرة وكأنها جبل .
 - والملك الذي لا يكون هناك فرق أمام عرشه بين الأمين وبين الظلوم " الخئون " ،
 - ولا يكون هناك فرق بين من يرتعد خوفا من أن يرد لديه ، وبين ذلك الذي يسخر حتى من جده
 " وإقباله "

3145 - وكلاهما يكونان عنده سواء . لا يكون ملكا ، بل احث التراب الكدر على رأسه .
 - فلو أن مثقال ذرة تزيد في جهدك ، فإنها تكون موزونة في ميزان الله .
 - وأنت أمام هؤلاء الملوك تقتلع الروح خدمة دائما ، وهم غافلون عن الغدر وعن الصفاء .
 - وقول واحد من نمام واش يُدس لك ، يضيع ما قمت به من خدمة وطاعة لسنوات .

- وعند الملك الذي هو سميع وبصير ، لا يكون هناك موضع لقول الوشاة .

3150 - وكل الوشاة عندما يبأسون منه ، يأتون نحونا ، ويزيدون لنا في القيود .
- إنهم يتحدثون بالسوء عن المليك أمامنا ، قائلين : إمضوا ، لقد جف القلم ، كفاكم وفاءً .
- فهل معنى جف القلم لأن يكون الأمر هكذا ؟ أن تكون أنواع الطاعة وأنواع المعصية سواءً بسواء ؟

- بل إن الجفاء جزاءً على الجفاء ، جف القلم ، والوفاء ثواب على الوفاء ، جف القلم .
- ويكون العفو ، لكن أين بهاء الرجاء ؟ وأن يكون العبد أبيض الوجه من التقوى .

3155 - وإن اللص إن عُفي عنه ينجو بروحه ، لكن متى يصير وزيراً أو خازناً ؟
- فيا أمين الدين الرباني " أيها الإنسان " أقبل ، فمن الأمانة نبع كل تاج ولواء .
- وإن ابن السلطان إن ارتكب الخيانة في حقه ، تفصل من جرائها رأسه عن جسده .
- وإن أبدى غلامٌ هندی الوفاء ، فإن إقباله يعزف له لحن : طال البقاء .
- أي غلام وأي مملوك ؟ وإن كان على الباب كلب وفي ، يكون في قلب سيده عليه مائة رضاء .

- 3160 -** فإذا كان يقبل فم الكلب من هذا " الوفاء " ، فما بالك إن كان أسدا ، أي نصر يهبه إياه ؟
 - اللهم إلا ذلك اللص الذي يقوم بكثير من الطاعات ، فيبتلع صدقه أساس القسوة والجفاء .
 - مثل الفضيل قاطع الطريق ، الذي قامر بطهر ، ذلك أنه أسرع بقوة عشرة رجال نحو التوبة .
 - ومثل سحرة فرعون ، أولئك الذين سودوا وجهه من الصبر والوفاء .
 - وضحوا بأيديهم وأرجلهم قودا لجرمهم ، ومتى يصير " لا مريء " ذلك بعبادة مائة عام ؟

3165 - وأنت الذي قمت بالخدمة والطاعة لمدة خمسين سنة، متى حصلت على مثل هذا الصدق؟

حكاية ذلك الدرويش الذي رأى في هراة غلمان عميد خراسان المزدانين
 على جياذ عربية وفي أقبية مطرزة بالذهب وقلانس معرقة وغيرها
 فسأل : من هؤلاء الأمراء والملوك ؟ فقل له : ليسوا أمراء لكنهم غلمان عميد خراسان ،
 فاتجه إلى السماء قائلا : يا الله ، تعلم إكرام العبيد من العميد ، وهناك يسمون المستوفي عميدا

- كان أحدهم يمضي متسكعا في هراة ، فرأى غلاما لعظيم ،
 - يرتدى ثوبا من الأطلس ويسير متمنطقا بحزام ذهبي ، فاتجه إلى قبلة السماء ،
 - قائلا : يا الله ، كيف لا تتعلم معاملة العبيد من هذا السيد ذي العطايا والمنن ؟

- تعلم إكرام العبيد يا الله من ذلك الرئيس الذي اختاره مليكنا ! !

3170 - كان محتاجا عاريا بلا زاد ، شديد الإرتعاد في الشتاء من " برودة " الجو .
 - فأبدى بعض الانبساط ذلك الغائب عن نفسه ، وأبدى جرأة " على الله " من فجاجته .
 - كان اعتماده على آلاف من المواهب التي وهبها الله له ، وعلى أنه صار نديما للحق وأهلا للمعرفة .
 - فإذا أبدى نديم الملك يعرض التوقح عليه ، لا تبدها أنت ، يا من ليس لك سند .
 - لقد وهب الله الخاصرة ، والخاصرة أفضل من الحزام ، وإذا كان أحدهم قد وهب تاجا ، فقد وهب هو جل شأنه الرأس .

3175 - حتى حدث أن اتهم الملك ذلك السيد " العميد " ، ووضع يديه وقدميه في الأغلال .
 - وأخذ في تعذيب أولئك الغلمان قائلا : هيا ، دلوني على دفائن سيدكم سريعا .
 - هيا أيها الأخساء ، قوموا بإفشاء سره لي ، وإلا قطعت حلوقكم وألسنتكم .
 - وعذبهم الملك لمدة شهر كامل ، كان التعذيب والعصر والألم يستمر ليل نهار .
 - ومزقهم إربا ، لكن غلاما واحدا لم يفش سر السيد " العميد " من رعايته له وحبه له .

3180 - فقال هاتف للدرويش في النوم : تعال أيها العظيم وتعلم العبودية بدورك .
 - وأنت يا من مزقت جلود أمثال يوسف عليه السّلام وقمت باغتيالهم ، إذا مزقك الذئب ، فاعلم أن هذا من نفسك - فالبس إذن مما تنسجه طوال العام ، وتغذ مما تزرعه طوال العام .
 - إن هذه الأحزان هي فعلك لحظة بلحظة ، وهذا هو معنى قد جف القلم - فلن تجد لسننتنا تبديلا من الرشد ، فالخير يجازى بالخير ، والشر بالشر .

3185 - فهيا ، إعمل ، فإن سليمان عليه السّلام لا يزال حيا ، وما دمت شيطانا ، فإن سيفه بتار .
 - ولما كان الملاك قد صار آمنا من السيف ، فإنه لا يشعر من سليمان عليه السّلام بأدنى خوف .
 - فإن حكمه ماض على الشيطان لا على الملك ، والكبح فوق التراب ، وليس فوق الفلك .
 - فاترك هذا الجبر ، فهو فارغ تماما ، حتى تعلم ما هو سر سر الجبر .
 - واترك جبر جماعة الكسالى حتى تجد خبرا عن ذلك الجبر الذي هو كالروح .

3190 - واترك كونك معشوقا ، وكن أنت عاشقا ، يا من تخيلت أنك طيب وخير وفائق .
 - ويا من أنت أكثر صمتا في " معرفة " المعنى من الليل ، حتام تبحث عن مشتر وطالب لكلامك .
 - إنهم يحركون رؤوسهم " إعجابا " أمامك من أجلك ، وذهب عمرك هدرا هوسا بهم .

- وإنك تقول لي : لا تضمر الحسد لي ، وأي حسد يحس به المرء إن فاته الهباء والعبث .
- وإن تعليم الأخساء أيها الوقح ، مثل نقش المنمنمات والصور على المدر .

3195 - فعلم نفسك العشق والنظر ، فإنه يكون كالنقش في جرم الحجر .
 - وإن نفسك معك ، تلميذ وفي لك ، وقد فنى كل ما سواها ، فأين تبحث عنه ؟
 أين ؟

- وما دمت تجعل من الغير حبرا وفاضلا ، فإنك تجعل من نفسك سئ الطبع وخاليا وفارغا .
- لكن إذا اتصل قلبك " ببحر " عدن ، هيا تحدث ، ولا تخش أن تصبح فارغا
- فالأمر يأتيه قائلا : أيها الصادق ، هيا قل ، لن يقل " علمك " فهذا هو البحر .

3200 - وأنصتوا تعنى أن هذا بلاغ لماء " علمك " ، انتبه ، قلل الإسراف ، فالبستان جاف
 الشفة ظمآن .

- وهذا الكلام لا نهاية له أيها الأب ، فاترك هذا الكلام ، وتدبر العاقبة .
- وإن غيرتي لا تسمح لي بأن " أراهم " يقفون أمامك ويسخرون منك ، فهم ليسوا بعشاق .
- وعشاقك من خلف حجاب الكرم ، أنظر إليهم صائحين " وجدا " من أجلك لحظة بلحظة .
- فكن عاشقا لعشاق الغيب أولاء ، وقلل من اكتساب العشاق الذين يدوم عشقهم خمسة أيام .

3205 - فقد أكلوك من خداعهم وجذبهم لك ، ولم تر منهم مثقال حبة لعدة سنوات .

- وحتام تقيم محفلا على الطريق العام ، وقد أهلكت الخطو ، ولم تحصل على رغبة واحدة .
- وفي وقت الصحة ، الكل رفاق وأحباء ، وعند الحزن والألم ، أين الأليف سوى الحق ؟
- وعند وجع العين والأسنان ، لا أحد قط يأخذ بيدك ، إلا المغيث الفرد .
- فتذكر إذن نفس هذا الوجع والمرض ، واعتبر بالسترة الجلدية مثل إياز .

3210 - فالسترة الجلدية هي حالة مرضك هذه ، وهي التي استمسك بها إياز بكلتا يديه .

جواب ذلك الكافر الجبري ثانية على ذلك السني الذي كان يدعو إلى الإسلام ، وترك الاعتقاد بالجبر ، وامتداد المناظرة بين الطرفين ، إذ لا يقطع مادة الجدل والجواب إلا العشق الحقيقي الذي لا يهتم بذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

- وبدأ الكافر الجبري في الجواب ، بحيث تحير ذلك الرجل المنطيق .
- لكنني إذا ذكرت كل الأسئلة والأجوبة ، فإنني أحيد عن هذا المقال .
- وعندنا أقوال أهم ، ذلك أن فهمك يجد بها الدليل .
- لقد ذكرنا قليلا من ذلك النقاش أيها العتل ، ومن القليل يكون موجودا القانون الكل .

3215 - وهكذا يجرى النقاش حتى حشر البشر ، بين أهل الجبر وأهل القدر .

- فإن عجز كل منهم عن دفع خصمه ، لاختفى مذهبه من الوجود .

- ولو لم يكن لهم من الجواب مخرج ، لفروا من ذلك الطريق ذي الخسران والتباب .
- ولما كان دوام ذلك المسلك مقضيا ، فإنه يعطيهم بعض الانتشار عن طريق الدلائل .
- حتى لا يصير الخصم ملزما من الإشكال ، وحتى يكون الخصم محجوبا عن الإقبال .

- 3220 -** وحتى تبقى هذه الإثنتان وسبعون فرقة في الدنيا على الدوام وحتى يوم الحشر .
- ولما كانت هذه هي أرض الظلمة والغيب ، فإنه يجب أن تكون هناك أرض من أجل الظل .
 - فتبقى هذه الإثنتان وسبعون فرقة حتى القيامة ، ومن ثم لا تعوز المبتدع الدلائل .
 - وعزة المخزن وقيمته ، إنما تتجلى عندما يكون عليه أقفال كثيرة .
 - وعزة المقصد أيها الممتحن ، تكون في وعورة الطريق ووجود العقبات وقطاع الطرق فيه .

- 3225 -** وعزة الكعبة وتلك البادية ، من قطع الأعراب للطريق ، واتساع المهمة .
- وكل سلوك في طريق يكون محمودا ، لابد أن يصادف عقبات وموانع وقطاع طرق .
 - وهذا السلوك - أي الجبر - صار خصما لذلك السلوك - أي الاختيار - ، حتى يصبح المقلد حائرا بين طريقين .

- فيرى صدق كل مذهب في سلوكه الطريق ، ويرى كل حزب ، فرحا بما لديه .
- فإن لم يكن ثم جواب على كل مذهب يقطع الجدل ، لبقى الأمر على هذا الحال حتى يوم القيامة .

3230 - وإن عظماءنا يعلمون هذا الجواب " المفحم " ، وإن اختفى عنا نحن وجه الصواب .
- والعشق هو الذي يضع كمامة على فم الوسوسة ، وإلا فمتى سد أحد " طريق " الوسواس " الخناس " ؟
- فهيا ، صر عاشقا ، وابحث عن حسناء جميلة ، وداوم على صيد طيور الماء من جدول إلى جدول .
- ومتى تأخذ رواءً من ذلك الذي يريق ماء وجهك ؟ ومتى تفهم من ذلك الذي يسلب فهمك ؟
- وإنك لتجد معقولات غير هذه المعقولات في العشق ذي البهاء والصولة .

3235 - وهناك عقول للحق غير عقلك هذا ، تقوم بتدبير أسباب السماء .
- وإنك بهذا العقل تحصل على الأرزاق ، وبذلك العقل الآخر تجعل طباق السماء أرضا .
- وعندما تخسر العقل في عشق الصمد ، فإنه يعطيك عشرة أمثاله أو سبعمائة مثل .
- وأولئك النسوة عندما قامرن بالعقل ، حملن على رواق عشق يوسف عليه السلام .
- فسلب عقولهن لحظة واحدة ساقى العمر ، فمللن من العقل باقي العمر .

3240 - وجمال ذي الجلال أصل لجمال مائة من أمثال يوسف عليه السلام ، فيا أقل من امرأة ، كن فداءً لذلك الجمال .

- إن العشق هو الذي يقطع هذا الجدل فحسب ، إذ يكون مغيثا من القيل والقال .
- فالعشق يصيب ذلك النطق بالحيرة ، فلا تكون لديه جرأة على الجدل .
- إذ يخاف إن فتح فاه ليعطي الجواب ، أن تسقط جوهرة من بين شذقيه خارجا - فيطبق شفتيه تماما عن الخير والشر ، حتى لا يسقط الجواهر من هذا الفم

3245 - مثلما قال ذلك الصحابي : عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا الفصول ، كان ذلك الرسول المجتنبى يطلب منا وقت العطاء الحضور والوقار الشديد .

- وكأن على رأسك الطير ، فمن فوات ذلك العطاء ، تكون مرتعد الروح .
- فلا تستطيع أن تتحرك من مكانك ، حتى لا يطير طائرک الجميل في الهواء .
- ولا تستطيع أن تتنفس ، وتحبس السعال ، حتى لا يطير ذلك الطائر الهمايوني الميمون .

3250 - وإن تحدث إليك " أحدهم " بخير أو شر ، فإنك تضع إصبعك على شفتيك بما يعني : أصمت .

- والحيرة هي ذلك الطائر الذي يسكنك ، يغلق عليك الإناء ، ويغليك جيدا .

سؤال الملك إياز عامدا : حتام تتحدث بفرحك وحزنك إلى الحذاء والسترة وهما جمادان ؟ حتى يدفع إياز إلى الكلام

- يا إياز ، ما هذا الحب لحذاء قديم ؟ وما نتيجته ؟ كأنك عاشق لصنم .

- لقد جعلت من حذاء قديم ديناً لك ومذهباً ، كما جعل المجنون من وجه ليلي " دينه ومذهبه " .
- ولقد مزجت حب روحك بشيئين قديمين ، وعلقتهم كليهما في حجرتك .

- 3255 -** فحاتم تتحدث مع قديمين بالكلام الجديد ، وحاتم تنفث السر القديم في جماد ؟
- ومثل " الشاعر " العربي تطيل حديثك عن العشق مع الربع والأطلال يا إياز .
 - فربع أي وزير عظيم كأصف حذاؤك هذا ؟ وكأن سترتك الجلدية هي قميص يوسف عليه السلام .
 - مثل المسيحي الذي يعترف للقسيس بجرائم عام كامل من الزنا والغل والغش .
 - حتى يتجاوز له القسيس عن تلك الذنوب ، فإنه يعتبر عفوه من عفو الإله

- 3260 -** ولا خبر لذلك القسيس عن الظلم أو العدل ، لكن العشق والاعتقاد أمران شديدا السحر .
- إن الحب والوهم ينسجان مائة في جمال يوسف عليه السلام ، وهما أشد سحراً من هاروت وماروت .
 - وإنك لتخلق صورة ما على ذكره ، وانجذباك بالصورة يدفعك إلى الحديث والكلام .
 - وتتحدث إلى الصورة بأسرارك آلاف المرات ، مثلما يتحدث الحبيب إلى حبيبه .

- وفي حين أنه لا صورة هناك ولا هيكل ، قد انبعث منها مائة سؤال ومائة جواب . “ 1 “

3265 - مثل امرأة مسلوقة الفؤاد ، ثكلى أمام قبر ولدها الذي مات حديثا .
 - إنها تتحدث إليه بالأسرار بجد واهتمام ، وذلك الجماد يبدو لها حيا .
 - إنها تعتبر ذلك التراب حيا وحاضرا ، وترى للغناء عينا وأذنا .
 - وعندها أن كل ذرة من تراب ذلك القبر ، لديها وعي ولديها أذن ، عند الوجد الذي يبدر منها .
 - إنها تعتبر ذلك القبر مستمعا ، وذلك بشكل جاد ، فانظر إلى هذا العشق الساحر .

3270 - وهي تتجه جادة إلى تراب قبره الحديث لحظة بلحظة ، وتضع وجهها الدامع عليه .
 - بالرغم من أنها لم تتجه قط بهذا الشكل إلى ابنها الحبيب كأنه الروح ، عندما كان حيا .
 - وعندما تمر عدة أيام على الحداد والسواد ، تسكن نيران وجدها وعشقها .
 - فإن العشق للميت لا يبقى ثابتا ، فاعشق الحي الذي يطيل في العمر ويزيد في الروح .
 - فإنها من بعد ذلك من نفس ذلك القبر يأتيها النوم ، ويتولد لها جماد من جماد .

3275 - ذلك أن العشق اختطف تعويذته ومضى إلى حال سبيله ، وعندما انطفأت النار المتأججة ، بقي التراب .
 - وذلك الذي يراه الشاب في المرأة ، إنما يراه الشيخ في قطعة من المدر .

.....
 (1) حرفيا : ماىء ، ألسن وبلى .

- والشيخ هو عشقك ، لا صاحب اللحية البيضاء ، فهو الآخذ بأيدي مئات الآلاف من القانطين .
- والعشق يخلق الصور في الفراق ، وعند اللقاء يبدو ما لم يدر في خلد وما لم يُتصور ،
- قائلًا : إنني أصل أصل الصحو والسكر ، والذي كان على الصور هو انعكاس حسننا .

3280 - ولقد رفعت الحجب في هذه اللحظة ، ونشرت الحسن بلا واسطة
 - ذلك أنك من كثرة ما اندمجت مع صورتني ، وجدت القوة على تجريد ذاتي .
 - وعندما سيرت جذبتني من هذه الناحية ، لا يرى أن هناك جذبا بيننا .
 - فيطلب المغفرة من الجرم والخطأ ، من وراء هذا الحجاب ، من لطف الله .
 - وعندما ينفجر نبع من صخرة ، فإن الصخرة تتوارى في هذا النبع .

3285 - ولا يسميها أحدٌ من بعد ذلك حجرا ، ذلك أنه قد فاض منها ذلك الجوهر .
 - فاعلم أن هذه الصور مجرد أوعية ، وتأخذ قيمتها مما يصبه الحق فيها .

قول أهل المجنون له : إن حسن ليلى محدود وليس فائقا وأجمل منها كثيرات في مدينتنا ،
 فلنعرض عليك واحدة واثنيتين وعشرة منهن ،
 وخلصنا وخلص نفسك وجواب المجنون عليهن

- قال البلهاء للمجنون جهلا ، إن حسن ليلى ليس طاغيا ، إنه أمر سهل يسير .

- فأجمل منها مئات الآلاف من الفاتتات ، كأنهن الأقمار في مدينتنا . “ 1 “
- قال : إن الصورة كالوعاء والحسن خمر ، والله تعالى يسقيني الخمر من صورتها هي .

3290 - وربما أعطاكم الله الخل من وعائها ، حتى لا يكون عشقها جارا لكم من الآذان .
- فمن وعاء واحد ، يعطي الله تعالى السم والعسل لكل إنسان .
- وإنك لترى الوعاء ، لكن الشراب ، لا يبدي وجهه لعين من ليس على الصواب .
- وقاصرات الطرف يكن لذة للروح ، لا يبدين أمارتهن إلا لمن خاصم نفسه " التي بين جنبيه " .
- وهذه المدام بمثابة قاصرات الطرف ، وحجب الأوعية بالنسبة لهن كالخيام .

3295 - فالبحر خيمة ، فيها الحياة للبط ، لكنه ممات للغربان .
- والسم يكون للحية قوت وزاد ، ولغيرها يكون سمها ألما وموتا .
- وصورة كل نعمة ، وصورة كل محنة ، هي لهذا جحيم ، ولذاك جنة
- إذن فكل الأشياء والأجسام التي تبصرونها ، فيها قوت أو سم لا تبصرونهما .
- وكل جسد كأنه الوعاء أو كأنه الإناء ، فيه قوت وفيه أيضا تعب وحرقة للقلب .

3300 - فالوعاء ظاهر والرغد مخنف فيه ، ويعلم طاعمه ما الذي يأكله منه .

.....
(1) ج / 12 - 448 : - هناك الآلاف أكثر رقة منها وكأنهن الحور ، فاختر من بينهن - رفيقة جميلة . - وخلص نفسك وخلصنا نحن أيضا من هذا الهوس القبيح المريب .

- وكانت صورة يوسف عليه السلام مثل كأس طيبة ، منها يشرب أبوه الخمر الطروب .
- وكان لإخوته منها السم الزعاف ، الذي كان يزيد من غضبهم وحقدهم الدفين .
- ثم كان لزليخا منها الشهد والسكر ، فكانت تجذب منها أفيونا آخر للعشق .
- وغير ما كان ليعقوب من يوسف عليهما السلام ، كان منه الغذاء من نوع آخر لتلك الحسنة .

3305 - إن الشراب متنوع والوعاء واحد ، حتى لا يبقى هناك شك في خمر الغيب .
 - والخمر من الغيب ، والوعاء من هذه الدنيا ، والوعاء ظاهر والخمر شديدة الاستتار فيه .
 - إنها شديدة الخفاء عن أبصار من لم يؤذن لهم ، لكنها ظاهرة للعيان لمن أذن لهم .
 - " يا إلهي سكرت أبصارنا * فاعف عنا أثقلت أوزارنا
 - يا خفيا قد ملأت الخافقين * قد علوت فوق نور المشرقين .

3310 - أنت سر كاشف أسرارنا * أنت فجر مفجر أنهارنا-
 يا خفي الذات محسوس العطا * أنت كالماء ونحن كالرحى-
 أنت كالريح ونحن كالغبار * تختفي الريح وغبراها جهار . “ 1 “

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- فأنت ربيع ونحن كالبساتين النضرة ، وذلك أن الربيع مستتر وعطاياه ظاهرة .
- وأنت كالروح ، ونحن بمثابة اليد والقدم ، فالقبض والبسط يتأتیان لليد من تأثير الروح .

3315 - وأنت كالعقل ، ونحن بمثابة هذا اللسان ، وهذا اللسان له من العقل البيان .

- وأنت كالسرو ونحن الضاحكون ، فنحن نتيجة للسرور متهللون .
- وإن حركتنا في كل لحظة ناطقة بالشهادة ، هي شهادة على " وجود " ذي الجلال السرمدى .
- ودوران حجر الطاحون اضطرابا ، هو شهادة ناطقة بوجود الماء .
- فيا من أنت خارج أو هامنا وقالنا وقيلنا ، ليكن التراب على مفرقي ، وعلى الأمثلة التي أقدمها .

3320 - فإن العبد لا يصبر عن صورتك الطيبة ، وكل لحظة يقول : لتكن روحي وطاءً لك .

- مثل ذلك الراعى الذي كان يناجيك قائلا : يا الله ، تعال إلى راعيك ومحبك .
- حتى أخلى من القمل قميصك ، وأخصف نعلك ، وأقبل طرف ثوبك .
- لم يكن له قرين في الهوى والعشق ، لكنه كان عييا عن التسبيح والمقال .
- لقد نصب عشقه خيمة على الفلك ، وصار الروح كلبا أمام خيمة ذلك الراعى .

3325 - وعندما جاش بحر عشق الإله ، أثر في قلبه ، بينما أثر على أذنك ،

**حكاية جحا الذي تنقب وجلس بين النساء أثناء الوعظ ، ثم قام بتصرف
ما عرفت منه امرأة أنه رجل وصرخت**

- كان هناك أحد الوعاظ ، وكان مفوها جدا في بيانه ، يجتمع الرجال والنساء أسفل منبره .
- وذهب جحا وتحجب وتنقب ، وتسأل خفية وجلس بين النساء .
- وسأل أحد الحاضرين الواعظ هامسا " على استحياء " : هل يكون شعر العانة منقصا " لأركان الصلاة ؟
- وأجاب الواعظ : عندما يطول شعر العانة ، تكون منه كراهة عند الصلاة .

- 3330 -** فأزله بالنورة أو بالموسي ، حتى تتم أركان صلاتك ، وتكون كاملة طيبة .
- قال السائل : إلى أي حد ترى يكون طولها ، بحيث يكون فيه " خطر " نقص أركان الصلاة ؟
 - قال : عندما يكون بقدر حبة شعير في الطول ، تكون الإزالة واجبة أيها السئول .
 - فقال جحا " لجارته " : أنظري أيتها الأخت ، هل صار شعر عانتي بنفس ذلك الطول ؟
 - ومن أجل رضا الله مدى يديك وتحسسي ، أترينه قد وصل إلى حد الكراهة ؟

3335 - فمدت المرأة يدها في سروال الرجل ، فاصطدمت يدها بذكر الرجل .
 - فصرخت على الفور صرخة عالية ، فقال الواعظ : لقد بلغ قلبي منها سويداء القلب . “ 1 “
 - قالت : لا ، لم يطرق القلب ، بل طرق اليد ، والويل كل الويل ، إن كان قد طرق القلب ، يا عظيم العقل .
 - لقد طرق قلوب أولئك السحرة قليلا ، فصارت أيديهم والعصا شيئا واحدا .
 - فإنك إن أخذت العصا من شيخ أيها المليك ، لتألم أكثر مما تألم أولئك السحرة عند فقدانهم الأيدي والأقدام .

3340 - ولقد وصلت صيحاتهم بلا ضَيْرَ إلى الفلك ، قائلين : هياخذها ، فقد خلصت الروح من آلام النزع - ولقد علمنا أننا لسنا هذا الجسد ، وأننا من وراء الجسد ، نحيا بالله " الواحد الأحد " .
 - وما أسعده ذلك الذي عرف نفسه ، وبنى قصرا في الأمن السرمدى .
 - والطفل يبكي من أجل الجوز والزبيب ، بينما يكون هذا أمرا هينا بالنسبة للعاقل .
 - فالجوز والزبيب هما بمثابة الجسد بالنسبة للقلب ، ومتى يصل الطفل في المعرفة إلى مرتبة الرجال .

3345 - وكل من هو محجوب ، هو طفل في حد ذاته ، والرجل هو من يكون بعيدا عن الشك .

(1) ج / 12 - 453 : - هيا تعلموا الصدق من هذه المرأة ، فعندما أثر قلبي في قلبها صرخت هكذا .

- ولو كان الرجل رجلا بلحيته وخصيتيه ، فإن لكل تيس لحية وشعرا كثا .
- وذلك التيس يكون قائدا خائبا من عجلته ، فيأخذ رفاقه حتى " حانوت " القصاب .
- لقد مشط لحيته قائلا " بفخر " : إنني سابق " متفوق " ، أجل إنه سابق ، لكن إلى الألم والحزن .
- فهيا اختر السلوك ، ودعك من اللحية ، واترك قولك " أنا ونحن " وهذه الجلبة . " 1 “

3350 - حتى تصبح مثل عبير الورود مع العاشقين ، قائدا ومرشدا إلى رياض " الجنان " .
- وما هو عبير الورود ، إنها أنفاس العقل والنهى ، فهو مرشد طيب إلى طريق ملك الأبد .

أمر الملك لأياز مرة أخرى أن : إشرح سر الحذاء والسترة بوضوح حتى يجد أترابك الموعظة من تلك الإشارة ، فالدين النصيحة

- بين سر الحذاء يا إياز ، وما هذه الضراعة الشديدة أمام حذاء ؟
- حتى يشرب " سنقر " و " بركيارق ، سر سر سترتك ونعلك .
- ويا إياز ، لقد وجدت العبودية منك النور ، وأسرع نورك منطلقا من الحضيض إلى أوج الأفلاك

3355 - فصارت العبودية حسرة للأحرار ، عندما وهبت أنت العبودية الحياة .

(1) ج / 12 - 454 : - لقد جعلت من لحيتك مزرعة للضحك ، فكفاك دلالا أنك أنبت لحية .

- والمؤمن هو ذلك الذي في جزر " الحياة " ومدما ، يكون الكافر في حسرة من إيمانه .

حكاية الكافر الذي قيل له في زمن أبي يزيد : أدخل في الإسلام وجوابه

- كان هناك مجوسي في زمن أبي يزيد ، فقال له أحد المسلمين ، وكان بشوشا ميالا إلى المزاح :
- ماذا يكون لو دخلت في الإسلام ، حتى تظفر بالرئاسة وترتقي كثيرا ؟
- فقال : إذا كان الإيمان أيها المرید ، هو ذلك الذي عند شيخ العالم أبي اليزید ،

3360 - فلا طاقة لي عليه ، ولا قدرة لي على احتماله ، فهو فوق ما تقوم به مساعي الروح .
- وبالرغم من أنني غير مؤمن أو موقن بدين الإسلام ، لكنني معتقد جدا في إيمانه .
- وعندي إيمان هو أعلى من كل هذا ، هو إيمان لطيف ذو ضياء وذو بهاء .
- إنني مؤمن بإيمانه في سرى وباطني ، بالرغم من أن هناك قفلا محكما على فمي .
- وإذا كان الإيمان في حد ذاته هو ذلك الذي لديكم ، فليس عندي ميل إليه أو اشتها .

3365 - وذلك الذي يكون لديه إلى الإيمان " بالإسلام " ، عندما يرى إيمانكم ، يفتر ميله .

- ذلك أنه يرى اسما ولا معنى ، كما يطلق على الصحراء اسم المفازة .
- فيتجمد عشقه لإبداء الإيمان عندما يرى إيمانكم .

حكاية ذلك المؤذن قبيح الصوت الذي أذن في دار الكفر وأهداه رجل كافر هدية

- كان أحد المؤذنين ذا صوت شديد القبح ، وقام بالأذان في دار الكفر . “ 1 “
- فقالوا له وكرروا القول : لا تؤذن ، فقد تنشب الحرب ويطول العداء .

- 3370 -** لكنه عاند ، وبلا أدنى احتراز ، قام بأداء الأذان في دار الكفر .
- وخاف الخلق من فتنه عامة ، لكن أحد الكفار جاء بنفسه يحمل ثوبا " كهديّة " .
 - وأحضر كهديّة الشمع والحلوى وذلك الثوب الفاخر ، وأقبل كأنه " الرفيق " الأليف .
 - وأخذ يتساءل : أين ذلك المؤذن ؟ إن نداه وأذانه ليزيدان في الراحة " والسرور " .

(1) النص هنا عند نيكلسون ومن تبعوه شديد الغموض ، فلطالما فكرت : كيف يؤذن المؤذن في دار الكفر ؟ ! وعند جعفري " 12

- 460 " تبدأ الحكاية بأحد عشر بيت توضح النص إلى حد كبير على النحو التالي : -
- أستمع إلى هذه الحكاية يا شديد الذكاء ، دعك من صورتها واستمع إلى معناها .
- كان أحد المؤذنين ذا صوت شديد القبح ، كان طوال الليل يمزق حلقه بهذا الصوت .
- وجعل النوم العميق حراما على الناس ، وأصيب بالصداع منه الخواص والعوام .
- فالأطفال في خوف منه وهم في ثياب النوم ، والرجال والنساء في عذاب من صوته .
- فاجتمعوا على الخلاص منه ، من أجل دفع إزعاجه وأذاه .
- فاستدعوه في التو واللحظة ، وبذلوا له الأموال ، وقالوا : يا فلان :
- إننا جميعا معجبون بأذانك ، لقد أكرمتنا كثيرا ليل نهار أيها العظيم .
- ولقد وصل لكل منا دولة وإقبال منك ، لكن النوم فارقنا منذ فترة .
- فمن أجل راحتنا إعد لنا كعبا قليلا ، وفي المقابل فإن لدينا رحلة حج ، إصحبها .
- وأخذت القافلة تسير نحو الكعبة بشوق ، فأخذ الأموال ، وسار مع القافلة .
- وفي الليل نزل أهل القافلة للراحة في موضع ما بدار الكفر .
- وذلك المؤذن الذي كان عاشقا لصوته ، أذن في ذلك الموضع بدار الكفر .

- ماذا ؟ ! أية راحة في هذا الصوت القبيح ؟ ! قال : إن صوته بلغ مسامعنا حتى الكنيسة .

3375 - ولي ابنة لطيفة وذات بهاء شديد ، وكانت تشتتني الدخول في الإسلام .
- ولم تكن هذه الرغبة العارمة تفارق رأسها قط ، وكم كان ينصحها كثير من الكفار .
- لقد كان حب الإيمان قد نبت في قلبها ، وكان الحزن في قلبي كالمجمر وأنا عليه كالعود .
- كنت في آلام وعذاب ونصب وتعذيب ، فقد كانت تحرك السلسلة " نحو الإيمان " لحظة بلحظة .
- ولم أكن أعرف حيلة لهذا الأمر ، حتى " تفضل " ذلك المؤذن بذلك الأذان .

3380 - فقالت البنت : ما هذا الصوت الكريه الذي صك مسمعي صكا شديدا ؟ !
- إنني لم أسمع قط طوال عمري مثل هذا الصوت القبيح ، سواء في الدير أو في الكنيسة .
- فقالت لها أختها : هذا هو صوت الأذان ، إنه إعلان المؤمنين بالإسلام وشعارهم .
- ولم تصدق ، فسألت أخرى ، فقالت لها الأخرى : أجل ، " هو هذا " ، يا " روح " أبيك .
- وعندما تأكدت من الأمر اصفر وجهها ، وفتر الحماس للإسلام في قلبها .

3385 - ونجوت أنا ثانية من القلق والعذاب ، ونمت ليلة أمس نوما عميقا ، لا خوف فيه ولا قلق .

- لقد كانت راحتى هذه من صوته ، وأتيت له بهدية على سبيل الشكر ، فأين هذا الرجل ؟
- وعندما رآه ، قال له : تقبل مني هذه الهداية ، فلقد صرت لي مجيرا ومعينا .
- وما قدمته لي من إحسان وبر ، جعلني عبد " إحسانك " على الدوام .
- ولو كنت غنيا بالمال والثروة ، لمألت فاك هذا بالذهب .

3390 - " قال المجوسي " : وإيمانكم هذا هو احتيال وزيف ومجاز ، وهو قاطع للطريق مثل ذلك الأذان .

- لكن من إيمان أبي اليزيد وصدقه ، أصيب قلبي وأصيبت روحي بالحسرات .
- مثل تلك المرأة التي رأت جماع الحمار ، فقالت : واحسرتها ، ما هذا الفحل الفريد ؟
- إذا كان هذا هو الجماع فقد فازت هذه الحمير ، أما هؤلاء الرجال فيغوطون على فروجنا .
- ولقد أعطى بایزید جملة الإيمان حقه ، وليكن الثناء الجم على مثل هذا الأسد الفريد .

3395 - فلو أن قطرة من إيمانه قد مضت إلى البحر ، لغرق البحر في قطرته هذه .

- وكالنار ، لو أن شررا واحدا منها سقط في غابة ، لكان الفناء من هذا الشرر لتلك الغابة .
- مثل ظن واحد يطرق قلب الملك أو الجنود ، وقد جعل الخصوم بددا في القتال .

- ألم يبْدُ نجم واحد هو نجم محمد صَلَّى الله عليه وسلّم ، ففنى منه أصل اليهود والمجوس؟ “ “
- وذلك الذي وجد الإيمان ، مضى في أمان ، أما كفر الباقين ، فقد بقي قائما على الظن .

3400 - وربما لم يبق ذلك الكفر المحض الذي كان عند الأولين ، فقد حل محله إما الإسلام وإما الخوف .

- إن هذا الإيمان هو مزج للزيت بالماء إحتيالا ، وهذه الأمثال تشبه الذرة ، ليست نورا .
- ولا أقصد بالذرة تلك التي تكون هباء متجسدا ، أو ذلك الشيء الذي لا يتفتت ولا ينقسم .
- فاعلم أن لدى مرادا خفيا من ذكرى للذرة ، لكن ليس مأذونا لك بالبحر ، فأنت زبد الآن .
- وإن الشمس النيرة لإيمان الشيخ ، لو أشرقت بوجهها من مشرق روح الشيخ .

3405 - فإن كل الوهاد تحتوى على الكنوز حتى " قاع " الثرى ، وكل النجاد تظفر بالخلد الأخضر .

- فإن له روحا من النور المنير ، كما أن له جسدا من التراب الحقيق .
- فواعجبا !! أهو هذا أو ذاك ، لقد عجزت عن " حل " هذه المشكلة يا عماه
- فإذا كان هو الجسد يا أخي ، فما تكون تلك التي منها امتلأت السماوات السبع بالنور ؟ !

.....
(1) ج / 12 - 461 : - ولقد بزغت نجمة واحدة في محمد صَلَّى الله عليه وسلّم ففنى بها كل الكفر في الشرق والغرب .

- وإذا كان هو تلك " الروح " فما هذا البدن أيها الصديق؟ واعجباه !! من هو؟ وأيها يكون؟!

حكاية تلك المرأة التي قالت لزوجها : إن القطة أكلت اللحم ،
فوضع الزوج القطة على الميزان فوجد وزنها نصف من ، فقال : يا امرأة ،
كان اللحم نصف من وأكثر فإذا كان هذا هو اللحم ، فأين القطة ؟ !
وإذا كانت هذه هي القطة ، فأين اللحم ؟

3410 - كان هناك رجل رب بيت ، وكانت له زوجة عيابة سليطة وقذرة وطويلة اليد .
- وكل ما كان الرجل يحضره ، كانت المرأة تبده ، وكان الرجل مضطرا إلى الاستسلام
والسكوت .

- وأحضر ذلك المعيل لحما " ذات مرة " من أجل ضيف ، وحمله إلى المنزل بعد جهد جهيد .
- فأكلته المرأة شواءً مع الشراب ، وجاء الرجل ، فقدمت إليه عذرا واهيا .
- وسأل الرجل : أين اللحم ؟ فقد وصل الضيف ، وينبغي أن يقدم الطعام الدسم للضيف .

3415 - فقالت المرأة : لقد أكلت هذه القطة ذلك اللحم ، فاشتر لحما آخر إن وجد ، هيا .
- فصاح : يا " أيبك " ، هات الميزان ، وسوف أقوم بوزن القطة .
- ووزنها ، وكان وزن القطة نصف " من " ، فقال ذلك الرجل : أيتها المرأة المحتالة :
- لقد كان اللحم يزن نصف " من " ويزيد رطلا ، والقطة نصف من يا سيدتي .
- فإذا كانت هذه هي القطة فأين ذلك اللحم ؟ وإذا كان هذا هو اللحم ، فأين القطة ، إبحثي عنها .

3420 - فإذا كان هذا هو بايزيد ، فما تلك الروح ؟ وإذا كان هو تلك الروح ، فما هذه الصورة ؟
 - إنها حيرة في حيرة أيها الصديق ، وليس هذا شأنك ، كما أنه ليس من شأني .
 - إنه كلاهما معا ، لكن من محصول الزرع ، تكون البذور أصلا ، أما هذا التبن والقش ففرع .
 - وإن الحكمة قد جمعت هذه الأضداد معا ، وهذا القصاب يجمع معا ما حول الفخذ وما حول الرقبة .
 - والروح بلا جسد لا تستطيع العمل ، وجسدك بلا روح يكون باردا متجمدا . “ 1 “

3425 - وجسدك ظاهر ، أما روحك فخفية ، وبهذين كليهما صحت أسباب الدنيا .
 - وإنك لتقذف الرأس بالتراب فلا تشج ، وتصيب الماء على تلك الرأس ، فلا تشج أيضا .
 - وإذا كنت تريد أن تشج الرأس ، فعليك أن تخلط الماء بالتراب .
 - وعندما تشج الرأس يذهب مأوها نحو أصله ، ويأتي التراب صوب التراب يوم الفصل .
 - والحكمة التي صارت للحق من هذا الازدواج ، قد حصلت من الحاجة ومن الفراق واللجاج .

3430 - وتكون حينذاك ازدواجات أخرى ، لا سمعت بها أذن ولا أبصرتها عين .

.....
 (1) ج / 12 - 470 : -

- والجسد بلا روح أقل من التراب أيها الحبيب ، والروح كاللب والجسد كالقشر .
 - والجسد بلا روح لا يتأتى منع عمل ، فجاهد حتى تحصل على روح أيها المحتال .

- وإذا كانت أذن قد سمعتها ، فمتى كانت تبقى أذنا ، أو من أين كان يتأتى لها ثانية ضبط الكلام ؟
- وإذا كان الثلج والبرَد قد أبصرا الشمس ، لقطعا من بعدها الأمل في طبيعة الثلج .
- ولصارا ماءً خاليين من العروق والعقد ، ولصنع داود الهواء والنسيم مجنا من ذلك الماء .
- ولصارا من بعدها دواءً لكل شجرة ، ولسعد جد كل شجرة من قدومهما .

3435 - وذلك الثلج المتجمد قد بقي " منطويا " على نفسه ، وقد قرأ على كل شجرة لا مِسَاسَ .
 - " ليس يَألف ، ليس يؤلف جسمه * ليس إلا شح نفس قسمه " . " 1 "
 - إنه لا يذهب هدرا ، ومنه يستفيق الكبد ، لكنه لا يكون رسولا وسلطانا للنبات .
 - يا إياز ، إن نجمك سامق الارتفاع ، وليس كل برج قابلا لعبوره .
 - ومتى تقبل كل وفاء همته ؟ ومتى تصطفي كل صفاء صفوتك ؟ .

[قصة ذلك الأمير الذي قال للغلام : أحضر خمرا]

حكاية ذلك الأمير الذي قال للغلام : أحضر خمرا . فذهب الغلام ، وعندما كان عائدا بجرة الخمر ، كان هناك زاهد يمر بالطرق للأمر بالمعروف ، فقذف الجرة بحجر وكسرها ، وعلم الأمير ، وتوجه لعقاب الزاهد . وهذه القصة حدثت في زمن عيسى عليه السلام ، ولم تكن الخمر قد حرمت بعد ، لكن الزاهد كان يتقرز منها ويمنع التنعم بها

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- 3440 -** كان هناك أمير حلو الروح معاقر للخمر ، كان كهفا يلجأ إليه كل مخمور وكل مسكين .
- كان مشفقاً مكرماً للمساكين عادلاً ، كان أصيلاً واهباً للذهب ، قلبه كالبحر .
- كان ملكاً للفتيان ، وأميراً للمؤمنين ، كان حافظاً للطريق عالماً بالسر ، ناظراً إلى الصديق .
- كان العهد عهد عيسى والأيام أيام المسيح عليه السلام ، كان الخلق طيبي القلوب قليلي الأذى ، صبورين .
- فأتاه ضيف فجأة ذات ليلة ، كان أميراً على شاكلته ، حسن المذهب .

- 3445 -** وكانت الخمر تلزمهما في نظم أمورهما ، فقد كانت الخمر في ذلك الوقت حلالاً مسموحاً بها .
- وقلت الخمر أمامهما ، فنادى : يا غلام ، امض واملاً الإبريق ، وإيت لنا بالخمر ،
- من فلان الراهب ، فإن عنده خمراً خاصة ، ومنها يجد الخواص والعوام الخلاص .
- وإن ما تفعله جرعة من خمر ذلك الراهب ، هو ما تفعله آلاف الجرار والدنان .
- ففي تلك الخمر مادة خفية ، مثلما يكون سلطان متخفياً في عباءة .
- 3450 -** فقل أنت النظر باستهانة إلى الخرق الممزقة ، فلقد سود ظاهر الذهب .

- ولقد صار منبوذا ومردودا من أجل عين السوء ، كما سود ظاهر ذلك الياقوت بالدخان .
- ومتى تكون الكنوز والجواهر داخل الدور ؟ إن الكنوز توجد دائما في الخرابات .
- وعندما دفن كنز آدم في خرابة الجسد ، صار جسده تعويذة لعين ذلك اللعين .
- كان ينظر إلى الطين باستهانة شديدة ، وكانت الروح تقول له : إن طيني سد أمام عينيك .

- 3455 -** وأخذ الغلام الجرة وأسرع راضيا ، وفي لحظة وصل إلى دير الرهبان .
- ودفع الذهب ، وأخذ خمرا كأنها الذهب ، لقد أعطى حجرا وأخذ عوضا عنه جوهر .
 - " أخذ " خمرا لو أنها صعدت إلى رؤوس الملوك ، لوضعوا تاج الذهب على مفرق الساق .
 - ولأثارت الفتن وألوان الشغب ، ولاختلط العبيد بالسادة .
 - ولمضت العظام وصارت كلها أرواحا ، ولتساوى في تلك اللحظة العرش مع لوح الخشب .

3460 - فهما وقت الصحو كالماء والزيت ، وهما وقت السكر كالروح في الجسد . “ 1 “

-
- (1) ج / 12 - 475 : - مثل الهريسة ، اللحم والبُر ممتزجان معا ، لا يسبق أحدهما الآخر ، ولا فرق بينهما .

- وعندما صاروا كالهريسة ، لم يعد ثم فرق ، فلا فرق هناك ، إذ ليس ثم غرق .
- كان ذلك الغلام لا يزال يحمل خمرا كهذى ، نحو قصر الأمير ، حسن السمعة
- فتقدم منه زاهد محزون متعصب ، متيبس اللب ، متلفع بالبلاء ،
- قد أذاب الجسد في ميزان القلب ، وأخلى الدار من كل ما سوى الله .

- 3465 - و " تعرض " لأذى المحن دون توقف ، والجراح فوق الجراح ، بحيث تبلغ الآلاف .**
- خبرها قلبه كل لحظة من الجهاد " في الطريق " ، فقد كان عاكفا ليل نهار على هذا الجهاد .
 - ولقد تمرغ في الدم والتراب لسنوات ، وفر منه الصبر والحلم فجأة ، في منتصف الليل . "1"
 - فقال الزاهد : ما هذا الذي في الجرار ؟ قال الغلام : خمر ، قال : لمن ؟
 - قال : إنها لفلان الأمير الأجل ، قال : أمثل هذا العمل يكون للطالب ؟

- 3470 - أ يكون طالبا لله ثم قصف ولهو ؟ وخمر الشيطان تكون لمن عنده نصف وعى ؟**
- إن وعيك بلا خمر ذابل هكذا ، وهناك الباب ينبغي أن تكون مرتبطة بلبك هذا .
 - فماذا يكون وعيك عند السكر ؟ يا من صرت مثل طائر سقط في فخ السكر .

(1) ج / 12 - 475 : - فرأى في الليل غلاما حسن الخطى ، يطوى الأرض طيا من سرعته .

حكاية ضياء دلق الذي كان مفرطا في الطول وأخيه شيخ الإسلام تاج بلخ الذي كان شديد القصر ، وكان شيخ الإسلام هذا يشعر بالعار من أخيه ضياء .
ودخل ذات مرة إلى درسه ، وكل صدور بلخ حاضرون ، فحياء ضياء ومر ، وهم له شيخ الإسلام بالقيام بلا اهتمام ، فقال له : نعم ، أنت طويل جدا ، اختلس قطعة من طولك

- كان ضياء دلق هذا حاضر البديهة ، وكان أخا لشيخ الإسلام تاج بلخ . “ 1 “
- أما تاج ، فكان شيخ الإسلام في الحاضرة بلخ ، كان قصير القامة ضئيلا وكأنه فرخ .

3475 - وبالرغم من أنه كان فاضلا فحلا حاويا للفضائل ، فقد كان ضياء يبرزه في الظرف .
- كان قصيرا ، بينما كان ضياء مفرطا في الطول ، وكان شيخ الإسلام يتسم بكبر وفخر شديدين .

- وكان يشعر بالعار من هذا الأخ ، في حين أن ضياء كان واعظا أيضا ذا هدى .
- وفي يوم المحفل دخل ضياء ، وكانت الحضرة مليئة بالقضاة والأصفياء .
- ومن كبريائه الشديد ، قام شيخ الإسلام نصف قومة لهذا الأخ الرشيد .

3480 - فقال له : حقا ، إنك مفرط الطول ، فمن أجل الأجر والثواب ، اختلس جزءا من قوامك السروي .

.....
(1) ج / 12 - 480 : - ومن أجل العلم ، كان خلق يفدون إليه على الدوام يلزمون درسه .

- ومن ثم ، فأني لب وأي عقل لك بحيث تشرب الخمر يا عدوا للمعرفة .
- وإن كان وجهك مليحا ، فضع عليه قدرا من النيلة ، فالنيلة على وجه الحبشي تكون أضحوكة .
- ومتى حل فيك نورٌ أيها الغوى ، حتى تصبح باحثا عن الغيوبية والظلام ؟
- والقاعدة هي البحث عن الظل في النهار ، فهل تصير باحثا عن الظل في الليل الملبد بالسحب ؟

3485 - فإذا كانت قد أحلت قوتا للعوام ، فإنها قد حرمت على طالبي الحبيب .

- وخمر العشاق هي دماء قلوبهم ، وعيونهم تكون على المنزل والطريق .
- وفي مثل هذا الطريق لهذه الصحراء المهولة ، هذا العقل المرشد ذو مائة غياب وكسوف .
- وإنك لتحتو التراب في وجوه المرشدين ، وتجعل القافلة هالكة ضالة .
- وحقا إن خبز الشعير يكون حراما وتزييدا ، فضع أمام النفس خبز النخالة .

3490 - وأذل عدو طريق الله ، ولا تضع اللص على المنبر ، بل ضعه على المشنقة .

- وأولى باللص أن تقطع يده ، وإن عجزت عن القطع ، فقيد تلك اليد .
- فإن لم تقيد يده ، قيد هو يدك ، وإن لم تكسر قدمه ، كسر هو قدمك .
- فهل تعطي العدو الخمر وقصب السكر ؟ لماذا ؟ ، فلتضحك ضحكة مسمومة ، ولتقل له : كل التراب .

- لقد قذف الزاهد من غيرته الجرة بالحجارة ، فتحطمت ، فألقى بها الغلام ، وفر من الزاهد .

3495 - وذهب إلى الأمير ، فسأله : أين الخمر ؟ فقص له ما حدث بالتفصيل .

ذهاب الأمير غاضبا لمعاقبة الزاهد

- صار الأمير كالنار ، ونهض واقفا ، وقال : أخبرني أين دار ذلك الزاهد .
- حتى أدق رأسه بهذه الهراوة الثقيلة ، تلك الرأس الخالية من المعرفة ، ابن الخاطئة ؟
- أي علم له بالأمر بالمعروف ؟ أمن طبيعته الكلبية ؟ ! إنه طالب للصيت والشهرة .
- حتى يجعل لنفسه مكانة بهذا النصب والاحتيال ، حتى يظهر نفسه ، ويشهرها بشيء ما .

- 3500 -** وهو لا يملك فضلا سوى هذا ، وهو أن يتعرض متنتععا لهذا وذاك
- فإن كان مجنونا مشعلا للفتنة ، فإن دواء المجنون هو قضيب الثور " السوط " .
- حتى يخرج الشيطان من رأسه ، وكيف يسير الحمار دون وخز من الحمارين ؟
- وانطلق الأمير خارجا والهراوة في يده ، وجاء في منتصف الليل إلى الزاهد وهو نصف ثمل .
- وكاد من " شدة " غضبه أن يقتل الزاهد ، فاختمى الزاهد تحت غطاء من الصوف .

- 3505 -** كان الزاهد يسمع ذلك من الأمير ، بينما هو مختف تحت صوف بعض الغزالين .
 - وقال لنفسه : المرأة التي قسا وجهها فحسب هي التي تستطيع أن تبرز قبح المرء في وجهه .
 - وينبغي وجهٌ في صلابه وجه المرأة ، ليقول لك : انظر إلى وجهك القبيح .

حكاية غلبة المهرج لسيد شاه ترمذ في الشطرنج

- كان سيد شاه ترمذ يلعب الشطرنج مع المهرج ، فهزمه المهرج سريعا ، وغضب سيد شاه غضبا شديدا .
 - فما إن قال : مات الملك ، مات الملك ، حتى أخذ ذلك الشاه المتكبر يضربه بقطع الشطرنج قطعة قطعة فوق رأسه .
- 3510 -** قائلا : هاكه فخذ ، ملكك أيها الديوث ، فصبر ذلك المهرج وقال : الأمان أيها الملك .
 - وأمر الأمير بأن يلعبا دورا آخر ، فكان " المهرج " مرتعدا وكأنه العريان في الزمهرير .
 - وخسر الأمير الدور ، ومات ملكه ، وجاء دور قول " مات الملك " وأوانه
 - فقفز ذلك المهرج وذهب إلى ركن ، ووضع سريعا ستة من اللباد فوق جسده
 - وتحت الوسائد واللباد الستة ، اختفى نائما ، لكي ينجو من ضرب الأمير .
- 3515 -** فقال الأمير : ماذا فعلت ؟ وما هذا ؟ فقال : الملك . . الملك . . الملك مات ، أيها الملك المختار .

- فمتى يمكن قول الحق إلا تحت اللحاف ، معك " بالذات " أيها الغاصب ناري الطبع .
- فيا من هزمت أنت ، ومت أنا من ضربات الملك ، ها أنا أقول لك : مات الملك . . مات الملك ، وأنا تحت ثيابك .
- لقد امتلأ الحي بصيحات الأمير " الآخر " ورفسه الأبواب بالأقدام ، والشد والجذب .
- ونهض الخلق خارجين من دورهم من على اليسار واليمين ، قائلين : أيها المقدم ، هذا هو أوان العفو والرضا .

- 3520 -** إن ذهنه متيبس ، وعقله في هذه اللحظة أقل من عقول الأطفال وأفهامهم .
- والزهد والشيخوخة صارا ضعفا فوق ضعف ، وهو على زهده ذاك ، ليس على سماحة وبسط .
 - ولقد تجرع الآلام ، ولم ير نفعا من رفيق ، وقام بأعمال كثيرة ، ولم ير نتيجة أو أجرا من عمله .
 - فإما أن عمله هذا لم يكن من أجل " العمل " ذاته ، أو أن حين الجزاء لم يحن بعد .
 - أو أن سعيه هذا كان مثل سعي اليهود ، أو أن الجزاء مرهون بوقته .

- 3525 -** ويكفي الرجل ألما ومصيبة أنه بلا أهل في هذا الوادي المليء بالدم
- لقد قبع في ركن من داره شديد وجع العينين ، وقد عبس بوجهه ، وأرخى شذقيه .
 - فلا كحال يعتني به " ويعالجه " ، ولا عقل له ليسعى في أثر علاج وكحل .

- وهو يجتهد على الوهم والظن ، وأمره قائم على احتمال التحسن .
- ومن هنا فطريقه حتى رؤية الحبيب بعيد ، ولا مجال للبحث عن الرئاسة في رأسه . “ 1 “

- 3530 -** فهو حيناً مع الله في عتاب ، قائلاً : إن نصيبي كان العناء من هذا الحساب .
- وحيناً مع حظه في جدال ، “ قائلاً ” : الجميع مخلوقون ، وأنا مقطوع الجناح .
 - وكل من هو سجين للون والرائحة ، حتى ولو كان الزهد ، يكون ضائقاً تماماً .
 - وما لم يخرج من هذا الجو الضيق الكئيب ، لن يصير طيب الخصال واسع الصدر .
 - وعندما يكون الزاهد منفرداً بنفسه ، ينبغي ألا يُعطى نصلاً أو موسياً من قبل أن يحدث البسط .
- 3535 -** فإنه ضجراً يمزق بطنه ، حزناً على ما أصيب به من خيبة وأحزان .

هم المصطفى صلى الله عليه وسلم بإلقاء نفسه من جبل حراء خوفاً من تأخر نزول جبريل عليه السلام ، وإظهار جبريل عليه السلام نفسه له قائلاً :
لا تلق بنفسك ، فأمامك ألوان من الإقبال

- عندما امتد الهجر وفراق “ جبريل ” للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، كاد أن يلقي بنفسه من فوق الجبل .
- حتى قال له جبريل عليه السلام : حذار ، لا تفعل ، فإن لك دولة عظيمة من أمر “ كن ” .

(1) الشطرة الثانية عند جعفري “ 12 - 490 ” : لم يبق له مخ من عشقه للفتور .

- فكان المصطفى صلى الله عليه وسلم ينصرف عن إلقاء نفسه ، ثم كان الفراق يهاجمه مرة ثانية .

- فكان يهتم بإلقاء نفسه مرة أخرى منقلبا من الجبل ، وذلك من شدة الحزن والهم

3540 - فكان جبريل عليه السلام يظهر له مرة أخرى قائلا له : لا تفعل ، أيها الملك الذي لا بديل له .

- وهكذا ظل الأمر حتى كشف الحجاب ، وحتى وجد جوهره ، من داخله هو .

- وإذا هم الناس بقتل أنفسهم عند كل محنة، فماذا هم فاعلون في النفس التي هي أصل كل المحن؟

- وإني لفي عجب وحيرة من تضحية الناس ، وكل منهم يضحي من أجل سيرة ما .

- وما أسعد ذلك الذي ضحى بالجسد ، من أجل ذلك الذي يستحق الفداء والتضحية .

3545 - ولما كان كل امريء مضحيا من أجل شيء ما ، فهو صارفت فيه العمر ، مستعد أن يقتل من أجله ،

- مستعد للقتل مستقبلا ذات شروق أو ذات غروب ، فلا مشتاق يبقى بعدها ، ولا موضع شوق .

- اللهم إلا هذا المقبل المضحي من أجل هذا الفن ، تكون له مائة حياة في القتل .

- فهو عاشق ومعشوق وعشقه في دوام ، وهو حسن السمعة في الدارين ، ذو نصيب .

- "يا كرامي ، ارحموا أهل الهوى * شأنهم ورد النوى بعد النوى" " 1 “

- 3550 -** فأعف أيها الأمير عن حدته وغلظته ، وانظر إلى آلامه وشقائه .
 - حتى يعفو الله بدوره عن ذنوبك ، ويجازيك على ذلك بالمغفرة .
 - ولقد حطمت أنت جرارا كثيرة من الغفلة ، ومع ذلك فقد رجوت العفو من أعماق قلبك .
 - فاعف حتى تجد العفو عند الجزاء ، فإن القدر يدقق كثيرا عند الجزاء . “ 2 “

**جواب الأمير على المتشفعين للزاهد وجيرانه قائلا : لماذا توقع وكسر جرتنا ؟
 لن أقبل شفاعاة في هذا الأمر ، فلقد أقسمت على عقابه**

- فقال الأمير : من يكون هذا حتى يقذف جرتنا بحجر ويكسرها ؟ !

- 3555 -** والأسد الهصور عندما يمر من الحي الذي أسكن فيه ، يمر بوجل شديد وبحذر. “ 3 “
 - ولماذا ضايق غلامنا وآذاه ، وأخجلنا أمام ضيوفنا ؟
 - وأراق شربة هي أفضل من دمه ، ثم هرب الآن منا كالنساء .
 - لكنه لن ينجو بروحه مني ، حتى ولو صار طائرا وحلق في الأعالي .

(1) البيت بالعربية في المتن الفارسي .

(2) ج / 12 - 493 :

- وكن في وعيك بالنسبة لمن يدققون في أمور القدر ، واستمع إلى قصتنا جيدا .
 - واستمع إلى سيرة الأمراء الآخرين ، حتى تجد من الحكاية مائة خبر .

(3) ج / 12 - 496 :

- بل إنه ليفقد مخلبه رعبا مني ، والأفعى أمام قهري تتحول إلى نملة .

- فإنني أرميه بسهم غضبي الذي يصمي جناحه ، وأقتلع جناحه وقوادمه الحقيمة . “ 1 “

3560 - ولو مضى إلى قلب صخرة صماء ، فإنني بجهدى أخرجه في التو من قلب الصخرة .
 “ 2 “ - ولسوف أوجه ضربة منى إلى جسده ، بحيث يكون عبرة لكل القوادين . “ 3 “
 - ومع كل هذا الاحتيال . . ومعنا أيضا !! فلسوف أعطيه حقه ومائة من أمثاله الآن . “ 4 “
 - ولقد صار غضبه السفاك في قمته ، وكانت النيران لا تفتأ تخرج من فمه .

قيام المتشفعين للزاهد وجيرانه بتقبيل يد الأمير وقدمه والتضرع إليه مرة أخرى

- ومن أنفاسه المعربة ، أخذ أولئك الشفعاء يقبلون يديه وقدميه كثيرا .

3565 - قائلين : يا أيها الأمير ، إن الانتقام لا يليق بك ، وإذا كانت الخمر قد أريقت ، فأنت طيب بلا خمر .
 - وإن الخمر لتستمد مادتها من لطفك ، ولطف الماء يتحسر من أجل لطفك أنت .

.....
 (1) ج / 12 - 496 : - ولو صار سمكة في ماء ، رعبا مني يتقلب ظهرا لبطن .
 (2) ج / 12 - 496 : - لن ينجو بروحه من سيفي ، ولو قام بمائة حيلة وتدبير وفن .
 (3) ج / 12 - 496 : - وإن عمله هو الاحتيال والشعوذة والغش ، وهدفه نيل الشهرة .
 (4) ج / 12 - 469 : - سوف أدق رأسه تماما بهذه الهراوة الثقيلة ، بحيث يغادر جسده كنز الروح .

- فزاول الملوكية ، واعف أيها الرحيم ، أيها الكريم ابن الكريم .
- فكل شراب عبد لهذا القد ولهذا الخد ، وكل السكارى حساد لك .
- ولست محتاجا إلى الخمر الوردية على الإطلاق ، فاترك تلك الوردية ، أيها المورد .

3570 - يا من وجهك الذي كالزهرة شمس الضحى ، ويا من يتسول منك اللون الوردي ، كل ما هو وردى اللون .
 - والخمر التي تغلى في الدن خفية ، إنما تغلى شوقا إلى وجهك .
 - ويا من أنت بأجمعك بحر ، بماذا يجديك الطل ؟ ويا من أنت بأجمعك وجود ، أي عدم تبحث عنه وتطلبه ؟
 - ويا أيها القمر المنير ، ماذا تريد أن تفعل بالغبار ؟ يا من يكون القمر أمامك مصفر الوجه .
 - إنك طيب وجميل ومعدن لكل جمال ، فلماذا تمتن لهذه الخمر ؟

3575 - وإن تاج كَرَّمْنَا موجود على مفرق رأسك ، وطوق أَعْطَيْنَا كَقَلادة فوق صدرك .
 - إن الإنسان جوهر ، والفلك عرض بالنسبة له ، وكلها فروع وأسباب وهو الغرض .
 - ويا من غلمانك العقل والتدابير واللب ، لماذا تبيع نفسك هكذا رخيصة ؟
 - إن خدمتك واحترامك أمران مفروضان على الجميع ، فكيف يطلب جوهر النجدة من عرض ؟
 - وإنك لتبحث - وا أسفاه - عن العلم من الكتب ، وتبحث - وا أسفاه - عن اللذة من الحلوى .

3580 - وبحر من العلم قد اختفى في قطرة طل ، وفي جسد مساحته ثلاثة أذرع ، أضمر عالم " بأسره " .

- فماذا تكون الخمر؟ أو السماع؟ أو الجماع؟ حتى تبحث عن طريقها عن السرور والارتفاع؟!
- لقد صارت شمس طالبة قرضا من ذرة ، وكوكب الزهرة طالبا للكأس من جرة .
- والروح التي لا كيفية لها صارت حبيسة للكيفية ، والشمس حبيسة لعقدة !! يا لها من خسارة !!

جواب الأمير عليهم مرة ثانية

- قال : لا ، لا ، فأنا خدن لتلك الخمر ، ولست قانعا بلذة تلك السعادة " التي تتحدثون عنها " .

- 3585 -** إنني أريدها بحيث أصير كالياسمين ، أتمايل حيناً ذات اليسار وحيناً ذات اليمين .
- متخلصاً من كل خوف ومن كل ألم ، أتمايل في كل صوب ، وكأنني أشجار الصفصاف .
 - مثل غصن الصفصاف ، أتمايل ذات اليمين وذات اليسار ، فله من الرياح ، ألوان من الرقص .
 - وإن كل من اعتاد على سرور الخمر، متى يقبل هذا السرور "الذي تذكرون" ؟ ههـ . أيها السيد .
 - وكون أن الأنبياء قد استثنوا من هذه اللذة ، فذلك لأنهم امتزجوا بلذة الحق .

3590 - ذلك أن أرواحهم كانت قد رأت تلك اللذات ، فأصبحت هذه اللذات عندهم لهوا ولعبا .
“ 1 “

- وعندما صار المرء رفيقا لمحبوب حي ، كيف يقوم بمعاينة ميت ؟ ! “ 2 “

تفسير هذه الآية وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
فالأبواب والجدران في ذلك العالم وساحته ومائة والقدور فيه والثمار والأشجار
كلها حية متحركة مستمعة ،
ومن هنا قال عليه السلام [الدنيا جيفة وطلابها كلاب]
وإن لم تكن للآخرة حياة ، لكانت جيفة بدورها ، والجيفة تسمى جيفة لأنها ميتة ، لا من أجل
رائحتها النتنة وقذارتها

- لما كانت ذرات ذلك العالم ذرة ذرة من الأحياء العالمة بالنكات الدقيقة والمتحركة ،
- فلا راحة لها في عالم الموتى ، فإن هذا العشب ليس لائقا إلا بالأنعام .
- وكل من تكون له الرياض محفلا ووطنا ، متى يشرب الخمر في مستودع القمامة ؟

3595 - وموضع الروح الطاهرة هو عليين ، ويكون دودة ذلك الذي يجعل البعر موطنا له .
- والكأس الطهور من أجل السكران بالله ، والماء المالح من أجل هذه الطيور العمياء .

.....
(1) ج / 12 - 503 :

- وكل من أسفر له النور الحقيقي عن وجهه ، متى يصير قانعا بالظلمة والدخان ؟
- وكل من أكل في جوعه طعام الله ، متى يحمل هم الخبز والحساء ؟
- وكل من نام في الرياض ، متى يميل إلى مستودع القمامة كالبلهاء ؟
وكيف يتجنب المصاب بالاستسقاء الماء ؟ وكيف يبتعد المغمور عن الشراب ؟
ولا يشبع عاشق قط من الحبيب ، ولا يمل المريض قط من الطبيب .
ولا يكون العاشق نفورا من المعشوق ، إذ يرى به كل الكون والمكان .
ولا أحد قط لم يصر عاشقا لغير الحق ، ولم يصر أحد واقفا على ذلك السر إلا الحق .
(2) ج / 12 - 503 : - وربما يعانق أحد ميتا ، إن لم يكن له علم بدنيا الروح .

- وكل من لم يبذ له عدل عمر رضي الله عنه ، يكون الحجاج السفاح عادلا في رأيه .
- وإنهم ليعطون البنات الصغيرات دمية جامدة ، إذ ليس لديهن علم باللعب الحية .
- وعندما لا يكون للأطفال من الفتوة يد قوية ، يكون السيف الخشبي أفضل بالنسبة لهم .

3600 - والكفار قد صاروا قانعين بصور الأنبياء ، التي صوروها على جدران الأديرة .
 - ولما كانت لنا نوبة الضياء من هؤلاء العظماء ، فليس لدينا أدنى اهتمام بنقوش الظلال .
 - لقد بقيت صورة أحدهم في الدنيا ، لكن الآخر صورته كالقمر في كبد السماء .
 - وهذا فمه يتحدث بالنقاط الدقيقة مع الجليس ، وذاك يتحدث مع الحق ، وهو له جليس .
 - وأذن جسده مسجلة لهذا الكلام ، وأذن روحه تجذب الأسرار من قائل " كن "

3605 - وعين الجسد ناظرة إلى حلية البشر ، وعين السر حائرة فيما زاعَ البَصَرُ .
 - وقدم الظاهر مصطفة في صف المسجد ، وقدم المعنى في طواف فوق الفلك .
 - وهكذا فعدد أعضائه عضوا عضوا على هذا النسق ، هذه داخل الوقت ، وتلك خارج الحين .
 - وما هو في وقت يكون حتى الأجل ، لكن أعضاء المعنى رفيقة للأبد ، قرينة للأزل .
 - وإن " أحدهم " ليسمى ولي الدولتين ، ويوصف الآخر بأنه إمام القبلتين .

- 3610 -** فلا تلزمه خلوة ، ولا تلزمه أربعينية ، فلا غيم قط يستطيع أن يحجبه .
 - فإن قرص الشمس هو منزل خلوته ، فكيف يحجبه الليل الغريب ؟
 - ولقد انتفت عنه العلة والخشية ، ولم يبق بُحران ، صار كفره إيمانا ، ولم يبق ثم كفران .
 - صار متقدما كالآلف من استقامته ، وهو لا يملك شيئا من أوصاف نفسه
 - وصار منفصلا عن كسوة طباعه ، وصارت الروح عارية إلا من ذلك الذي يطيل العمر .
- 3615 -** وعندما مضى عاريا إلى ذلك المليك الفرد ، كساه المليك ثوبا من الأوصاف القدسية .
 - ولبس خلعة من أوصاف المليك ، وحلق من حضيض البئر ، إلى إيوان الجاه
 - هكذا مثلما صفا ماء كدر ، فصعد من قاع الطست إلى أعلى الطست .
 - فبالرغم من أنه ملوث بالكدر من قاع الطست ، ومن شؤم امتزاجه بأجزاء البدن ،
 - والرفيق السوء قد عقد جناحه وقواده ، إلا أنه كان في الأصل مبرزا .
- 3620 -** وعندما وجهوا إليه العتاب ب " اهبطوا " ، علقوه منكسا كهاروت .
 - لقد كان هاروت من ملائكة السماء ، وعقابا صار معلقا هكذا .
 - ولقد نكس ، لأنه ابتعد عن الرأس ، وجعل نفسه رأسا ، وساق " مركبه " منبتا .
 - وتلك السلة عندما رأت نفسها مليئة بالماء ، استغنت وانفصلت عن البحر .
 - فلم تبق على كبدها قطرة واحدة من الماء ، فأشفق عليها البحر ، واستدعاها إليه .

- 3625 -** إنها رحمة بلا علة ، " ولا تسبقها " طاعة ، تأتي من البحر في ساعة مباركة .
 - قائلة : ناشدتك الله ، طوفي حول شاطئ البحر ، بالرغم من أن أهل السواحل يكونون صفرة الوجوه .
 - حتى يأتي لطف العطاء ، ويحمر الوجه الأصفر من الجوهر " الإلهي " .
 - إن اصفرار الوجه هو أفضل الألوان بالنسبة له ، ذلك أنه يكون في انتظار هذا اللقاء .
 - لكن اللون الأحمر على ذلك الوجه الذي يكون لامعا ، كان هكذا لأن روحه قانعة .
- 3630 -** فإن هذا الطمع يصيب بالنحول والاصفرار والذلة ، ولا يكون هذا بسبب الأبدان العليلة .
 - وعندما يرى أحد وجهها أصفر بلا سقم ، فإن جالينوس نفسه يصاب منه بالحيرة .
 - وما دمت قد طمعت في أنوار " هو " ، فإن المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول في أمثالك [ذلت نفسه] .
 - والنور بلا ظل لطيف وعال ، وذلك " الظل " المشبك هو ظل الغربال .
 - والعشاق يريدون الجسد عاريا ، وعند المصابين بالعنة ، سواء الثوب والبدن .
- 3635 -** وذلك الخبز ، وتلك المائدة يكونان للصائمين ، وسواء عند الذبابة الحساء والقدر .

استدعاء الملك لإياز مرة أخرى قائلا له : فسر لنا عملك ،
وحل مشكلة المنكرين والطاعنين ، فليس تركهم في هذا اللبس من المروءة

- إن هذا الكلام يفوق الحد والحصر ، فيا إياز ، تحدث الآن عن أحوالك .
- فإن أحوالك هذه نابعة من منبع جديد ، ومتى تصير أنت راضيا بهذه الأقوال ؟
- هيا ، وقص علينا " طرفا " من تلك الأحوال الطيبة ، وليكن التراب على أحوال العالم المحسوس " 1 " ودرسه .
- وإذا كان حال الباطن لا يتأتي في مقال ، فإنني أشرح لك حال الظاهر أزواجا وأفرادا .

- 3640 -** فمن لطف الحبيب تصوير مرارتنا على الروح أحلى من سكر النبات .
- ولو أن ذرة واحدة من ذلك السكر تمضي إلى البحر ، لتحولت ملوحة البحر كلها إلى حلاوة .
 - وعشرات الآلاف من الأحوال قد وردت هكذا ، ثم عادت إلى الغيب أيها الأمين .
 - وحال كل يوم ليس شبيها بحال الأمس ، مثل جدول في جريانه ، إن لم يكن ثم سدود .
 - وسرور كل يوم من نوع جديد ، ولفكرة كل يوم تأثير آخر .

تمثيل جسد الإنسان بدار ضيافة وأفكاره المختلفة بمختلف الضيوف ، والعرف في رضاه بتلك الأفكار المحزنة والمفرحة مثل المكرم للضيف المتلطف مع الغريب كالخليل عليه السلام ، فإن باب الخليل كان مفتوحا دائما لإكرام الضيف ، سواء كان كافرا أو مؤمنا أمينا أو خائنا ، وكان يبش في وجه كل ضيف

.....
(1) حرفيا : عالم الحواس الخمسة والجهات الستة .

- 3645 -** إن هذا الجسد أيها الفتى كأنه دار ضيافة ، يأتيه مسرعا كل صباح ضيف جديد . “1”
 - هيا ولا تقل لقد بقي كَلا على “ 2 “ ، فإنه لن يلبث حتى ينطلق طيرانا نحو العدم .
 - فكل ما يأتي من عالم الغيب ، هو ضيف في قلبك فأكرمه .

**حكاية ذلك الضيف الذي قالت عنه ربة الدار :
 لقد انهم المطر وبقي الضيف في رقابنا**

- نزل ضيف على أحدهم فجأة ، فجعله كالطوق في العنق " إكراما " .
 - ومد السماط وأبدى له أنواع الإكرام ، وفي تلك الليلة كان هناك حفلٌ في حيه .

- 3650 -** وأسر الرجل إلى زوجته قائلا : أعدى فراشين الليلة أيتها السيدة
 - ومدى فراشنا إلى جوار الباب ، أما فراش الضيف فمديه في الناحية الأخرى .
 - فقالت المرأة : بكل احترام وبكل سرور ، سمعا وطاعة يا نور عيني .
 - ومدت المرأة الفراشين ومضت إلى حالها ، نحو حفل الختان ، وبقيت هناك .
 - وبقي الضيف العزيز مع زوجها ، وقد وضعها بينهما النُّقل من أخضر ومجفف .

- 3655 -** وتسامرا بما شاء لهما السمر من خير ومن شر حتى منتصف الليل .

.....

- (1) ج / 12 - 516 :
 - لا ، لقد أخطأت ، إنه يأتي لحظة بلحظة ، ذلك الضيف الجديد ، والفكرة السارة والفكرة
 المحزنة .
 - فكن مضييفا متهلل الوجه كالخليل عليه السلام ، ولا تغلق الباب ، وقف منتظرا في الطريق .
 (2) حرفيا : بقي في رقابنا .

- ثم إن الضيف غلبه النوم وتعب من السمر ، فمضى إلى الفراش الذي عند الباب .
- ولم يقل له الزوج شيئاً حياءً ، لم يقل له : إن موضع نومك في الجهة الأخرى أيها العزيز .
- أو : لقد مددت لنومك فراشا يا ذا الكرم في الناحية الأخرى .
- وبُدل ذلك الترتيب الذي كان قد رتبته مع زوجته ، وراح الضيف في النوم على الفراش الآخر .

3660 - وفي تلك الليلة انهمر المطر مدرارا ، بحيث تعجبت السحب نفسها من شدته .
 - وجاءت المرأة ظانة أن الزوج قد نام إلى جوار الباب ، وأن الضيف قد نام في الناحية الأخرى .
 - وذهبت كالعروس عريانة تحت اللحاف ، ومنحت الضيف عددا من القبلات برغبتها .
 - وقالت : كنت أخشى أيها الرجل العظيم ، وما خشيتُه قد حدث ، ما خشيتُه قد حدث !!
 - كنت أخشى أن يحبس الطين والمطر ذلك الرجل الضيف ، ويبقى لاصقا بك كأنه الصابون السلطاني .

3665 - فمتى " يمكنه " أن يذهب في هذا المطر والوحل ، وسوف يبقى غرما على رأسك وروحك .
 - فقفز الضيف على وجه السرعة وقال : دعيني أيتها المرأة فلدى حذاء برقبة ، ولا يهمني الطين .

- إنني ذاهب إلى حال سبيلي ، ولكم الخير ، ولا أراح الله الروح من السفر لحظة واحدة .
- حتى تمضي بأقصى ما تستطيع من سرعة نحو معدنها ، فإن هذا التوقف في السفر ، يكون قاطعا للطريق .
- فندمت المرأة على قولها السخيف ، عندما نفر ذلك الضيف الفرد ، ومضى إلى حال سبيله .

- 3670 -** وأخذت المرأة تردد : الخلاصة أيها الأمير ، لقد كنت أمزح ، فلا تدقق . . من طيبتك .
- لكن سجود المرأة وضراعتها لم تجد فتىلا ، ومضى وقد تركهما في حسرة .
 - ولبس الرجل وزوجته من بعدها ملابس الحداد ، عندما رأيا وجهه كالشمع ، بلا حوض " يوضع فيه "
 - لقد أخذ يمضى ، والصحراء من نور شمعته ، تحولت إلى جنة ، وانفصلت عن ظلمة الليل .
 - وحول " الرجل " منزله إلى دار ضيافة ، من حزنه لما حدث وخجله منه .

- 3675 -** وفي داخل كليهما ، وفي كل لحظة ، ومن طريق خفي ، كان خيال الضيف يحدثهما قائلا :
- لقد كنت رفيقا لكما وكأنني الخضر عليه السلام ، وكنت سأنثر عليكما مائة كنز من الجود ، لكن لم يكن من نصيبي كما .

تمثيل الفكر التي تحل كل يوم بالقلب بالضيف الجديد الذي يحل بالمنزل في أول النهار ، ويبيدي
لرب الدار التحكم وسوء الخصال وفضيلة إكرام الضيف وتحمل دلالة

- في كل لحظة تحل فكرة كأنها الضيف العزيز بصدرك ، وفي كل يوم أيضا .
- فاعتبر الفكرة أيها العزيز بمثابة الشخص ، ذلك أن المرء له من فكره القدر والروح .
- والفكرة الحزينة وإن قطعت أسباب السرور ، فإنها تقوم بإعداد الأسباب من أجل الأفراح .

3680 - إنها تقوم بكنس المنزل على وجه السرعة من الغير ، حتى يحل سرور جديد من أصل
الخير .

- وتقوم بنفض الأوراق الصفراء من غصن القلب ، حتى ينمو الورق الأخضر على الدوام .
- وتقوم باقتلاع جذور السرور القديم ، حتى تتبخر لذة جديدة قادمة مما وراء " المحسوس " .
- وإن الحزن ليقتلع الجذر المعوج المهترئ ، حتى يطل بوجهه ذلك الجذر المختفي .
- وكل ما يريقه الحزن من القلب أو يسلبه ، فإنه يعوضه بما هو خير منه

3685 - وبخاصة لمن يكون متيقنا من هذا الأمر ، أن الحزن يكون عبدا لأهل اليقين .
- فلو لم يعبس السحاب والبرق بوجهيهما ، لاحترق الكرم من ضحكات " ابنة " الشرق .

- والسعد والنحس كلاهما ضيف على قلبك ، كأنهما الكواكب ينتقلان من منزل إلى منزل .
- وذلك الزمان الذي يكون فيه مقيما في برجك ، كن مثل طالعه ، حلوا نشطا .
- حتى يقوم بشكرك أمام سلطان القلب ، وحتى يصير متصلا بالقمر .

3690 - ولسبع سنوات ، كان أيوب عليه السلام سعيدا في البلاء بصبر ورضا ، لأنه كان ضيفا من الحق .

- وذلك حتى يؤدي ذلك البلاء الشديد شكره أمام الله ، عندما يحول وجهه عنه .
- قائلا : إنه لم يحول وجهه بعبوس عنى أنا قاتل الأوبة لحظة واحدة .
- ومن وفائه وحيائه وعلمه بالله ، كان مع البلاء ، كأنه اللين مع العسل .
- فتأتي فكرة إلى الصدر أو لا بأول ، تكون أنت ضاحكا مستبشرا أمامها .

3695 - وتقول " أعذني " خالقي من شرها ، لا تحرمني أنل من برها .
 - رب أوزعني لشكر ما أرى ، لا تعقب حسرة لي إن مضى " 1 "
 - فحافظ على ذلك الضمير العبوس ، واعتبر ذلك العبوس حلوا كالسكر .
 - وإذا كان السحاب عابس الوجه في الظاهر ، فإنه هو الذي ينبت الرياض ، ويقتل البوار .
 - فاعلم أن الفكرة العابسة على مثال هذا السحاب ، ولا تعبس على هذا النحو في من يعبس أمامك .

3700 - فلعل ذلك الجوهر يكون في يده ، فجاهد حتى يمضي عنك راضيا .
 - وحتى إن لم يكن جوهرها ولم يكن غنيا ، فإنك تزيد من عاداتك الطيبة

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن ومن شره بدلا من من شرها وبره بدلا من برها .

- وتنفع عادتك هذه في موضع آخر ، وتُقضى حاجتك فجأة ذات يوم .
- والفكرة التي تمنعك من السرور ، إنما تكون بأمر الصانع وحكمته .
- فلا تستهن بها ، ولا تعتبر أنه لا قيمة لها أيها الفتى ، فلعلها نجمة سعد وصاحبة قران .

- 3705 -** ولا تقل إنها فرع واعتبرها أصلا ، حتى تكون دائما مسلطا على المقصود .
- وإنك إذا اعتبرتها فرعا ، واعتبرتها أمرا مضرا ، تكون عيناك منتظرتين أصلها .
 - والانتظار ذو مذاق كمذاق السم ، ودائما ما تكون معاشيا الموت من هذا السلوك .
 - فاعتبرها أصلا ، وقم بمعانقتها ، فالانتظار يفتح الطريق للموت دائما .

إكرام السلطان لإياز

- يا إياز ، يا كثير الضراعة ، يا مليئا بالصدق ، إن صدقك أكثر " سعة " من البحر و " ثباتا " من الجبل .

- 3710 -** فلا عثار لديك عند الشهوة ، بحيث يصير عقلك الذي كالجبل ، وكأنه قشة .
- ولا في وقت الغضب والانتقام تهن أنواع صبرك ، فهي مستقرة ذات ثبات
 - وهذه هي الرجولة ، وليست باللحية والذكر ، وإلا كان فحل الحمير هو سيد الرجال .
 - ومن هم هؤلاء الذين أطلق عليهم الحق في القرآن رجالا ، ومتى يكون لهذا الجسم مجالٌ هنا .
 - وأي قدر للروح الحيوانية أيها الأب ؟ ألا فلتعبر سوق القصابين آخر .

3715 - فهناك مئات الألوف قد وضعوا رؤوسهم على بطونهم ، وقيمتهم أقل من الإلية وأقل من الذيل . “ 1 “

- والبغي هي التي من حركة الذكر ، يكون عقلها فأرا وشهوتها كالأسد . “ 2 “

وصية أب لابنته قائلا : احتاطي لنفسك حتى لا تحملي من زوجك

- كان هناك أحد السادة ، وله ابنة ذات خد كالزهرة ووجه قمري وصدر فضي
- ووصلت سن البلوغ فزوجها ، ولم يكن الزوج كفؤا لها .
- وعندما تتزوج الدابوقة تمتليء بالماء ، فإن لم تشقها تتلف وتهلك .

3720 - فزوج الفتاة لغير كفؤها للضرورة وخوفا عليها من الفتنة .
- وقال للبنت : حذار ، وإياك أن تحملي من زوجك هذا .
- فقد كان تزويجك لهذا الشحاظ من قبيل الضرورة ، ولا وفاء عند هذا العجري .
- فهو يمضي فجأة إلى حال سبيله تاركا الجميع ، ويبقى طفله مظلمة عليك
- قالت الفتاة : سمعا وطاعة يا أبي ، إن نصحك مقبول عندي وغنم .\

3725 - وكل يومين أو ثلاثة ، كان ذلك الأب يقول للبنت : الحذر الحذر .
- وحملت الفتاة منه فجأة فقد كان كلاهما شابا ، وكانا زوجا وزوجة .
- وأخذت تخفي الأمر عن أبيها ، حتى بلغ حملها خمسة شهور أو ستة .
- وصار ظاهرا ، فقال الأب : ما هذا ؟ ألم أمرك أن تبتعدى عنه ؟
- لقد ضاعت نصائحي كلها هباء ، ولم يجدها نفعا نصحي ووعظي .

3730 - قالت : يا أبي كيف أتجنبه ؟ ! والرجل والمرأة كالقطن والنار لا جدال .

.....
(1) ج / 12 - 529 : - فلا تكن عبدا للشهوة ما استطعت ، ولا تجعل روحك رهنا في أثر الشهوة . - وإلا اقتلعت الشهوة دارك ومالك ، ولو ضعفتك حيا في قبر أسود .
(2) ج / 12 - 529 : - فلاذكر لك حكاية في هذا المعنى ، حتى أمحو الشهوة من قلبك .

- وأي حذر للقطن من النار ؟ وأي احتياط أو تقى من النار ؟
- قال : وهل قلت لا تقربيه ؟ إن كل ما قلته لا تقبلي منه .
- فعند ذروة اللذة والإنزال والمتعة ، ينبغي أن تنحي نفسك عن طريقه .
- قالت : وكيف أعلم متى يكون إنزاله ؟ إن هذا أمر خفي جدا وبعيد الغور .

3735 - قال : عندما يختلط بياض عينه بسوادها ، افهمي أن هذا يكون وقت إنزاله .
 - قالت : في ذلك الوقت الذي يختلط فيه بياض عينه بسوادها ، تكون عيناى الجريئتان هاتان قد عميتا . “ 1 ”
 - وليس كل عقل حقير يكون ثابتا ، عند الحرص وعند الغضب وفي معمعة المعركة .

وصف ضعف قلب صوفي منعهم ووهنه ، إذ لم يجاهد ولم يذق ألم العشق وحرقته واغتر
 بتقبيل العوام يده ونظرهم إليه باحترام وإشارتهم إليه بالبنان
 قائلين : إنه صوفي العصر ، فمرض بالوهم ، مثل ذلك المعلم الذي قال له الأطفال إنك مريض .
 واعتمادا على وهمه بأنه مجاهد وأنه يعتبر بطلا في هذا المجال ذهب مع الغزاة للغزو قائلا : لا
 بد من هذا الأمر ، فأنا في الجهاد الأكبر من الأفذاذ المستثنين فما قيمة الجهاد الأصغر عندي
 ؟ ! لقد رأى خيال أسد ، فأبدى ألوان الشجاعة ، وصار ثملا بهذه الشجاعة ، واتجه إلى الغابة
 للقاء الأسد " الحقيقي " فقال الأسد بلسان الحال : كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

- ذهب أحد الصوفية مع الجند للغزو ، وفجأة حل أو ان قعقة السلاح و " ضجة " الوغى .

(1) هكذا في نسخة جعفري " 12 - 531 " وهي تبدو أصح من عيناى العمياوان التي وردت
 عند نيكلسون " 237 - 5 "

- وبقي الصوفي مع المؤن والخيام والضعاف ، بينما اتجه الفرسان إلى المصاف .

3740 - وبقي الذين اناقلوا إلى الأرض في أماكنهم ، أما السابقون السابقون ، فقد حملوا وهاجموا .

- وقاتلوا أشد القتال وانتصروا ، وعادوا بغنائم نافعة .

- وجاءوا إلى الصوفي أيضا " ببعض الغنائم " هدية له قائلين : هي لك أيها الصوفي أيضا ، فألقى بها خارج الخيمة ، ولم يأخذ شيئا .

- فقالوا له : لماذا الغضب ؟ فقال : لأنني بقيت محروما من الغزو .

- ولم يرض الصوفي قط بهذا العطاء ، لأنه لم يسل خنجره في ميدان المعركة .

3745 - فقالوا له : لقد جئنا بعدد من الأسرى ، فخذ واحدا منهم ، واقتله .

- واقطع رأسه بدورك ، لتكون أيضا غازيا ، فسعد الصوفي قليلا ، وقوى قلبه .

- وقال : إذا كان في الوضوء بالماء مائة نور ، فالتيمم واجب إن لم يوجد " هذا الماء الطهور " .

- وأخذ الصوفي ذلك الأسير المغلول ، و " مضى " إلى ما وراء الخيام ، وذلك لكي يقوم بالغزو .

- وتأخر الصوفي هناك مع الأسير ، فقال القوم : لقد تأخر الفقير .

3750 - إن الكافر مغلول اليدين ومقتول لا محالة ، فما السبب يا ترى في تأخره في ذبحه ؟

- وذهب أحدهم متفحصا في أثره ، فرأى الكافر فوق " صدره " .

- لقد حط ذلك الأسير كالأسد فوق ذلك الفقير ، وكأنه ذكر يعتلى أنثى .

- وأخذ يعض حلق الصوفي وهو مغلول اليدين ، وقد امتلأ بالغضب والحقده عليه .
- أخذ ذلك المجوسي يعض حلقه بأسنانه ، وقد سقط الصوفي تحته فاقد الوعي .

3755 - وقام ذلك المجوسي مغلول اليدين بجرح حلقه دون حربة ، وكأنه القط .
 - وكاد الأسير أن يقتله بأسنانه ، وكانت لحيته قد خضبت بالدماء من حلق ذلك الصوفي .
 - مثلك أنت ، من غلبة النفس مغلوله اليدين ، صرت دنيا بلا وعي مثل ذلك الصوفي .
 - ويا من صار مذهبك عاجزا أمام تل ، إن مئات الآلاف من الجبال " لا تزال " أمامك .
 - ومن تل بهذا الحجم قد مت من الخوف ، فكيف تمضي على مرتفعات كأنها الجبال ؟ !

3760 - وقام الغزاة بقتل الكافر بالسيف حمية وفي نفس اللحظة ، دون إمهال .
 - ورشوا وجه الصوفي بماء الورد ، حتى عاد إلى وعيه من إغمائه ونومه .
 - وعندما عاد إلى وعيه ، رأى أولئك القوم ، فسألوه : كيف جرى ما جرى ؟
 - ناشدناك الله ، ما هذا الحال أيها العزيز ، ومن أي شيء صرت فاقد الوعي هكذا ؟
 - أمن أسير نصف قتيل مغلول اليدين ، سقطت هكذا ذليلا فاقد الوعي ؟

3765 - قال : عندما اتجهت إلى رأسه بغضب ، نظر إلى نظرة عجيبة ذلك الوقح .

- لقد فتح عينيه عن آخرها في وجهي ، ودور حدقتيه ، فغاب الوعي عن جسدي .
- ولقد أبدى دوران عينه لي عسكرا ، لا أستطيع أن أصف ما كان عليه من هول .
- ولأقصر القول ، فمن تلك العين ، غبت عن وعيي على هذا النحو وسقطت على الأرض .

نصح المبارزين له قائلين : بهذا القلب وبهذه الجراءة بحيث يغمى عليك من تقليب كافر لعينيه ،
ويسقط الخنجر من يدك ، فالحذر الحذر ، إلزم مطبخ التكية ،
ولا تمض إلى الحرب ، حتى لا تفتضح

- قال له القوم : لا تحم حول الوغى والقتال ، بمثل هذه المرارة " المسكينة " التي لديك. "1"

- 3770 - وما دمت من عين ذلك الأسير مغلول اليد ، قد تمزقت سفينتك وتحطمت ،
- فمن ثم ، عند هجوم الأسود الكواسر ، التي تصير الرؤوس بسيوفهم كالكرات ،
- متى تستطيع أن تسبح في الدم ، ما دمت جاهلا بحرب الرجال ؟ !
- ومن الأصوات التي تصاحب قطع الرقاب ، تكون الأصوات التي يحدثها القصارون عند دق
الثياب ، أصواتا محتملة . " 2 "
- وكثير من الأجساد التي لا رؤوس لها في اختلاج ، وكثير من الرؤوس التي لا أجساد لها كأنها
الحباب فوق الدم .

-
- (1) ج / 12 - 538 : - والزم المطبخ داخل التكية ، حتى لا تصير مفتضحا ثانية في الجيش .
 - (2) ج / 12 - 538 : - ومن أصوات تتابع السهام التي تسلب الروح ، يخجل سحاب الربيع " المطر " عندما يقرن بها .

3775 - وتحت أقدام الخيول وقوائمها في ميدان المعركة ، مئات من الأبطال القتلة قد غرقوا في الفناء .

- ومثل هذا اللب الذي فر من فأر ، كيف سيتحمل السيف في ذلك النزال .
- إنه صراع وقتال وليس وليمة صوفية “ 1 “ ، حتى تشمر الأكمام كما تشمرها للطعام .
- ليس بأكل للصوفية “ 2 “ هنا ، وانظر إلى السيف ، فإن “ حمزة ” هو الذي يلزم لهذا الصف الحديدي . “ 3 “
- وليس القتال بعمل كل رقيق قلب ، يفر كالخيال ، عندما يرى خيالا .

3780 - إنه عمل “ صناديد ” الترك ، لا عمل النساء “ 4 “ ، ومكان النساء هو المنزل ، فعد إلى المنزل “ 5 “

حكاية العياضي رحمه الله ، وكان قد شهد سبعين غزوة عارى الصدر على أمل الشهادة وعندما ينس من نيلها ، اتجه من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر واختار الخلوة ، وفجأة سمع طبل الغزاة ، فأخذت النفس تمزق الأغلال من الداخل لتتجه إلى الغزو ، واتهامه لنفسه في هذه الرغبة

- قال العياضي : لقد أتيت تسعين مرة “ إلى الغزو ” عارى البدن ، على أن أصاب بطعنة .

-
- (1) حرفيا : أكل الجرجير عند الصوفية وفي ترجمة أخرى أكل حساء البرغل .
 - (2) حرفيا : أكل الجرجير ، ولعب هنا بكلمتي حمزة أي الجرجير وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
 - (3) ج / 12 - 538 : ليس بالطعام الدسم ، إنه السيف والخنجر ، نبغي المغامرة فيه بالرأس ، فما قيمة الرأس ؟
 - (4) في النص تَركان وهو من الأسماء الشائعة للنساء .
 - (5) ج / 12 - 538 : - أي غزو تستطيع القيام به ومن تلك العين ، ضعت هكذا وسقطت على الأرض .

- كنت أواجه السهام عارى الجسد ، حتى أصاب بسهم نافذ .
- ذلك أن تلقي سهم في الحلق أو في مقتل ، أمرٌ لا يجده إلا كل شهيد مقبل .
- وليس على جسدي موضع واحد بلا جرح ، وأصبح هذا الجسد من السهام ، كأنه الغربال .

3785 - لكن السهام لم تصبني في مقتل ، وهذا أمر من الحظ ، لا جلد ولا دهاء .
 - ولما لم تكن الشهادة رزقا لروحي ، فقد أهرعت إلى الخلوة للقيام بأربعينية .
 - وألقيت بالبدن في الجهاد الأكبر ، وفي ممارسة الرياضة " الصوفية " وإنحاله " بالعبادة " .
 - فوصل قرع طبول الغزاة إلى مسمعي ، منبئاً بأن الجيش المجاهد يمضي سعيدا .
 - فنادتني النفس من الباطن ، بحيث سمعتها بأذن الحس في الصباح .

3790 - قائلة : انهض ، لقد آن أوان الغزو ، فامض ، وأشغل النفس بالغزو .
 - قلت : أيتها النفس الخبيثة عديمة الوفاء ، أين منك الميل إلى الغزو ؟
 - أصدقيني القول أيتها النفس ، فإن هذا احتيال ، وإلا فإن النفس الشهوانية بريئة من القيام بالطاعات .
 - وإن لم تصدقيني القول ، حملت عليك حملة شديدة ، وأثقلت عليك في الرياضة ، فوق ما أفعل .
 - فصاحت النفس تلك اللحظة من باطنه بفصاحة ودون فم وبدأت في الملق والوسوسة .

3795 - إنك تقتلني هنا كل يوم ، وتؤذى روحي ، وكأنها روح المجوس .

- وليس عند أحد علم بحالي ، وأنت تقتلني بمنع الطعام والنوم عني .
- وفي الغزو ، أقفز بطعنة واحدة خارج البدن ، ويرى الخلق شجاعتى وإيثارى .
- قلت : أيتها النفس الحقيمة ، لقد عشت في نفاق ، وها أنت تموتين أيضا على النفاق . . فماذا تكونين ؟
- لقد كنت مرائية في الدارين ، وهكذا كنت في الدارين بلا جدوى ولا فائدة .

- 3800 -** وقد نذرت ألا أطل برأسي من الخلوة ، ما دام هذا البدن حيا .
- وذلك أن كل ما يفعله هذا الجسد في الخلوة ، إنما يفعله لا من أجل وجوه الرجال والنساء .
 - فحركته وسكونه في الخلوة ، ونيته لا تكون إلا من أجل الحق .
 - وهذا هو الجهاد الأكبر ، وذاك هو الجهاد الأصغر ، وكلاهما من أعمال أمثال رستم وحيدر .
 - وليس ذلك الذي يفر لبه ووعيه من جسده ، عندما يتحرك ذيل فأر .

- 3805 -** وينبغي على مثل هذا الإنسان ، أن يبتعد كالنساء عن الحرب والسنان .
- وهذا صوفي ، وذاك صوفي ، ويا للخسارة ، لقد قتل ذاك بآبرة ، وهذا هو طعنة السيف .
 - إنه يكون صورة لصوفي ولا روح ، لقد ساءت سمعة الصوفية من هؤلاء الصوفية .
 - فعلى باب الجسد المعجون من الطين وجداره ، رسم الحق من غيرته صورا لمائة صوفي .

- ومتى تتحرك تلك الصور من السحر ، ما دامت عصا موسى عليه السلام مخفية .

3810 - وتلك الصور يبتلعها صدق العصا ، وعين فرعون " راغمة " مملوءة بالتراب والحصى .

- وهناك صوفي آخر ، دخل إلى ميدان الحرب عشرين مرة ، من أجل الطعن والضرب .

- كان مع المسلمين على الكفار عند الكر ، لكنه لم يعد مع المسلمين عند الفر .

- لقد جرح ، لكنه ربط جرحه ، وحمل مرة أخرى " على العدو " قائلاً :

- حتى لا يموت الجسد بطعنة واحدة موتاً رخيصاً ، وحتى يصاب بعشرين طعنة في المصاف .

3815 - كان يشعر بالخسارة أن يسلم الروح نتيجة لطعنة واحدة ، وإن الروح لتنجو بيسر من يد صدقة .

حكاية ذلك المجاهد الذي كان يلقي كل يوم بدرهم من كيسه في الخندق على مرات لمكافحة
الحرص ورغبة النفس ووسوستها وهي تقول : لماذا تلقي " بالدراهم "
في الخندق على مرات ، ألقها دفعة واحدة حتى أنتهي ، لأن اليأس إحدى
الراحتين فقال : حتى هذه الراحة لا أهبها لك

- كان مع أحدهم أربعون درهماً ، فكان يلقي كل ليلة بواحد في اليم ،

- حتى يكون ذلك صعباً على النفس المجازية ففي الثاني يكون ألم نزع الروح طويلاً . “ 1 “

(1) نسخة نيكلسون - والتي أخذت عنها أغلب النسخ - مضطربة هنا تماماً لأن البيت التالي
لهذا البيت تكرر للبيت 3811 والأبيات التالية له مرتبطة بالموضوع السابق ولا علاقة لها

- وكانت النفس تصيح به كل ليلة والمسكينة تعاني من القلق والحمى قائلة :
- لماذا لا تلقي بالدرهم دفعة واحدة ؟ لقد قتلتني من الحزن وانعدام الحيلة .

3820 - من أجل الحق ، أد الدين للنفس دفعة واحدة ، فاليأس إحدى الراحةين .
 - لكنه لم يلتفت إلى النفس ، وأخذ هكذا يقوم بقتلها مشقة وعناء .

عودة إلى حكاية ذلك المجاهد في القتال

- مثل ذلك الصوفي عند القتال ، لقد ضيق كثيرا على النفس من أجل الحق .
- فعند الكر ، كان يمضي سريعا مع المسلمين ، وعند الفر لم يكن يعود معهم سريعا .
- وطعن طعنة أخرى ، وجرح ، فربطه أيضا ، ولعشرين مرة انكسر رحمه وسهمه .

3825 - وبعد ذلك لم تبق لديه طاقة " على الثبات " ، فسقط في المقدمة ، في مقعد الصدق ، من صدق عشقه .

- فالصدق هو بذل الروح فهبها سابقوا ، واقرأ من القرآن آية رجال صدقوا .
- إن كل هذا ليس بموت ، إنه موت الصورة ، وهذا البدن للروح مثل الآلة .

.....
 - بهذا الموضوع ومن ثم اعتمدنا في ترجمة هذا الموضوع على نسخة جعفري " 12 - 544 " حتى نهاية الحكاية ، والعنوان الجديد ليس موجودا أيضا في نسخة نيكلسون ولا البيت الذي بعده وهما أيضا من نسخة جعفري " 12 - 547 " وبعد ذلك يتفق النصان بزيادة خمسة أبيات على نسخة نيكلسون في المتن العربي .

- ورب ساذج سفك دمه ، لكن نفسه الحية ، أهرعت إلى تلك الناحية .
- كسرت آله ، وبقي قاطع الطريق حيا ، والنفس حية بالرغم من أن المطية قد قتلت .

3830 - قتلت المطية ، ولم يصبح طريقه مطروقا ، ولم يصبح إلا ساذجا قبيحا مضطربا .

- ولو صار شهيدا كل من سفك دمه لكان الكافر القتل في مقام " أبي سعيد " !!
- ورب نفس شهيد معتمد ، ماتت في الدنيا وهو يمضي كالأحياء .
- ماتت النفس قاطعة الطريق ، والجسد الذي هو سيفها ، بقي في كف ذلك الغازي .
- فالسيف هو ذلك السيف ، والرجل ليس ذلك الرجل ، لكن هذه الصورة مثار دهشة بالنسبة لك .

3835 - وعندما تبدل النفس ، يصير سيف البدن هذا ، موجودا في يد صنع ذي المنن .

- فهذا رجل قوته كله من الألم ، وهذا رجل آخر أجوف كأنه الغبار .

وصف أحد الوشاة لجارية ، وإظهاره صورتها في ورقة لخليفة مصر ، وعشقه إياها وإنفاذ الخليفة لأمر مع جيش إلى جبال الموصل ، وقيامه بالقتل والتخريب لهذا الغرض

- قال أحد الوشاة لخليفة مصر ، إن عند أمير الموصل جارية كأنها من الحور العين .
- إن بين " أحضانه " الآن جارية ، لا مثيل لحسنها في العالم .
- وحسنها بلا حد ، لا يصفه بيان ، وهذه هي صورتها في هذه الورقة .

- 3840 -** وعندما رأى ذلك الملك الصورة ، دار رأسه ، وسقط الكأس من يده .
 - وعلى الفور أرسل أحد الصناديد إلى الموصل على رأس جيش لجب .
 - وقال له : إن لم يسلمك هذا القمر المنير ، فاخلع باب بلاطه وجدرانه من الأساس ، - وإن أعطاك إياها ، فدعه لحال سبيله ، وهات الحساء ، حتى أعانق القمر وأنا على الأرض .
 - فمضى البطل إلى الموصل مع الجيش ، مع الآلاف من أمثال رستم ، والطبل والعلم .
- 3845 -** وكأنهم الجراد المنتشر حول حقل بلا عد ولا حصر ، ومضى لإبادة أهل تلك المدينة .
 - وفي كل ناحية من المدينة ، نصب منجنيقا كأنه جبل قاف وأخذ في قصفها ، - " واستعرت " ضربات السهام والرمي بالمنجنيق والسيوف في الغبار لامعة كالبرق " الخاطف " .
 - وقام بهذه المذبحة المهولة لأسبوع كامل ، وصار برج المدينة الحجري واهنا كأنه الشمع اللين .
 - ورأى ملك الموصل القتال المرير ، فأنفذ إليه رسولا من داخل المدينة .
- 3850 -** قائلا له : ماذا تريد من دماء المؤمنين الذين يقتلون في هذه الحرب الضروس ؟
 - فإذا كان مرادك هو مُلك الموصل ، ليكن لك دون أن تقوم بهذه المذبحة .

- وسوف أخرج من المدينة الآن فأدخلها ، حتى لا يحيق بك " جرم " دماء المظلومين .
- وإذا كان مرادك المال والذهب والجواهر ، فهذا أمره أيسر من مُلك المدينة . “ 1 “

إيثار صاحب الموصل الخليفة بتلك الجارية حتى لا يستحر القتل في المسلمين

- وعندما جاء الرسول إلى البطل ، أعطاه الورقة التي تحتوى على الصورة والأمانة. “ 2 “

3855 - " وقال " : انظر في هذه الورقة ، وهيا ، أعطني صاحبتها ، وإلا فأنا غالب لكم الآن “ 3 “ - وعندما عاد الرسول ، قال ذلك الملك الشجاع : دعك من التمسك بالصورة ، وخذها إليه سريعا .

- فلست في عهد الإيمان بعباد للصنم ، فالصنم أولى بذلك الوثني . “ 4 “
- وعندما أتى الرسول بها ، وقع ذلك البطل من فوره في عشق جمالها .
- والعشق بحر ، والسماء من فوقه زبد ، وهناك مائة زليخا في هوى يوسف

3860 - فاعلم أن دوران الأفلاك من العشق ، وإن لم يكن ثم عشق ، لتجمد الكون .

- ومتى كان الجماد ينمحي في النبات ؟ ومتى كان النبات يصبح فداءً للروح ؟
- ومتى كانت الروح تصير فداءً لذلك النفس الذي من نفخته حملت مريم ؟

(1) ج / 12 - 550 : - وكل ما يلزمك من فضة أو ذهب ، أرسله لك ، فما هذه الفتنة والشر ؟

(2) ج / 12 - 552 : - وقال له : انظر في هذه الورقة صورة من تكون ، وأرسل صاحبتها سريعا لتتنجو أرواحكم ويسلم ملككم .

(3) ج / 12 - 552 : - وعندما عاد الرسول وقص الأحوال ، سلم الورقة ، وأبدى تلك الصورة .

(4) ج / 12 - 552 : - وأعطاه الجارية داعيا له بالبركة ، فأخذها من فوره وعاد بها إلى المعسكر .

- وإذن لتجمد كل واحد في مكانه كأنه الثلج ، ومتى كان يصير محلقا ومنتشرا كالجراد ؟
- إن عشاق ذلك الجمال يسرعون ذرة بذرة نحو العلو ، وكأنهم الغصن " الشامخ " .

3865 - وإنسَبَّحَ لِلَّهِ * هي سرعتهم ، إنهم يقومون بتنقية الجسد من أجل الروح .
- ولقد ظن البطل البئر كالطريق ، وأعجبته الأرض البور ، فألقى فيها بالبذور .
- وعندما رأى ذلك النائم خيالا في النوم ، اجتمع به ، وسال منيه .
- وعندما ذهب النوم ، وصحا سريعا ، رأى أن تلك الحسناء لم تكن في اليقظة .
- فقال : لقد أسلت مني على هباء ، وآسفاه ، وتجرعت إغراء تلك اللعوب ، وآسفاه .

3870 - كان بطلا بالنسبة للجسد ، ولم تكن عنده رجولة " الطريق " ، فأراق بذور الرجولة في مثل هذا الرمل .

- ولقد مزقت مطية عشقه مائة زمام ، فأخذ يصيح " لا أبالي بالجِمام ،
- أيش ابال بالخليفة في الهوى ، استوى عندي وجودي والنوى " " 1 "
- فلا تزرع هذه الحرقه ، ولا تتهور آخرا ، واستشر أحد الحكماء .
- وأين المشورة ؟ وأين العقل ، وسيل الحرص قد أنشب مخالفه في " أرض " خراب .

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

3875 - فمن بين الأيدي سد ، ومن الخلف سد ، فهو قليلا ما يرى قدامه ووراءه ، ذلك المفتون بالخد .

- لقد اتجه سيلٌ أسود قاصدا الروح ، حتى يقوم الثعلب بإسقاط الأسد في البئر .
- لقد أبدى من البئر خيالا معدوما ، حتى يلقي في قاعه بأسود كالجبال .
- فلا تجعل أحدا قط أمينا على النساء ، فهما معا على مثال القطن والشرر .
- وينبغي أن تطفأ النار بماء الحق ، فيكون المرء مثل يوسف عليه السلام ، معتصما في رهوقه .

3880 - لقد سحب نفسه من زليخا لطيفة الوجه والقد ، وكأنه الأسد . “ 1 “

- لقد عاد ذلك البطل من الموصل وأخذ يسير في الطريق ، حتى نزل في غابة ومرج .

- وكانت نار عشقه قد زادت أوارا ، بحيث لم يعد يدرى أرضا من سماء .

- فاتجه إلى تلك الحسناء في خيمتها ، فأين العقل ؟ وأين الخوف من الخليفة ؟

- وعندما تقرر الشهوة طبولها في هذا الوادي ، ماذا يكون عقلك أنت ، أيها الضعيف ابن الضعيف ؟ ! “ 2 “

3885 - ومائة خليفة قد صاروا أقل " قدرا " من ذبابة ، أمام عينه النارية في تلك اللحظة .

- وعندما خلع سرواله ، وقعد بين ساقَي المرأة ، ذلك العابد للمرأة ،

-
- (1) ج / 12 - 553 : - ومتى يمكن أن تنتصر على نفسك ، إلا بمعونة عقل ذكي ذي فنون . -
- فهيا سق المركب نحو إتمام القصة ، فهذا الكلام لا نهاية له أيها البطل .
- (2) حرفيا : يا فجلة ابن فجلة .

- وبينما كان يمضي مستقيما نحو المستقر ، قامت ضجة شديدة في المعسكر - فقفز عارى المؤخرة نحو صف القتال ، وسيفه في كفه وكأنه النار .
- فرأى أسدا هصورا أسود ، قد هاجم المعسكر من تلك الغابة.

3890 - وانطلق مهاجما كل حظيرة وكل خيمة ، وكأنه شيطان .
- وأخذ ذلك الأسد يندفع قافزا من طريق خفي في الهواء ، وكأنه موج البحر ، ولعشرين ذراعا .
- وواجه البطل ذلك الأسد بشجاعة وبلا حذر ، وكأنه الأسد الهصور الثمل ،
- وضربه بالسيف ضربة شقت رأسه ، ثم أسرع نحو خيمة الحساء - وعندما أظهر نفسه لتلك الحورية ، كان ذكره لا يزال منتصبا .

3895 - لقد اشتبك في قتال مع ذلك الأسد ، لكن ذكره بقي منتصبا لم يرتخ
- فتعجبت تلك الحساء حلوة اللقاء قمرية الوجه ، من رجولته .
- فاقتربت به برغبة وميل في تلك اللحظة ، واتحدت هاتان الروحان ، برهة من الزمان .
- ومن اتصال هاتين الروحين معا ، تنضم إليهما من الغيب روح أخرى .
- وتظهر عن طريق الميلاد ، إن لم يكن هناك قاطع طريق يمنع تعلقها واتصالها .

3900 - وكل اثنين يجتمعان على حب أو على بغض ، فلا بد أن يلحق بهما ثالث ، على سبيل اليقين .
- لكن تلك الصور تتولد في الغيب ، وعندما تمضي إلى تلك الناحية تراها عيانا .

- " وتذكر " أن تلك النتائج قد تولدت من قراناتك ، فانتبه ، ولا تسر سريعا من كل قرين .
- وابق منتظرا ذلك الميقات ، واعلم أن إلحاق الذريات مبدأ صادق .
- فقد جعلوا لكل امريء من العمل والعلل ، صورة ونطقا وطلا .

3905 - وتصل أصواتهم من ربات الحجال ، منادية إياك ، يا غافلا عنا ، على وجه السرعة ،
إلينا تعال ،

- وأرواح الرجال والنساء منتظرة في الغيب ، فما تلكؤك هذا ، جد في السير .
- ولقد ضل الطريق من ذلك الصبح الكاذب ، وسقط في إناء المخيض كأنه الذبابة .

**ندم ذلك القائد على الخيانة التي ارتكبها وأخذ الأيمان على تلك الجارية
بألا تفشي الأمر للخليفة**

- ولقد ظل عدة أيام على ذلك النحو ، ثم صار نادما على ذلك الجرم البشع . “ 1 “
 - وأخذ عليها الموائيق ، وقال : يا من وجهك كالشمس ، لا تتحدثي بشيء مما حدث إلى الخليفة .
- “ 2 “

3910 - وعندما رآها الخليفة ، صار ثملا ، وسقط طسته هو الآخر من فوق السطح .

-
- (1) ج / 12 - 559 : - أخذ عليها الموائيق قائلا : أيها البدر المنير ، كوني على حذر ، ولا يعلمن الملك شيئا .
- (2) ج / 12 - 559 : ولأقصر القول ، فإن ذلك البطل قد حمل الجارية إلى ملك العالم .

- فلقد رآها أضعاف أضعاف ما وصفت له ، ومتى تكون الرؤية في حد ذاتها مثل السماع ؟
- إن الوصف " مجرد " تصوير من أجل عين الوعي ، واعلم أن الصورة تكون من أجل العين لا من أجل الأذن . “ 1 “
- لقد سأل أحدهم أحد الفصحاء سؤالا : قل لي ما هو الحق وما هو الباطل يا حسن المقال .
- فأمسك بأذنه وقال له : هذا هو الباطل ، والعين هي الحق ، إذ يحصل منها اليقين .

- 3915 -** إن الأذن باطلة بالنسبة للعين ، وهذا أمر نسبي ، وأغلب الأحكام نسبية أيها الأمين .
- فإذا كان الخفاش قد احتجب عن الشمس ، فإنه لا يكون محجوبا عن خيال الشمس .
 - وإن مجرد خيال لا يزال يخوفه ، وخياله ذلك يسوقه نحو الظلام .
 - وذلك الخيال لا يفتأ يخوفه من النور ، ويلصقه بليل الظلمات .
 - ومن خيال العدو وصورته " التي في ذهنك " اعلم أنك قد التصقت بالرفيق والصديق .

- 3920 -** ويا موسى ، إن كشفك قد نشر اللمع فوق الجبل ، وذلك المقيم على الخيال ، لا قدرة له على تحقيقك .

-
- (1) ج / 12 - 560 : - عنوان " سؤال لأحد العظماء عن الفرق بين الحق والباطل " ثم بيت زائد :
- إنني سأضرب لك مثالا فاستمع إليه الآن ، وافهم الأمثال وع معناها .

- فهيا - ولا تصر مغرورا بأنك قابل لخياله ، وأنك واصلٌ من هذا الطريق .
- فمن خيال الحرب - لا يهلع أحد ، فلا شجاعة قبل الحرب ، اعلم هذا فحسب .
- والمخنث على خيال الحرب مقيمٌ على الفكر ، إنه يقوم " في خياله " بمائة كر وفر كرستم .
- وصورة رستم تلك التي تكون في الحمام ، تكون مقترنة بفكر كل جلف ساذج.

3925 - وخیال السمع هذا عندما يتحول إلى بصر ، ماذا يكون المخنث ؟ إنه يتحول إلى رستم عاجز .

- فجاهد حتى تمضي من " مجال " أذنك إلى " مجال " عينك ، وما كان باطلا يصبح لك حقا .
- ومن ذلك الوقت فصاعدا ، تصير أذنك في نفس طبع العين ، وتصبح جوهرا تلك الأذنان اللتان تشبهان الصوف .
- بل إن كل الجسد يصير كالمرآة ، يصير له عينا وجلاءً للصدر .
- فإن الأذن تثير الخيال ، وذلك الخيال ، هو الواسطة لوصال ذلك الجمال .

- 3930 -** فجاهد حتى يصير هذا الخيال زائدا ، حتى يصير واسطة تقود المجنون .
- وذلك الخليفة المخدوع نال أيضا " السعادة " فترة من الزمن ، وتحامق سعيدا مع تلك الجارية .
- فالملك لك ، فخذ أنت ملك الغرب والشرق ، وما دام لا يبقى لك ، فاعتبره من قبيل البرق .
- والمملكة التي لا تبقى إلى الأبد ، اعتبرها حلما ، يا من نام قلبك .

- فحتام تقوم أنت بهذا النفاق والكبرياء ؟ حتى يأخذ بحلقك ، وكأنه الجلابد ! !

3935 - وحتى في هذا العالم ، اعلم أن هناك مأمّن ، وقلل الاستماع إلى المنافق ، فلا قول له .

**حجة منكري الآخرة ، وبيان ضعف تلك الحجة ،
لأن حجتهم تعود إلى قولهم : لا نرى غير هذا**

- إن الحجة التي يقدمها منكر البعث ، ويقولها في كل لحظة ، إذا كان هناك شيء غير هذا لرأيته .

- وإذا كان الطفل لا يرى العقل ، فلا يعنى هذا ألا ينقل العاقل عن العقل أبدا .

- وإن لم ير العاقل أحوال العشق ، فإن قمر العشق المقبل لن ينقص .

- وأبصار إخوة يوسف عليه السّلام لم تر حسنه ، وما الذي خفي منه عن قلب يعقوب عليه السّلام ؟

3940 - وعين موسى عليه السّلام رأت العصا خشبة ، أما عين الغيب فقد رأتها أفعى وفتنة .

- وعين الرأس في قتال مع عين السر ، لكن عين السر غلبت وأبرزت الحجة .

- وعين موسى عليه السّلام رأت يده مجرد يد ، لكنها كانت نورا طاهرا أمام عين الغيب .

- إن هذا الكلام لا نهاية له في الكمال ، وهو أمام كل محروم يكون كالخيال .

- وما دامت الحقيقة أمامه هي الفرج والحلق ، فقلل الحديث أمامه عن أسرار الحبيب .

- 3945 -** والفرج والحلق عندنا من قبيل الخيال ، فلا جرم أن الروح تبدي لنا كل لحظة جمالها .
 - وكل من جعل الفرج والحلق طبعاً له وطريقة ، أقول له : من أجل هذا نزلتلكم دينكم ولي دين .
 - ومع إنكار كهذا ، أولى بك أن تقصر الكلام ، وقل الحديث يا أحمد مع من شاخ على المجوسية .

مقاربة الخليفة لتلك الحساء من أجل الجماع

- لقد جمع الخليفة رأيه ، وأزمع أمراً ، ومضى نحو تلك المرأة ليجامعها .
 - ولقد ذكرها ، وجعل ذكره ينتصب ، واتجه لجماع تلك التي تزيد الحب .

- 3950 -** وعندما قعد بين ساقى تلك السيدة ، حم القضاء ، وقطع طريق متعته .
 - ووصل إلى سمعه صوت خشخشة من فأر ، فارتخى ، وهدأت شهوته تماماً .
 - لقد كان خائفاً من أن يكون هذا الصرير ، من حية تتحرك بين الحصير .

ضحك تلك الجارية من ضعف شهوة الخليفة وقوة شهوة ذلك الأمير وفهم الخليفة " شيئاً " من ضحك الجارية

- ورأت المرأة وهنه هذا ، ومن دهشتها قهقهت وغلبها الضحك .
 - وذكرت رجولة ذلك البطل ، الذي قتل الأسد ، وعضوه على حاله .

- 3955 -** وطال استغراقها في الضحك ، وهي تجاهد " لتكتمه " ، لكن الشفة لم تغلق .
 - أخذت تضحك بشدة ، وكأنها من مدمني المخدرات ، غلب الضحك " عندهم " على النفع والضرر .
 - وكلما فكرت وتذكرت زاد الضحك ، وكأن سداً أمام سيل قد فتح فجأة .

- والبكاء والضحك ، وسرور القلب وحزنه ، اعلم أن لكل منهما معدنا مستقلا .
- ولكل منهما خزانة ، اعلم أيها الأخ ، أن مفتاحها في يد الفتاح .

3960 - ولم يكن يبدو أنها سوف تقلع عن الضحك ، فتطير الخليفة ، واستشاط غضبا .
 - فأسرع بسل سيفه من غمده ، وقال لها : تحدثي عن سر هذا الضحك ، هيا أيتها الدنسة .
 - لقد وقر في نفسي ظن ما من هذا الضحك ، فتحدثي بالصدق ، فلن تستطيعي خداعي .
 - وإن تحدثت إلى مخادعة بغير الصدق ، أو سقت لي حجة واهية مكشوفة ،
 - فإنني سوف أعرف ، فهناك نور في قلبي ، فينبغي أن تقولي لي ما هو جدير بالقول .

3965 - واعلمي أن في قلوب الملوك قمرا ساطعا ، وإن كان بين الحين والآخر ، يصير من الغفلة مخفيا بالغمام .
 - وهناك مصباح في القلب عند الطواف ، وعند الحرص والغضب ، يختفي تحت الطست .
 - وأنا أحس أن هذه الفراسة توجد معي الآن ، وإن لم تقولي الحق الذي ينبغي أن يقال ،
 - فسوف أضرب عنقك بهذا السيف ، فلن يجدي تعللك بالأعذار . “ 1 “
 - وإن تحدثت بالصدق ، فسوف أعتقك ، وأسعدك ، ولن أنقض عهدي أمام الله .

.....
 (1) ج / 12 - 569 : - أقتلك في هذه اللحظة بلا أدنى شك ، ومد إليها السيف قائلا : هيا ، الآن .

3970 - ووضع سبعة مصاحف حينذاك فوق بعضها ، وأقسم عليها ، على ما قاله لها .

إفشاء تلك الجارية ذلك السر للخليفة خوفا من الضرب بالسيف وإصرار الخليفة على أن تقول له السبب في هذا الضحك وإلا قتلها

- عندما أسقط في يد المرأة تحدثت بالأحوال ، وقصت عن رجولة ذلك الذي يشبه مائة رستم وكثيرين من أمثال زال .

- وأعادت على مسامع الخليفة ما جرى في تلك الخلوة التي حدثت في الطريق بتفصيله .
- وقتل ذلك الأسد ، والمجيء نحو الخيمة ، وذلك الذكر المنتصب وكأنه قرن الكركدن . “ 1 “
- ثم وهن هذا المجاهد في هنك الأعراض ، الذي همد عندما استمع إلى خشخشة فأر .

3975 - إن الحق سبحانه وتعالى يقوم بهتك الأسرار ، فلا تزرع بذور السوء ، ما دامت سوف تنمو .

- فالماء والسحاب والحرارة وهذه الشمس ، تقوم باستخراج الأسرار من باطن التراب .
- وهذا الربيع الجديد النضر من بعد تساقط الأوراق ، برهان لك على وجود القيامة .

.....
(1) ج / 12 - 572 : - وأنه كان بهذه القوة ، ومن صيد الأسد ، لم يتغير فيه شيء وبقي على ما هو عليه .

- " وقالت " : وعندما رأيت ذاك منه وهذا منك ، ضحكت ، وهذا هو السبب يا ملك العالم .

- ففي الربيع تظهر تلك الأسرار " على الملأ " ، وكل ما أكلته هذه الأرض ، يفتضح " أمره " .
- وينبثق ذلك من فمها ومن شفيتها ، حتى يظهر للعيان ضميرها ومذهبها .

3980 - وسر جذر كل شوكة ومأكلها ، يظهر كله على رأسها .
 - وكل حزن تكون متأذى القلب منه ، هو من خمار تلك الخمر التي شربتها .
 - لكن كيف تعلم من أي خمر شربتها قد بدى الآن ألم الخمار ؟
 - إن هذا الخمار هو برعمة تلك البذرة ، وهذا يعلمه كل من هو أريب وذكي
 - والغصن والبرعمة لا يشبهان البذرة ، فمتى تشبه النطفة جسد رجل ؟

3985 - وهما لا يتساويان معا : الهيولى والأثر ، ومتى تكون البذرة شبيهة بالشجر ؟
 - والنطفة " من نتاج " الخبز " والطعام " ، فمتى شابعت الخبز ، والناس من النطفة ، فمتى
 يكونون مثلها ؟
 - والخبز من النار فمتى يشبه النار ؟ والسحاب من البخار ، ولا يكون كالبخار .
 - ومن نفس جبريل عليه السلام تمثل عيسى عليه السلام بشرا سويا ، فمتى كان شبيها له في
 الصورة أو ندا له ؟
 - والإنسان من التراب ، فمتى شابه التراب ، وهل يوجد عنب يشبه الكرمة ؟

3990 - ومتى يكون لص على شكل المشنقة ؟ ومتى تكون الطاعة كالجنة الخالدة ؟

- ولا يوجد أصل قط يشبه الأثر ، ومن ثم لا تعلم أصل التعب ووجع الرأس .
- لكن هذا الجزاء لا يكون بلا أصل ، وكيف يعذب الله بلا ذنب ؟
- وما هو أصل لهذا الشيء ويجذبه ، هو منه ، وإن لم يشبهه .
- إذن فاعلم أن ألمك هو نتيجة زلة ، وآفة هذه الطعنة فيك من هذه الشهوة .

3995 - وإذا كنت لا تعرف ذلك الذنب من العبرة ، فادخل في التضرع سريعا ، واطلب المغفرة .

- واسجد مائة مرة ، وقل دائما : يا الله ، إن هذا الحزن الذي بي ليس إلا جزاء ، حاق بي عن استحقاق .

- ويا من أنت سبحانه مبرا من الظلم والجور ، متى تصيب الروح بلا جرم بالألم والغم ؟
- وأنا لا أعرف لنفسي ذنبا معينا ، لكن لا بد أن لكل ذنب حزنا " يصاحبه " .
- وما دمت قد سترت السبب للاعتبار ، فاستر ذلك الذنب والجرم على الدوام .

4000 - فإن الجزاء يكون إظهارا لجرمي ، ومن العقاب تبدو لصوصيتي . “ 1 “

عزم الملك عندما عرف تلك الخيانة على أن يسترها ويعفو ، ويهبه الجارية وعلمه أن تلك الفتنة كانت جزاء تعديه وظلمه لصاحب الموصل ، مصداقا لقوله تعالى وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا * وقوله إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ وخوفه من أن يحل به الانتقام إذا انتقم ، كما حاق به جزاء الظلم والطمع

- عاد الملك إلى وعيه ، واستغفر ، وذكر جرمه وزلته وإصراره .

(1) ج / 12 - 573 : - فلأعد صوب الحديث عن توبة الملك ، حتى تصير أسرار الضراعة معلومة لديك .

- وقال في نفسه ، ما فعلته بالناس ، إنما فعلته بنفسي ، وقد حاق جزاؤه بروحي .
- ولقد تعديت على أعراض الآخرين بجاهي ، وحق ذلك بي وسقطت في " نفس البئر " .
- ولقد قرعت باب منزل شخص آخر ، فلا جرم أنه أيضا قد قرع باب دارى .

4005 - وكل من صار طالبا للفسق مع حريم الناس ، اعلم أنه " في نفس الوقت " قواد لأهله .
- ذلك أن الجزاء من جنس العمل ، فجزاء سيئة سيئة مثلها .
- وعندما هيأت أسباب الفسق ، فقد جذبت إلى نفسك مثله ، ومن ثم أنت ديوث وأكثر .
- ولقد غصبت الجارية من ملك الموصل ، فغصبت مني أيضا على وجه السرعة .
- ولقد كان " ذلك القائد " أمينا لي ومن أتباعي ، لكن خياناتي جعلت منه خائنا .

4010 - وليس هذا وقت الثأر والانتقام ، فأنا الذي ارتكبت بيدي فعلا ساذجا ليس بناصر .
- وإن قمت بالانتقام من ذلك الأمير والمرأة ، فإن عاقبته سوف تحقيق بي أيضا .
- وكما أنني قد جوزيت على فعلي الأول وجربته ، فليس عليّ أن أجرب المجرب .

- ولقد حطم الألم الذي أحس به صاحب الموصل عنقي ، فلن أجرؤ على توجيه ضربة إلى هذين .

- ولقد أنبأنا الحق علما عن الجزاء ، وقال ما معناه " إن عدتم به عدنا به " " 1 “

4015 - ولما كان التزويد هنا عديم الجدوى ، فلا شيء محمود هنا غير الصبر والمرحمة .

- رب إننا ظلمنا " أنفسنا " وجرى علينا السهو ، فارحمنا يا عظيم الرحمات - ولقد عفوت ، فاعف أنت عني يا الله ، وتجاوز عن الذنب الجديد والزلات القديمة .

- ثم قال : الآن ، أيتها الجارية ، لا تنبسي لأحد بحرف واحد مما قد سمعت منك .

- فسوف أزوجك من أميرك ، فناشدتك الله لا تتحدثي إلى أحد بما حدث .

4020 - حتى لا يكون هو خجلا أمامي ، فلقد ارتكبت إساءة واحدة ، وقدم إلى مائة ألف حسنة .

- ولقد قمت بامتحانه عدة مرات ، وأمنت على من هن أجمل منك .

- فوجدته شديد الأمانة ، لكن هذا الذي قضى به الحق ، من فعلي أنا .

- ثم استدعى ذلك الأمير إلى حضرته ، " بعد " أن قتل في نفسه الغضب الذي يفكر في الانتقام .

- وتعلل له بحجة مقبولة ، وقال : لقد صرت نفورا من هذه الجارية .

4025 - فإن " أم الولد " شديدة الغضب والاحتجاج غيرة من هذه الجارية وحقا عليها .

- ولأم الولد حقوق كثيرة ، وهي لا تستحق مثل هذا الجور والجفاء .

.....
(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- وهي تشقى كثيرا من إحساسها بالحسد والغيرة ، وتحس بمرارة شديدة من هذه الجارية .
- وما دمت سوف أهب هذه الجارية لأحد ، فأنت أولى بها ، فخذها ، أيها العزيز .
- فلقد أبديت شجاعة وفدائية من أجلها ، ولا يجمل أن توهب لسواك .

4030 - وعقد للأمير عليها ، وحطم غضبه وحرصه .

في تفسير نَحْنُ قَسَمْنَا أي أنه تعالى يقسم لأحدهم شهوة الحمير وقوتها ولآخر كياسة الأنبياء والملائكة وقوتهم : إن إمالة الرأس هوى من الرئاسة * وترك الهوى قوة نبوية والبذور التي لا تلقى شهوة * لا يكون ثمرها جديرا إلا بيوم الدين

- إن ذلك السلطان وإن كان متصفا بالوهن فيما يختص بفحولة الحمير ، فقد كان متصفا برجولة الرسل .
- ذلك لأن ترك الغضب والشهوة والحرص ، يعد رجولة ، وعرقا من عروق النبوة .
- فقل ، لا كانت فحولة الحمير هذه تجرى " في عروقه " ، فإن الحق يدعوه عظيم أمرائه .
- وأن أكون ميتا " أظفر " بنظرة الحق ، أفضل من أكون حيا ومبعدا ومطرودا .

4035 - فاعلم أن هذا هو لب الرجولة ، أما هذه الشهوة فهي قشرها ، وهذه الشهوة تقود إلى الجحيم ، أما لب الرجولة فيحمل إلى الجنان .

- فقد ورد أن الجنة قد حفت بالمكاره ، واتضح أن النار قد حفت بالهوى .

- فيا إياز ، يا أسدا هصورا ، يا قاتل الشيطان ، قلل من التزويد في رجولة الحمر ، وزد في رجولة اللب .
- فإن ما لم يدركه مائة من الصدور والعظام ، كان بالنسبة لك لعب أطفال ، فهاكم الرجل .
- ويا من أدركت لذة الأمر " الصادر " مني ، وأودعت الروح وفاءً تلبية لأوامري . “1“

4040 - واستمع الآن إلى قصة تذوقه للأمر ولذته به ، في هذه البيانات المعنوية .

إعطاء الملك وهو وسط الديوان والمحفل جوهرة لأحد الوزراء وسؤاله : كم تكون قيمتها ؟ ومبالغة الوزير في تقدير قيمتها وأمر الملك له قائلا : أكسرها الآن ، وقول الوزير : كيف أكسر هذه الجوهرة إلى آخر القصة

- ذهب الشاه " محمود " ذات يوم إلى الديوان ، فوجد كل أركان الدولة موجودين فيه .
- فأخرج جوهرة ذات ضياء شديد ، ووضعها على الفور في كف الوزير .
- وسأله : كيف تراها ؟ وكم تساوى هذه الجوهرة ؟ قال : إنها تساوى ما يزيد على مائة حمل حمار من الذهب .
- فقال له : إكسرها ، قال : كيف أكسرها ؟ ! وأنا الراغب في الخير لمالك وخزانتك .

4045 - وكيف أوافق على إهدار هذه الجوهرة التي لا تقدر بثمن ؟

(1) ج / 12 - 584 : - ويا من أنت على علم بأمر تعظيمه ، إستمع إلى هذه الحكاية إن كنت والها .

- فقال : لتسعد ولتهنأ ، وخلع عليه ، وأخذ منه الجوهرة ذلك الملك الفتى .
- وآثر ملك الجود ذلك الوزير بكل لباس وحلة كان يرتديها ، وخلعها عليه .
- وشغلهم بالحديث ساعة من الزمن ، عما استحدث من أمور ، وما كان قديما منها .
- ثم أعطاها إلى أحد الحجاب قائلا : كم تساوى هذه الجوهرة لطالبها ؟

4050 - قال : إنها تساوى نصف المملكة ، ألا فليحفظها الله من التهلكة

- فقال له : إكسرها ، قال : يا من سيفك في ضياء الشمس ، قال : إن في كسرها خسارة شديدة .
- دعك من قيمتها ، أنظر إلى تلالئها ولمعانها ، لقد صار ضوء النهار تبعاً لها .
- فكيف تتحرك اليد قاصرة كسرها ؟ ! ومتى أكون عدوا لخزانة الملك ؟ !
- فخلع عليه الملك ، وزاد في راتبه ، ثم انطلق في مدح عقله .

4055 - وبعد ساعة أخرى وضع الدرة في يد أمير العدل قائلاً له : قم بامتحانها .

- فقال نفس القول ، وكرر كل الأمراء نفس القول ، فوهب كل واحد منهم خلعة ثمينة .
- وأخذ الملك يزيد في رواتبهم ، وحمل أولئك الأخساء من الطريق إلى البئر .
- هكذا قال خمسون أو ستون أميراً ، كلهم واحداً بعد الآخر ، تقليداً للوزير .

- وبالرغم من أن التقليد هو عماد العالم ، إلا أن كل مقلد يفتضح عند الامتحان . “ 1 “

وصول الجوهرة من يد إلى إياز في نهاية الدور ، وكياسة إياز وعدم تقليده إياهم ، وعدم انخداعه بإعطاء الملك للكيل والمال وزيادة الرواتب والخلع ومدحه لعقول المخطئين ، إذ لا يجوز أن يعتبر المقلد مسلماً ، ويكون نادراً أن يثبت المقلد على ذلك الاعتقاد ويخرج من هذه الامتحانات سالماً ، فليس لديه ثبات المبصرين ، إلا من عصمه الله ، لأن الصواب واحد ، وله أصداد كثيرة توقع في الخطأ وعندما لا يعرف المقلد ذلك الضد ، لا يعرف الصواب لذلك ، ولكن لأن الحق يرهقه مع جهله هذا ، فإن هذا الجهل لا يؤذيه

4060 - يا إياز ، ألا تقول لي كم تساوى هذه الجوهرة وهي بهذا اللعان والفن ؟

- قال : “ ثمنها ” أكثر مما أستطيع أن أقول ، فقال : الآن حطمها إلى قطع صغيرة .

- كانت في كفه حجارة ، فحطمها على وجه السرعة . وكان ذلك هو الصواب في رأيه . “ 2 “

- أو أنه كان قد رأى ذلك فيما يرى النائم ، ووضع حجرين تحت إبطه .

- مثل يوسف عليه السلام الذي كشفت له عاقبة أمره وهو في قاع البئر بأمر الله .

4065 - وكل من ترأسل معه الفتح والظفر ، يتساوى عنده الظفر والحرمان .

(1) ج - 12 / 586 - 587 : - عندما امتحنهم الملك جميعاً ، وخلع عليهم جميعاً خلعا بلا حد .

- هكذا دارت الجوهرة من يد إلى يد ، حتى وصلت يد إياز صاحب البصيرة ووضعها الأخير في

يد إياز ، قائلاً له : أيها الرفيق قوى البصيرة . - لقد رأى الجميع واحداً بعد الآخر هذه الجوهرة ،

فانظر إلى إشعاعها بإمعان أيها المحترم .

(2) ج / 12 - 589 : - ومن اتفاق طالعه مع إقباله ، فقد حدثت في تلك اللحظة حكمته

النادرة .

- وكل من صارت عاقبته وصل الحبيب ، أي خوف يعتريه من الهزيمة والقتال ؟
- فما دام قد تيقن من أنه منتصر في آخر دور " الشطرنج " ، فإن ضياع الحصان والفيل ، يكون من قبيل الترهات .
- فإن سُلِب جواده كل من هو باحث عن جواد ، فقل له : إمض ، أليس هو المُقدم " لا الجواد " ؟
- وأية قرابة تكون للرجل مع الجواد ؟ إن عشقه للجواد يكون من أجل أن يكون سباقا .

4070 - فلا تتحمل هذه المشقة والنصب من أجل الصور ، وخذ المعنى دون صدام الصورة وكدرها .

- والزاهد يحمل هم عاقبة أمره ، وماذا يكون من أمره يوم الحساب .
- أما العارفون فقد صاروا وأعين من البداية ، فارغين من الهم وأحوال الآخرة .
- وعند العارف أيضا نفس هذا الخوف والرجاء ، لكن علمه بما سبق قضى على خوفه ورجائه .
- وذلك الذي قد سبق أن زرع القيطاني ، يعلم ماذا يكون طعم حبوبها

4075 - إنه عارف ، فرغ من الخوف والرجاء ، وصيحات وجده شقها سيف الحق إلى نصفين .
- كان عنده خوف من الحق ورجاء فيه ، وفنى الخوف ، وبقي الرجاء في الله عنده عيانا . “ 1 “

-
- (1) ج / 12 - 589 : - لقد طوى الخوف ، وصار بأجمعه رجاء ، صار نورا تابعا للشمس . -
كان إياز عالما بامتحان الملك ، ولم يتجرع إياز خديعة الملك . - ولم تجعله الخلع والرواتب يحدد
عن الطريق ، فحطم الجوهرة بأمر الملك وجعلها بددا

- وعندما كسر الجوهرة الخاصة في تلك اللحظة ، ارتفعت من أولئك الأمراء ضجة شديدة وصراخ .
- وقالوا : أية جرأة هذه ؟ ! إنه كافر والله ، ذلك الذي يحطم جوهرة بهذا الضياء .
- وتلك الجماعة كلها من الجهل والعمى ، حطمت جوهرة أمر الملك .

4080 - فكيف خفيت الجوهرة القيمة " أي أمر الملك " وهي نتيجة الحب والود على أمثال تلك الخواطر ؟

**تشنيع الأمراء على إياز " وسؤالهم " إياه عن سبب كسرها ،
وجواب إياز عليهم**

- قال إياز : أيها العظماء المشاهير ، هل أمر الملك أعلى قيمة أو هذه الجوهرة ؟
- وبحق الله ، قولوا لي : هل أمر السلطان أولى عندكم أو هذه الجوهرة القيمة ؟
- ويا من أنظاركم مثبتة على الجوهرة لا على أمر الملك ، إن قبلكم غول " الصحراء " لا جادة الطريق .
- وأنا لا أحول نظري عن الملك ، ولا اتجه إلى حجر كالمشرك .

- 4085 -** وهي بلا أصل تلك الروح التي تختار حجرا ملونا وتمارى الملك .
- فأدر ظهرك إلى اللعبة وردية اللون ، واجعل العقل حائرا في خالق الألوان .
- وادخل إلى الجدول ، وحطم الجرة ، وأضرم النار في الروائح والألوان .

- وإن لم تكن في طريق الدين من قاطعي الطريق ، لا تعبد الألوان والروائح كالنساء . “ 1 “
- ولقد طأطأ أولئك الأمراء رؤوسهم ، وأخذوا يعتذرون عن ذلك السهو والنسيان “ من أعماق “ أرواحهم .

- 4090 -** وأخذت الآهات الحرى ترتفع من صدر كل منهم في تلك اللحظة إلى عنان السماء .
- وأشار الملك إلى جلاده العتيق قائلاً : أبعد هؤلاء الأخساء عن صدارة مجلسي
 - فأية لياقة عند هؤلاء الأخساء بصدر مجلسي ، أولئك الذين يكسرون أوامري من أجل حجر ؟ !
 - ومن أجل حجر ملون صارت أوامرنا ذليلة غير ذات قيمة عند أمثال هؤلاء من أهل الفساد .

هم الملك بقتل الأمراء وتشفع إياز أمام عرش السلطان قائلاً : العفو أولى

- فنهض إياز زائد المودة ، وأسرع إلى عرش ذلك السلطان العظيم .
- 4095 -** وسجد سجدة ، ثم أخذ بحلقه قائلاً : يا عظيمًا يحار الفلك فيك .
- أيها الطائر الملكي الذي تأخذ منه طيور الملك بركتها ، ويستمد منك كل سخي سخاءه .
 - يا كريماً تنمحي ألوان الكرم في العالم أمام إثارك الخفي .
 - ويا لطيفاً أبصرته الورود الحمراء ، فمزقت أكمامها خجلاً .
-
- (1) ج / 12 - 594 : - لقد كان الجوهر هو أمر الملك أيها الأخساء ، ولقد حطمتموه عياناً بياناً . - وعندما أفشى إياز السر ، صار كل الأمراء أذلاء مضطربين .

- ويا من من غفرانك ، شبع الغفران والتسامح ، ومن عفوك تسلطت الثعالب على الأسود .

4100 - وكل من تجرأ على أمرك ، أي سند كان له سوى عفوك ؟

- وغفلة هؤلاء المجرمين ووقاحتهم ، هي نتاج وفور عفوك يا ملاذ العفو .

- والغفلة دائماً ما تنتج عن الوقاحة ، كما يسلب الرمد التعظيم من العين .

- والغفلة والنسيان عند من أسيأت تربيته ، إنما تصير محترقة بنار التعظيم .

- ثم إن هيئته تمنحه اليقظة والفتنة ، فينطلق السهو والنسيان خارج قلبه .

4105 - وفي وقت الغارة ، لا يطرق النوم جفن أحد ، حتى لا يسرق منه أحد حاجياته .

- وإذا كان النوم يفر من أجل ثوب خلق ، فمتى يكون نوم النسيان عند الخوف من الذبح .

- لقد صارت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا شأها علينا ، بحيث يكون النسيان ذنباً من وجه ما ،

- ذلك أن " الناسي " لم يقم بتعظيمه تماماً ، وإلا ما سيطر عليه النسيان .

- وبالرغم من أن النسيان لا بد منه ولا محيص عنه ، فإن المرء مختار في مزاولة الأسباب " التي أدت إليه " .

4110 - إذ أنه تهاون في تعظيم " الإله " كما ينبغي ، حتى تولد من ذلك النسيان والسهو

والخطأ .

- وذلك كالسكران الذي يرتكب الجرائم والأخطاء ، ويقول : كنت معذورا غائبا عن نفسي .
- فيقال له : لكن السبب يا قبيح الفعل كان منك ، وكان الاختيار منك أنت في جريانه عليك .
- والغيبة عن الوعي لم تحدث من تلقاء نفسها ، بل دعوتها ، ووعيك لم يمض عنك من تلقاء نفسه ، بل طردته .
- فلو كان هذا السكر قد حدث دون اختيار منك ، لكان ساقى الروح قد حفظ عهدك .

- 4115 -** ولكان ظهيرا لك ومعتذرا عنك ، وأنا غلام لزلة السكر بالله .
- والعفو الموجود في كل الكون مثقال ذرة ومجرد انعكاس لعفوك يا من منك كل نفع .
 - وإن أنواع العفو لتتني على عفوك ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا .
 - فهبهم أرواحهم ولا تطردهم عنك ، فهم من حليت أفواههم منك ، أيها الموفق .
 - وارحم ذلك الذي قد شاهد وجهك ، وتصور كيف سيتحمل فراقك المر .

- 4120 -** وإنك لتتحدث عن الفراق والهجر ، فافعل ما تشاء ، لكن لا تفعل هذا . “ 1 “
- فإن مئات الآلاف من أنواع الموت المضاعفة ، لا تساوى فراق وجهك .

.....

(1) ج / 12 - 599 : - فلا يوجد في الدنيا ما هو أسوأ من هجر الحبيب ، واستمع إلى هذا الكلام من عاشقك

- فأبعد مرارة الهجر عن الذكور والإناث ، أبعدھا يا من أنت للمجرمين الخاطئين الغياث .
- فالموت على أمل وصلك يكون حلوا ، ومرارة هجرک تكون أفضع من النار .
- وإن المجوسي ليقول وهو في سقر ، أي حزن عندي ، ما دام قد نظر إليّ .

4125 - فإن تلك النظرة تجعل الآلام حلوة ، وهي دية لأیدی سحرة " فرعون " وأقدامهم .

تفسير قول السحرة لفرعون عند توقيع العقاب عليهم لا ضير ،
إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ

- لقد سمعت السماء قولها لا ضيرَ، فصار الفلك كرة في أثر ذلك الصولجان .
- أي : لا ضير لنا من ضربة فرعون ، فإن لطف الحق غالب على قهر من سواه .
- فلو أنك تعلم سرنا أيها المضل ، فإنك في الحقيقة تخلصنا من ألمنا يا أعمى القلب .
- هيا ، وأقبل من تلك الناحية حتى تسمع الأرغنون ، يعزف لحنيا لئيت قومي يَعْلَمُونَ.

4130 - ولقد وهبنا الحق فرعونية ، ليست فانية كفرعونيتك وملكك .

- فأطل برأسك ، وانظر إلى الملك الحي الجليل ، يا من صرت مغرورا بمصر ونهر النيل .

- وإنك إن تركت هذه الخرقة النجسة ، فإنك تجعل النيل غارقا في سيل الروح .
- هيا ، وانفض يا فرعون يدك عن مصر ، ففي وسط مصر الروح ، مائة قطر ومصر .
- إنك تقول للجميع أنا رَبُّكُمْ الأعلى، وأنت غافل عن ماهية هذين الإسمين

4135 - فمتى يكون الرب مرتعدا من عابده؟! ومتى يكون العارف بذاته في قيد الجسم والروح؟
- والآن فإن تلك ال " أنا " التي تخصنا قد نجت من أنيتها ، ومن تلك ال " أنا " المليئة بالعناء والبلاء .

- وتلك ال " أنا " التي كانت شؤما عليك أيها الكلب ، كانت بالنسبة لنا دولة محتومة .
- فلو لم تكن لك ال " أنا " المنتقمة ، متى كنت تجلب لنا هذا الإقبال والسعد ؟
- والشكر لله أننا نخلص من هذه الدار الفانية ، وأننا على رأس هذه المشنقة نوجه لك النصائح .

4140 - ومشنقة قتلنا هي براق رحلتنا ، ودار ملكك غرور وغفلة .
- وهذه حياة مستترة وخفية في صورة الموت ، وما أنت فيه موت خفي في غلاف حياة .
- فإنها تبدى النار نورا والنور نارا ، وإلا فمتى كانت الدنيا " توصف " بأنها دار الغرور .

- فهي ، لا تتعجل ، وصر عدما من البداية ، وعندما تغرب ، اطلع من مشرق الضياء .
- فمن " أنية " الأزل ، صار القلب حائرا ، وهذه ال " أنا " صارت باردة سخيفة وصارت عارا .

4145 - ومن تلك ال " أنا " التي بلا " أنا " سعدت الروح ، صارت هاربة من الدنيا ومن أنية الدنيا .

- وعندما نجت من ال " أنا " صارت فحسب تعد أنية ، فلتكن أنواع الثناء على ال " أنا " التي لا عناء فيها .

- فهي هاربة والذات في أثرها ، وهي تسرع عندما تراها في أثرها .
- وأنت طالب لها ، ولا تكون هي طالبة لك ، وعندما تموت ، صار طالبك مطالبا لك .
- وأنت حي ، فمتى يقوم غاسل الموتى بغسلك ؟ وأنت طالب ، فمتى يبحث عنك مطلوبك ؟

4150 - ولو كان العقل مبصرا للطريق في هذا المبحث ، لكان فخر الدين الرازي عالما بسر الدين .

- لكن لما كان " من لم يذق لم يدر " ، فإن عقله وأوهامه وخيالاته قد زادت في حيرتك .
- فمتى كان الكشف من تفكر هذه ال " أنا " ، وتلك ال " أنا " تكشفه بعد عناء ؟ !
- وتسقط هذه العقول من افتقادها " للكشف " في مغارة الحلول والاتحاد .
- فيا إياز الذي صرت فانيا من القرب ، كأنك الكوكب في أشعة الشمس

- 4155 -** بل كالنطفة قد بدلت إلى جسد ، لا عن طريق الاتحاد ولا عن طريق الحلول .
 - أعف ، يا من يكون العفو في خزانتك " أنت " ، وأنت سابق في اللطف ، والكل مسبوق منك .
 - فمن أكون أنا حتى أقول لك أعف ، يا من أنت سلطان ، وخلاصة الأمر بكن فيكون .
 - ومن أكون أنا حتى اقترن بأنيتك ، يا من أخذت كل الأنبيات بطرف رداك .

اعتبار إياز نفسه مجرماً في هذا التشفع ، والاعتذار عن هذا الجرم واعتبار نفسه مجرماً في هذا الاعتذار . وهذا الإنكسار ينبع من معرفة عظمة الملك ، مصداقاً لقوله عليه السلام [أنا أعلمكم بالله ، وأخشاكم لله " ولقوله تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ]

- ومتى أثير أنا الرحمة في قلب الغاضب ؟ أو أبدى طريق الحلم للمزدان بالعلم ؟

- 4160 -** إنني أستحق لهذا آلاف الصفعات ، إذا كنت أنت الذي تعرضني للصفع .
 - فما هذا الذي أقوله وأعلنه أمامك ، أو أعلمك أو أذكرك بشروط الكرم .
 - وما هو هذا الذي لا يكون معلوماً لك ؟ وما هو الذي يعزب عن علمك في هذا الكون ؟ !
 - ويا من أنت منزّه عن الجهل وعلمك منزّه عنه ، بحيث يكون الخفي منسياً عنده .

- لقد اعتبرت من ليس بشخص قط شخصا ، ورفعته بالنور وكأنه الشمس .

4165 - وما دمت أنت الذي جعلتني إنسانا ، استمع إلى شكواي من كرمك ، عندما أشكو .
 - ذلك أنك عندما رفعت الحجاب عن صورتني ، أنت نفسك الذي جعلت هذه الشفاعة لي .
 - والآن ، وقد خلا هذا الوطن من كل أسباني وحاجياتي ، " اتضح " أن أخضر الدار ويابسها ليس ملكا لي .
 - حتى الدعاء أجريته أنت مني وكأنه الماء ، فامنحه الثبات " يا إلهي " واجعله مستجابا .
 - إنك أنت في البداية الآتي بهذا الدعاء ، فكن المرتجى في الإجابة في نهاية الأمر .

4170 - حتى أثرثر أنا قائلا : إن ملك العالم ، من أجلي قد عفا عن المجرمين .
 - وكنت ألما بأجمعي أنا المغرور المعجب بنفسه ، فجعل مني الملك دواء لكل متألم .
 - وكنت جهنميا مليئا بالفتنة والشر ، فجعلتني يد فضله كوثر .
 - وكل من تحرقه النار قودا ، أنبت أنا جسده مرة ثانية .
 - فما هو عمل الكوثر ؟ أن كل محترق يصبح منه نابتا متراكما .

4175 - وكل قطرة منه منادية بالكرم ، قائلة : إنني أعيد كل من أحرقه الجحيم . “ 1 “

(1) ج / 12 - 612 : - إنني كالمرهم على كل جرح عفن ، ف " ينبت لحما جديدا خالصا " .

- إن النار مثل رياح الخريف ، والكوثر كأنه الربيع ، أيتها الروضة . “ 1 “
- والنار كأنها الموت وتراب القبر ، والكوثر مثله مثل نفخ الصور .
- فيا من احترقت أجسامكم في الجحيم ، إن الإكرام لا يفتأ يجذبكم نحو الكوثر .
- ذلك أن لطفك قد قال أيها القيوم الحي " خلقت الخلق كي يربح عليّ

4180 - لا لأن أربح عليهم “ 2 “ ، وهذا هو جودك ، الذي منه يجبر كل كسير ، ويتم كل ناقص .

- فاعف عن هؤلاء العبيد ، عبدة الجسد ، والعفو أولى من بحر العفو .
- وعفو الخلق كأنه الجدول وكأنه السيل ، تسوق خيلها كلها نحو ذلك البحر .
- وألوان العفو كل ليلة ، تأتي من فلذات القلوب هذه ، " طائفة " إليك كالحمام أيها المليك .
- فتردها طائفة مرة ثانية عند الفجر ، وتجعلها محبوسة في هذه الأبدان حتى الليل .

4185 - ثم تطير مرة ثانية عند العشاء خافقة بأجنحتها ، عشقا لذلك الإيوان والسقف "الأعلى" .

-
- (1) ج / 12 - 613 : - والنار كأنها الموت والفناء ، والكوثر هو نفخ الصور من الكبرياء .
 - (2) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- حتى تقطع خيوط الوصال مع الأجساد ، وتقبل نحوك ، لأن لها الإقبال منك ،
- خافقة بأجنحتها ، آمنة من العود المنقلب ، محلقة في الهواء قائلة إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
- فيهتف بها هاتف من الكرم أن " تعالوا " ، وبعد تلك الرجعة لا يبقى حرص ولا غم .
- فكم من غربة تكبدتموها في الدنيا ، فكونوا عارفين بقدرى أيها العظماء .

4190 - ومدوا سيقانكم مستريحين تحت ظل هذه الشجرة ثملين بالكرم .
 - تلك السيقان التي عانت كثيرا في طريق الدين ، فهيا كونوا إلى جوار الحور ، وفي أحضانهم خالدين

- والحور يكن حنونات يغمزن لبعضهن بأعينهن قائلات : لقد عاد هؤلاء الصوفية من السفر .
- الصوفية الأصفياء كأنهم نور الشمس ، كانوا قد سقطوا فترة فوق التراب وفوق القدر .
- وعادوا بلا أثر من التراب طاهرين من القدر ، مثل نور الشمس صوب القرص العالي .

4195 - وهذه الطائفة من المجرمين أيها المجيد ، قد دقوا رؤوسهم جميعا بالجدار .
 - ولقد وقفوا على ذنوبهم وعلى جرائمهم ، وبالرغم من أنهم قد هزموا في لعبة نرد الملوك .

- إلا لأنهم توجهوا إليك الآن متأوهين ، يا من لطفك لا يزال يجذب المجرمين .
- فعجل في إعطاء الطريق ، العجل ، إلى فرات العفو ، وعين المغتسل .
- حتى يغتسلوا من هذا الجرم الممتد ، ويذهبوا إلى الصلاة في صف الأطهار .

4200 - وفي تلك الصفوف هناك من لا يمكن حصرهم وعدهم ، غارقون في نورلنخُن الصَّافُونِ.

- وعندما وصل الكلام إلى وصف هذه الحالة ، تحطم القلم ، وتمزقت الأوراق .
- فهل وسع البحر قط إناءً فخارى ، وهل ظفر قط حملٌ بأسد ؟
- فإذا كنت في حجاب ، فأخرج عن الاحتجاب ، حتى ترى ذلك المُلْك العجَاب .
- وإذا كان السكارى قد حطموا كأسك ، فاعذر لمن هو ثملٌ بك .

- 4205 -** فإن سكرهم بالجاء والمال ، لا من خمرك يا حسن الفعال .
- واعلم أيها المليك أنهم السكارى بك ، فاعف عن الثمل بك أيها العفو .
 - وإن لهجة تخصيصك " لهم " عند الخطاب ، يتأتى منها ما لا يتأتى من مائة دن من الشراب .
 - وما دمت أنت الذي أسكرتني ، لا تقم على الحد ، فالشرع لا يحد السكارى " أثناء سكرهم " .

- وعندما أفيق ، أقم على الحد آنذاك ، ومن ثم ، فلن أصير مفيقا أبدا .

- 4210 -** وكل من شرب من كأسك يا ذا المنن ، نجا إلى الأبد من الوعي ومن التعرض للحد .
 - إنهم " خالدون " في فناء سكرهم ، من تفانى في هواكم لم يقم " . " 1 "
 - فلا يزال فضلك يقول لقلوبنا : امض ، يا من صرت رهنا في مخيض عشقنا .
 - لقد سقطت ، كما سقطت الذبابة في المحيض ، فلست ثملة أيتها الذبابة ، أنت الخمر نفسها .
 - ولقد صار النسور ثملين منك أيتها الذبابة ، عندما تسوقين مطيتك نحو بحر العسل .

- 4215 -** والجبال تصير كالذرات ثملة بك ، والنقطة والفرجال والخط في يدك .
 - والفتنة التي ترتعد منه مرتعدة منك وكل جوهر غال الثمن رخيص عندك .
 - ولو كان الله قد وهبني خمسمائة فم ، لقمت ببيانك آنذاك يا روح العالم .
 - وإن لي فما واحدا ، ومن ثم ، فأنا منكسر خجلا منك يا عالما بالسر .

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- لكني لست أكثر انكسارا في الأصل من العدم ، ومن فمه انبثقت كل هذه الأمم .

- 4220 -** وهناك مئات الآلاف من الآثار الغيبية في انتظار أن تخرج منك بلطف وبر .
- وإن رأسي لتكون دائرة من طلبك إياي ، يا من أكون أنا ميتا أمام هذا الكرم .
- ومجرد رغبتنا هذه من طلبك أنت ، وجذبة الحق سارية في كل مكان .
- ومتى يصعد التراب إلى أعلى دون رياح ؟ ! وهل تسير سفينة في طريقها دون بحر ؟
- وأمام ماء الحياة لم يمت أحد وإلى جوار مائك ، يكون ماء الحياة كدرا .

4225 - وماء الحيوان هو قبلة أرواح الأحباب ، ومن الماء يكون البستان أخضر نضرا ضاحكا .

- لكن من يشربون الموت أحياء من عشقه ، قد صرفوا قلوبهم عن الروح وماء الروح .
- وعندما لحق بنا ماء عشقك ، صار ماء الحيوان غير ذي قيمة عندنا .
- ولكل روح البعث والجدة من ماء الحياة ، لكنك ماء ماء الحياة .
- وإنك لفي كل لحظة تهبني موتا وحشرا ، حتى أرى غلبة ذلك الكرم .

4230 - وصار هذا الموت بالنسبة لي كأنه النوم ، وذلك من شدة ثقتي في البعث من الله .
- والبحار السبعة إن أصبحت كلها سرايا ، فإنك تأتي بها جارا إياها من أذناها يا ماء الماء .
- والعقل مرتعد من الأجل ، وذلك العشق متجرؤ " عليه " ، ومتى يخشى الحجر من الماء كما يخشاه المدر ؟

- وهذا هو الخامس من صحف المثنوى ، إنه في بروج فلك الروح كأنه الأنجم .
- ولا تجد كل حواس الطريق إلى الأنجم ، اللهم إلا " حواس " ذلك الملاح العالم بالنجوم .

4235 - وليس للآخرين من نصيب إلا النظر ، وهم غافلون عن السعود والقرانات .
- فتعرف طوال الليل وحتى الأصباح ، على مثل تلك الأنجم محرقة الشيطان .
- وكل منهم في دفع الشيطان القاصد بالسوء ، كأنه الرامي بالنفط من قلعة السماء .
- والنجوم مع الشيطان كأنها العقرب ، ولأرباب السعادة كأنها الولي الأقرب .
- فالقوس وإن كان يصمي الشيطان بسهم ، فهناك الدلو وهو مليء بالماء للزرع والثمر .

4240 - والحوت وإن كان يحطم سفينة الغي ، فإنه يزرع للولي وكأنه الثور .

- والشمس وإن كانت تمزق الليل وكأنها الأسد ، للياقوت منها خلة من الأطلس . “ 1 “
- وكل وجود أطل برأسه من العدم ، هو لأحدهم سم ، لكنه للآخر شهد .
- فصر حبيباً وأبرأ من الطبع السيئ ، لتتال السكر حتى ممن هو في الصورة سم .
- ومن هنا لم يُصب الفاروق رضي الله عنه أذى من السم ، فقد كان ذلك السم سكرًا بالنسبة لترياقه الفاروقي . “ 2 “

تمت ترجمة الكتاب الخامس بحمده تعالى وتليها الشروح بإذنه تعالى

.....
(1) ج 12 / 615 - 616 :

- وإذا كان شكل العقرب معوج السير ، فإن هيئة الميزان على عكسه .
- وإذا كان عمل المريخ هو سفك الدماء ، فهو مسكين أمام ذلك الذي يشرق من تبريز .
- وإذا كان تأثير النحاس يتأتى من رُحل ، فإنه من ناحية العمل تتأتى منه دقة الفكر .
- وإذا كانت السمكة تضرب بكفيها الشمس ، فليس للزُهرة جرأة على الحديث عنها .
- بل إن عطار د ليفقد منزله ، ومن جنونه يقوم بكسر الجوزاء .
- وترتعد يد المشتري ويخفق قلبه ، ويقع القمر على وجه الماء كأنه السلال .
- والنسر الطائر يفقد ريشه من الخجل ، ومن الطمع يصبح التنين في ليونة الشمع .
- وبنات النعش يحملن ويجتمعن ويصفقن .
- دعك من هذه الرموز فهذا ليس وقتها ، ودرب التبانة امتلاً بالتبن من السنبلة .
- لقد أطلت الشمس من الجبل فاتقوا ، لكن هذا الحديث يصبح مرا عليكم .
- إنك عدو ومن العدو الشهد واللبن ، يصبح بلا تكلف سما في الفم

(2) ج 12 / 616 :

- فهيا ، ابحث عن ترياق الفاروق أيها الغلام ، حتى تصبح فاروق زمانك ، والسلام .

شرح و هوامش

[شرح] المقدمة :

يرى يوسف بن أحمد (2 / 5) أن هذا الدفتر من دفاتر المثنوى يشتمل على أصول الشريعة ومسائل الطريقة وأسرار الحقيقة .
والواقع أن كل علوم الصوفية تدور حول هذه المصطلحات الثلاثة : الشريعة والطريقة والحقيقة .
ولعل أول من تناول هذه المصطلحات بشكل مفصل هو سنائي الغزنوي في منظومته التي كانت مصدرا من مصادر المثنوى " حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة " (انظر ترجمتها العربية لكاتب هذه السطور - دار الأمين - القاهرة 1995)

والكيمياء المذكورة هنا هي كيمياء التبدل ، وتبدل النحاس إلى ذهب رمز إلى تبدل الإنسان المخلوق من طين إلى ملائكي ورباني عن طريق الرياضة الصوفية ، أما عبارة " طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح وترك الدليل قبل الوصول إلى المدلول مذموم " فتنسب إلى أبي الحسن الحواري ، كما أن عبارة لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع ، تنسب إلى الكرامية (كشف المحجوب - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وآخرين - ص 465) .

وينسب الصوفية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حديثا نصه

[الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة حالي] (انقروى 3 / 5) .

أما الآيات القرآنية الواردة في المقدمة فهي : مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (الروم 31 - 32) .

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (يس 26 - 27) وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (النبأ 40) .

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ ، هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (الحاقة 25 - 29) .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (الكهف 110) .

ويقول محمد معصوم الشيرازي في كتابه طرائق الحقائق : " قال بعض المحققين أن الشريعة والطريقة والحقيقة أسماء صادقة على حقيقة واحدة هي حقيقة الشرع المحمدي باعتبارات مختلفة ولا فرق بينها إلا باعتبارات المقامات ، لأنه عند التحقق الشريعة كاللوزة المشتملة على القشر واللب ولب اللب فالقشرة الشريعة واللب كالطريقة ولب اللب كالحقيقة ، فهي باطن الباطن واللوزة جامعة للكل ويظهر ذلك في مثل الصلاة فإنها خدمة وقربة ووصلة ، فالخدمة مرتبة الشريعة والقربة مرتبة الطريقة والوصلة مرتبة الحقيقة .

واسم الصلاة جامع للكل ومن هنا قيل : الشريعة أن تعبد الله والطريقة أن تحضره والحقيقة أن تشهد ،

وقيل : الشريعة أن تقيم أمره والطريقة أن تقوم بأمره والحقيقة أن تقوم به .

وهذا المعنى هو المذكور في الحديث ، فإن الأقوال هي التي تجب إقامتها ، والأفعال هي الأمر الذي يقام به الأقوال والأحوال هي التي تتصف بها فالمرتبة الأولى علم اليقين والثانية عين اليقين والثالثة حق اليقين . وكذلك الإسلام والإيمان والإيقان ، وكذلك الظاهر والباطن وباطن الباطن والعام والخاص وخاص الخاص ، والمبتدئ والمتوسط والمنتهى .

فالشريعة عند التحقيق تصديق قول الأنبياء والرسول وأوصيائهم والعمل يوجب طاعة وانقياد . والطريقة التحقق بأفعالهم اتفاقا واتصافا والقيام بها عملا وعلما والحقيقة مشاهدة أحوالهم ومقاماتهم كشفا وذوقا والقيام بها حالا ووجدانا فإن كل واحد من الأولى بمثابة الشريعة ومن الثانية بمثابة الطريقة ومن الثالثة بمثابة الحقيقة والحقيقة واحدة ، لو سميت بألف اسم جاز " (عن محمد تقي جعفري ، تفسير ونقد تحليل مثنوى جلال الدين محمد بلخي ، ج 11 ، ص 110 - 111 ، الطبعة 11 ، 1367 طهران - فيما يعد يكتفى باسم جعفري) .

أما القول " لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع " فلا يعنى أن الوصول يسقط العبادة بقدر ما يعنى أن الطريق إلى الحق لا بد وأن

يكون قائماً على أساس من الشريعة كما ورد في الحديث الذي يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رضي الله عنه في وقت واحد : " لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً " وفي قول على رضي الله عنه " ما شككت في حق مذ رأيتة " .
وفي تفسير لنجم الدين كبرى عن العمل الصالح المذكور في الآية الكريمة ، قال : " هو متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي بسنته ظاهراً وباطناً فأما سنته الظاهرة ، فترك الدنيا واختيار الفقر ودوام العبودية ، وأما سنته الباطنة ، فالتبتل إلى الله تبتيلاً وقطع النظر عما سواه كما فعل (إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى) وهذا تحقيق قوله : " (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ، أي ما أشرك في طلب اللقاء شيئاً من الدنيا والآخرة ولهذا (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وبلغ المقصد الأعلى (فكان قاب قوسين أو أدنى) (مولوى 5 / 6) .

[شرح الأبيات]

(1 - 3) : بالنسبة لحسن حسام الدين وحياته وموقعه من مولانا جلال الدين الرومي ودوره في تأليف المثنوى ينظر : مقدمة الترجمة العربية للكتاب الأول لكاتب هذه السطور ، ويرجع أيضاً إلى الكتاب الأول الأبيات : 2947 - 2950 والكتاب الثاني الأبيات 3 و 1127 و 2290 والكتاب الثالث أيضاً البيت 2110 والرابع الأبيات 1 و 754 و 2075 و 3423 و 3824 والكتاب السادس الأبيات 183 و 1202 و 1991 و 2010 .
(5 - 7) : مزج الماء بالزيت كناية عن إخفاء لباب الحقيقة في قشور الكلام ، والسجناء هم سجناء الحس والطبع والنفس البهيمية .
(17) : ما لا يدرك كله لا يترك كله ، قول سائر ، منسوب في تمهيدات عين القضاة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
(24) : استفادة المريد من الشيخ شرطها الأدب والتعظيم الشيخ . قال أبو عثمان : " إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب " . وقال أبو علي الدقاق ، إنما قال أيوب عليه السلام : (أنى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) ولم يقل أرحمني لحفظ الأدب في الخطاب . وقال عيسى عليه السلام : (إن تعذبهم فإنهم عبادك) ولم يقل لا تعذبهم وقال أيضاً : (إن كنت قلتة فقد

(علمته)

ولم يقل : لم أقل لحفظ الأدب ، ومولانا يدق كثيرا على نقطة أن المستمع الواعي المنتبه المتيقظ القائم بشرط التعظيم هو الذي يمكن له أن يستفيد من المرشد وأن يجعل النقاط العظيمة تنهمر من فم المرشد بعكس المستمع البليد الذي يجعل حافظة الشيخ تنام . انظر مثنوى 3 / 3604 وما بعده .

(30) : إشارة إلى الآية الكريمة : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ، قَالَ : بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة / 260) .

وتناول مولانا جلال الدين لتفسير الآية وجعله الطيور رموز الصفات أقرب إلى ما ورد في تفسير نجم الدين كبرى : " إنك محجوب بها عنى فأنت بحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب ، وبحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع ، فإن مت عن صفاتك تحيا بصفاتي ، وإذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقائي ، فخذ أربعة من الطير وهي الصفات الأربعة التي تولدت منها العناصر الأربعة التي خمرت طينة الإنسان منها وهي التراب والماء والنار والهواء ، فتولدت مع ازدواج كل عنصر مع قرينة صفتان ، فمن التراب وقرينه هو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد أحدهما وجد قرينه ، ومن النار وقرينها هو الهواء تولد الغضب والشهوة وهما قرينان يوجدان معا ، ولكل واحد من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن إليها كحواء وأدم ، ويتولد منها صفات أخرى ، فالحرص زوجة الحسد والغضب زوجة الكبر ، وليس للشهوة اختصاص بزواج معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات يتعلق بها كل سفيه ، فمن كان الغالب على صفته فيها يدخل النار بذاك الباب ، فأمر الله خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الأربعة فلما ذبح الخليل بسكين الصدوق وحده هذه الطيور ، وانقطعت منه متوالداتها ما بقي له باب يدخل به النار (مولوى 5 / 11) .

وفي رواية أبي الفتوح الرازي أن المفسرين اختلفوا في أمر هذه الطيور ، فقال عبد الله بن عباس : هي الطاووس والنسر والغراب والديك ، وقال مجاهد

وعطاء وابن يسار وابن جريج هي الغراب والديك والطاووس والحمامة ، وقال أبو هريرة :
هي الطاووس والديك والحمامة وطائر يقال له الفرنوق (الغرنوق ؟ !) .
وقال عطاء الخراساني :

أوحى له تعالى أن يأخذ أربعة طيور : بطة خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر ،
وقال أهل الإشارة أن هذه الطيور حددت لأن الطاووس طائر جميل والغراب طائر حريص
والديك شهواني والنسر طويل العمر والحمامة أليفة (هي الآن خمسة ! !)
قالوا اخذ هذه الطيور الأربعة بمعانيها واقتلها وبقتلها يقتل هذه المعاني الأربعة في نفسك : اقتل
النسر واقطع الطمع في طول العمر واقتل الطاووس واقطع الطمع في زينة الدنيا ، واقتل الغراب
واقطع حلق الحرص ، واقتل الديك تقتل من طائر الشهوة الجناح والقوادم واقتل الحمامة واقطع
الألفة من الدنيا كلها .

(عن مأخذ قصص وتمثيلات مثنوى ، بديع الزمان فروزانفر ، ص 159) ،
كما وردت الفكرة في حديقة الحقيقة لسنائي ، إن الطباع الأربعة في البدن طيور أربعة فاقطع
رؤوسها كلها من أجل الدين ثم أصمها هي الأربعة بإيمان العشق ودليل العقل ، مثلما فعل الخليل
(حديقة / الأبيات : 11370 - 11375) .

كما وردت الفكرة في مرصاد العباد لنجم الدين بن الدايه (الباب الرابع) عن طيور إبراهيم
الأربعة وبتفسير مشابه عن مراتب النفس (استعلامي 5 / 211 - تهران 1370 هـ . ش) .
(35) : مال الشارحون إلى اعتبار البيت موجهها إلى حسن حسام الدين ، لكن البيت موجه إلى
الإنسان عموما ، فهو الشكل ، وهو العالم الكبير ، وكل هذه أجزاء منه عليه أن يتخلص منها .
(60 - 63) : الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ (البقرة / 268) .

(63) : الحديث النبوي الشريف : [المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة
أمعاء] ، وورد في الجامع الصغير (2 / 184) أحاديث مثنوى ، ص 145 (64) : أصل هذه
الحكاية الرواية التالية :

بلغني عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ، أنه قال : خرجت خيلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت رجلاً من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتدرون من أخذتم ؟ !

هذا ثمامة بن أثال الحنفي ، أحسنوا أساره ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال : أجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه وأمر بلفحته أن يغدى إليه بها ويراه فجفل لا يقع من ثمامة موقفاً ويأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : أسلم يا ثمامة فيقول : إيه يا محمد ، إن تقتل تقتل ذام دم ، وإن ترد الفداء فسل ما شئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال نبي الله يوماً : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع فتطهر فأحسن الطهور ،

ثم أقبل فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتوه به من طعام فلم يأكل إلا قليلاً ، وباللحفة فلم يصب من حلابها إلا يسيراً ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : مم تعجبون ، أمن رجل أكل أول النهار في معاء كافر وأكل آخر النهار في معاء مسلم ، الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المسلم يأكل في معي واحد ، (ابن هشام 4 / 315 - 316) .

وجاء في نوادر الأصول : " عن أبي صالح السمان قال قدم ثلاثون راكباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم من غفار منهم رجل يقال له أبو بصيرة مثل البعير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بددوا القوم وجعل الرجل يقيم الرجل والرجل يقيم الرجلين على قدر ما عنده من الطعام حتى تفرق القوم غير أبي بصيرة ،

فقال : وكل القوم يرى أن ليس عنده ما يشبعه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك قام واستتبعه فتبعه فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه فكأنما لحسهن ثم دعا بقدر فجعل فيه مشربه حتى حلب له في سبعة أقداح فشربها ، فبات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه الإسلام فتكلم منه بشيء فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الغداة واستتبعه فتبعه فصلى معه الغداة ، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على القوم بوجهه فقال : علموا أخاكم وبشروه ،

فأقبل القوم بنصح يعلمونه وألقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً حين أسلم ثم قال ، فاستتبعت فتبعه ، فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه ، فلم يأكل إلا يسيراً ، حتى قال : شبع ، ثم دعا له بقدر فحلب فيه ، فلم

يشرب إلا يسيرا حتى قال رويت ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبه ، فقال :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إنك كنت أمس كافراً وإنك اليوم مؤمن وإن الكافر يأكل
في سبعة أمعاء ، وأن المؤمن يأكل في معي واحد . كما وردت رواية مشابهة في موطأ مالك ،
ومسند ابن حنبل ، (عن مآخذ / 160 - 161) .

(73) : الناس على دين ملوكهم ، حسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . وفي شعر الشاعر
(المتنبي) : وإنما الناس بالملوك وما * تفلح عرب ملوكها عجم (78) : أبو قحط عوج بن غز :
بالطبع أبو قحط كنية ساخرة وعوج بن غز تحريف عن عوج بن عنق ، والغز هم الترك
ويضرب بهم المثل في الإغارة وعوج بن عنق كما ورد في قصص الأنبياء للثعلبي ، " كان
طول عوج ثلاثون وعشرين ألف ذراع وثلاثمائة وثلاثين ذراعاً بالذراع الأول ،
وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين
الشمس يرفعه إليها ويأكله ، ويروى أنه أتى نوحاً أيام الطوفان فقال له : احملنى معك في سفينتك
,

فقال : اذهب يا عدو الله فإنى لم أؤمر بك ، فطبق الماء الأرض من سهل ومن جبل وما جاوز
ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى ، وكان لموسى عسكر فرسخ في
فرسخ فجاء عوج ونظر إليهم ثم جاء إلى الجبل وقد منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها
ليطبقها عليهم ، فبعث الله عليه الهدد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى تورت الصخرة ،
وانتقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقه فصرعته ، فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع
وطول عصاه عشرة أذرع وقفز إلى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه إلا كعبه وهو مصروع في
الأرض ، فقتله ، قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه ، فلما قتل ،
وقع على نيل مصر فحسره سنة " . وعنق هي أمة بنت آدم عليه السلام
(عن هوامش الكتاب الثاني من المثنوى ، كفاى ، ص 517 - 518) .

(88 - 89) : فكرة أن الذي يمتلئ فكره بشئ ما في اليقظة يحلم به أثناء النوم ، وردت في
كتاب ابن سيرين ، كما أثبتتها علم النفس الحديث .

(93) : لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً (الفرقان / 14) (101) عن صبغة الله انظر الكتاب الأول البيتين : 769 - 770 .

وصبغة الله هي صنع الله في خلقه البعيد عن الروائح والألوان وعما درج عليه الناس من ربط الأشياء بالأسباب أو ما فسرته نجم الدين كبرى في تفسير الآية الكريمة صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (البقرة / 138) .

كما أن للكف صبغة فللدين صبغة ، فليس العبرة فيما يتكلفه الخلق وإنما العبرة فيما يتصرفه الحق فتصيب الأشباح من صبغة الله توفيق القيام بالأحكام وحظ القلوب منها تصديق المعارف بالعوارف وكفل الأرواح منها شهود الأنوار وكشف الأسرار والمراد أيضاً بصبغة الله دينه الذي فطر الناس عليه (مولوى 5 / 20) .

(106) : بالنسبة للهدم الذي هو تعمير ، انظر تفصيلات في الكتاب الرابع ، الأبيات 2341 - 2350 وشروحها .

(112) : من أنواع التكريم الذي خص به الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه أقسم به وبحياته ، فقال عز من قائل : لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (الحجر / 72) . والبيت 111 يشير إلى إيمان مولانا بأن جسم رجل الحق لا يعرفه جسد مادي آخر ، انظر بيت 30 من الكتاب الثالث (استعلامى 5 / 214) .

(122) : إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (الفتح / 10) . (123 - 131) : عندما رأى الكافر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يغسل ملابسه بنفسه ، تجلى له كفره على أسوأ صورة ، فأصابته حالة من الوجد بحيث حذر الناس من الاقتراب منه ، لقد تجلت له حقارته التي لا نهاية لها إلى جوار العظمة التي لا نهاية لها المتمثلة في تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومولانا جلال الدين يرى أن حالات السكر والوجد قد تطرأ على الكافر ، ربما كان مثالها الواضح في المثنوى ما ورد في قصة ذلك الشيخ من قوم فرعون الذي طلب من

زاهد من قوم موسى أن يملأ له ماء النيل ليشرب دون أن يتحول إلى دم (الأبيات 3495 وما بعدها وشروحها من الكتاب الرابع) .

(134 - 143) : يدق مولانا جلال الدين على فكرة أن الله سبحانه وتعالى عندما يرضى على عبده يهبه البكاء والضراعة . ومن البكاء والضراعة تجيش الرحمة الإلهية ، مثلما يفور ثدي الأم باللبن لبكاء رضيعها .

فكان بكاء الرضيع هو الذي جلب اللبن ، مثلما يجلب بكاء التائب الرحمة ، ومن هنا فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (التوبة / 82) . ليس هذا فحسب بل إن عماد الدنيا كلها البكاء والحرقة ، ومع السحاب وحرقة الشمس ، فكأن العالم بأكمله وحدة واحدة ، تتجلى في مظاهر الطبيعة مثلما تتجلى في نفس العبد ، وفي علاقته مع ربه ، وفي علاقته بالبشر ، والبكاء هو آية إظهار الخضوع . والفكرة هنا تكرر لما ورد في الكتاب الثاني (الأبيات 1659 - 1669)

وفسر شيخنا كفاي الحرارة بأنها حرارة القلب ، والماء بأنه دموع الخوف والرجاء والبستان بأنه عالم الروح (ثان 489) .
وسياتي تفسير آخر للبكاء والدمع في نفس هذا الكتاب في الأبيات 1271 وما بعدها فلتطلب في موضعها من النص والشرح .

(146) : إشارة إلى الآية الكريمة وَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا (المزمّل / 20) .

(147) : إشارة إلى الحديث القدسي : (أعددت لعبادي الصالحين المتطهرين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) " .

(149) : إشارة إلى الآية الكريمة إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (الأحزاب / 33) . ومن تعليق ليوسف بن أحمد : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طهر ثوب الضيف بيده وأشار بهذا الصنيع إن الذي لا يتجنب كثرة الأكل والشرب لا ينجو من النجاسة ولا يتخلق بأخلاق أهل البيت (مولوى 5 / 26) .

(153) : إشارة إلى حديثين نبويين : [نفسك مطيتك فارفق بها] و [أعط كل بدن ما تعودته] .
 (161) : عن الحزم وعدم التردد ، انظر الكتاب الثالث ، الآيات 2884 - 2849 وشروحها .
 (164) : [حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات] حديث نبوي ، (جامع 1 / 148) .
 (167) : إشارة إلى الآية الكريمة وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (الشورى / 38) .
 وعن رفقة العقل لعقل صديق ، انظر الكتاب الرابع ، الآيات 1970 وما بعده وشروحها .

(174 - 182) : الدهليز في رأى للسبزواري هو عالم الطبيعة شبه بالدهليز لضيقه (شرح
 مثنوى 333) و " ألتست " و " بلى " إشارة إلى العهد والميثاق الوارد في الآية الكريمة وَإِذْ أَخَذَ
 رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ
 تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (الأعراف / 172) أي قلنا في عالم الأرواح بلى
 فأرسلنا إلى محكمة الدنيا لنشهد ، وحملنا هذه الأمانة ، فعلينا أن نؤديها قبل أن تغرب شمس
 الروح ، هذا العهد وهذه الأمانة هي الالتزام الإنساني الأول ، وهذا العهد هو جذور الإنسان كما

ورد في الآيات (1166 - 1170)

من الكتاب الذي بين أيدينا وسوف يرجع إليها في موضعها .
 (183 - 195) : مثلما يكون الإنسان شاهدا على وجود الإله وشهادته هذه هي العهد الموجود
 بينه وبين الله تعالى منذ يوم الميثاق فإن أعمال الإنسان نفسها شهود عليه . إنها كلها تدل على
 باطنه وعلى ما في هذا الباطن من جواهر أصيلة تترجم إلى أعمال وعلى إجابته بالإيجاب في
 يوم العهد ، وهذه الشهادة إن أدبت رياء وسمعة فهي تخرج من محكمة عدل الإله ، فضلا عن
 أنها تطعن في صوم الصائمين وزكاة المزكين بإخلاص ، لكن بالرغم من هذا تظل رحمة الله
 سابقة غضبه ، وتمنح هذا الاعوجاج نورا إليها فينقلب إلى استقامة ،

ويعتبر العمل الذي أدى رياء وسمعة عملاً من البر والإخلاص ، وأعمال الإنسان تصديق على إيمانه والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل .

(200 - 215) : الأعمال تغسل الذنوب ، ثم يغسلها الله سبحانه وتعالى تماماً كالماء ينزل طهوراً من السماء ، فيتكدر ، فيرفعه الله سبحانه وتعالى ، ليعود طاهراً مطهراً ينادى أولئك الذين دنسهم الأفعال الشيطانية والتسويلات النفسانية . هذا الماء الطهور هو الفيض الإلهي هو الرحمة الإلهية (وهو فيض الله الذي لا ينقطع ونور الله الذي لا يأفل) . (سبزواري 343 - وانظر 3 / 1275) وكما أن الماء لا يلزم إن لم يوجد الدنس . فالرحمة لا توجد إن لم توجد المعصية ، هذه هي سعة روح مولانا جلال الدين وسعة أفقه ، فلا يلزم أن يكون الإنسان ملاكاً ، لكي تدركه رحمة الله ، بل هي أولى بالعصاة (انظر الكتاب الرابع ، شرح الأبيات 81 - 94) .

(221 - 223) : يفسر مولانا جلال الدين ما هو المقصود بهذا الماء ، إنه أرواح الأولياء ، (انظر الكتاب الرابع 4 / 3358 وما بعدها) هي التي تغسل ما لحق بالنفوس الإنسانية من كدر ، ثم تعود إلى مولانا فيطهرها ، وهذا العود عروج معنوي لا مكاني وعن زيد بن علي ابن الحسن رضي الله عنهم أجمعين ، قال : قلت يا أبت أليس الله جل ذكره لا يوصف بمكان ، فقال : بلى : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فقلت : فما معنى قول موسى عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم (في المعراج) : ارجع إلى ربك ؟ فقال رضي الله عنه : معناه قول إبراهيم عليه السلام [إني ذاهب إلى ربي سيهدين] ومعنى قول موسى عليه السلام [وعجلت إليك رب لترضى] ومعنى قوله عز وجل : [ففروا إلى الله] يعني فحجوا إلى بيت الله ، يا بني إن الكعبة بيت الله فمن حج البيت فقد قصد إلى الله والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه ، والمصلى ما دام في صلاته فهو واقف بين يدي الله عز وجل (جعفري 11 / 157 - 158) .

(224 - 226) : معراج العودة إلى الله إذن هو الصلاة ، ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم إذا أهمه أمر قال :
أرحنا بها يا بلال ، فهي معراج المؤمن ، ومن هنا فعند الخروج منها يسلم المؤمن دليلاً على عودته من معراجة .

(227 - 234) : وهذه كلها مجرد وسائل وإلا فإن لطف الله سبحانه وتعالى ينصب على عباده دون واسطة ، ودون مساعدة من أحد ، المرید فحسب هو الذي يحتاج إلى المرشد يأخذ بيده ، لكن المرشد نفسه في غنى عن الوسطة ، والعوام هم الذين يتعلقون بالوسائل والأسباب (عن الأسباب ، انظر الكتاب الثالث البيت 3155 وما بعده) ، البيت 2516 وما بعده ، والسمندل في المثال المذكور كناية عن أهل الله ، الخليل هو الذي يدخل النار فتكون عليه برداً وسلاماً ، وأهل الله هم الذين يشبعون دون خبز ، واللطف من الحق وإن كان الناس يلتمسونه في الرياض والبساتين . (انظر حكاية الصوفي المراقب في الرياض في الكتاب الرابع ، الأبيات 1358 وما بعدها) . لكن أهل الله والأنبياء يجدون هنا الأمور مباشرة ودون واسطة أو علة أو كسب .

(235 - 240) : وردت الأفكار الواردة هنا في الكتاب الثالث ، انظر الأبيات 2702 وما بعدها وشروحها ، وفي الكتاب الرابع ، انظر الأبيات 1794 وما بعدها وشروحها .
(248 - 250) : إن ما يصاحب العبادات من حركات وتصرفات هي بمثابة العرض ، والعرض ما هو إلا مظهر لجوهر ما ، وقد تناول مولانا جلال الدين هذه الفكرة في الكتاب الثاني

(الأبيات 948 - 970 وانظر أيضاً 4 / 809) . ولقد سكت مولانا هنا عن قول الغلام أي بحشر الأعراض ، لكنه في الأبيات التي بين أيدينا يوحى بقوله بعدم حشر الأعراض ، بل إن حصادها من بقاء جوهر الروح الذي هو الدليل يوم الحساب على أن هذه الأعراض قد تم القيام بها .

(255 - 260) : يشير مولانا جلال الدين إلى هذا المرض المستشري ، التناقض الشديد بين القول والفعل ، يعشق الإنسان العدالة ومع ذلك يمارس الظلم ، يتحدث عن الأمانة ويخون ،

يعشق العلم ويستخدمه كأداة للوصول إلى المال والجاه والمنصب ، ينطلق في الحديث عن التصوف وأعلامه دون أن يحاسب نفسه أدنى حساب . هذا التناقض بين الأقوال والأفعال هو الذي تعبر عنه الآية الكريمة إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (الليل / 4) .

أي متعدد الطرق والمسالك متناقض الأهداف ، أفعالك وأقوالك غير مقبولة ، حياتك لا تدور حول محور واحد لا يبالي بك الله في أي واد هلك ، ولا يابيه بك أصحاب القلوب ولا بأقوالك أو أفعالك ، بل هم ما دمت في عنادك وفي جدلك هذا ، يعاندونك ، وما دمت في مكرك يمكرون بك (جعفري 11 / 167 - 168) . وفي البيت الأخير إشارة إلى الآية الكريمة فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ (السجدة / 30) .

(267 - 272) : إشارة إلى الآيتين الكريمتين : قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ، وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بَصَوْتُكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلُكَ وَرَجَلُكَ وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (الإسراء / 63 - 64) .

(273) : إشارة إلى حديث نبوي ، قاله الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم لسيدنا علي رضي الله عنه ما معناه : إذا لامست أهلك فقل اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني ، فإن رزقت بولد لم يصبه ضرر . (عن انقروى 5 / 78 ، وجليبارلى 5 / 55) .

(275 - 276) : إشارة إلى أن عازر الذي أحياه سيدنا عيسى عليه السلام بأمر الله وفي الأنجيل أنه كان امرأة (عن جليبارلى 5 / 56) وتقول الروايات إن عازر أو اليعازر مات لتوه مرة أخرى بعد أن أحياه سيدنا عيسى عليه السلام .

(289 - 290) : ينقل جعفري هنا حديثا ليس موضعه هو : ما بعث الله رسولا إلا وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتنانه ويضلان الناس بعده (11 / 174) لكن الحديث هنا " لكل امرئ شيطان ، لكن شيطاني أسلم " .

(291 - 292) : أي إيمان وأية عقيدة لا يمكن أن يقضى عليها إلا إيمان آخر وعقيدة أخرى ، والعشق الإلهي هو قمة الإيمان وفوق أية عقيدة ، بل إن ظاهرة الإيمان نفسها هي من قبيل العشق ، والشيطان نفسه لو أنه ذاق قطرة من منزل سر اليقين ، لتغير حاله وتبدل .

(300 - 304) : من مناجاة سيدنا على رضي الله عنه الواردة في نهج البلاغة " سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عن خلقك ، خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة ، مشرباً ومطعماً ، أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبها ، من عشق شيئاً أعشى بصره وأمراض قلبه " (عن جعفري 11 / 179) .

(305) : قال نجم الدين في تفسيره لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالطَّلَبِ وَالصَّدَقِ وَالشُّوقِ وَالْمَحَبَةِ وَالْوَصْلِ إِنَّ كُنَّا لَخَاطِئِينَ فِي الإِقْبَالِ عَلَى اسْتِيفَاءِ الْحُظُوظِ الْحَيَوَانِيَةِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْحَقُوقِ الرَبَانِيَةِ .

(307) : عن الرائحة والجرعة التي أنزلها الله تعالى من لطفه كنموذج لهذه اللطف في الدنيا حتى يطلب الناس أصلها ومنشأها (انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات 375 وما بعدها) .

(309) : عن الدعاء الذي يستجاب دون أن يقال ، انظر الكتاب الثالث : في بيان أن عين دعائك هو قول الحق لبيك ، الأبيات 189 وما بعده .

(310 - 315) : لقد صور الله سبحانه وتعالى صوراً جميلة من العدم ، لكنه جعلها كالحروف ، وعن طريق قراءة هذه الحروف يمكن للمرء أن يقرأ كتاب الجمال الكلي ، وإلى مثل هذا ذهب الشيخ الشبستري :

كل ما هو موجود عياناً في الكون * كانعكاس شمس ذلك العالم والدنيا كالجذيلة والخط والخال والحاجب * كل شيء فيها حلو في مكانه (عن استعلامي 5 / 225)

ومن هنا فخلق بالأفكار والعقول أن تتجه إلى العدم ، فمن العدم يتأتى الوجود ، فكأن العدم هو أساس الوجود وهو مصنعه ، ووردت الفكرة في 3 / 377 ولتفصيل هذه الفكرة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات 2441 - 2468 وشروحها .

(317 - 327) : لا يزال يفصل فكرة أن منشأ الموجودات كلها من العدم ، فالعقول النورانية تقرأ كل يوم من اللوح المحفوظ حظها ، أي تكون كل اهتماماتها من لدن الحكيم الخبير ، فعقل المعاد هو الذي يخط حروفا على صفحات القلوب بلا بنان ، لكن أرباب الشهوات في حيرة من هذه الخطوط ، لأن كلا منهم مرتبط بخيال ما قد عكف عليه ، وكل إنسان تتفرق به السبل ، ما دام قد انصرف عن البحث عن قبلة الروح ، هذا الخيال من بحث عن الذهب أو الدر أو الزهد والتزهد أو قطع الطريق ، أو الطبابة ، كل إنسان وما ينبعث من باطنه ، ذلك أنه إذا اختفت قبله الروح أو الهدف الأسمى فإنما يبحث كل إنسان عن شفاء لعليل نفسه في ناحية ما .

(335) : الساهرة المراد بها يوم الحشر إشارة إلى الآيات الكريمتيَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ، أ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ، قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (النازعات 10 - 14) .

(336) : الشموع الموجودة في الدنيا كناية عن الخيالات والاهتمامات الموجودة في الأبيات من 317 - 327 .

(338 - 339) : النار الموسوية الإقبال : هي تلك النار الإلهية التي شاهدها موسى عليه السلام على الجبل ، والتي نودي عندها ، وهي رمز للشهود الإلهي والدخول إلى الحقيقة .
(341) : شمع الظفر كناية عن معرفة الله سبحانه وتعالى بنور الله ، وكلما أفنى المرء نفسه فيه تحقق وجوده تحققا أكثر ، وظفر بالوجود الخالد .

(342) : شمع السوء كل ما شغل عن الحق من اهتمامات وخيالات مذكورة آنفا ، وكل ما شغلك عن الحق هو طاغوتك .
(344 - 345) : احتراق الشموع غير الحقيقية كناية عن فناء كل ما يشغل الإنسان عن الهدف الأسمى .

(350) : الأعزاء هم الصوفية ، واللاصوب أو اللا مكان هو ما لا تحده جهات الدنيا .

(353) : ديدن الصوفية هو على غير ما تعارف عليه أهل الدنيا ، والصوفي لا يمزق القباء إلا وجداً ، والوجد هو قمة الشعور والإحساس الصوفي ، فكأنه يبلغ بالتمزيق ما لا يبلغه غيره بالرتق .

(354 - 355) : الحكاية المذكورة هنا واردة في مقالات شمس الدين التبريزي : مزق جبته ، وقال : وافرجاه فسميت الجبة الممزقة فرجية (مقالات شمس ، ص 295 من طبعة محمد علي موحد طهران 1369 هـ - ش ، مأخذ / 161) وربما يمزق الصوفي قباءه وجداً ، ومن ثم شاع لبس الجبة الواسعة ذات الأكمام الواسعة والتي لا ياقة لها والرسم السائد عند المولوية أن يلبس الشيخ خرقة ذات أكمام ، أما المريد فجبة بلا أكمام ، ثم سميت فيما بعد الخرقة (جلبنارلى 5 / 72 - 73) .

(356) : ثم يعود مولانا ويقول إنه لا حاجة للصوفية بالألفاظ والألقاب والرسوم ، فكلها كدر ، والصوفي لا يهتم إلا الصفاء .
(362) : الجبة هنا هي الوجود ، وهي الجسد ، وهي النفس فبدون تمزيقها لا يتأتى الصفاء الحقيقي .

(363 - 370) : إياك أن تظن أن التصوف هو الخرقة وما إليها ، إنك إن ارتديت الخرقة هادفاً ذلك الصفاء الذي ينبغي أن يتميز به الصوفي . يجمل بك ذلك ، لكن إذا انتقلت سريعاً من الخيال والوهم ، إلى الحقيقة لم تعكف على الانتقال من خيال إلى خيال ومن وهم إلى وهم

وكل وهم يسد الطريق أمامك ويقول لك : قف هنا ، إنك وصلت ، فتظن أنك وصلت من حيث فصلت . والملك الحقيقي هو الذي لا تسيطر عليه هذه الخيالات والأوهام ، إنه يبدي هيبة الملك وينطلق في طريقه وهو يعرف هدفه تماما .

(372 - 389) : ترى ما هو سر الجمال وسر العظمة الموجودة في هذا العالم ، الذي نسميه عالم الوجود ، ما الذي فيه ويجذبنا إليه كل هذا الانجذاب ؟ ! يجيب مولانا جلال الدين على هذا السؤال إجابات مختلفة ، ففي الكتاب الثالث ، يرى أن كل سعادة نابعة من القلب ، لطف اللين والعسل ، إنما ينبع من القلب ، ومن ثم ، فالقلب هو الجوهر ، والعالم كله عرض بالنسبة له ، هو الحقيقة وكل ما سواه ضلال (انظر جعفري 7 في شرح الكتاب الثالث الأبيات 2246 وما بعدها) .

الإجابة الثانية هي ما يوجد بالأبيات التي بين أيدينا ، إنها جرعة من كأس الجمال الإلهي صبت على هذا التراب القبيح كما يصب الكرام جرعة على الأرض : شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة * وللأرض من كأس الكرام نصيبون هذه الجرعة التي تبلغ عشر معشار الجمال الحقيقي يوجد كل ما في عالم الكون من جمال ، مجرد صدى من الجمال الحقيقي انعكاس نور الشمس على الجدران الصماء ، كما ورد في الكتاب الثالث ، وعند سعدى الشيرازي يظل معدن الجمال هو الإله نفسه ، وهو معنى تكرر عند مولانا جلال الدين أيضاً يقول سعدى :
إنني سعيد من الدنيا لأنها تنضرت من هو * وأنا عاشق لكل العالم لأن كل العالم منه (عن جعفري 11 / 196 - 197) (390 - 392) : جرعة الجمال التي صبت على الحمأ المسنون هي كما هو واضح الروح ، والجرعة الأخرى هي التوفيق الإلهي للخلاص من تبعات الحمأ المسنون .

(395) : الطاووس ذو اللونين هو رجل الجاه والمال والدنيا يتجلى بمظهره فيخلب اللب وينظر إلى باطنه فإذا هو كساق الطاووس .

(400 - 410) : وهناك من البشر من هم على مثال الطاووس ، إنهم يهتمون بظواهرهم ، فظاهرهم خلاب ، كلامهم سلس ولين ، ودودون ، إن كل هذه شباك يصيدون بها الخلق ويمضى عمرهم ، ويقترب من نهايته ، وهم مغترون بأن " معارفهم كثر " ، وأصدقاءهم (في كل مكان) ، فما فائدة صيد الخلق ، إنك إنما ألقيت بنفسك في شباكهم ، ولم تصد في النهاية شيئا ينفع ، إنه أشبه بصيد الخنازير ، لقد ربيت في نفسك الكبرياء ، الناس مخدوعون بك ، وأنت مخدوع بنفسك .

(411 - 417) : لقد صرفك غرامك بصيد الخلق عن الاهتمام بصيد العشق ، لكن العشق لا يصاد ، بل يصيد ، فدع كونك صيادا إذن وانقلب إلى صيد ، والملوكية الحقيقة في العبودية لله والملوك الحقيقيون هم أولئك الذين ملكوا أنفسهم وسيطروا على شهواتهم فوجدوا الملك الإلهي أما ملوك الدنيا فما أشبههم بقبور الكفار ، ظاهرها جميل ، لكن في باطنها غضب الله عز وجل ، نفس الأبيات التي ذكرها محمد إقبال وهو يصور الحضارة الغربية ، (كبرياء وعنجهية وتسلط وظاهر خلاب ثم قهر الله عز وجل) .

(422 - 423) : النار هنا هي نار الطاعات والمجاهدات وترك الأهواء على فحوى حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، ونهر الكوثر هنا ، رمز للشهوات تطير في عيون أهل الدنيا كأنها مياه الكوثر فيعرضون عن الطاعات وهي في الحقيقة الكوثر ويرغبون في الشهوات التي هي في الحقيقة نار ، وهذا هو اللعب المعكوس (مولوى 5 / 68) وهذا أشبه بقول ابن الفارض : فإحياء أهل الحب موت نفوسهم * وموت قلوب العاشقين مصار عور بما استند هنا مولانا على قول منسوب للإمام على رضي الله عنه : " سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته واشتدت لأعدائه نقمته في سعة رحمته " (انقروى 5 / 119) وقوله تعال الذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (الملك 2) .

(451) : إشارة إلى الآية الكريمة وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (إبراهيم / 46) .

(454) : في النص " خوش جواز " وقد ترجمتها " أحل الطيبات " ، أي أجازها . وروى استعلامي حديثاً هو : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : كان من خلقي الجواز " (5 / 234) أما عن العقل :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : بم يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال صَلَّى الله عليه وسلّم :

بالعقل ، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : بالعقل ، قلت : أليس ما يجزون بأعمالهم ؟ قال : يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل ، وبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ، وقال صَلَّى الله عليه وسلّم : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه ، وعن أبي سعيد الخدري ، قال صَلَّى الله عليه وسلّم : [لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله بقدر عقله تكون عبادته] (انقروى 5 / 126) .

(459) : بشأن مناقشة قضية تفاوت العقول من الفطرة انظر الكتاب الثالث الأبيات من 1540 وما بعدها وشروحها .

(467 - 475) : ليس المقصود بالأمر أمر إقبال وحظ وأن الأمور تجري بالمصادفة بل الأمر كله من عطاء الله ومن توفيقه ، فليس عليك أن تعتمد على عظمة عقلك الجزئي ، فهذه العقول الجزئية لا قيمة لها إلى جوار العقل الكلي ، والحل هنا هو التواضع والتسليم ومعرفة أن قدرة الخلق مهما عظمت إلى حدود ، وأن مكر الإنسان لا يساوى شيئاً إلى جوار مكر الله ، وإن الأمر منوط بالدعاء والضراعة والدموع ، فقلل اعتبار القوة هنا ذات فعل أو أثر .

(469) : المقصود بأن تجد النبوة في الأمة ، أن تجد المشيخة ورتبة الإرشاد ، فالشيخ في قومه كالنبي في أمته .

(477) : الحكاية التي تبدأ بالبيت من الحكايات المشهورة في التراث العربي ، ولم يلتفت إليها فروزانفر في " مأخذ قصص وتمثيلات مثنوى " ونظمها شاعر مصري معاصر . والبيت المذكور لأبي المهوش الأسدي ورد في الميداني (3 / 216) من تحقيق أبي الفضل إبراهيم ،

دار الجبل . والشاعر المعاصر المصري الذي نظمها هو حافظ إبراهيم وأشار إلى أنها مثل ، ولم أجد هذا المثل على طول ما بحثت عنه ، يقول حافظ في قصيدته في الدعوة إلى الجامعة المصرية :

ودونكم مثلاً أوشكت أضربه * فيكم وفي مصر إن صدقا وإن كذبا
سمعت أن امرءاً قد كان يألفه * كلب فعاشا على الإخلاص واصطحبا
فمر يوماً به والجوع ينهشه * نهشاً فلم يبق إلا الجلد والعصبا
فظل يبكي عليه حين أبصره * يزول ضعفا ويقضى نحبه سغبا
يبكى عليه وفي يمانه أرغفة * لو شامها جائع من فرسخ وثبا
فقال قوم وقد رقوا لذي ألم * يبكي ، وذو ألم يستقبل العطبا
ما خطب ذا الكلب ؟ !

قال الجوع يخطفه * منى ، وينشب فيه النار مغتصبا
قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية * هذا الدواء فهل عالجته فأبى
أجابهم ودواعي الشح قد ضربت * بين الصديقين من فرط القلى حجا
لذلك الحد لم تبلغ مودتنا * أما كفى أن يراني اليوم منتحبا
هذى دموعي على الخدين جارية * حزنا وهذا فؤادي يرتعى لهبا
(ديوان حافظ إبراهيم ، ص 161 - 162 ، ج 3 ، المطبعة الأميرية ، مصر 1948 ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزيني ، إبراهيم الأبياري) .

كما علق عليها شاعر قديم ببيت شعر جرى مجرى الأمثال :
لا ألفينك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي
والحكاية تبين نوعاً من البشر يوجد في كل زمان ومكان ، ذلك الذي لا يتجاوز تعاطفه الكلمات الرنانة وذرف الدموع وإعطاء الكلام حقه والتفجع ما ينبغي له ، لكنه لا يتجاوز هذا الأمر نحو أي نوع من الفعل ولو كان قادراً عليه ، فرسان الكلام وأبطال المقال هؤلاء كانوا

يثيرون مولانا جلال الدين ويشحذون مقدرته على السخرية ، وهؤلاء لا يكذبون على البشر فحسب بل يكذبون على أنفسهم قبل أن يكذبوا على الخلق .

(486 - 491) : هذا الصنف من الناس مستعد لكل ما ليس من شأنه أن يجعله ينفق شيئاً أو يبذل جهداً ، إنه يظن من خسته أن الدمع أرخص من لقمة الخبز ، مع أن الدمع هذا دم تحول إلى ماء ، إن الدمع الحقيقي والبكاء الحقيقي يجعل السماء نفسها تبكي معه ، تتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يقبل ضراعتة ويقبل بكاءه مصداقاً للحديث النبوي : [بكت السماوات السبع ومن فيهن ومن عليهن والأرضين السبع ومن فيهن ومن عليهن لعزیز ذل ، وغنى افتقر] ، لكن الذي لا يبذل وجوده في سبيل الله هو من قال الله في شأنه : فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .

(492 - 495) : النحاس العابد للهمة هو الإنسان عندما يدرك جوانب نقصه ويحس بالانكسار ويعرض نفسه على كيمياء التبديل فيتضرع تاركا جوانب المكر والاحتتيال ، والحوّل والطول مسلماً نفسه لكل ما تأمر به الإرادة الإلهية .

(499 - 500) : جناح طاووسك هو عجبك وكبرياؤك وحولك وقوتك وما يبدو أنه وسائل في يدك وهو ما تراه جميلاً في وجودك جديراً بأن ينظر إليه الناس ، بل انظر إلى القدم من هذا الطاووس إلى ألوان قبحك وضعفك واحتياجك وانكسارك ولتخش على الأقل وأنت تعرض جوانب القوة فيك من نظرات الحاسدين ، وقرأ الآية الكريمة وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ، وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (القلم (51 / 52) . قال البيضاوي : والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شذرا بحيث يكون يزلقون قدمك ويرمونك من قولهم نظر إلى نظرا يكاد يصرعني ، أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين ، إذ روى أنه كان في بنى أسد حاسدون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يصيبه بالعين ، فنزل ، وفي الحديث : إن العين لتدخل القبر والجمل القدر .

(512 - 514) : والأمور كلها موكولة إلى القضاء لكن الأمر يكون في حاجة إلى سبب ، فالعين حسودة تصيب مثلما تكون الساقية ، ظاهرة في دوران الماء لكن الماء هو الذي يديرها . ومن الممكن أن تقف عين المرشد الطيبة أمام العين الحسودة ، فالعين الطيبة من الرحمة ، والعين الحسودة من النعمة .

(517 - 524) : عودة إلى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فحرص البط حرص إلى الطعام ، وحرص الطاووس حرص إلى الزينة والشهرة والكبرياء ، والعجب والتفاخر ، وهذا المقصود ، بإضعاف الحرص إلى الطعام ، وإذا كنت تريد مثالا لزلة البطن والباه فانظر إلى آدم ، إن زلته تنزل وليست كبرياء إنها مرض لكنها ليست كزلة إبليس ، كبرياء وعجب وحرص على الرئاسة ، وفي الحرص على الرئاسة أنواع من الأمراض النفسية تزيد على هذا الأمر زيادة كبيرة ، إنه يصل إلى مرحلة الشيطنة نفسها ، بل قد يزيد ويصبح طامعا في مقام الألوهية ، فالمال حية والجاه أضر منها .

(526 - 530) : إن عشق الجاه والسلطة ليس مجرد شهوة بسيطة إلى الطعام أو إلى النساء ، لا تلبث أن تطفأ ، لكنها شهوة لا تشبع ، إذ لا نهاية لها ، إن كل متجبر جبار ، يكون كالنار تأكل كل شئ ، والطاغية يكون دائما في حاجة إلى وقود لناره هذه ، ومن هنا فهو يفتك بكل من يتصور أن ينازعه حتى لو كان ابنه ، ومن هنا قيل : " الملك عقيم " ، ويمضى مولانا مع سيكولوجية الطغيان إلى نهايتها ، فالطاغية كالنار والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله .

(531 - 534) : إن من العصمة ألا تجد " في طلب البسطة لا تجتهد " هكذا قال مولى المتقين علي كرم الله وجهه ، فما دمت لا تملك شيئا ، ولا تتصدر وتبدى رأسك فلن تصير هدفا للسهام ، إن جباري الأرض لا ينتبهون إلا إلى أولئك الذين ينتظرون منهم الخطر ، وما دمت متواضعا فلن تنثير خوفا من طاغية ، (انظر أيضاً شروح الأبيات 778 - 789 من الكتاب الثالث) .

(536) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت كما قال فروزانفر مأخوذة من أبيات للشاعر سعد الدين شرف الحكماء كافي البخاري :
 رأيت طاووسا يقتلع جناحه ، قلت له : لا تفعل فإن جناحك جميل ذو بهاء .
 فبكى بكاء مرا وقال لي : أيها الحكيم ألسنت عالما بأن عدوى اللدود هو جناحي هذا ؟ ! (مأخذ / 161 - 162) . والواقع أن الفكرة تكاد تكون عامة وشائعة ، وقد تناولها مولانا بشكل أقل تفصيلا في الكتاب الأول : (الأبيات 209 - 212) نعم ، إن مقتل المرء في موضع الجمال فيه وفي موضع القوة فيه ، وإلا فمن الذي يقصد الضعفاء بسوء ، وأقوى عضو في الإنسان هو الذي يصاب بأخطر الأمراض .

(542 - 548) : يقابل مولانا جلال الدين بين سلوكين في الطريق ، سلوك الدلال ، وهو مستهجن ، لأنه فيه يكمن الخطر ، فمهما كنت معززا مكرما عند الملوك ، فإنه يريد منك الضراعة وشكر النعمة ، لا التدلل ، والخروج عن هذه النعمة ، فإن هذا من الكفران ، الله لا يقول لك : اخرج عن النعمة التي أنعمتها عليك ، بل يقول لك إياك أن تخرجك هذه النعمة عن طورك ، فأين العفة إن لم يكن ثم إغراء ، وأين الإنفاق إن لم يكن ثم كسب ، وأين الاعتصام إن لم يكن ثم إغواء ، وأين الجهاد إن لم يكن ثم حرب (انظر الأبيات 574 - 582 من هذا الكتاب) .

(549 - 552) : إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (الأنعام / 95) إذا كانت الأشياء تخرج من أصدادها ، والوجود يخرج من العدم ، فكن ميتا لتحيا وعدما لتصبح موجوداً ، تواضع لكي تجد الرفعة ، فكيف ينبثق منك النهار دون أن تكون ليلا ، والربيع دون أن تكون في البداية شتاء ، وفي تفسير صوفي لنجم الدين كبرى : يخرج القلب الحي بنور الله من النفس الميتة عن صفاتها وأخلاقها الذميمة إظهاراً للطفه ورحمته ، ويخرج القلب الميت من الأخلاق الحميدة الروحانية من النفس

الحية بالصفات الحيوانية الشهوانية إظهاراً لقهره ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون من العدم إلى الوجود ، (مولوى 5 / 87) ، ويضيف السبزواري " على ما جاء في قول أفلاطون :
مت بالإرادة تحيا بالطبيعة " (سبزواري / 341) .

(557 - 558) : ليس المقصود بالطبع النهى عن الفكر على أساس أنه هو الذي يخرج النفس المطمئنة عن اطمئنانها ، بل الخواطر الفاسدة والفيهقة والتزيد والتنطع وتصنع الفكر ومناقشة ما لا يناقش ، كلها أمور تعكر صفو النفس المطمئنة هذا هو الجدل فيما نهى عن الجدل فيه ، إنها كلها كأنها أظافر مسمومة ، ووجه الروح الجميل يخمش منها بعمق ، ويروى يوسف بن أحمد حديثاً : " إياكم والتعمق في الدين ، فإن الله تعالى قد جعله سهلاً فخذوا منه ما تطيقون " .
والحديث المروى هو : [إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين] .

(5 / 89) والنفس المطمئنة في تعريف لنجم الدين الرازي هي نفوس الأنبياء والأولياء وهي في الصف الأول في عالم الأرواح (مرصاد العباد 369) (559 - 570) : إن كل هذه العقد والمشاكل التي تطرحها الفلسفة لكن تطرح لها الحلول لا طائل من ورائها إلا تضييع العمر ، إن العقدة الحقيقية والمشكلة الأولى التي ينبغي أن يطرحها الإنسان على نفسه ، هي : هل هو شقى أو سعيد ؟ هذا هو المشكل الوحيد حقيقة ، فالفكر المجرد ، والمشاكل المجردة التي تطرحها الفلسفة وإن أثرت تاريخ الفكر الإنسانى ، إلا أنها حقيقة لم تسهم بدور يذكر في حل المشاكل الحقيقية التي تواجه البشرية ، إنها حرب تدور في مخايل المفكرين والفلاسفة حول مشاكل مجردة حول الوجود والماهية وما إلى ذلك (جعفري 11 / 236) إن كل الأعيان والأعراض ذات حدود معلومة ، لكن أي حد يمكن أن يستوعب روح الإنسان التي جاوزت كل الحدود ، أليست في النهاية روحاً ربانية " وليس هناك شأن ليس فيه شأنه " ، (سبزواري / 341) ، فالموجود المطلق هو الموجود بوجود الله وبإيجاد الله والباقي المطلق هو الباقي ببقاء الله وبإبقاء الله ، وهو القادر على الوصول إلى اللامحدود أي

مرتبة " لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل " ، وأين من هذا طوائف المشتغلين بالدليل ، والقياس والاستنباط ، والأسباب والوسائل والاستدلال بالصنع على وجود الصانع ؟ كل هذا من قبيل الجهل الذي يدفع الجاهل إلى البحث عن الشمس الساطعة على أضواء الشموع (سبزواری / 342) والصفى يمضى إلى لب الحقيقة دون وسائل (عن الفرق بين أسلوب الفلسفي وأسلوب الصفى ، انظر الكتاب الأول ، الأبيات 2162 و 3291 و 3296 وشروحها والكتاب الرابع الأبيات 2834 وما تلاه وشروحها) .

(574 - 581) : عن أنس قال : توفى لعثمان بن مظعون رضي الله عنه ابن ، فاشتد حزنه عليه حتى اتخذ من داره مسجداً يتعبد فيه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا عثمان إن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية ، إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله " ، ليس في الإسلام عفة بخصى ، أو جهاد بغير عدو ، وكيف يمكن معرفة صمودك أمام الإغواء ، إن لم يكن إغواء ؟ ! إنما يكون الجهاد بقدر ما يكون العدو ، ويكون الانتصار بقدر مرارة الحرب ، وكيف يبين الإنسان الصبر إن لم يكن هناك ما يصبر عليه أو يتصبر عنه ؟ ! وكيف يمكن معرفة صدق المرء إن لم يتعرض للابتلاء ؟ ! وبقدر المشقة يكون الجزاء . ليس المطلوب أن تقتلع الطبيعة من نفسك بل أن تقاومها ! !

(586 - 599) : من الحديث القدسي : " من عشقنى عشقته ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعلى دينه ومن على دينه فأنا دينه " (سبزواری / 443) . أورده فروزانفر (أحاديث مثنوى / 134) من أحبني قتلته ومن قتلته فأنا دينه ، عن المنهج القوى 4 / 398 . وعن العشق عد إلى الكتاب الثالث ، الأبيات 3830 وما بعده وشروحها وثمة فرق شاسع بين تعبيره هناك وتعبيره هنا ، وبقدر الوجد يكون التعبير عن العشق ، إنه يعبر هنا عن أفكار شديدة المباشرة ، فالعشق نار يحرق كل ما سواه ، وسيف " لا " في عبارة " لا إله إلا الله " ، هو الذي يحرق كل شئ ويقضى على كل شئ ، فلا يبقى " إلا الله " ، وكل أنواع الحسن في العالم انعكاس

للحسن الإلهي ، بل إن الحسن الإلهي هو بمثابة الروح لأنواع الحسن أو بتعبير ابن الفارض : وكل مليح حسنه من جمالها * معار له بل حسن كل مليحة (انقروى 5 / 159) . وما تفرق الناس خلف كل لذة يظنونها إلا لأنهم ابتعدوا عن هذا الجمال الحقيقي ، ولم لا ، إن أي جمال بالنسبة له كالدخان بالنسبة للنار ، ومن لم ير عدالة عمر بن عبد العزيز يظن الحجاج بن يوسف عادلا ، والطائر أو الروح التي لم تعرف العشق الخالص ، إنما تطوف حول العشق المجازي وهو بمثابة الماء المالح بالنسبة للماء العذب .

(600 - 603) : ومن هنا فأنت في هذه الدنيا حتى تعرف قيمة الجنة والدار الآخرة وهي الحيوان لو كنت تعلم وما حياتك فيها عندما تدرك ما وراءها إلا كالقائم بنخل التراب عسى أن يجد فيه فتات رزق ، وأنت هلوع من الموت نفور من ذلك العالم الطاهر ، لا زلت متمتعا في السجن مع أنك تدعى الإيمان ، وما الدنيا إلا " سجن للمؤمن "

(605) : قال السيوطي في كتاب بشرى الكئيب بلقاء الحبيب ، أخرج النسائي عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : " ما على الأرض نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها " (مولوى 5 / 98) . ونقل جعفري عن انقروى (ولم أجدها عند انقروى) ما من أحد يموت إلا ندم ، إن كان محسنا ندم ان لم يكن ازداد (؟) وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون نزع " (جعفري / 11 - 248) .

(612 - 619) : عودة إلى حوار الطاووس مع الحكيم ، لقد اقتنع الطاووس بقول الحكيم ، وهنا هو يحار جوابا فيبكي بكاء مرأ ، إنه بكاء ذلك الذي فصل من حيث أراد الوصل وأبعد من حيث أراد القرب ، وهو البكاء الجدير بأن يثير بكاء الأرض وبكاء السماء ، والعقول والقلوب تبكي لأنها منسوبة إلى العرش ، ومن ثم فهي من معدن الرحمة .

(620 - 624) : يتكرر مثال هاروت وماروت كثيرا في مثنوى مولانا (الكتاب الأول : الأبيات 3334 وما بعده ، الكتاب الثاني ، الأبيات 2475 ما بعده والكتاب الثالث الأبيات 796

(802 -) .

ويدق مولانا على الموضوع على أساس أن الإنسان يستطيع أن يتفوق على الملائكة مع أن الشهوة مركبة فيه ، لأن الملائكة أنفسهم لو ركب فيهم ما ركب في البشر ما استطاعوا مقاومته والمثال هاروت وماروت وتوضح هذه الفكرة فيما ورد في الكتاب الأول .

لقد كان حبس هاروت وماروت في جب بابل أشبه بحبس الروح والعقل في بئر الجسد والطبيعة ، ويتناول مولانا هنا تعلمهما السحر ، لقد كان تعلمهما إياه على سبيل الفتنة والامتحان ، ومع ذلك فهما يعلمانه للخلق لكن بعد تبصيره بأنه فتنة ، وهكذا فليس كل علم مما يتعلم لأي إنسان (انظر حكاية اسم الله الأعظم في الكتاب الثاني ، وحكاية تعلم لسان الطير والكلام في الكتاب الثالث) ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ .

ويعارض الانقروى بعض أجزاء الرواية الخاصة بوقوعهما أي الملكين على امرأة تسمى زهرة ، وإنها صعدت معهما إلى السماء فتعلمت السحر إلى آخره ، فهذا نقلا عن القاضي البيضاوي مروى عن اليهود أي أنه من الإسرائيليات ، كما نقل عن الفخر الرازي ، إن هذه الرواية فاسدة مردودة ليس في كتاب الله ما يدل عليها بل فيه ما يدل على خلافها من وجوه ، الأول : ما فيه من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة من كل المعاصي وثانيها : أن قولهم أنهما خيرا بين العذابين ممنوع إذ كان الأولى أن يخيرا بين التوبة والعذاب لأن الله تعالى خير بينهما من أشرك طول عمره ، فكيف يبخل عليهما بذلك ؟ وثالثهما : أن من أعجب الأمور قولهم إنهما يعلمان السحر حالة كونهما معذبين أما الإمام السيوطي فقد اعترف بصحة الرواية ، ويفرغ الانقروى إلى مثل ما علق به أحدهم على حاشية البيضاوي ، وهو - أي المعلق - بالتأكيد ذو مشرب صوفي وتفسيره أقرب إلى تفسيرات نجم الدين كبرى على القرآن الكريم ، المراد بأحد الملكين الروح الإنساني وبالملك الآخر العقل ووجه التعبير بالملكين إنهما مصدران لكل خير وهبوطهما إلى الأرض نزولهما من عالم الأنوار إلى عالم الطبيعة وبالمرأة المسماة بالزهرة هي النفس الأمارة بالسوء وتعشق الملكين بها ابتلاء الروح والعقل بالنفس

الأماره بأنهما انقادا لأمرها بالشرور وبكونهما محبوسين في بئر بابل ابتلاء الروح والعقل بجب البدن الترابي وبكونهما معذبين في البئر إلى يوم القيامة عبارة عن ابتلائهما بالكدورات البشرية إلى الموت فإنهما يتجردان عند خراب البدن فيعودان إلى عالم الأنوار (انقروى 5 / 167 - 168) وواضح أن مولانا في المثنوى طابق هذا التفسير تماما .

(625 - 640) : انعدام الوسيلة خير بالنسبة لمن لا يستطيع المقاومة ، والخير والشر كلاهما كامن في النفس البشرية ، وكلاهما مستعد للحركة عند الدعوة ، والفكرة تتكرر عند مولانا بشكل أو بآخر ، (مثلها الأكثر وضوحا في الكتاب الثالث ، حكاية صياد الحيات والحية التي ظنها ميتة لكنها كانت متجمدة حركتها شمس الفراق ، وهي رمز للنفس المتجمدة التي لا تجد الوسيلة لكنها إن وجدتتها فهي أسد هصور) وهذه النفس هنا مثال الكلاب النائمة الهامدة ، لأنه ليس هناك ما يحرك شهوتها ، حتى إذا نفق حمار في الحارة استيقظت فيها كل صفاتها السبعية ، أو كالبراة عندما تخاط عينها فلا تفتح إلا على الصيد ، أو كشهوة المريض إلى الطعام ، عظيم ، إن كنت قادرا فتعرض للامتحان ، ولكن إن لم تكن قادرا ، فأولى بك أن تترك كلاب البدن نائمة .

(647) : روى عن ابن عمر في الجامع الصغير أنه صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات ، فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ، وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية ، وأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السرات (الغدوات الباردات) ونقل الأقدام إلى الجماعات وأما الدرجات فإطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام " (مولوى 5 / 103) ، جامع 1 / 138 .

(650 - 660) : إن لم تكن متقيا ، وإن لم تكن آمنا أنك في حفظ الله ، فدعك من الآلة ، وتخل عنها ، وهذا الجناح هو الآلة ، آلة عجبك وتيهك وغرورك ، إنه سلاح في يد طفل أو

في يد ثمل فانزع هذا السلاح ، وإلا وقع سلاحك في يد خصمك وقضى به عليك ، نعم : القوة لمن يستطيع أن يسيطر عليها لا لذلك الذي تسيطر عليه والسلطة كذلك .

(670 - 672) : هكذا يكون من خصمه نفسه التي بين جنبيه ، من يحمل بين جوانحه سلاحا يقضى عليه ، إنه يكون في هلع دائم ، ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم يقول : [اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي] إن هذه النفس العدو تكون تابعا للمرء كأنها ظله ، وهل يستطيع الإنسان أن يهرب من ظله ؟ ! والنفس ظل في مقابل العقل والقلب اللذين هما بمثابة النور .

(672 - 682) : صاحب الفناء الذي اختار الفقر على الغنى والضعف على القدرة يكون نورا خالصا كمحمد صلى الله عليه وسلم الذي كان نورا خالصا ومن ثم لم يكن لجسده ظل (جليبارلى - 5 / 128) وهكذا لأنه صلى الله عليه وسلم افتخر بالفقر فقال : " الفقر فخري " وبه افتخر على كل الأنبياء ، صار نورا للدين وشمعا لليقين ، فهل هناك ظل للشمع ، الشمع بأجمعه نور ومن ثم فلا ظل له ، واللهيب محترق في الشمع ، والشمع محترق في اللهيب ، أي شمع وأي لهيب ؟ إنني أقصد هنا شيئا آخر فأياك أن تتصور الشمع الظاهري ، إنني أقصد شمعا آخر هو شمعة الجسد التي تحتوى على نور الروح داخلها ، وكلما ذابت تجلى شعاع الروح كأعظم ما يكون التجلي ، ولا ظل للروح ، فمتى يكون النور الخالص ظل ؟ !

(683 - 695) : ولأضرب لك مثلا آخر : من السحاب والقمر ، السحاب له ظل والقمر لا ظل له ، صحيح أن السحاب قد يغطي القمر لكن السحاب نفسه يظل قابسا من ضوء القمر ، فانظر إلى لطف القمر بالرغم من أن السحاب عدو له إلا أنه يتمتع بنوره ، بالرغم من أنه حجاب عليه إلا أنه ينال نصيبا من نوره ، وهكذا رجل الله ، لا يمنع فيضه حتى عن العدو ، فهو لا ينقص لفيضه هذا ، لأن هذا الفيض يستمد من البحر الذي لا ينفد ، هذا النور الذي لا ينفد تستمد منه كل الموجودات نورها وإن كان النور أصيلا في القمر (النبي - الولي - المرشد) فهو عارية على كل من يستمد منه هذا النور .

(696 - 701) : وفي القيامة ، تعلم أصل النور ، تعلم أن الشمس واسطة والقمر واسطة ، وتعلم أن كل ما تظنه أصلاً إنما هو في الحقيقة عارية أظهرت الجمال الإلهي فترة من الزمن على هذه الموجودات الصماء الخالية من الجمال ، وأن معدن الجمال الحقيقي هو السبب في كل هذه الأنوار وهو أصلها فإذا بَرَقَ الْبَصَرُ ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ، كَلَّا لَا وَزَرَ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (القيامة / 7 - 12) .

حينئذ يضع الإنسان يده على الأم الحقيقية ، ويعلم أن الملك لله الواحد القهار ، وأن كل هذه التي كان يظنها في الدنيا " أمهات " هن مجرد حواضن مستأجرات من أجل نور مستعار ومن أجل حنان بالأجر . وشتان ما بين الحاضنة والأم (عن الحاضنة والأم انظر أيضاً الكتاب الثاني الأبيات 2981 - 2983) .

(702 - 705) : الوسائط تزيد في الوسائط ، إن طلب النور من الأصل ، أو طلب اللين من الأم لا من المرضعة هو أطيّب بالنسبة للمريد السالك ، ويعتبر المولوية أن الوسائط هي بمثابة (انتظار القلب) فاطلب لطفه من لطفه ورحمته من رحمته ، ودعك من الوسائط فإنها حجب (جلبنارلى 5 / 130 - 129) .

(705 - 709) : ألا تصدق إنه من الممكن أن يكون مطر (رحمة) بلا سحب (وساطة) . عد إذن إلى ما ورد في الكتاب الأول قصة عائشة رضي الله عنها وسؤالها المصطفى صلى الله عليه وسلم قائلة إن السماء أمطرت اليوم عندما ذهبت إلى المقابر فلماذا لم تبتل ثيابك ؟ ! (البيت 2023 وما بعده) أما السقاية من مطر ولا سحب فانظر الكتاب الثالث ، الأبيات 3130 وما بعدها وشروحها) ، وهكذا الأجساد إن استمدت النور من معدن النور بلا واسطة تنتفى عنها صفات الأجساد .

(735 - 745) : إن لم يكن ثم عقل ، وإن لم تكن تستطيع أن تعرف الطريق إلى أرحم الراحمين ، فعليك بمن وجدوا الحفظ ، ضع يدك في أيديهم ، فهذه هي بيعتك في زمانك ، وسوف تكون بعدها من أهل البيعة التي وردت في القرآن الكريم إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (الفتح : 10)

بهذه البيعة تكون قد حضرت على نبي زمانك ، تكون قد حضرت الحديبية ، وتكون من العشرة المبشرين بالجنة ، هنا تتحقق لكل المعية " فالمرء مع من أحب " كما يقول صلى الله عليه وسلم ، وتنال الدنيا والآخرة معا . فمن تشبه بقوم فمنهم ومن أحب قوما حشر في زميرتهم .

(748 - 753) : وإذا كنت تريد أن تتعظ وتعلم النهاية فانظر إلى مصارع الفجار ، وكفى بموت الجار واعظا ، إنك لا ترى يد الله التي فوق كل الأيدي ، إذن فاعلم أن الله سبحانه وتعالى يهلك بلا يد ، ويقمع بلا آلة ، وغدا يا منكر لوجوده ، تقرر أثناء العذاب أنه موجود ، ويا من تقول أنه بعيد ، تجار بصوتك مناديا إياه مستنجداً قائلاً " يا قريب " .

(761 - 764) : لقد بقيت في الذنب واقعا في الفخ بحث إنك عندما فكرت أن تنجو ، كان الفخ قد التصق بك والتصق بجناحك ، فماذا أفعل ؟ ! وماذا ينبغي أن تفعل أنت إلا أن تستغنى عن هذا الجناح ، هيا ضح بالجناح من المال والجاه والمكنة والثروة كما يضحى الثعلب بذيله من أجل أن يظفر بالخلاص ، وينجو . ها أنا أحدثك على قدر عقلك ، وإلا فإن هناك وسائل كثيرة ، لكنك لن تفهمها ، وربما تسىء فهمها ، فيزداد ضياعك ووقوعك في الفخ ، هيا اقطع الحبال التي أحاطت بك ، حبال الحرص والحسد ، فحول نفسك الأمانة التي تشبه زوج أبى لهاب في جدلها وحقدتها وحسدها ، حبلٌ من مسد ، فحطم هذه الحبال وانج .

(768 - 775) : إشارة إلى الآية الكريمة قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ، قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ، قَالَ

فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (الأعراف / 13 - 16) . إن أتباع إبليس يطلبون العمر الطويل لا لطاعة الله بل للانغماس في المعصية ، فكأنهم يطلبون زيادة ذنوبهم ، لقد خلقت لهم قرني اعتداء ، وبدلاً من أن يطلبوا من الله أن يخفف من ذنوبهم ، يطلبون إضافة قرنين آخرين ، وبدلاً من أن ينادوا قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (الأعراف / 23) يطلبون العمر الطويل ، وليتهم يطلبون التوبة أو القرب أو حتى الموت حتى لا يزدادوا انغماساً في المعصية ، وتزداد ذنوبهم .

(781) : قال السبزواري : تبديل الأعيان الثابتة من الثبوت إلى الوجود وتبديل الماهيات من اللبس إلى الأيس ومن الظلمة إلى النور وتبديل الذوات في التكميلات من الطبع إلى النفس ومن النفس إلى العقل ومن العقل إلى المحو في الحق والطمس والمحو فيه (سبزواري / 348) .

(784) : وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى .

(785) : تجعل من المخلوقين من التراب سكان سماء من أمثال الأنبياء والأولياء ، والنجوم في الأرض هم الأنبياء والأولياء والمرشدين ، مصداقاً للحديث النبوي [أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم] .

(786) : كلما ازداد تمنع المرء بطيبات الحياة الدنيا ، كان الموت أسرع إليه ، حقيقة ازدادت ثباتاً أخيراً ، فكأن المرء وهو منصرف إلى لذائذ الدنيا بنهم وهي أشبه بالسم أو بالمخدر ، يكون أسرع إلى هدم قواه وأسرع إلى الموت .

(788 - 795) : كون فناء الإنسان رقى له ، انظر الكتاب الثالث الأبيات 3902 - 3907 وشروحها ، الكتاب الرابع ، الأبيات 3687 وما بعدها وشروحها حيث يدق مولانا على هذه الفكرة كثيراً إن الإنسان يفنى من حيث يريد البقاء ويبقى من حيث يظن الفناء ، وكلها خلق

من بعد خلق دون واسطة و عليك أن تبقى حائراً فالحيرة هي الطريق إلى المعرفة ، ومن هنا قال بعض الصوفية " يا دليل المتحيرين زدني تحيراً " (انظر عن الحيرة الكتاب الثالث ، الأبيات 1116 وما بعدها وشروحها) .

(802 - 806) : إنك على وعى تام بهذه المراحل وتحسها فيك ، فأنت جامع الجماد والنبات والحيوان (انظر ناصر خسرو ، جامع الحكمتين ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، ص 377 وما بعدها ، وانظر الكتاب الرابع - مقدمة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) لكن إلى مرحلة معينة ، إلى البر ، إلى عالم الخلق ، لكن بداية من مرحلة عالم الأمر تبدأ منازل البحر الذي لا يدرك ساحله ، فبحر الحقيقة أو بحر الوحدة ليس فيه علامة أو مرتبة أو منزل ، أصل منازل ليست على نسق منازل الأرض ذات السقوف والأبواب ، ولا أسماء لها ، ولا علامات فيها ، فالأسماء والعلامات والأوصاف كلها أمور جدية بعالم الخلق ، إن المنزل الواحد فيها بكل المنازل التي قطعتها بين مرحلة النماء ، ومرحلة تحولك إلى عين من الأعيان ، فتخيل إذن قيمة ما لا تعرف بنظرتك إلى ما تعرف وعجبك به على قلته .

(809) : كل سنة جديدة أفضل لك من ثلاث سنوات قديمة يعنى أن عطاء المبدل الذي يخلع عنك القديم يعوضك عنه بجديد يفوق هذا القديم في كل شئ ، خلقا من بعد خلق ، في أحسن تقويم ، فانظر دائماً إلى الأمام ، ولا تنظر إلى الماضي وإلى الخلف ، فعطاي الله سبحانه وتعالى في ازدياد كما ، وفي تحسن كيف ، وإن لم تكن لتصدق ، فانظر إلى ماذا كنت وكيف أصبحت ، لكي تستطيع أن تتخيل إن سرت على نفس الجادة ، إلام ستصير ؟ ! !

(817 - 821) : ليست هذه قيمتك ، وليس هذا مكانك ولا يليق بك أن ترضى بما أنت عليه من قبح ، لست قبيحاً لكنك من معدن الجمال ، لست من الأرض بل من الجنة ، فلا تقنع بالأرض وليكن سعيك إلى تمام الدائرة ، وطى قوس الصعود ، حتى تتم الدائرة ، وإلا فأنت في عذاب حقيقي ، عذاب لوجودك في غير بيتك ، وفي غير المحيط الجدير بك ، وفي غير

الجو الحقيقي الذي ينبغي أن تعود إليه ، ومن هذه أنت جدير بالرحمة وبالشفقة .

(822 - 832) : نعم أنت جدير بالرحمة والشفقة على موجب الحديث الشريف ارحموا ثلاثا ، عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما لعبت به الجهال (أي استهزءوا عليه) انظر أحاديث مثنوى 156 وفي رواية انه من أقوال الفضيل بن عياض) .
وهو أشد الغرباء ، قال صلى الله عليه وسلم أحب العباد إلى الله تعالى الغرباء قالوا من الغرباء يا رسول الله ؟ ! قال : الفرار بدينهم يجتمعون مع عيسى بن مريم يوم القيامة . قال شيخ الإسلام : الغريب حالا هو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين أو عالم بين قوم جاهلين أو صديق بين قوم منافقين وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم على موجب قوله صلى الله عليه وسلم (إن الدين بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء) قال شيخ الإسلام غربة العارف هي غربة القرية لأنه غريب في الدنيا والآخرة (مولوى 5 / 128)
وعن علي رضي الله عنه : ثلاثة يُرحمون عاقل يجرى عليه حكم جاهل ، وضعيف في يد ظالم قوى ، وكريم قوم احتاج إلى لئيم . (جعفري 11 / 295) .
والأوصاف كالأجساد من اتصف بشئ غير مشهور في مجتمعه نبذ من هذا المجتمع ، ومن فقد صفة من صفته فكأنما فقد عضوا من جسده ، ونحن جميعا نعانى ، لقد شربنا كأس الميثاق ومعاهدة الله على العبودية ، وكلنا يعاني من خمار تلك الخمر التي شربها في ذلك اليوم في المحضر الإلهي ، آفتنا الأولى أننا بشر ، من نفخة السلطان ، وأبناء الخليفة ، لو كنا من أصل سىء لاسترحنا ، فهل بحث كلب أو قط عن السلطنة إنه ابن آدم وحده الذي يعيش في غربة غريبة يعز به أنه أصبح في الأسمال والملابس الخلقة ، بينما هو في داخله يطمح إلى السيادة والسلطنة .

(833) : حكاية أخرى من الحكايات التي تجاهلها فروزانفر ولم يذكرها في المآخذ وتبدو الحكاية من الأمثلة التي يضربها مولانا جلال الدين ، المهتم اهتماما خاصا بقضية المتجانس ضرب عليها الأمثلة كثيرا من عالم الحيوان وعالم البشر وعالم النبات .

(845) : ذكر فروزانفر أن الحكاية مأخوذة عن معجم البلدان لياقوت عند ذكر قم ، كما نقل

القاضي نور الله الشوشتري في كتابه مجالس المؤمنين هذه الحكاية وقال أن نظيرها مذكور بالنسبة لمدينة سبزوار ، وهناك أيضاً حادثة تاريخية ذكرها عطا ملك الجويني في الجزء الثاني من كتاب تاريخ جهانكشاي عن حصار للسلطان لسبوزار حتى تشفع أحد شيوخها ويسمى أحمد البديلي (استعلامي 5 / 255) ، وواضح أن مولانا كون من الحادثة التاريخية ومن رواية ياقوت حكاية تشبه هذه (عن مأخذ / 162 - 163) وقد حكم محمد خوارزمشاه من 568 للهجرة وكان هجومه على سبزوار سنة 582 للهجرة .

(887) : قتل : اسم مدينة في ما وراء النهر .

(869) : [إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم] (حديث نبوي) جامع 1 / 74 .

(872) : قال أبو يزيد البسطامي : لو كان العرش وما حوله في زاوية من زوايا العارف ما أحس به ، وورد في الحديث النبوي : ما وسعتني أرضي وسمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن (انقروى - 5 / 9219) .

(919) : قال يوسف بن أحمد " روحانية أهل الله لا تزول بصورة الفقر " (5 / 140) .

(925) : انظر شرح الأبيات 822 - 832 من نفس هذا الكتاب .

(926 - 931) : تبدأ غربة الإسلام بقول مولانا جلال الدين عندما ينفر منه أهله يتركونه ويضيعونه أو يمسخونه ويأخذون الصورة التي يروجها أعداؤه عنها ، يؤولونه ويتركون أسسه ، يجردونه من السلطة ليظل مجرد شعائر وعبادات ، يشوّه العدو في أعيننا ونتقبل نحن هذا التشويه ، يزاح من قلوبنا بعد أن أزيح من حياتنا ثم من عقولنا ، يأتي العدو ويسلط عليه بعض المنتسبين إليه بالاسم ، فيقولون ما لا يجروء العدو على قوله ، هذه هي غربة الإسلام الحقيقية عندما يصبح غريباً بين أهله ، موضع كراهيتهم وقتالهم ، تظل منه صورة خالية من الطعم والرائحة ، مجرد صورة ، نتبجح على أساسها ونقول " ماذا حدث للإسلام ،

ألسنا مسلمين ؟ ! وبالتالي نضل في الضياع والتهيه والفرقة والتبعية الثقافية والاقتصادية ، وحتى أغنياؤنا يظلون تبعاً ، ولا يدري أحد أن هذا التيه وهذا الضياع لأننا فرطنا في أساس وجودنا وكرهنا سبب حياتنا ، ونفرنا من عنصر عزنا ، فأصبح فينا غريبا ، وأصبحنا مجرد أبقار منذ أن وضع أسد الإسلام في إهاب بقرة (حقيقة ليست مجازاً) وإلا أفلا نبصر يومياً الأبقار التي ترعى وهي تتشقق بالإسلام ، يقول مولانا : أجل تشدق أيتها الأبقار بالإسلام ، ولكن حذار ، فعند ما ينشق إهاب البقرة الذي ركب على الإسلام سيسفر ذلك الإهاب عن أسد يفترس الأبقار السمان ، أو على الأقل يخرج منها طبيعة الأبقار ويجعلها في طبيعة الأسود .

(932) : وَقَالَ الْمَلِكُ : إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ، يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (يوسف / 43) . فالسمان هي الصفات البشرية السبع وهي التي بها القالب محبوس والكبر يأكلهن سبع عجاف وهي القناعة والسخاء والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع ، فإذا أراد الله أن يخلص القلب من سجن صفات البشرية يذهب الذي هو ملك مصر القالب ويقول : أيها الأعضاء والجوارح والقوى أفتوني فيما رأيتم في الملكوت إن كنتم للرؤيا تعبرون (مولوى 5 / 42) .

(942) : الرواية هنا مأخوذة مما ورد في إحياء علوم الدين للغزالي : " وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب انزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً ، فقال : الحمام ، قال : اجعل لي مجلساً ، قال : الأسواق ومجامع الطرق ، قال : اجعل لي طعاماً ، قال : طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه ، فقال اجعل لي شراباً : قال : كل مسكر ، قال اجعل لي مؤذناً : قال المزمارير ، قال اجعل لي قرآناً ، قال :

الشعر ، قال اجعل لي كتاباً ، قال : الوشم ، قال : اجعل لي حديثاً : قال : الكذب ، قال : اجعل لي مصايد : قال النساء ، (عن مأخذ / 164) . وفي الحديث القدسي ، " ما جعلت

فتنة أضمر على الرجال من النساء " ، كما فسر مولانا في الكتاب الأول الحديث النبوي (إنهن يغلبن العاقل ويغلبهن الجاهل) ، (الكتاب الأول الأبيات : 2444 - 2448) .

(960) : أي تجل للجمال يشاهده العارف كمظهر من مظاهر الجمال الإلهي أو كما قال ابن الفارض :وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر * فظنوا سواها وهي فيهم تجلت وتظهر للعشاق في كل مظهر * من اللبس في أشكال حسن بديعة(انقروى - 5 / 239 - 240) (961) :وَالَّتَيْنِ وَالرَّيْتُونَ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (التين / 1 - 6) .وَمَنْ نَعْمَرَهُ نُنْكِسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ(يس / 68) . والحسن المذكور في الأبيات ، إما أن يكون الحسن المجرد ، أو الحسن الذي كان في آدم عليه السلام بالطاعة وبالعلم ، والذي نزع عنه وطرده من الجنة بذل المعصية والاستماع إلى الشيطان .

(965 - 967) : تساقط الحلل إشارة إلى الآية الكريمة يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ، يا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا (الأعراف / 26 وجزء من 27) .

والعز هو عز الطاعة بالطبع والذل هو ذل المعصية .
والشيخوخة مأل كل حي ، لكن شتان ما بين شيخوخة وشيخوخة ، بين شيخوخة تشرف على عمر من الطاعة والنضج العقلي والفكري ، وتقف على أرض صلبة مما تكون أثناء فترة الشباب والعمل ، وشيخوخة قضى صاحبها شبابه في لذات الجسد ، فلما ضاعت عنه ولم يعد قادرا عليها ضاع منه كل شيء ، الأول جميل ذو عز في شيخوخته مثلما كان في شبابه والثاني هو الذي ينكس ولا يكون له من وقار الشيخوخة وجمالها شيء بل خرف وانهايار وذل

ومسكنة .

(974) : إنه نور الله هو الذي ينقذ المرء من أن يرتد إلى أسفل سافلين ، هو الذي يجعلها لا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون، إن قوته ليست من الجسد ، إنها قوة الروح وقوة الإيمان ، وإن كان واهن الجسد يكون قوى الروح ، وليست قوة الروح لأي إنسان ، ورب شيخ مهدم كانت شيخوخته هي قمة العطاء في عمره وفي حياته ، ألم يبدأ آية الله الخميني كفاحه وهو في الحادية والستين من عمره وتوجه وهو في السابعة والسبعين من عمره ، وكان حتى آخر لحظة من حياته صاحب القول الفصل فيما يعن لأمته من مشكلات ! ! أليس هناك شيوخ عديدون قادوا أمهم وهم في غروب العمر ، هذه شيخوخة ، لكن قوة الإيمان ووضوح الطريق ووضوح الهدف والعمل من أجل الله والناس معا ، كل ذلك يجعل الشيخوخة الجسدية تعوض بشباب الروح ، فالروح لا تشيخ ولا تعجز ولا تسقط ، إنها ليست جسداً يجرى عليها ما يجرى على الجسد .

(984 - 991) : ليت كل جميل يعلم أن جماله عارية ، وأنه مجرد انعكاس بسيط لشمس الحسن على جدار يعكس النور لكنه لا يبعثه (انظر الكتاب الثالث حيث جاء المثال بنصه ، الأبيات 552 وما بعده وشروحها) أتدري ما الذي يجعلك ذاهلاً كل هذا الذهول أمام الحسان ؟ ! إن قبس النور قد ضوئف ويكون من خلال زجاج ملون ، هذا هو فحسب ، لكن لبيتك تعتاد على مشاهدة النور دون مشاهدة هذا الزجاج (ارجع إلى الأبيات 372 - 379 من هذا الكتاب حيث الحديث عن جرعة الحسن) .

(992 - 999) : أتدري ما هو النور أيضاً من خلال الزجاج ، إنه العلم المكتسب ، وليس العلم الذي وقر في القلب من لدن الله سبحانه وتعالى ، وهذا العلم المكتسب معرض للنسيان ، إنه مصباح مستعار ، لكنك إن نسيت ، فاشكر الله سبحانه وتعالى لأنه سوف يعوضك عن هذا النسيان بالأضعاف المضاعفة ، بالنور الذي يقذفه في القلب ، إن شرط

الشكر ، وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (محمد / 1 و 2) ، إن إضلال الأعمال ألا يحس الكافر بود أو شكر أو صلة قرابة ، إنه لا يحس بنصر إن بلغ أمله ، يظل طوال حياته يسرع في أثر رغباته ، ولا يحس أنه بلغ واحدة منها .

(1008) : تمزيق الخرقه عند الصوفية : إشارة إلى ما يقوم به الصوفي عندما يبلغ به الوجد مداه في مجلس السماع فهو يمزق خرقته إربا ، ومن القطع الممزقة من الخرقه يصنع سجادة فمن المعيب أن ترتق خرقه مزقت عشقا (وخرقة الجسد إن مزقت في سبيل العشق كان ذلك علو شأن الروح) (جلبنارلى 5 / 181 - 182) .

(1016 - 1025) : عن أن العدم هو مصدر الوجود ، انظر الأبيات 1960 وما بعدها ومن هذا الكتاب وشروحها ، والأبيات 3096 و 3617 وما بعدها من الكتاب الثالث وشروحها . وعرف السبزواري الإبداع بأنه إيجاد الشيء دون أن يسبق بمادة أو بمدة (سبزواري / 356) . (1030) : عن الكلام الظاهر والفكر المستتر ، انظر 1 / 1897 و 2 / 1284 .

(1037 - 1038) : عن هذا السر انظر 3 / 1164 .

(1045 - 1050) : [يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله] (إحياء علوم الدين للغزالي ، ج 2 ، ص 143) ونقل فروزانفر روايات عديدة عن هذا المعنى عن الشيخ الصدوق وعن حلية الأولياء وعجايب نامه وفرائد السلوك (مآخذ / 164 - 168) وكلها مجرد حكايات معتمدة على الحديث النبوي المذكور عاليه ، والحديث الذي جاء في العنوان الذي تلاه .

(1072) : هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، يَعْلَمُ

مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (الحديد / 4) .

(1077 - 1078) : الجواد هو الروح ، يقوم كيان المرء بها ولا يزال يتساءل أين هي .

(1080 - 1082) : ما أقرب هذه المعاني كلها إلى ما عبر عنه حافظ الشيرازي في بيتين
اثنين :

لسنوات والقلب يطلب منا كأس جمشيد * وما فتىء يتمنى من الآخر ما هو موجود لديه إن تلك
الجوهرة التي خرجت من صدفة الكون والمكان * تطلب (الأشياء) من التائهين على شاطئ
البحر (جامع نسخ حافظ غزل 201 ، ص 163) (1084) : (من جعل الهموم هما واحدا
كفاه الله سائر همومه ومن تفرقت به الهموم لا يبالي الله في أي واد منها هلك) ، ورد في الأحياء
مثيله (4 / 214) : (من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره
بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه
ضييعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة) .

\\ (1086 - 1088) : الغصن السئ كناية عن الأفكار السيئة النابعة من النفس الأمارة بالسوء ،
والغصن الحسن كناية عن الأفكار الحسنة النابعة من القلب وقد عبر مولانا عن نفس هذه الفكرة
في الكتاب الثالث ، في جذور الأحران في القلب التي تنبت الأشواك وجذور البسط التي تهتدي
إلى الأحباب ، (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 360 - 364 وشروحا) .

(1089 - 1094) : لعله من أبسط التعريفات عن العدل : وضع الشئ في موضعه ،

وبالتالي فالظلم وضع الشئ في غير موضعه ، ومن هنا فمن الظلم أن تضع أحمال البلاء على الروح ، لأنها هي الجديرة بكل نعم الله المعنوية .

(1104 - 1108) : ذكر جلبنارلى أن الرباعية المذكورة في العنوان من رباعيات مولانا جلال الدين ووردت في الديوان الكبير (جلبنارلى 5 / 197) لكن لم أعثر عليها في نسختي من الديوان الكبير ، ويقول مولانا جلال الدين إن على المرء أن يتحرك ويحاول ، وإن لم يكن الطريق ظاهراً له فإن الحركة هي التي تكشف الطريق ، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (العنكبوت : 69) ، المهم من المرء الحركة ومن الله البركة ، وزليخا قد تكون هنا رمزا للنفس الأمارة بالسوء ويوسف رجل الحق ، وقد غلقت زليخا الأبواب ، إلا أن يوسف وجد النجاة من الحركة .

(1109 - 1113) : يدق مولانا على فكرة سبق الحديث عنها في الكتاب الثالث ، الأبيات 3292 وما بعده وشروحها (والكتاب الرابع (الأبيات 3060) وما بعده وشروحها) كما عاد إليها بعد العنوان التالي وهي أن الإنسان قطع مراحل قوس النزول من الجمادية إلى النباتية إلى الحيوانية ثم إلى الإنسانية دون أن يدري ما هي المنازل التي قطعها وما هي طبيعتها ، وهو في مرحلة ما بين المرحلتين هذه كأنه في النوم ، وإذا بدأ قوس الصعود بالموت فسوف ينتقل أيضاً في منازل لا يعلم عنها شيئاً ، فهل درى من أين جاء حتى يدري إلى أين سيمضى ؟ !

(1114 - 1118) : إنك إن أغلقت عينيك ترى في النوم من الأماكن والمدن ما لا يخطر لك على بال ، ثم إنك إن أغمضت عينيك عن هذه الدنيا سوف تفتحها على ما لم لا يخطر لك ببال ، لكنك لا تريد أن تغمضها ، إن هناك آلاف الأشياء التي تنتظر إليها ، أهمها جاه الدنيا وإقبال البشر (المشترين) الذين تتوقعهم وتجذبهم إليك ، إنك لا تهتم إلا بالجاه والناس مثلما تتهم بومة النحس بالخرائب ، وبضاعتك هباء ، ولا قيمة لها ، ولو كان عندك قوت من النور

الإلهي لما اهتمت أدنى اهتمام بإقبال الناس عليك .

(1119) : بهذا البيت تبدأ قصة أخرى من القصص التي تجاهل فروزانفر البحث عن أصولها ، والقصة من التراث الشهير جدا بحيث انتقلت إلى الأدب الشعبي والخليفة المذكور في الروايات الشعبية هو هارون الرشيد .

(1125 - 1129) : انظر شروح الأبيات 1109 - 1113 من نفس هذا الكتاب .

(1135) : دار السلام قد تكون بغداد وقد تكون الجنة وهو الأرجح على أساس أن الإنسان هبط من الجنة ، وعلى أساس أن ما يقابلها بالفعل دار الملام أي الأرض .

(1155 - 1159) : المثال هنا يشبه الحديث إلى الجنين الوارد في الكتاب الثالث (الأبيات 54 وما بعده وشروحها) والمنقول بدوره من إحياء علوم الدين للغزالي : " فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ، ونسبة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا إلى الرحم بل أوسع وأعظم ، ففس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . (إحياء علوم الدين 4 / 64) .

(1165 - 1170) : تناول مولانا هذه الفكرة بشكل مبسط في الكتاب الذي بين أيدينا (الأبيات 174 - 182) ويعود إليها هنا على أساس أن العهد بالنسبة للإنسان هو بمثابة الجذر بالنسبة للشجرة ، وإن كانت الشجرة خضراء وجذرها فاسد فسرعان ما يختفى ، وربما إذا فسرنا هذا الأمر بلغة معاصرة نقول أن معيار الإنسانية بالشعور بالالتزام تجاه الخالق والرسالة الملقاة على عاتق الإنسان ، بأن يسعى إلى ربه سعيا فيلاقيه ، وأن يكون في الأرض جديرا بالنفس الإلهي الذي نفخ فيه ، وإن لم يحس الإنسان أنه مسؤول أمام من هو أعلى ، فإن طبيعته النزاعة إلى الشر سوف تجره إلى أسفل ، بل وتصير كل مجهوداته حتى العظيم والمتعالى منها مجرد غثاء لا جدوى منه ، قشور ، فإن التزام الإنسان أمام الله في سره وجهره وفي

العلم الذي يقوم به وفي سعيه يمنح الإنسان تعالياً وتسامياً في أهدافه ، ويهذب كثيراً من النفس البشرية النزاعة إلى الهوى وإلى الدم ، ويمنح كثيراً من نشاطاته جانباً يجعلها أكثر رافة ورحمة بالإنسانية ، هذا الجانب في الالتزام الإلهي خصيصة إسلامية يسيطر على كل مناحي الحياة الإسلامية حتى الفكرية والاقتصادية منها (انظر جعفري 11 / 410 - 418) .

(1171 - 1179) : إذا كنت تريد أن ترى نموذجاً حياً على فوائد الوفاء بالعهد ومضار الغدر فانظر إلى جزاء من أوفوا ، وإلى الشياطين الذين غدروا ، والوفاء بالعهد من صفات الله سبحانه وتعالى (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 324 وما بعده وشروحها) وليكن اعترافك بالعهد مقروناً بالصمت ، فالأمر أمر عمل لا أمر شقشقة باللسان " فمن قل كلامه كمل عقله " كما قال الإمام على رضي الله عنه ، أو كما قال جعفر الصادق رضي الله عنه " قلب الأحق في فمه وفم الحكيم في قلبه " (جعفري 11 / 432) .

(1180) : يقول مولانا الحسد عصيان ، لأنه تدخل في ملكوت الله وفي عطائه ، وكان أول الحاسدين إبليس ، وجرّد حسده إلى الشرك وإلى العصيان ، لأنه حسد آدم ، فأبى السجود واستكبر وطرد من ملكوت الله .

(1181 - 1184) : وفاء العبد يقابله وفاء الحقّ أو فؤا بعهدّي أوف بعهدكم وإيّاي فازهبون (البقرة / 40) ، ولل فكرة أكثر تفصيلاً ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 324 وما بعده وشروحها) .

(1188 - 1192) : دعك من الدعاء باللسان وازرع في مزرعة الدنيا ما بقي من مالك ومن أعمالك وابذرهما وانثرهما في سبيل الله تعالى ، فإن كل بذرة تتطلب أن تكون شجرة ودعاؤك وتضرعك يهبك أشجار العناية الإلهية وحتى وإن لم تكن عندك بذورها ، فمتى تقف العناية الإلهية والقدرة الإلهية عند الأسباب ، مثل مريم البتول لقد كان لها الرطب الجنى لأنها هزت النخل اليابس بأمر الله ، وألم يكن سبحانه وتعالى قادراً على أن ينزل عليها الرطب بلا

نخل ولا هز ؟ ! كان قادرا سبحانه وتعالى لكن الضراعة والألم ذات تأثير عظيم في استئزال رحمة الله سبحانه وتعالى (انظر البكاء وتأثيره في استجلاب الرحمة في هذا الكتاب الأبيات 135 وما بعده وشروحها) .

(1196 - 1199) : هناك من الأمور من يجب الثبات عليه ، ويكون الثبات عليه أمرا صعبا ، ولا يدعو مولانا جلال الدين هنا الله بأن يهب الثبات في كل أمر ، بل في ما يجب من أمور : السلوك والطريق ، والعكوف على العلم ، والزهد في المادة في عالم أصبح يقيس كل شئ بالمادة ، والسير في طريق يراه الآخرون " غير مجز " ، و " غير مجد " ، ينظر الآخرون إليه بعجب ، ودهشة يحاولون إثناءه عن هذا الطريق الذي لا خير فيه ، في حين أن الإنسانية لم تتقدم إلا بأولئك الذين ساروا في طرق غير مسلوكة ، وعكفوا على تنمية النور الذي وضعه الله في القلب وفي العقل وفي الذهن ، وتحملوا سخرية الآخرين الذين يسيرون في الطرق المأهولة الموصلة إلى الغنى والثروة ويغيرونها كلما استدعت الحاجة ، أو كلما نزعت النفس إلى الهوى ، أولئك الذين يرون " الدنيا تجارة " ، فهم يغيرون معروضات محلاتهم طبقا " لرغبات الجماهير " ، و " آخر الواردات " ، هؤلاء الرجال " المعارض " ، لا يتأتى منهم جديد ، انهم ينتظرون الجديد فحسب .

(1200 - 1207) : إن هذا التنقل والتغير وتغيير مجال العمل وأسلوب الحديث (وأحيانا الأسرة والمعارف والأصدقاء) منشؤه الأصلي هو الحسد ، يتحاسد الناس في سبيل ماذا ؟ ! السلطة والثروة والنساء ، فهل هي أمور ثابتة أو دائمة ؟ هل دامت لأحد ، هل تدوم السلطة أو الثروة ، وهل تدوم لحظات متعة الشهوة والجسد ، حتى أولئك الذين سارت الركبان بقصص حبهم وعشقهم ، يس ومعشوقته رامين وخسرو ومعشوقته شيرين ، أين هم الآن ، فنوا وفنى حبهم وعشقهم ومعشوقهم ، فما كان عشقهم عشقا وما كان معشوقهم بالذي يستحق كل هذا ، ضعف الطالب والمطلوب ، وفنى العاشق والمعشوق . وكلهم عدم عاشق لعدم ،

وما جعل الله العدم عاشقا للعدم ، إلا لكي يضرب العدم ببعضه ، فيحمى سوق الدنيا القائم على الغفلة ، وينقلب العدم إلى وجود ، فهذا التحاسد هو الوقود الذي يجعل هذه الدنيا تبدو ذات وجود حقيقي .

(1210 - 1216) : لولا أن جعل الله من الشريعة عامل تلطيف في هذه الدنيا ، لفنى الناس تحاسدا وتباغضا ، ولاشتعلت نيران الحسد في كل مكان ، ولاعتدى القوى على الضعيف ولأكل الغنى الفقير ولانقلب المجتمع إلى غابة ، والشريعة واضحة ، من خلالها يعلم كل إنسان حقه ، ولا محيص له من قبول ما تحكم به الشريعة لأنها من لدن لطيف خبير يعلم من خلق ، وليست من وضع إنسان ، يعرضها كل لحظة للتغيير والتبديل ، والذي لا يقبل الشرع يبقى شيطانا حسودا يملأ هذه الجيفة القبيحة المسماة بالدنيا حسدا وحقدا .

(1216 - 1224) : هكذا عندما تغيب الشريعة عن مجتمع ما ، فإن الذي يسيطر على هذا المجتمع شياطين الجن وشياطين الإنس ، فمن اليسير الاحتيال على قوانين الأرض ، لكن متى كان الاحتيال على قوانين السماء ، ويستوى شياطين الجن وشياطين الإنس في جعل الأرض على هذه الدرجة من السوء والتدنى والتباغض والتحاسد والتقاتل ، وسرعان ما تطبع الشياطين بني آدم بطابعها الذي يغلب عليه الحقد والحسد وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يُوحى بعضهم إلى بعض زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُوراً (الأنعام / 112) ، وانظر إلى مجتمع غابت عنه الشريعة ، وترك الناس ينطلقون وفق أهوائهم وغرائزهم دون ضابط أو رابط ، كلهم ساقطون في حبال الشيطان ، يستعين بهم الشيطان يجعل منهم المحتال والنصاب والقواد والديوث ، ينقلب المجتمع إلى قطعة من جهنم حيث لا قيم ولا أخلاق ولا فضيلة ولا علم ولا فن ، بل تدن وسقوط وانهيار ، وغيبة للعقل والمنطق والوعي ، وسقوط للبشر يوما بعد يوم ، بحيث يحتاج بقاء المرء نظيفا إلى قوة فوق قوى البشر .

(1226 - 1235) : عودة إلى قصة الخليفة ومدعى النبوة ، فالخليفة يسأله عن وحيه وعما

نزل به هذا الوحي عليه ، ويجيب الرجل إجابة خليفة حقا بالعقل وبالإنسان ، ولعلها إجابة جلال الدين نفسه ، لتعرض أن الوحي النازل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد انقطع بوفاته ، فهل يوجد إنسان بلا وحي ؟ ! هل الإنسان أقل من النحل ؟ ! الذي نزل فيهم وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (النحل / 68) ، أكون الإنسان الذي نزلت فيه آية ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (الإسراء / 70) ، أكون مثل هذا المخلوق أقل من النحل بحيث يوحى إلى النحل ولا يوحى إليه ؟ ! وكيف تقرأنا أعطيناك الكوثر ، وتبقى ناظرا لنفسك على أنك أقل من أن يوحى إليك ؟ ! ليس هذا الكوثر هو الخير مجموعا كله ، وهو أصل الخير ، وهل يمكن أن يختص محمد صلى الله عليه وسلم بالخير ، دون محبيه وتابعيه والمؤمنين بالنور الذي نزل عليه ، وهل يكون النص منقطعاً ؟

لا بل إن كل من ترى في وجهه سيماء الإيمان ونضرة الاتباع لابد أنه نال نصيبا من هذا العطاء سواء كان القرآن أو حوض الكوثر أو الخير الكثير (شرح المثنوى للسبزواري 5 / 361 - جعفري 11 / 348) وإذا كان المرء مع من أحب ، وكان فيه صفة الإيمان (والمؤمن إذا أحب أحب الله وإذا أبغض أبغض الله) (انقروى 5 / 303) ، ليس هذا فحسب ، وأنت إذا آمنت بالنبوة وحزت شرفها ووصلت إلى مرتبة ولقد كرّمنا ، صار قلبك محل الوحي الإلهامي والإلهام إلهام القلب وما يلقي في الروح بطريق الفيض الإلهي فهناك بلا شك تقارب في المعنى ، قال جامي : " اعلم أن الفيوضات من الحق تعالى على قلوب كل عباده على نوعين منها ما يفيض عليهم بواسطة الملك بعبارات محفوظة عن التغيير مرادة تلاوتها وهو القرآن المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم ومنها ما يفيض عليهم بغير واسطة وهي معاني صرفة وهذا النوع ليس مخصوصاً بالأنبياء بل يعم الأولياء وصالحى المؤمنين (مولوى 5 / 178) .

(1236 - 1241) : إذا أردت هذا الوحي ، فكن طالبا للكوثر ، وأين يطلب الكوثر إلا من

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وإلا عند من سبقوك إلى شرب هذا الكوثر ، لكن إن وجدت إنساناً لم يشرب من هذا الكوثر فاهرب منه ، إنه كالموت وإنه كالحمى ، يصيبك الجهل الذي عنده بموت الروح وهو أشد موت وإن كان الجسد حياً ، فر من مثل هذا الإنسان ولو كان أباك ، ولك في إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم (التوبة 114) ، وأنت دون علم بهذا الطريق ما لم توف سر " لا وإلا " أي " لا إله إلا الله " أي سر التوحيد ، فالتوحيد أفراد لله سبحانه وتعالى عما سواه أو فيما ذهب إليه السبزواري وأن " لا " نفى للتعيينات وسلب للماهيات والسرابات وإلا إثبات للذات وماء الحياة (شرح مثوى 5 / 361) وهذا هو المنهاج الواضح لهذا الطريق وسره الأول .

(1242) : العنوان الوارد قبل البيت يحتوى على الآية الكريمة تتجافى جنوبهم عن المضاجع (السجدة 16) وجرجيس عليه السلام أحد الأنبياء ظهر في الفترة بين بعثة عيسى وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم وورد في دائرة المعارف التركية أنه قد ولد في الرملة وتوفي سنة 303 ميلادية في نيقوميديا ، وكان مأموراً بدعوة حاكم الموصل ، واستشهد أربع مرات تحت تعذيب هذا الحاكم " وفي رأى لاستعلامي 5 / 276 سبعين مرة " ويسمى عند المسلمين سان جورج ، ولجرجيس بالذات وجود في المأثور الشيعي فقد وردت عنه حكايات كثيرة في بحار الأنوار للمجلسي ، وفي المأثور الشعبي الفارسي هناك مثل يقال عند تعرض المرء للكوارث دائماً " وكأن نبيه من بين الأنبياء هو جرجيس " (انظر جليبارلي 5 / 223 - 222) ورد فروزانفر الحكاية إلى ما ورد في إحياء علوم الدين " رأيت رجلاً متعلقاً بكم صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة فالتفت إليه الصبي وقال له إلى متى هذا الالتفات الذي تظهره لي ؟ ! فقال : حتى تعلم الله أنى صادق فيما أورده حتى لو قلت لي مت لمت ، قال إن كنت صادقاً فمت قال : فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجده ميتاً (إحياء 4 / 340) ، كما ورد

ما يشبه هذا في ألف ليلة وليلة وقائع الليلة السابعة بعد الأربعمئة (مآخذ 169) وما أشبه هذا بما ورد عند ابن الفارض : وجانب جناب الوصل هيهات لم تكن * وها أنت حي ، إن تكن صادقاً فمت (انقروى 5 / 307) .

(1247 - 1251) : المفروض أن العاشق لا يتحدث كثيراً عن عشقه فهذا أمر بالعمل والفعل وليس بالكلام ، فضلاً عن أن لغة العشق هي الإشارة والإيماء ، لكن العاشق مع ذلك لا يمل الكلام عن عشقه ومعشوقه خاصة إذا كان هذا المعشوق مستحقاً لهذا العشق وليس من قبيل العشق الذي تكون عاقبته عاراً ، والعاشق لا يتحدث لكي يعدد أياديه على المعشوق ، بل لأنه بمجرد الحديث (انظر عن الحديث أو الصمت في العشق الأبيات 4710 وما بعده من الكتاب الثالث وشروحها) والنار الموجودة في داخل العاشق ولا يمكن التعبير عنها أشبه بما يقوله حافظ الشيرازي :

لا أدري من يوجد في داخلي أنا المتعب القلب * فأنا صامت لكنه هو في صياح وعويل لعله السر الذي العاشق انه أصبح متواجداً به بحيث يصبح معه واحداً (حافظ نامه لبهاء الدين خرمشاهي 1 / 198) .

(1265) : الحكاية الواردة هنا ذات تشابه بما ورد عن محمد بن علي بن الحسن بإسناده عن منصور بن يونس أنه سأل الصادق رضي الله عنه عن الرجل يتباكى في الصلاة المفروضة حتى يبكي فقال قرّة عين والله وقال إذا كان ذلك فاذكروني عنده " وبرواية أخرى عن أبي حنيفة قال سألت أبا عبد الله عن البكاء في الصلاة يقطع الصلاة فقال إن بكى لذكر جنة أو نار فذلك هو أفضل الأعمال في الصلاة ، وإن كان ذكر ميتاً له فصلاته فاسدة .

(1271) : زويت لي الأرض : إشارة إلى الحديث النبوي [إن الله زوى لي الأرض أي

جميعها فرأيت مشارقتها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي إلى ما زوى لي منها] (انقروى 5 / 313) ولم يتناول فروزانفر أصل الحكاية ، والواقع أنها ليست حكاية بالمعنى المفهوم ، بل مجموعة من الأفكار الصوفية وضع لها مولانا شخصاً ، والأبيات تتناول مفهوماً شائعاً عن الوجد والتواجد ، فالوجد صفة الشيوخ ، والتواجد صفة المريدين ويصوره إبراهيم بن المستملى البخاري بصورة أدبية رائعة حيث إن التواجد يبدو في ظاهره كأنه السيل المندفغ لكنه عندما يصل إلى البحر يضيع في خضمه ومن ثم فالتواجد صفة السالكين وعندما يصل السالك إلى الموطن لا يبقى التواجد (شرح التعرف 4 / 31) والوجد خاص بكبار المشايخ لأنه بشارات الحق بالترقى إلى مقامات مشاهداته ، ومن ثم يكون التقليد من المريد مذموماً (شرح التعرف 4 / 26) وعند الهجویری " من شعر بالوجد فإما أن يكون مضطرباً بالشوق المحرق في حال الحجاب ، أو مستكيناً بالمشاهدة في حال الكشف ، إما زفير وإما نفير ، إما حنين وإما أنين ، إما عيش وإما طيش ، إما كرب وإما طرب ، والتواجد هو تكلف الوجد بملاحظة نعم الله تعالى وآياته بالقلب والفكر في الاتصال والرغبة في أعمال الصالحين ، وبعضهم يتواجد على حسب الرسم ويقلدونهم بحركاتهم الظاهرة ، ومثل هذا التواجد حرام لكن بعضهم يفعلونه رغبة في الوصول إلى أحوال كبار الصوفية ومقاماتهم ومن تشبه يقوم فهو منهم ،

(كشف المحجوب : الترجمة العربية 499 - 501) والوجد هو أول درجات الخصوص وهو ميراث الصديق بالغيب في قول لأبى سعيد الأعرابي وأشبهه بما ورد هنا ما روى عن ذي النون المصري من أنه سمع أبياتاً من الشعر فقام وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون : الذي يراك حين تقوم ، فجلس ذلك الرجل وكان ذاك إطلافاً من ذي النون على قلبه انه متواجد متكلف (إحياء علوم الدين 2 / 291)

وواضح من السياق هنا أن مولانا جلال الدين لا يحبذ التكلف في إظهار الوجد من قبل المريدين الذين يقلدون الشيوخ تقليداً ، فإن الأمر هنا ليس بالتقليد بل بالذوق وعلى المريد أن يقتبس من نور الشيخ وألا يجد في نفسه القابلية

على تقليده حتى في الأمور الظاهرة .

(1274 - 1282) : يقدم مولانا عدداً من الأمثلة والصور لكي يبين كيف أن المريد الساذج يظن وهو لا يزال في أول الطريق أنه قد بلغ مرحلة تتيح له أن يفعل ما يفعله الشيخ ، وما ذاك إلا لأن شعاعاً من الشيخ قد سطع عليه وهو يظن أن هذا الشعاع من نفسه هو ، إن هذا الذي يظن أن الشعاع منه هو قد يزل وقد يطغى وقد يلقي به غروره هذا في مهاوى النفاق والكفر ، فهو كالأصم الذي لا يسمع ما يقال ويرى القوم يضحكون فيضحك مثلهم ، وهو كالسلة في الماء تظن الماء فيها وهو خارجها ، وكالمشكاة التي يتلأأ فيها ضوء القمر ، وقد وردت هذه الفكرة في الكتاب الأول (الأبيات 3237 - 3240) .

وبين مولانا في نفس الموضع قصة كاتب الوحي ، الذي كان شعاع الرسول صلى الله عليه وسلم ينعكس عليه ، فتجرى في بواطنه أنهار الحكمة التي يأتي بها الوحي ، فظن أنه يوحى إليه ، إلى هذا الحد قد يدبر نفسه من يظن لنفسه جناحاً قبل أن ينبت له ريش .

(1284 - 1296) : هناك مرحلتان لا بد وأن يمر المريد بهما المرحلة الأولى هي مرحلة الوهم والظن والخيال والتقليد ، وهو في هذه المرحلة يميل إلى النقاش والفيهقة في الحديث والتعاليم ، وما أشبهه في هذه المرحلة بالطفل الميال إلى الصخب الذي يظن بامتطائه الأعواد أنه يمتطى الخيول ويملاً حجره بقطع الفخار ويعتبرها ذهباً (انظر كليات ديوان شمس غزل رقم 1353 ، ص 525) وعندما يصل إلى محفل الرجال ينظر إلى حياته الماضية نظرة إشفاق وسخرية ، ويدرك أنه مهما كان ماهراً فإنه عندما يصل إلى أولئك الذين يعيشون في البحار والمحيطات يدرك أن قدمه التي كان يسرع بها على البر كانت وسيلة متواضعة جداً وأن علمه المدعى كان يبتعد به عن العلم الحقيقي .

(1300 - 1312) : مقابلة أخرى بين عالم المريد وعالم الشيخ ، وبين بكاء المريد وبكاء الشيخ ، وشتان ما بين هذين النوعين من البكاء ، فالمريد قد يبكي لكن بكاءه قد يكون من

حزن وقد يكون من فرح ، ولا يعلم أن هناك أسباباً أخرى قد يبكى منها الشيخ الذي قد يكون بكاؤه وقد يكون ضحكه لأسباب لا تدور للمريد في خلد ، إن بكاءه مثله تماماً لا بد وأن يكون من نوع آخر ، هذه العين التي تبصر ما لا يبصره الآخرون كيف يكون دمعها نابعاً من أسباب كالأسباب التي يبكى منها الآخرون ؟ وكيف يمكن للمريد بوسائله القاصرة أن يدرك بكاء لا هو بالعقل ولا هو بالحواس وكيف يقيس نفسه به ؟ كيف يقاس الليل بالنهار والبعوضة بالرياح ؟ ! (انظر الكتاب الثالث الأبيات 4630 وما بعده وشروحها) .

(1316 - 1332) : كم تتشابه أشياء كثيرة في المظهر لكنها في المخبر متباعدة ويوجد فيما بينها بعد المشرقين ، تتشابه كل الحروف ، لكن متى كانت كل الحروف ذات تأثير كتلك الحروف التي تجيء في فواتح السور ؟ ألم يقل ابن عباس إن لكل شئ لباباً ولباب القرآن الحواميم ؟ وألم يقل الشيخ الأكبر في الفتوحات حاء الحواميم سر الله في السور أخفى حقيقته عن رؤية البشر (انقروى 321 / 5)

لقد أخفى سر هذه الفواتح عن جبريل نفسه ، وإنما كان الله سبحانه وتعالى يريد أن يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً لا يريد أن يعلمه جبريل نفسه ، وقد روى في الأخبار أن جبريل عليه السلام لما نزل بقول الله تعالى كهيعص فلما قال كاف قال النبي صلى الله عليه وسلم علمت ، فقال ها فقال علمت ، فقال يا فقال علمت ، فقال عین فقال علمت ، فقال ص فقال علمت ، فقال جبريل كيف علمت ما لم أعلم (مولوى 200 / 5)

وانظر أيضاً تفسير كهيعص في الدفتر الرابع (هذا التفسير من الصوفية لفواتح السور يلتقى مع تفسيرهم للمعراج والمرحلة التي وقف عندها جبريل وتقدم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاصطفاء ميراث من الرسول صلى الله عليه وسلم للأولياء والمشايخ المرشدين ، فإياك أن تظنهم مثلك ويشبهونك ولا تقم بقياس حالك على أحوال الأطهار ، فهناك فرق شاسع بين كلمتي " شير " بمعنى أسد و " شير " بمعنى لبن وان كانت يكتبان في صورة واحدة وهذا من أوائل الموضوعات التي تحدث عنها مولانا جلال الدين في المثنوى ولا يفتأ يعود إليها بين الآن والآخر (انظر الكتاب الأول الأبيات : 264 -

277 وشروحها) .

مثل هذا الدق الشديد على هذا الموضوع بين طبيعة نظرة مولانا جلال الدين التي تحاول أن تعرى النفاق والتقليد والوقوف على الظاهر والتظاهر ، إن الناس ينظرون نظرات سطحية ، يحبون ويبغضون ، يوافقون ويعترضون ، وفي موقف الاعتراض ، تضع كثير من الأمور الدقيقة التي لا يدركها كل إنسان ، إنها في حاجة إلى ذوق ، وإلى مرشد ، وإلى معلم ، وكم من المصائب والكوارث يقع فيها الإنسان الذي يظن أنه أصبح كبيراً على المرشد وعلى المعلم ويريد أن يتظاهر بالإرشاد والتعليم ، فيورد نفسه موارد التهلكة .

(1333) : بهذا البيت تبدأ واحدة من أكثر حكايات مثنوى مولانا جلال الدين إثارة للنقاش والاستهجان بحيث قال محمد تقي جعفري صراحة أن مثل هذا الحديث ومثل هذا الأسلوب لم يكن منتظراً من مولانا ولا كان يصح أن يصدر عنه (محمد تقي جعفري مثنوى 11 / 475) ، ومن ثم لم يشرح الحكاية ولم يعلق عليها والحكاية من الحكايات الشائعة في المأثور الشعبي ، ويقوم عليها مثل يقول " كير ديدى كدو نديدى " رأيت الذكر ولم تر القرعة " لمن يرى محاسن الشئ دون أن يرى مخاطره ،

وذكر استعلامي أن الحكاية لا مثيل لها قبل جلال الدين والواقع أنها موجودة في المأثور الشعبي المصري بكل تفصيلاتها وأذكر أنني سمعتها منذ وقت بعيد كما ذكر زرّين كوب " سرنى ، جلد 1 ، ص 325 ، ط 3 ، تهران علمي 1368 "

نقلاً عن نيكلسون أن القصة تذكر في بعض تفصيلاتها بالقصة اليونانية المسخ القائمة على ممارسة امرأة للجنس مع حمار كان إنساناً ومسّخه أحد السحرة .

والواقع أن ثورة شراح المثنوى من المعاصرين على هذه الحكاية ليس له ما يبرره ، فأمثال هذه الحكايات عند مولانا تضرب للتمثيل ولشرح معان سامية ، وطالما قلنا أن المثنوى نص متعدد المستويات ، وهو نص تعليمي في المقام الأول ، ووجود الحكايات ذات المدلول الجنسي منه ضرورة كان العصر يتقبلها ، وكل موسوعات الفكر الإسلامي التراثي تحتوى على أبواب كاملة تتحدث

صراحة عن الأمور الجنسية ، فلم يكن القوم ينظرون إليها نظرة الحرج التي ينظر بها المعاصرون ، وطالما دق سنائي ودق جلال الرومي على أن هزلها ليس هزلاً إنه تعليم ، ومستويات المريدين متفاوتة ، وقوة التعبير في هذه الموضوعات تستلزم قدراً من الصراحة ، والموقف كله موقف شاذ ، موقف المرأة التي تمارس الجنس مع حمار ، وفي ألف ليلة وليلة هناك جارية تمارس الجنس مع دب ، وحكايات هذه العلاقات الشاذة جزء من التراث الإنساني نظر إليها الإسلام نظرته إلى موضوعات عادية جداً وطبيعية جداً وجزء من النفس البشرية وضعفها والتوائها وسقوطها ،

وهذا النص " القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجمعون عنده في الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضي التنوخي وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي ، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار للعقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ، فإذا أصبحوا عادوا إلى عاداتهم في التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء " (ياقوت الحموي معجم الأدباء 14 / 166 عن الإسلام والجنس تأليف عبد الوهاب بو حديبة ترجمة هالة العورى ص 190 القاهرة مديولي 1987)
والنص التالي أيضاً من مسامرة أبي حيان التوحيدي للوزير أبي عبد الله العارض ومحادثته في شتى صنوف المعرفة الإنسانية التي امتدت إلى أربعين ليلة ، ولنلق نظرة على الموضوع الذي تناولته الليلة الثامنة عشرة "

وقال مرة : تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية ونأخذ من الهزل بنصيب وافر ، فإن الجد قد كدنا ونال من قوانا وملأنا قبضاً وكرباً ، هات من عندك ،
قلت : قال حسنون المجنون بالكوفة يوماً وقد اجتمع إليه المجان يصف كل واحد منهم لذات الدنيا فقال : أما أنا فأصف ما جربته فقالوا : هات فقال : الأمن والعافية وصفع الصلح الرزق وحك الجرب وأكل الرمان في الصيف والطلاء في كل شهرين وإتيان النساء الرعن والصبيان الزعر ، والمشى بلا سراويل بين يدي من لا تحتشمه ،

والعريضة على الثقيل ، وقلة خلاف من تحبه والتمرس بالحمقى ومؤاخاة ذوى الرفاء ، وترك معاشر السفلة " ومتن المؤانسة في هذه الليلة لتغطي عشر صفحات من المجون ، ويعلق الناشر الذي علته حمرة الخجل " ويلاحظ أن المؤلف قد أتى في هذه الليلة ببعض المجون الساقط والنوادر المبتذلة ولولا الأمانة العلية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها واكتفينا بما لطف ورق ولم ينب عن الذوق " (الإسلام والجنس 186 - 187)

نعم قد ينفر الذوق الغربى أو المستغرب الذي ينظر إلى الجنس في الأصل كخطيئة وليس كجانب طبيعى من جوانب الحياة ، أو على الأقل كنوع من الضعف كما نظر إليه مولانا ، ومن هنا ترجم نيكلسون بعض أبيات الحكاية إلى اللاتينية لكي تكون في متناول بعض خاصة المثقفين فحسب ، وهذا الموقف ناشئ عن اختلاف النظرة واختلاف التراث ، فالأدب الجنسي يمتد في تراثنا الإسلامى عبر ألف عام منذ الجاحظ وحتى حسن خان (مؤلف عثمانى في القرن التاسع عشر) وقد أورد ابن النديم في الفهرست قائمة بمائة رسالة ونيف لم يبق منها إلا القليل (يرجع إلى عرض ما تبقى منها في الكتاب القيم الإسلام والجنس من ص 203 - 222)

فلم يكن جلال الدين بدعاً لا في تيار الآداب الإسلامية على وجه العموم ولا في تيار الأدب الفارسي ، فقد كان معاصره الشيخ سعدى الشيرازي حكيماً لا يشق له غبار ومع ذلك كتب الخبائث والهزليات والمضحكات وهو مؤلف الكلستان والبستان ومن قبله كان سنائى ذلك الأستاذ الجهم ومع ذلك فقد ضمن حديقة الحقيقة حكايات لا تقل ابتذالاً " في مفهومنا " عن هذه الحكاية ، ومن بعده كان عبيد الزاكاني أعظم شعراء الفرس في فن السخرية ، ومعهم وقبلهم كان سوزنى وأبو العلاء الكنجوى ، وعندما سقط بعض هذا التراث في شعر الشاعر المعاصر ايرج ميرزا جلال الممالك قامت الدنيا ولم تقعد على كل حال كان مولانا جلال الدين بهذه الحكاية يحاول أن يشرح لنا بشاعة الشذوذ والجهل معاً ، والجهل المركب الذي يأخذ من الأمور بطرف لكنه يتكبر عن السؤال فتكون النهاية المفجعة بمفاد " كل ناقص ملعون " وهو حديث نبوي .

(1342) : " من طلب شيئاً وجد وجد " ومن قرع باباً ولج ولج " حديثان منسوبان إلى الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم (انقروى 5 / 327) .

(1363 - 1364) : فسر استعلامى (5 / 282) البيتين بأنها صارت سعيدة سعادة من صار ماعزه الفأ ، وهذا تفسير خاطيء فالحديث حقاً عن شهوة الماعز ، وعن أن الماعز تصاد لإسراعها خلف الذكر من جبل إلى جبل بحيث إن الصيادين يكمنون بين جبلين عارفين بأن الماعز سوف تقفز إلى الذكر من جبل إلى آخر ، وتصور لها الشهوة أن المسافة بين الجبلين قصيرة للغاية فتسقط (من شهوتها) فريسة سهلة للصيادين (أنظر الكتاب الثالث من مثنوى جلال الدين الأبيات 807 - 817 وشروحها) .

(1367) : من أجل الانجذاب والتحول انظر الكتاب الثالث من مثنوى جلال الدين الأبيات 4722 - 4725 (وشرحها) .

(1373 - 1382) : نفس التفسير النبوي لقوة الشهوة ، إذا أمر الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم بالصوم ، ويدق مولانا في مواضع كثيرة من المثنوى على قلة الطعام اتباعاً للصوفية الذين قالوا " أم الشهوات شهوة الطعام " وفي هذا الجزء من المثنوى تفسير للحديث النبوي [المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء] (وينظر أيضاً الأبيات 1631 - 1651 و 1972 " من الكتاب الأول) لكن مولانا يلجأ إلى التوسط والاعتدال ، ولا يأمر بقمع الشهوة قمعاً كاملاً أو تجاهلها ، فلا رهبانية في الإسلام وينصح بالزواج ، والقط يرمز إلى هوى النفس وكثيراً ما استخدم مولانا هذا التعبير ، أما الشحمة فهي التقوى وسلامة الروح ، وسرقة القط للشحمة مثل فارسي سائر ، وقد ربط نيكلسون بين هذا البيت وقصة الرجل النفاق الذي كان يدهم شاربه بالشحمة الواردة في الكتاب الثالث (البيت 758 وما بعده) ولا علاقة بينهما ، والحمار الذي يبرطع هو الشهوة ، والقدر والنار والحساء كلها رموز جنسية لا تخفى ، والمقصود كله كبح جماح الشهوة وإلا أحرقت صاحبها بنارها .

(1391) : عذاب الخزي هو الواردة في الآية الكريمة فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (فصلت 16) .

(1392 - 1399) : المستفاد من هذه الحكاية أن هذا الحمار ما هو إلا النفس البهيمية ، وما الخاضع للنفس البهيمية إلا مثل تلك المرأة العجوز التي هلكت هلاكاً مقترناً بالفضيحة والعار ، وهكذا فإن الناس في القيامة يحشرون على صورة نفوسهم ويحشرون على صورة الحيوانات التي تمثلها نفوسهم (انظر الكتاب الرابع 3664) والنار ولا العار صورة تكررت في الكتاب الثالث (انظر البيت 394) ، لكن هذا العار كله من نار الشهوات ونار الكفر ونار العناد ، ونار الحرص التي جعلت تلك المرأة تأكل لقمة أكبر من حلقها فغض حلقها بلقمة الموت المقترن بالعار والفضيحة ، الموت السيء المستقب ، والحشر المفتضح ، إن كان مشغولاً في الدنيا بالمأكل يحشر على موجب حظ نفسه سكران ، وإن كان ناماً وقتاناً يحشر بشكل القردة وإن كان مكاراً وغدار ومتغلباً على الخلق لأجل حظ نفسه يحشر بشكل الجعل ، وإن كان ديوثاً أكلاً للمال الحرام يحشر بشكل الخنزير ، وإن كان مؤذياً للمؤمنين جافياً يحشر بشكل الحيات والعقارب (مولوى 5 / 310) .

(1400 - 1403) : إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق كل شئ خلقه كما ينبغي وجعل للميزان لساناً حتى يميز الأوزان من نقص وزيادة ، وأقرأ من سورة الرحمن السَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ (الرحمن 7 - 9) فلا ميل بالهوى إلى إفراط أو تفريط فلتقم لنفسك ميزاناً عند كل أمر ، ولا تترك الميزان من حرصك ، فمن الحرص والطمع تحيد عن العدل وعن القسط وعن حقائق الأمور والحريص طالب لكل شئ فاقده لكل شئ ، فلا أحد يريد كل شئ ويظفر به ، وكل شئ في هذا العالم وضع بالقسط ووضع بالميزان ، وإن رغبت أنت في كل شئ ، فإنك في الوقت نفسه تفقد

كل شئ ، فأياك والحرص أيها الحقيير التافه الذي ولدت من حقير تافه لم يعلمك أن تكون مقسطاً في مطالبك ، وإلا فكل حريص محروم والحرص يوقع المرء في الفقر كما قال الإمام على رضي الله عنه .

(1404 - 1417) : إن الجارية تنعى سيدتها وتنقدها وتقدم الدرس المستفاد من الحكاية هذا الدرس الذي يقول أن كل من يظن نفسه استاذاً ويستتكف عن السؤال عما لا يفهم فإنه في الحقيقة يقوم بعمل أخرق وأهوج يعود بالسوء عليه هو نفسه قبل كل الناس ، ومستويات هذا الدرس عديدة بداية من ذلك الذي يأخذ من أستاذ حرفته علماً ناقصاً ، ثم يبدأ في الاستقلال عنه فلا يكون مثله ، إلى ذلك المتعلم المستفيد الذي يظن نفسه استاذاً قبل الأوان ، إلى ذلك المريد الذي يظن نفسه قد أصبح شيخاً وفي غنى عن إرشادات الشيخ فهو يضرب في كل بيداء على الشبهة وعلى الظن الذي يعتبره علماً ، وما أشبههم جميعاً بهذا الطائر الذي ترك البيدر وطار في أثر كل حب فسقط في الشراك وأخذ الشراك بعنقه ، وأكل العاقل لنعم في مقابل تجرع الجاهل للأحزان وحمل هموم الدنيا من أفكار سنائي الغزنوي (الأبيات 5499 - 5502 من حديقة الحقيقة)

والشراك هو الطمع والتقاط الحب يعنى طلب القوت من غير موضعه " أو طلب العلم من حيث لا ينبغي " أو طلب الإرشاد من مرشد مزيف أو من لا مرشد على الإطلاق ، إن هذا يكون أشبه بالطائر الذي يلتقط الحب وهو في الشراك ويكون في هذا الحب موته ، وهكذا شراك الدنيا وشهواتها ، وهكذا العوام في شراك الدنيا وشهواتها من أموال وأولاد وجاه ومنصب و . . . إلى آخره ، إنهم لا يزالون يرعون كالبهائم حتى تأخذهم سكين الأجل ، وماتوا وهو في شراك الدنيا بعكس الطيور الذكية التي ابتعدت عن هذه الشباك ، والعاقبة أن الطيور البلهاء أصبحت لحومها طعاماً للنار ، أما الطيور الذكية فهي في غناء وتغريد ، وصاحب الشباك هو الله الواحد القهار ، وهو بشباكة التي يضعها في الدنيا يستطيع أن يميز بين طيوره الذكية وطيوره الغبية .

(1423 - 1429) : هنا مستوى ثان من مستويات هذه الحكاية ويتناول أولئك الذين يقتربون من الطريق فيعتبرون أن المشيخة هي مجرد المظهر ولبس الصوف ، وهناك أيضاً من لم يحترف في طريق الرجال إلا فترة قصيرة ، لكنه لم يتعلم من ملوك الطريق إلا قشور الكلام دون لباب المعنى ، تراك تظن أن كل عصا هي عصا موسى عليه السلام وأن كل نفخة هي نفخة عيسى عليه السلام إياك أن تظن هذا أو تدعيه وإلا تعرضت لامتحانات عسيرة يضعها الحي الباقي كل يوم أمام المدعين " انظر عن المدعين وامتحانات المدعين الكتاب الثالث الأبيات 743 - 746 وشروحها " ، ولابد أنك سوف تسألني وما الدليل الذي أستطيع به أن أميز بين شيخ مزيف وشيخ حقيقي ، فلتسأل الأستاذ الباقي " الله سبحانه وتعالى " فلا أحد يستطيع أن يدلك على الطريق سواء فان كل حريص أعمى وأخرس ، ولقد تركت هذا الأستاذ الباقي وأسرت في أثر هذا وذاك ، وطلبت كل سبل الطريقة دون أستاذ ، فتخلفت عنها جميعاً ولم تظفر منها بشئ ، وبدلاً من أن تتبع شيخاً أو أستاذاً صادتك الذئاب والبشرية التي تقف على لحملك وعلى دمك ، تراك تستطيع أن تكون ترجماناً وأنت لم تتقن بعد لغة المشايخ والكاملين ؟ ما أشبهك ببعاء تردد الألفاظ دون أن تدري لها معنى .

(1430) : يفسر مولانا في هذا المثال أنه كما يتعلم البيغاء النطق عن طريق مرآة يرى فيها صورته هو ويحدثه إنسان دون أن يظهر في المرآة فإن البشر أيضاً يتعلمون وحى الحق عن طريق الأنبياء والأولياء والكاملين من المشايخ الذين تكون عندهم طاقة تلقى عطايا الحق وتستطيع أرواحهم أن تتحمل هذه العطايا مباشرة ، ومن هنا فإن المريد الممتلىء جهلاً لا يرى من مرآة الولي (جسد الولي) إلا نفس هذا الحديث (دون أن يدرك لبابه) فضلاً عن عدم إدراكه أنه ليس حديثه في الأصل لكنه حديث الحق على لسانه ، وفيض العقل الكلي يتجلى في بيانه ، والآية القرآنية المذكورة لا تُحرِّكُ به لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (القيامة 16 - 19) فإذا كان الله سبحانه وتعالى

طلب من الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم نمطاً معيناً في تلقى الوحي ، وقال لنبيه وحبيبه وصفيها
تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ
الْقُوَى (النجم 3 - 5) فما بالك تعجل وتسرع وترتدى لباس المشيخة وأنت لم تشب على الطوق ؟
وفي النهاية فإن " المؤمن مرآة المؤمن " الجامع الصغير 2 / 184 " والمقصود في آخر العنوان
بأنه مثال لا مثل أن المثال هنا لا ينطبق تماماً على ما ضرب له بل التشابه من جمعه ما (انظر
الكتاب الرابع البيت 462) .

(1433) : الذئب القديم هنا هو ذلك الأستاذ المدرب الخبير الذي يأخذ على عاتقه عملية تعليم
الببغاء أو المرشد الذي يأخذ المريد الفج وهو أشبه بالطائر ويجعل منه شيخاً كبيراً وليس الأمر
كما قال استعلامي أن التعبير لو قصد به الله سبحانه وتعالى فليس تركاً للأدب (استعلامي 5 /
285) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(1438 - 1442) : فرق كبير بين ذلك المريد الذي يرى من الشيخ مجرد كلامه وبين ذلك
النديم (الصاحب والصديق والمتفهم) فهو كمن يتعلم الحروف وشتان بين هذه الحروف وبين
السر الأزلي (سر العشق وسر الخلّة وسر تلقى الفيض مباشرة) إنه مجرد ببغاء يردد الحروف
، وهناك من يقول أنه يعلم صغیر الطير ، إنه يستطيع أن يقلد هذا الطير لكي يسقطه في شباكّه ،
لكن فرداً واحداً هو الذي تعلم لغة الطير وهو سليمان عليه السلام ، فليس كل من قلّد صغیر
الطير استطاع أن يفهم لغة هذا الطير ورجل الحق أيضاً مثله (لتشبيهه رجل الحق بسليمان عليه
السلام انظر الكتاب الرابع البيت 1439 وشروحه) .

(1443 - 1444) : إن الناس يرددون ألفاظ الدراويش ، ولا يفتأون يقولون : قال بعض
العارفين أو بعض المشايخ ، وهم يزينون محافلهم ومجالسهم بهذه الأقوال ويرددونها كاللبغاوات
، لكن هذا في حد ذاته لا بأس به فإما أن هذا هو رزقهم وهذه عطاياهم ، وإما أنه من الممكن فيها
أن يبدي لهم الله سبحانه وتعالى الطريق إلى الحقيقة ، فمن العطاء القليل يكون العطاء الكثير ،
ومن المجاز هناك سبيل إلى الحقيقة .

(1445) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت لم ترد في مصدر قبل جلال الدين الرومي ، وأحد أصحاب القلوب أي أحد العارفين (انظر البيت 1613 من الكتاب الأول والبيت 2243 من الكتاب الثالث) أما ما يعلم تأويله فإشارة إلى الآية الكريمة هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (آل عمران 7) . والأربعينية المذكورة في البيت يعنى الخلوة الأربعينية (ذات الأربعين يوما) وقد يطويها (أي يصومها صوماً متتابعاً) بعض المريدين (انظر الكتاب الثاني البيت 25 وانظر تقاليدھا عند المولوية كتاب عبد الباقي جلبنارلى (. ss Mevlanadan Sonra Mevlevlik 398 - 391 والترجمة الفارسية لتوفيق سبحانى مولويه بعد از مولانا 468 - 473) والراسخون في العلم أولئك الذين لا تزلزل عقائدهم أمام بعض الصعوبات التي يجدونها في المتشابهة مثلما لا تزلزل قلوبهم أمام مصائب الحياة ، أولئك الذين يقولون مثلما قال على رضي الله عنه " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " ، و " إني على بينة من ربي " و " ما شككت في حق مذ رأيتہ " ، (جعفري 11 / 481 - 482) .

(1449) : الواقعة في مصطلح الصوفية حالة مفاجئة من اليقظة وكشف الأسرار (انظر الكتاب الثالث البيت 3658 وشرحه) وهو يسمى الحلم هنا بالواقعة لأن في أحلام العارفين قد تتكشف الأسرار أيضاً (استعلامى 5 / 289) .

(1452) : روضة الذكر وحديقة التفاح كناية عن جمع الخاطر وفراغ البال الذي يمكن الدرويش من الذكر .

(1453 - 1460) : الجهال أي أولئك الذين لا يعرفون أسرار الغيب ومع ذلك يظنون أنهم يعرفونها ، أما الحجب والأستار فهي علائق الدنيا ومشاغلهما التي تمنع عن إدراك الحقائق

وإغماض العيون كناية عن عدم إِبصار الحقائق (انظر البيت 2198 من الكتاب الأول و 572 من الكتاب الثاني وعن إغماض العيون انظر الكتاب الثالث ، البيت 1109 وشروحه) ، وعن الضعف في البصر أو العلل في البصر ، انظر (673 و 1444 من الكتاب الرابع) ، وهؤلاء جميعا يريدون بنفاجهم وإدعاءاتهم المريدين والاتباع والمشجعين ، إنهم يبيعون بضاعة فاسدة فلا يشتريها إلا من فسدت أذواقهم ضَعُف الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ إنهم يفتون بلا رؤية ، يصفون دون بصر ونظر ويتحدثون عما لا يعرفون " يملأون " الأنظار فحسب ، لكنهم لا يملأون القلوب ، وما مشتريهم إلا جاهل غمر أو ريفي غفل (لمعاني الريفي عند مولانا جلال الدين ، انظر : الكتاب الثالث ، الأبيات 642 - 646 وشروحها) ، وما القمر في هذه الأبيات إلا مثال لسطوع الحقيقة وعالم الغيب ، فإذا كان هذا ديدنهم في الحقائق الساطعة فما بالك بهم في خفيات الأمور .

(1461 - 1465) : المشتري هنا هو الله سبحانه وتعالى الله اشترى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ (التوبة / 111) ، (انظر الكتاب الأول ، 2721) .

قال نجم الدين : أي يبذلون النفس لأجل الجهاد الأصغر فيقتلون أي يطلبون الجنة بصرف المال في مصالح الجهاد وبذل النفس فإما أن يقتلوا الأعداء فهم الغزاة فلهم الجنة وإما أن تقتلهم الأعداء فهم الشهداء فلهم الجنة ، والجهاد الأكبر مع النفس المتمردة يجاهدون في سبيل الله أي في طلب الله ،

وهو لأهل الجهاد الأكبر فيقتلون ويقتلون أي يقتلون النفس الأمارة بالسوء بسيف الصدق ومخالفة هواها وتبديل أخلاقها وبذل المال في مصالح قتلها ، والجهاد معها فعند فنائها يصل العبد إلى ربه ويقتلون يعنى تقتل النفس بجذبات الألوهية وتجلى صفات الربوبية (مولوى 5 / 219 - 220) .

هذا هو المشتري الذي إذا تقربت منه شبرا تقرب منك ذراعا وإذا سعيت إليه مشيا سعى إليك هرولة ، وهو فوق كل شئ عالم بمبدئك ومنتهاك ، وضميرك ونجواك ، إنه " يشتريك " ، برغم ما يعلم عنك ويجذبك برسن لطفه ، ويدعوك ويناجيك

ويضع عفى فمك الدعاء ويهبك الاستجابة ، وإياك أن تجمع بينه وبين معشوق آخر ، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وهو الواحد الأحد يغفر كل شئ إلا أن يشرك به .

(1466 - 1472) : أي مشترر تعدله بالله سبحانه وتعالى ؟ ! وأية فائدة تتأتى منه ، أله قيمة عقلك وحجارك حتى تسلمه هذا العقل والحجى ؟ ! فلتسلم العقل والحجى لمن منه العقل والحجى ، وليس أولئك الذين تعرض عليهم الغالي وهم لا يملكون ثمن الرخيص ، وما هذا إلا من حرصك " والحريص محروم " ، (انظر البيت 1404 من هذا الكتاب)

والشيطان يدفعك إلى الحرص ويخوفك من الفقر ويأمرك بالفحشاء والمنكر ليجعلك ملعونا مثله ، فهكذا وعد لأَحْتَنِكَنَّ دُرَيْتَهُ أَجْمَعِينَ و لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ، هذا هو مشترريك في أية صورة كان وما أكثر الصور التي يتجسد فيها الشيطان في زماننا ، هذا هو مشترريك إن لم يشترك الله سبحانه وتعالى ، والشيطان ديدنه الإغواء والإهلاك فاعتبر بقوم لوط أو بأصحاب الفيل " أو بأصحاب الكرملين " ،

وتدبر أمرك ، وأطلب المشتري بصبر (وَاصْطَبِرْ عَلَى عِبَادَتِهِ) ، وإلا كنت في التعساء الأشقياء الفنانين " لأنهم لم يبقوا ببقاء الحق " ، (انظر مقدمة الترجمة العربية من الكتاب الثالث) وإن كنت تريد مثالا على أن الحريص محروم فإليك المثال مما ورد عن أهل ضروان .

(1473) : الحكاية الواردة ابتداء من هذا البيت تكملة لما بدأه مولانا جلال الدين في الكتاب الثالث بداية من البيت 474 ، وتركها بعد بضعة أبيات دون أن يستمر فيها وهي بجملتها معتمدة - بخلاف بعض الجزئيات - على ما ورد في سورة القلم إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ وَغَدُوا عَلَى حَرِّ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ، قال أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ ، قالوا

سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (آيات 17 - 32)
وموضوع أنه كان يخرج زكاة المحصول كلما تغيرت قيمة المحصول " المادية والاستهلاكية " ،
تثير مسألة فقهية مهمة جدا وهي هل تجب الزكاة على المحصول مرة واحدة أم تجب عليه كلما
تغيرت قيمته ، أو تحول من مادة خام إلى سلعة صناعية وربما تعرض لها الشارع في باب زكاة
الثمار وفيها أقوال كثيرة يضيق المجال عن ذكرها
(انظر محمد جواد مغنية ، الفقه على المذاهب الخمسة ، ص 174 ، بيروت دار الجواد
1984) .

وبالنسبة للعين المقدرة اللواقب الواردة في 1473 ،
انظر الفرق بينها وبين العين الناضرة إلى المزود البيت 2595 - من الكتاب الأول ، و 1572
من الكتاب الثاني وأيضاً في الكتاب الثالث ، الأبيات رقم 276 - 278 وشروحها . وضروان
حديقة كانت بالقرب من صنعاء .

(1488 - 1499) : المقصود من محل الكسب أو موضع الدخل كما سيتضح هو الحضرة
الإلهية ، وما الزرع بالنسبة للزارع وما الجلد بالنسبة للإسكافي إلا أسباب أو كما يحلو لمولانا
جلال الدين تسميتها " دريئات " ، أي مظاهر تخفى الحقيقة وتنوب عنها ، وإلا فمن الممكن أن
يصنع الخفاف أخفاف ولا يشتريها أحد ، ومن الممكن للزارع أن يزرع ، فإن تأخر الزرع في
النمو ، لم يجد أمامه إلا الحضرة الإلهية فهي أصل الرزق ، وكلها طرق " أسباب " ، هَلْ مِنْ
خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (فاطر / 3) ،
وإذا كان الأمر كذلك فأعلم أن رزقك فيه لا من هذا وذاك ، ونشوتك وسركك بالفيوضات لا من
أي مخدر أو خمر تتعاطاه ، وكن آملا في عطائه لا في عطاء يؤول لك من علم أو يؤول لك من
مال ، واطلب النصر منه لا من قومك وعصبتك فهو الحي الباقي كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ،
وذاات يوم سوف تصير أمامه فردا ، فكن باقيا ببقائه حتى لا تفنى أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ (الأنبياء / 105) .

(1500 - 1513) : يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (عبس / 34 - 37) .

ألم تكن هذه هي الصور التي افترنت بها وانصرفت عن صورها ؟ ! سوف تكتشف في هذا اليوم أن كل هؤلاء كانوا أعداء لك ، كانوا يصرفونك عن وجه الله ، كنت تأتنس بهم ناسيا الأنس بالله ، كان رأيهم فيك يهكم ، ولا تقيس ما تفعل بما يرضى الله وبما يغضبه ، فهيأ إن حدث لك اليوم إن انصرفوا عنك ، فلا تحزن ، لأن هذا ليس سببا للحزن بل هو مدعاة للسعادة ، فإن ذلك اليوم الذي يكون فيها لأخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (الزخرف / 67)

قد عجل لك صارت القيامة واقعا بالنسبة لك ، إنك جدير بالتهنئة لأنك أدركت عيب البضاعة المعيوبية مبكرا ، وانصرف عنك غرم السلعة الفاسدة وانكشف لك زيف ذلك المعدن الخسيس الذي كنت تظنه ذهباً ومن ثم فعليك أن تبتعد عنه بأسرع ما يمكنك .

(1514 - 1525) : مالك تبكى وتتوح إن أبدى لك من تظنه صديقا العداوة ، وطفح عليه جرب حقه وحسده ، وظهرت على وجهه سخائم قلبه ، أولى بك أن تفرح وتوزع الصدقات أن تلك العلاقة التي كنت تظنها صداقة لم تدم طويلا .

(انظر الكتاب الرابع ، الترجمة العربية ، الأبيات 94 - 99 وشروحها) . وأن يكون هذا مدعاة للبحث عن الصديق السرمدي الدائم ، الذي يخلص لك الود ولا ينقلب عليك ، تظهر مودته أكثر توثقا بعد موتك ، إنه عملك ، أو شيخك أو ذلك الذي يكون سلطانا على القلوب وملكا على المعاني ، ويثيب ودك ودا ، وإخلاصك إخلاصا ، أو يكون قد تخلق بأخلاق هذا السلطان وصار ربانيا تقبل شفاعته ، إن هذا هو الجدير حقا بالصدقة وليس ذلك المزور المحتال الذي نجوت منه ، إن النجاة منه وذلك الجفاء الذي يبديه لك الخلق هو من كنوز الدنيا والآخرة ، فالإنسان لابد أن ينتمى ولا بد أن يختار ، إما أن يكون من هذه الناحية

(الدنيا) أو من تلك الناحية (الآخرة) ، وألم تبصر عشرات المرات أن الدنيا عندما تدبر عن إنسان ويفتح عينيه فجأة فيجد من كان يظنهم أصدقاءه مجرد منتفعين وأقاربه

مجرد " ورثة " ، أليس من الطبيعي أن يلجأ إلى الناحية الأخرى ، لا تقل أن هذه نظرة تشاؤم وسوء ظن بالناس ، فحتى إن لم يكن قد حدث لك ذلك حتى الآن ، فسوف يحدث عندما تغادر هذه الدنيا وينقطع نفع المنتفع منك ، تكون وحدك في القبر تدعو دعاء ذكريا عليه السَّلام رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (الأنبياء 89) سوف تجار بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى حين تدرك أن جفائه سبحانه وتعالى خير من عهود الأوفياء ، فإنه سبحانه وتعالى قد يغفر بعد التوبة وقد يبذل السيئات حسنات ، إن هذا الجفاء أحلى من عهود الأوفياء ، بل إن شهد الأوفياء من عطائك أيضاً .

(1526 - 1529) : وأنت يا صاحب الأهرام الذي لا تزال تخزن القمح وتظن أن في ذلك نفعاً ، أبذر قمحك في أرض الله ، أنفقه في سبيل الله ، فإن هذه هي التجارة التي لن تبور ، اجعل كل عملك وقدرتك في سبيل الله (انظر الكتاب الرابع ، بيت 1089) .
إن هذا هو المال الذي لا يسرقه لص ، وهذا هو القمح الذي لا يصاب بآفة ، فلا أرضة العقل والتدبير تصيبه ولا شيطان الهوى ، ودعك من الشيطان الذي يخوفك من الفقر ، ويأمرك بالفحشاء ويمنعك من الإنفاق ، فإن كنت صقرا جارحا في الطريق ، فلا تجعل هذه " القطا " تصيدك .

فمن العار لبازي السلطان (انظر البيت رقم 1135 من الكتاب الثاني) ، الذي أعزه السلطان وكرمه ورزقه في البر والبحر وقربه منه ، أن يصيده طائر ضعيف مثل القطاة .

(1530 - 1536) : عودة إلى الأب الذي يوصي أبناءه ، لكن نصيحة لم تجد نفعا ، كما لا تنفع البذور في الأرض البور ، لم تكن مداركهم تقوى على هذه الحقائق وهم أهل ظاهر وحساب مكسب وخسارة و " دخل عام " ، و " دخل خاص " ، فالأب إنما يتكلم بلغة ، أما الأبناء فيتعاملون بلغة أخرى ، ولغته ونصيحته إنما وتعيها أدنُّ واعية (الحاقة / 12) ،

وإن الذكرى تكون لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، قال نجم الدين كبرى : " هو القلب السليم من تعلقات الكونين فالقلوب أربعة ، قلب القاسى وهو قلب الكافر وقلب مقفول وهو قلب المنافق وقلب مطمئن وهو قلب المؤمن وقلب سليم وهو قلب المحبين والمحبوبين الذين هم مرآة صفات جلال الله وجماله أو ألقى السمع وهو شهيد أي من لم يكن له قلب على هذه الصفة لا يكون له سمع يسمع بالله وهو حاضر مع الله فيعتبر بما يشير إليه الله في إظهار اللطف أو القهر (مولوى 5 / 228 - 229) .

وعندما لا يكون ثم مستمع ، أو يكون هناك مستمع لكنه لا يهتم ، فإن القائل نفسه يصاب بالإحباط

(لشروح أوسع لهذه الفكرة ، انظر الكتاب الثالث من المثنوى المعنوي ، الأبيات 3604 - 3619 وشروحها) والدليل الأنبياء ، لقد أثرت أنفاس بعضهم في الحجر (كان الحجر يؤوب مع داود) وتحدث الحجر إلى داود وقال خذني معك لقتال جالوت (انظر الكتاب الثالث ، البيت 2497) ، لكن قلوب الكفرة وغير المنتصحين أشد قسوة ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ (البقرة / 74) .

لكن قيد الكفر أشد إحكاما وأشد قسوة ، وقيد الأنية وعبادة الذات أشد إحكاما وقسوة ، ومن ضرب عليه بميسم الشقاء لا يدرك شيئا ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، ومنهم شقى وسعيد (بالنسبة للشقى ، انظر البيت 2134 من الكتاب الثالث) .

(1537 - 1546) : يناقش مولانا في هذه الأبيات قضية غالبا ما تثار على مستويات عديدة : هل العطايا على مستوى القابليات بالفعل ، وهل يعطى الله الإنسان بقدر تقبله ؟ !

هل يعطى الله الإنسان لأنه جدير بالعطية ؟ ! أم أن عطاءه سبحانه وتعالى ليس مستندا على سبب من الأسباب ، أو على الأقل تلك الأسباب التي تعيها مداركنا ؟ ! لماذا ترك سبحانه وتعالى هذه القلوب القاسية التي لا حيلة لها إلا عطاء مبدل ، وهل يكون العطاء المبدل للقلوب القاسية ، يجيب الصوفية : " فإن قلت أن الله تعالى يتجلى على العبد بحسب قابليته واستعداده فكيف تكون لغير القابل ، فتجاب أن الله تعالى له فيضان :

فيض أقدم وفيض مقدس ، فالفيض الأقدس الفيض الآتي في الذات الإلهية إلى الأعيان الثابتة فإنه عار من شوائب الكثرة مثاله كالنور الآتي من قرص الشمس إلى الزجاجات المتنوعة ، والفيض المقدس الفيض الآتي على الأرواح من أعيان ثابتة كل أحد مناسب لاستعداده الأزلي مثاله كالألوان المختلفة والأنوار المتكونة من الزجاجات المتنوعة داخل البيت ، فالفيض الأقدس ليس موقوفا على القابلية والفيض المقدس يكون على حسب استعداد أزلي كل أحد ، فالقابلية شرط فيه وهذا هو معنى قولهم : إن الله يتجلى على العبد بحسب استعداد وقابليته (مولوى 5 / 230) (انقروى 5 / 466)

ويفسر جعفري القابلية بأنها " مراعاة الطبيعة " فنطفة الرجل لا تتحول إلى بشر إن وضعت في تراب وشجرة اللوز لا تنمو على الماء ، فالسببية قائمة لكن هذه الأمور لا تجرى على الله سبحانه وتعالى ، وقوانين العلة والمعلول لا تقيد به جل وعلا من أن يفعل من يشاء فهو الفعال لما يريد (جعفري 110 / 496) فعطاؤه بلا علة وبلا سبب فهي أمور أزلية وقديمة ولا تجرى عليها ما تجرى على الحادث من أمور

وأسباب (أنظر للحدوث والقدم : الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 1313 - 1315) ،
فهذا العطاء " لم يقل الفيض ولم يقل النور " عطاء أعلى ومن ثم يضرب به المثل " كالعصا في
يد موسى واليد البيضاء وبقية معجزات الأنبياء فكلها خرقٌ للطبيعة وعوامل السببية " ولو كان
الأمر بالسببية لما خلق وجود من عدم فأية علة أو سببية أو صلة بين الوجود والعدم ، تريد
معجزة ؟ وجودك في حد ذاته معجزة ، وإن كل ما تسميه معجزة هو خرق العادة ، لكن لماذا
جعل الله الأسباب ؟ يقول السبزواري

(ص 366) إن كلام مولانا في هذا المجال من قبيل التوحيد المحض حيث ينتفى الاسم والرسم
والقابل والمقبول وحقيقة الوجود مقدمة على كل التعينات بل إن هناك وجودات خاصة لها تقدم
بالأحقية على المهيآت الإمكانية فهي مجرد قابليات ذهنية فالعطيات بقدر القابليات هي في مقام
الواحدية واعتبار مفاهيم الأسماء والصفات الاعتبارية للأعيان الثابتة ومن هنا يقول العارفون
الشامخون أن كل عين ثابتة في العلم الأزلي يستدعي وجوداً لا تقابها ، وما عامل معهم إلا بما
علم منهم في الأزل ، ومفاهيم الأسماء والصفات لوازم غير متأخرة في الوجود بالنسبة للذات
الأقدس .

والمقصود بالعز في البيت 1546 أي العز الدنيوي الذي لا بد له من أسباب وطرق ، وإن كان
من الممكن أن يحدث أيضاً بلا سبب .

(1547 - 1555) : أسير السبب ، هو الذي يضع كل الأمور في إطارها العقلاني الذي يعتمد
على روابط السببية والعلية ، إياك أن تظن أننا ننفي السببية ، إن هذا الأمر لا يستطيعه أي إنسان
، فابق على ديدنك من التفكير ، لكن لا تشك في قدرة الحق على أن يجرى الأمور دون أسباب ،
لكنه يضع الأسباب حتى لا يقعد الطالب عن مطلوبه ، ولا يقعه عن سعيه اعتماداً على أن الله
سبحانه وتعالى قد يجرى الأمور دون أسبابها ، وقليلٌ ما هم أولئك الذين يعتمدون على وعيهم
الباطني من أجل النظر إلى الأمور مباشرة وإدراكها في غير إطار السببية ، فهذه السببية حجب
على صنعه تحجب رؤية الأمور مباشرة ، ورؤية الأشياء كما هي ،
والنظر إلى المسبب دون الأسباب ، حينذاك تبصر عالماً خارجاً عن حدود المكان والزمان ،
وحينئذ تحتقر كل هذه المشاغل الدنيوية التي وضعها الله سبحانه وتعالى من أجل أن يعمر هذا
السوق القائم على الغفلة " لتفصيلات عن فكرة أن الدنيا قائمة على الغفلة ، انظر الكتاب الرابع
الأبيات 238 - 241 والأبيات 1327 - 1330 وشروحها " ،
إذن لا بد لنظام الدنيا من وجود الأسباب وإلا لما استطاع أحد أن يقوم بضبطها ، ولتحولت إلى
غابة ينال القوى فيها كل شئ ولا يترك شيئاً للضعيف

(1556) : الرواية التي تبدأ بهذا البيت ، أقدم مصدر لها حديثٌ منسوبٌ إلى الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم روى أبو موسى " إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود والأصفر ، ومن ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب " ومفهوم هذا الخبر المروى ما روى أيضاً عن وهب بن منبه "

لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض أي أفهمها إني جاعلٌ منك خليفة ، فمنهم من يطيعني فأدخله الجنة ، ومنهم من يعصيني فأدخله النار ، فبكت الأرض فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة ، وبعث الله جبرائيل ليأتيه بقبضة منها من جوانبها الأربعة من أسودها وأبيضها وأحمرها وأطيبها وأخبثها ، قالت الأرض : بالله الذي أرسلك لا تأخذ مني شيئاً فان منافع القرب إلى السلطان كثيرة لكنه فيه خطراً عظيماً ،

فرجع جبريل عليه السلام فلم يأخذ منها شيئاً فقال يا رب حلقتني الأرض باسمك العظيم فكرهت أن آخذ منها شيئاً ، فأرسل الله تعالى ميكائيل فلما انتهى إليها قالت الأرض له كما قالت لجبريل ، فرجع ميكائيل

فقال كما قال جبريل ، فأرسل الله إسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيئاً وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل ، فأرسل الله ملك الموت عليه السلام فلما انتهى قالت الأرض : أعوذ بعزة الله الذي أرسلك ألا تقبض من اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيب غدا فقال ملك الموت : وأنا أعوذ بعزته أن لا أعصى له أمراً ، فقبض قبضة من وجه الأرض مقدار أربعين ذراعاً من زواياها الأربعة فصار كل ذرة منها أصل بدن الإنسان فإذا مات يدفن في الموضع الذي أخذت منه ، فأمر عزرائيل فوضع ما أخذ من الأرض في وادي نعمان بين مكة والطائف " (المولوي 5 / 232 - 233 - الانقروى 5 / 371 مأخذ 170 - 171)

والرواية تروى في معرض بيان الأصل في خلق الإنسان و ، أن الأرض نفسها لم تكن تريد أن يخلق منها الإنسان من أجل ألا يعصى ، فيؤخذ بمعصيته ويمضى إلى النار ، فضلاً عن تعرضه لبلايا العيش في الدنيا .

(1563 - 1564) : اللوح الكلى هو اللوح المحفوظ في رأى ، وهو أيضاً اللوح الذي وضع الله عليه علمه ، وأوضحه لجبريل ليبلغه إلى الملائكة .

(1565 - 1575) : جبريل هو الروح الأمين ، وهو حياة الروح ، ومن ثم صار سفيراً إلى الأنبياء بالكتب التي هي حياة للروح ، ورزق القلب هو العلم والحكمة وفيض الشيخ ،

(انظر الكتاب الأول البيت 730) ويوازن بين عطاء جبريل وعطاء ميكائيل عطاء الروح وعطاء البدن ، وكيل لا يحده حد ، وكيل محدود ، وهو يطلب الرحمة لأن الرحمة سبقت الغضب ، إشارة إلى الحديث القدسي " سبقت رحمتي غضبي " وقد تكرر في أكثر من موضع في أجزاء المثنوى الستة ، أما ذكر مولانا جلال الدين في خطاب الأرض لجبريل أنه مع الملائكة الثلاثة الآخرين حملة العرش ، ثم ذكره في البيت التالي إن حملة العرش ثمانية فيفسره المولوي على أن حملة العرش في الحياة الدنيا أربعة وفي الآخرة يمدهم بأربعة آخرين فيصبحون ثمانية إشارة إلى ما ورد في سورة الحاقة وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ (آية 17) (مولوى 5 / 234) .

(1580) : بالنسبة لقوة جبرائيل أنظر المثنوى الكتاب الثالث الأبيات 1 - 5 والكتاب الرابع الأبيات 3767 - 3770 وشروحها) .

(1581) : من أجل فكرة أن الملائكة أيضاً تلاميذ لآدم عليه السلام أنظر " الكتاب الأول من المثنوى - الأبيات 1256 - 1258 وشروحها) .

(1586) : يذهب استعلامي (5 / 292) أن مولانا هنا يخطئ عندما يربط بين ظاهر اسم ميكائيل وبين ما يراه وظيفة له وهي كيل الأرزاق على أساس أن الاسم في أصله لا يعطى هذا المعنى ، والواقع أن مولانا جلال الدين الرومي ليس أول من ربط بين اسم ميكائيل والكيل فهو ربط متأثر وتقليدى في التراث الإسلامي .

(1596) : ربما كان مولانا في هذا المعنى ناظراً إلى الحديث النبوي الشريف [ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله] (استعلامي 5 / 292 والكتاب الثالث البيت 1818 والكتاب الثاني الأبيات 446 - 447 والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 133 - 144 وشروحها) . (1599 - 1605) : الكلام على لسان ميكائيل في الظاهر ، لكنها إفاضات مولانا جلال الدين : إن المراد بالصلاة هي أن يتضرع العبد إلى الحضرة الإلهية خمس مرات في اليوم ، فإن الله يحب أن يسمع ضراعة عبده وإنما يبتليه ليعلم ضراعة ، (انظر الكتاب الثالث الأبيات 197 - 207 وشروحها) التضرع إلى الله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان دائماً يحس بالضالة ويسعى إلى التكامل ويحيا على أمل في أن تسد فرجه ، وتجبر كسائره ، ولولا الدعاء والتضرع إلى الحضرة الإلهية لقتل الغم أناساً ، ولقتل الطغيان وإحساس القوة أناساً

آخرين (لفلسفة جديدة عن الدعاء أنظر على شريعتي رسالة الذكر والذاكرين ضمن المجموعة الجديدة تحت عنوان عن التشيع والثورة - دار الأمين - القاهرة 1996) وفي الأبيات 1604 و 1605 إشارة إلى الآية الكريمة قُلُوْا لَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا تَضَرَّعُوا ، وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام 43) ، وهكذا تقضى قسوة القلب والرين الذي يجعل القلوب لا تفقه إلى أن العاصي والكافر كليهما ينظران إلى أعمالها وكأنها عين الصواب وغاية المرتجى ، لأن الله سبحانه وتعالى سد أمامها طريق الدعوة وطريق التوبة .

(1608) : يفرق مولانا جلال الدين في العنوان بين رأيين في الدعاء الرأي الأول هو رأى عموم المسلمين وهو أن الدعاء إلى العتبة الإلهية قد يرد البلاء لأن الله سبحانه وتعالى فاعل ومختار ويمحو ما يشاء ويثبت وهو القائل ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ يُبَيِّنُ رَأْيَ أُولَئِكَ الْفَلَسَفَةِ (والفيلسوف في مصطلح جلال الدين مرادف للمنكر) الذين يقولون أن الله فاعل بالطبيعة ، ومن ثم فإن الدعاء لا يغير من الأمر شيئاً (وهناك من الصوفية من ينكر الدعاء على أساس أنه تدخل في مشيئة الله وعدم صبر على البلاء (أنظر الكتاب الثالث قصة الدقوقي) والمثل المضروب عن قوم يونس عليه السلام يعتمد على الآية الكريمة قُلُوْا لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (يونس 98)

قال قتادة في تفسير هذه الآية : لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب إلا قوم يونس ، لما فقدوا بينهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم ، قذف الله في قلوبهم التوبة ، ولبسوا المسوح ، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجلوا إلى الله أربعين ليلة ، فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف عنهم العذاب (مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد على الصابوني المجلد الثاني ص 208 ، ط 3 ، دار القرآن الكريم ، بيروت 1399 هـ) .

(1619) : إشارة إلى حديث نبوي شريف : قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ليس شئ أحب إلى الله من قطرتين ، قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم يراق في سبيل الله] (جعفري 117 / 513) وللحديث صورة أخرى أكثر وثوقاً [عيان لا يعذبهما الله يوم القيامة ، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله] (الجامع الصغير) .

(1620) : عودة إلى قصة أخذ حفنة من التراب من الأرض ، ويرسل الله تعالى الملاك الثالث إسرافيل صاحب نفخ الصور . وفي رواية عن الأنقروى بعد أن روى الرواية الواردة

في شرح البيت 3755 من الكتاب الرابع عن تجلى جبريل بصورته الجسدية لسيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم " فلما أفاق قال يا جبريل ما ظننت أن أحداً من خلق الله هكذا فقال جبريل : يا رسول الله : كيف لو رأيت إسرائيل إن العرش على رأسه وأن رجليه قد مرقتا في تخوم الأرض ، وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالعصفور . وفي المصابيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم [إن الله خلق إسرائيل عليه السلام يوم خلقه ضاماً قدميه لا يرفع بصره ، بينه وبين الرب سبعون نوراً ما منها من نور يدنو منه إلا احترق] (انقروى 5 / 381) .

(1624 - 1625) : تصور الدنيا هنا بكرلاء حيث مصرع الحسين رضي الله عنه وآل بيت الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم على أساس أنها دار الكرب والبلاء فما خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ.

(1628 - 1638) : يخرج مولانا جلال الدين عن محاولة إسرائيل اخذ حفنة تراب من الأرض ويتحدث عن أنهار الرحمة الجارية تحت العرش والواردة في سورة محمد مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى (آية 15) وقد ربط مولانا بين هذه الأنهار وبين أعمال المتقين (انظر الكتاب الثالث الأبيات 3462 - 3467 وشروحها)

وعن الجرعة التي انصبت من هذه الأنهار انظر فكرة تعد مثيلتها عن جرعة الحسن التي ألقيت على الأرض في شرح الأبيات 372 - 379 من الكتاب الذي بين أيدينا ، وعن تأثير هذه الفكرة في النزعة الإنسانية عند مولانا انظر مقدمة الكتاب الرابع من المثنوى ص 14 حيث يدق على الفكرة القائلة أن الخليقة هنا جزء من كل جزء ملوث من كل طاهر وأن هذا الجزء نزاع إلى الكل مشتاق إليه ، وعن رحلة الماء من طهر إلى كدر ثم طهر مرة ثانية انظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 200 - 210 وشروحها) .

(1649 - 1659) : روى في حق عزرائيل عن كعب الأحبار قال : قال صَلَّى الله عليه وسلّم خلق الله عزرائيل عليه السلام بحيث كان رجلاه في تخوم الأرضين ورأسه في السماء العليا ووجهه يقابل اللوح المحفوظ وله أعوان بعدد من يموت ، والخلق كلهم بين عينيه ، لا يقبض روح مخلوق إلا بعد أن يتوفى رزقه وينقضى أجله (انقروى 5 / 385) والتراب صاحب الخيال والأوهام أي الذي يظن أنه بتضرعه هذا يستطيع أن يحول قدره وأن يرد قضاء الله

عليه ، والإنسان لا يزال يلجأ إلى خياله وأوهامه ويحولها إلى آداب وفنون رغبة في الخلود ، والخلود لله سبحانه وتعالى وحده ، ويصور الأرض أيضاً بأنها عجوز ضعيفة لكنها ظالمة ، منها سوف يخلق الإنسان الضعيف الظلوم الجهول ، وعزرائيل عليه السلام يوصف بأنه مطاع ثم أمين على أساس أنه لا يستطيع أن يحيد عن رسالة حملها له الله سبحانه وتعالى وهو القابض للأرواح الحازم ، وعندما تقول الأرض : إن الله تعالى أمر أيضاً بالحلم ، فلماذا لا ينفذ الأمر بالحلم ؟ يرد عزرائيل بأن هذا الأمر تأويل وقياس ، والتأويل تفسير الآيات والأحكام بوفق إدراك المرء وفي سبيل منفعته (انظر الكتاب الأول الأبيات 1085 - 1088 و 3756 وشروحها) والقياس هو الاستدلال في حكم كلى وتعميمه على حكم جزئي ، وهذا كله في رأى لمولانا جلال الدين من قبيل الالتباس ، فأول نفسك ولا تؤول حكم الله أي كن مستعداً لقبول أحكام الله إياً كانت ، وأول فكرك أنت وإياك وتأويل غير المشتبه من الآيات ، وأنا مكلف بأداء أمانة ، والله أمر برد الأمانات إلى أهلها .

(1660 - 1664) : هل يكون الموت ضرراً في كل الحالات ؟ بل هل يكون الموت ضرراً في أية حالة في حالاته ؟ حتى ذلك الذي يعاني الألم ألا يكون الموت راحة له في النهاية ، وأليس اليتيم الذي يصفعه الموت قد يفيق ويواجه الحياة خالية من تدليل الأب أو الأم فيكون أكثر فلاحاً ونجاحاً مما لو كان أبوه حياً يبسط ظل حنانه عليه ؟ ألا تكون صفة الموت في النهاية أكثر حناناً من حلوى يقدمها مفسد أو مستغل ؟ ، يقول سنائي أن الموت ليس شراً في كل أحواله ، فمنه يكون لك المال والميراث أليس موت الشيخ قبل ولده الشاب المريض رحمة به ؟

(1665 - 1669) : لا يزال الكلام على لسان عزرائيل لكن هذا الجزء يبدو من إفاضات مولانا جلال الدين الذي لا يزال يدق على أن هناك لطفاً مخفياً في القهر كما يختفى العقيق في الحدث ، فإن هذا اللطف وإن اختفى في القهر فإنه لا يخلو من الحكمة الإلهية ، إذ لا يصدر عن الكريم إلا الكرم ولا يخلق ربنا شيئاً عبثاً ، ووسعت رحمته كل شئ ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم (عن تفصيلات لفكرة اللطف المخفى في القهر والقهر المخفى في اللطف انظر الكتاب الثالث الأبيات 3266 وشروحها والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 421 - 455 وشروحها) أليس تسليم الروح يبدو لك قهراً ؟

إنه ليس قهراً في الحقيقة ، إنه انتقال إلى مرحلة أعظم وأجمل من العمر ، إن البقاء الحقيقي

في الفناء (انظر مقدمة الكتاب الثالث - وعن الموت كبوابة لحياة أفضل انظر الأبيات 3537 - 3555 وشروحها من الكتاب الثالث) وإياك أينها الأرض أن تعتبرى استدعاءه لك قهراً ، أنه عين اللطف :

مثل تلك اللطافة والحسن والجمال الذي يهب الروح ويصير عنه إنسان ، فما أعجبه من شقاء وما أعجبه من ضلال إنني بازى على ساعد السلطان ، وها أنا أعود إلى ساعد السلطان عندما أسمع صوت " ارجعي " من الطبول والمقارع فكيف لا تطير الروح عندما يأتيها من جناب ذي الجلال خطاب اللطف منادياً إياها أن تعالى (كليات ديوان شمس تبريزى غزل سنة 1353 ، ص 525)

(1676 - 1682) : الأمر الذي أثار الغبار من قلب البحر إشارة إلى انشقاق البحر لبنى إسرائيل ، والأبيات الواردة على لسان عزرائيل في التوحيد والتمجيد والتسليم المطلق للخالق المتعال الذي هو أعز من الروح (انظر البيت 3693 من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وهو الذي لا يأخذ بل يعطى أنه لا يأخذ الروح بل يهب في مقابلها آلاف الأرواح (الكتاب الأول البيت 246 ، فهو يأخذ نصف حياة ويعطى بدلاً منه مائة حياة ، بل هو يعطى ما ليس يخطر لك ببال وانظر الأبيات 221 - 246 من نفس الكتاب الأول) ، وإحراق الكليم من أجل برغوث مثل فارسي يضرب لمن يضحي بالغال في سبيل الرخيص ، وورد أيضاً عند سنائي (البيت 7017 من حديقة الحقيقة) وماذا يكون عزرائيل بكل ما يوحيه اسمه من خوف ورعب ؟ مجرد سنان في كف الخالق ، انظر كيف حول مولانا جلال الدين الأرض إلى كائن حي يبكى ويتضرع ثم ساق كل معانيه لتشمل الخليقة كلها والأحياء كلهم ؟

(1683 - 1693) : وردت الترجمة العربية لقول أبي اليزيد البسطامي عند إسماعيل الأنقروى " إني أكرم الله منذ ثلاثين سنة وأسمع منه والناس يظنون أنى أكلهم وأسمع منهم " (5 / 391) في حين قال استعلامى (5 / 297) أن هذا القول لم ينسب إليه في مصدر من مصادر التصوف ، أما المثل فلم أعثر له على أصل ، والمراد بالأبيات أن القدرة الإلهية تجعل كل مخلوق ميسراً لما خلق له قائماً به ، سواء كان كأساً يهب الانتشاء أو خنجراً يفضى إلى الهلاك أو عيناً تفيض بالماء ، أو ناراً تهب الدفء وتنشر اللهب ، أو مطراً

يؤدي إلى الخير ، أو رمحاً ينفذ في الأجساد ، وليس الأمر هنا بجبر أو أن فاعل الشر مجبر عليه (انظر العدل قسام وجدير بالقسمة الكتاب الرابع الأبيات 1643 - 1644 وشروحها) .
وما هذا كله إلا لأن قلب المؤمن وهو أصل الفكر وأصل العمل وأصل الاتجاه بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ، (حديث نبوي) ، لقد حمل التراب في النهاية كما تحمل الطفل الهارب إلى المكتب ، بالطبع لكي يتعلم ولكي يدرك حكمة الخالق ، الذي لا يفعل شيئاً عبثاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

(1694 - 1709) : يقول الله تعالى لعزرائيل بعد أن نجح في مهمته : لقد قررت وهذا موجود في سابق علمي ، أو يقول بحق علمي المطلق لأجعلنك أنت قابضاً لأرواح الخلق وجلاداً لهم وأنه سبحانه وتعالى سوف يحميه من عداوتهم المفترضة بأن يجعل للموت أسباباً من أمراض وعداوات وإحن (انظر الكتاب الرابع الأبيات 3102 - 3107 وشروحها)

لكن هؤلاء أمرهم سهل ، أولئك الذين يأخذون الأمور على ظواهرها ، لكن هناك أيضاً من عبادك يا الله من ينفذون من حجب الأسباب (لمناقشة الأسباب والمسبب والاختلاف في النظرة بينهما انظر الكتاب الذي بين أيدينا 1543 - 1555 وشروحها)

ويحتج عزرائيل بأنهم لن ينظروا إلى هذه الأمراض : فلا موت هناك بالمرض بل الموت بالأجل ، وأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق داءً إلا وخلق له دواء ، ولكل داء دواء يستطب به (إلا الحماسة) لكن القضاء والأجل عندما يحم ، فلا من بر ولا بحر يقي ، ولا دواء ينفع ولا علاج ، ينفذ البرد إلى الجسد من خلال مائة فراء ، ويصاب الجسد برعشة وإذا جاء القضاء وإذا حم القضاء فلا طبيب ، وإن الله إذا أراد إنفاذ أمر سلب كل ذي لب لبه " حديث نبوي " (استعلامي 5 / 298 الكتاب الأول 1234 - 1241)

هذا هو الأصل ، الأجل والقضاء ، والأمراض والعلل وعداوات الخصوم وما إلى ذلك كلها فروع ، ومن ينظر إلى الأصول هم الكاملون وهم قليل ، وهم الذين اكتحلوا بكحل التوحيد فصاروا ينظرون إلى الأمور كما هي .

(1710 - 1727) : وهذا هو ما أقصده تماماً ، أولئك العلماء بالأصول والذين لا ينظرون إلى الأسباب لن يفكروا فيك ولن ينظروا إليك على أساس أنك القائم بالأمر ، إنك حجاب سواء عند العوام وعند الخواص ، أنت مخفى عن العوام ، وأنت عند الخواص مجرد دريئة وحجاب ، أنت مخفى عن العوام ظاهر في الموت ، وأنت عند الخواص مجرد حجاب على فعلی ، إذ أنى أنا الفعال وأنت الأداة ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، وهؤلاء أصلاً

لا يهتمون بما تقوم به أنت من عمل ، ولا يعتبرونه أمراً مكروهاً ، إذ يعلمون أنهم لا يموتون بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقاء ومن دار الفساد إلى دار الكون ، ومن اللذات الدنيوية الفانية إلى معدن اللذة ومنجم الجمال ومن النعيم الفاني إلى النعيم الباقي ، إنه ليس موتاً بالنسبة لهم بل هو عرس ، (انظر الكتاب الثالث الأبيات 3529 - 3536 وشروحها)
 إنه ليس سجناً في القبر بل هو إفراج من سجن الدنيا ، وأحرى بمن هم في سجن الدنيا أن يترقبوا الخلاص لا أن يضيقوا به ، تراك يا عزرائيل سوف تكون مكروهاً عند من يعلمون حقائق الأمور وأنت تنقب عليهم أبراج سجن الجسد لكي تنطلق أرواحهم تلك الطيور القدسية إلى سدرة المنتهى فتتخذ فيها أعشاشها ؟ إن السجين الذي يضيق بالحرية ويحب السجن هو الذي يكون خارجاً من السجن إلى المشنقة (الجحيم) لكن الكمل يعلمون أنهم يخرجون من السجن إلى الرياض والبساتين والقصور ، ألم تكن تحلم طوال وجودك في هذا السجن بالرياض والبساتين ؟ ! كان الليل يحررك أيها الفيل الحالم بالهند ،
 (انظر الدنيا ممثلة بالنوم أو بحلم النائم في الكتاب الرابع ، الأبيات 3650 - 3664 وشروحها ومن حلم الفيل بالهند أي حلم الإنسان بالجنة والنوم أخ للموت ، انظر من نفس الكتاب الأبيات 3060 - 3071 وشروحها) . إنه ليس موتاً إنه عرس ، ألسنت وأنت تحلم بالرياض والبساتين طيلة نومك في السجن تتمنى على الله ألا يوقظك من النوم ، وأليس من رحمة الله تعالى أن يقبضك في نومك إن كنت من أهل الصلاح فتنتقل إلى هذا النعيم الأزلي دون أن تذوق طعم شربة الموت ، وكيف يمكن أن يسمى هذا موتاً ، إنه عرس ، ولا يمكن أن يكون سوى عرس ، وفي ديوان شمس (موتنا هو عرس الأبد) ، (غزلية 833 ، ص 338) .

(1728 - 1742) : هذا هو الطريق الأسمى ، فكن دائماً من أجله في قيام ، قم قيام الشمع أمام المحراب في هذا الليل المظلم ليل الدنيا وليل الفتنة ، وليكن دليلك في هذا هو الطلب فمن قرع بابا ولج ولج (انظر من أجل تفصيلات عن الطلب الكتاب الثالث ، الأبيات 1440 - 1450 ، وعن الدمع وقيمة الدمع ، انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات 1599 - 1605) ، فليكن نظرك إلى السماء ، أليس أصل العطايا يأتي من السماء إلى الأرض ؟ فيما بالك تحزن إن حملت من الأرض إلى السماء ، وإياك أن تستكثر هذا على نفسك ، ألم تقم بالطلب في نهاية الأمر ؟ ! أليس كل طالب مجد يصل في النهاية إلى مطلوبه ، دوام على الطلب ، حتى يخرج قلبك ذلك السجين من جب الجسد ، ودعك من هؤلاء الذين سوف يكون

ويتحسرون على موتك ، إذا كان جسدك قد طوى في التراب فان الجنان الثمانية قد فتحت من أجلك (المعنى من حديقة سنائي ، انظر الأبيات : 265 - 280 وشروحها من الترجمة العربية لحديقة الحقيقة لكاتب هذه السطور) لقد استراحت الروح من اضرار الجسد ولم يعد يهتمها إن كان ثاويًا في روضة أو في مستودع قمامة ، ما دامت الروح موجودة في العالم السماوي تصيح : يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (يس / 26 - 27)

(انظر أيضاً الكتاب الثالث البيت 2018) إن السماء والعالم العلوي والأفلاك كلها مهياة من أجل حياة الروح الخالدة ، وماذا تعني إذن في السماء رزقكم وما تؤعدون (الذاريات / 22) ، هذا هو الرزق المعنوي ، راحة الروح وسرور العقل ، والحكمة التي لا تكسد والبصيرة التي لا تكل .

(1743 - 1748) : العبارة المنقولة في العنوان : " الجوع طعام الله يحيى به أبدان الصديقين " ، اعتبرها فروزانفر حديثاً نبوياً ، ونقلًا عن شرح التعرف على مذهب أهل التصوف لإبراهيم بن المستملى البخاري " أحاديث مثنوى ، ص 148 " ، وهناك حديث آخر " صوموا يوماً وأفطروا يوماً فإني لست كأحدكم إني أبييت عند ربي يطعمني ويسقيني " (أحاديث مثنوى / 36) ، (انظر الكتاب الأول البيت 3754)

(وعن الجوع انظر البيت 3036 من الكتاب الثالث) و " يرزقون فرحين " ، جزء من الآية الكريمة وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (آل عمران / 169 - 170) ، والدسم والقوت الشريف هو الغذاء الروحاني عند رجال الحق ، إنه لا يصيب بالامتلاء أو القولنج أو آلام الجسد ، بل تزيد به صحة ، وتمضي كلما ازدادت " أكلا " ، منه خفيفا حاذيا (انظر 1697 من هذا الكتاب) وضرب المثل بجوع طائر الزاغ لأنه يطلب العمر الطويل ويحرض على الدنيا (انظر البيت 45 من هذا الكتاب) ، أما غذاء الحكمة فيجعلك كالسفينة طافيا على هذا البحر الطامى العباب (الدنيا) .

(1749 - 1759) : ما هو السبيل للحصول على هذا القوت المعنوي ، إنه الصوم والانتظار ، اصبر واصمت وتحير وداوم على الطلب بقلبك لا بلسانك تنزل عليك مائدة الرحمة الإلهية ، إن شبع العين هو شبع القلب غير متعجل للعطاء غير ملول في انتظاره ، ترفع عقيرتك في طلب القوت كل لحظة ، فالشبع لا يتعجل الطعام ، صورة معاشة ، والشبع هو شبع النفس وليس شبع البطن فإنه لا يشبعها إلا التراب ، كن رجلاً صاحب همة ، ولا

تكن شحاذا ملحاحاً سمجاً ، فإن هذه الدولة التي يبلغ عطاؤها سبعين ضعف عطاء هذه الدولة " الموجودة على الأرض " ، والتي ينتظر الشحاذون عطاءها ، أما الأغنياء (بالله) فهم الذين ينتظرون العطاء من الله لا من سواه وينتظرون المائدة العلوية ، فانتظار المائدة العلوية نوع من العبادة وليس محنة كانتظار العطاء من طواغيت الأرض (عن هذا الانتظار ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات 1222 - 1225)

وفي النهاية فإن كل من ينتظر نوالاً من أرباب الدنيا قد يناله وقد لا يناله ، لكن منتظر عطاء الحق لا بد وأن يناله ، المهم أن يكون صاحب همة ، وأن يكون العطاء الذي يطلبه بقدر قيمة المعطى ، فالضيف الذي ينصرف إلى شرب الحساء على المائدة يدل على ضعف همته ، فينصرف المضيف عنه لكنه إذا قلل من شرب الحساء فإن المضيف سوف يأتي بالطعام الدسم ، لا تقل إنك جربت هذا ولم يحدث ، فمن قال لك أننا نتحدث عن هؤلاء الأخساء البخلاء ، إننا نتحدث عن الرزاق الكريم الذي لو أعطى كل امرئ ما يطلبه ما أنقص هذا من خزائنه مثال ذرة ، فاطلب بشموخ وكبرياء فإنما تطلب من العزيز العلى ، وحتى تسطع عليك شمس كرمة كما تسطع على قمم الجبال عن طلوعها .

(1760 - 1771) : ما ورد هنا يشبه ما ورد في الكتاب الثالث (الأبيات 3962 - 3985) منسوباً إلى جالينوس وإن كان مولانا يستعبد أن يكون جالينوس متعلقاً بالدنيا كل هذا التعلق برغم حكمته ، ونظرة مولانا إلى الموت مثل نظرة كل الصوفية ، انه بوابة إلى حياة أعظم وعرس وبداية مرحلة من الكمال الإنسانى تتبع مراحل وتتلوها مراحل أخرى ، وهذه النظرة بالطبع تختلف عن نظرة الكثيرين من شعراء الفرس ومنهم الفردوسي الذي قال : كانت الدنيا ستصبح جنة بأريجها وألوانها * لو لم يكن فيها الموت والشيخوخة (عن استعلامى 5 / 301) أو الخيام الذي أقام مناحة في رباعياته من جراء فناء ابن آدم بعد هذه الحياة الدنيا ، وقد يكون أحدهم المذكور في البيت 176 هو جالينوس ، أما الآخر المذكور في البيت 1761 الذي يرى قيمة الدنيا في أنها صائرة إلى الموت لأنه بلوغ الغاية ونيل الوصال فيشير السبزواري (ص 371) أنه الإمام على رضي الله عنه الذي قال جزى الله عنا الموت خيراً فإنه * أبر بنا من والدنا وأرأف يكون الأمر كما لو أن الخليقة عبارة عن بيدر من القمح بسط في واد فلا هو ذرى ، ولا

استخرج القمح منه ، ولا صنع منه الخبز ، فالموت هو الذي يصفى الحياة مرحلة بعد مرحلة ويجدها ، ولو لم يوجد لجأ الناس بالصرخ مطالبين به (انظر لتفصيل هذه الفكرة ، الكتاب الرابع ، الأبيات 3001 - 3008 وشروحها) ، وذلك الذي يكره الموت لم ير ميتاً حتى يسأله ، وأنداك سوق يكتشف أن الموتى لم يعانون قط حسرة الموت بل كانت حسرتهم كلها من أجل الفوت ، أي فوت فرصة العمل الصالح . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : [ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت] (انقروى 5 / 405) .

يتمنون لو يعودوا ليعملوا صالحا ، كلا ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ، إن الذي يقف عند ظاهر الحياة الدنيا ، يلعب النرد لعبة مقلوبة ، ويفهم الأمور على عكسها ، ويلقى ببذوره في الأرض البور ، ويترك أرض الله الواسعة (عن أرض الله الواسعة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات 2380 - 2383 وشروحها) إنه عقلك الكاذب الذي يبعثك عن عقلك الإيمانى ويبيد لك الأمور مقلوبة إلى هذا الحد ، وإلا فأية نسبة بين البئر (الدنيا) والخلاء (الآخرة) ذات المتعة واللذة والسعة ، وأية نسبة بين إيوان الباطل ومَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ أية نسبة بين خمر الدنيا التي تخمر من المخيض ، وبين خمر الخواص اللذة للشاربين ، وهكذا ، إن لم تكن قد عشقت حياة تحسد عليها ، فمت موتا كموت الرجال تحسد عليه ، وانتهاز ما يتبقى من العمر ، وهكذا يكون موت الرجال بديلا مطروحا لحياة الذل والمسكنة .

(1772 - 1786) : العنوان : وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (الشورى / 28) . والعبارة " رب بعد يورث قربا ورب معصية ميمونة ورب سعادة تأتي من حيث يرجى النقم " ، ليست حديثا كما ينص مولانا في البيت الأول بل هي من أقوال الأولياء ، ويضرب إسماعيل الانقروى مثالا على المعصية الميمونة بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل إسلامه بالاعتداء على الرسول صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك إسلامه ، والسعادة تأتي من حيث يرجى النقم هي اللطف في ثوب القهر وقد مر ، والآية فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ (الفرقان : 70) .

ويرى استعلامى أن هناك رواية مشابهة في حلية الأولياء لأبى نعيم الاصفهاني (لم يحدد في أي جزء) (استعلامى 5 / 302) وكما أن " الناس نيام إذا ماتوا انتهبوا " ، وكما أن " النوم أخ الموت ، وأهل الجنة لا ينامون ولا يموتون (كنوز الحقائق) ، والحديث النبوي : [إنكم لتموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون] " أحاديث مثوى / 164 . وكما أن النوم هو " الموت الأصغر " ، فالصبح أيضاً هو الحشر الأصغر

والبيت 1738 ناظر إلى الحديث الشريف " يبعث كل عبد على ما مات عليه " ، والحديث النبوي " إنكم تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون " (انقروى 5 / 409) .

(1787 - 1794) : هكذا فان منا منا وصحونا شاهدان على موتنا وحشرنا ، وإن كان الأمر هنا لا يعدو مجرد مجاز و " خيال " ، فليس النوم هو الموت وليست اليقظة هي الحشر ، وإنما هو مجرد تشبيه والأمور لا تكون حقيقة أو عيانا إلا " هناك " ، حيث تتحول الأمور كلها إلى عيان شديد الوضوح ، لكن الأصل هنا ، أصل ما يبدو هناك موجود هنا ، تماما مثلما تكون صورة الدار موجودة في خيال المهندس وفي " قلبه " ، كما توجد البذرة في الأرض ، ثم ينفذ المهندس تلك الصورة الموجودة في خياله ، كما تجعل الأرض البذرة تنمو ، وهكذا كل " خيال " ، يتوطن في القلب ، وكل " فكرة " ، تعن له سوف تتصور يوم الحشر ، أو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : [يبعث الناس على نياتهم] (انقروى 5 / 411) .

(1795 - 1801) : إن هدفي من هذا الحديث هو أن أقدم درسا يستفيد منه المؤمنون : فعند ما تشرق شمس الحشر ، يهرع الموتى من أحداثهم مصداقا للآية الكريمة **تَوَفَّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ** (يس / 51) **وَيَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ** (المعارج / 43) ، إنهم يمضون إلى الحساب والميزان ، هذا هو ديوان القضاء الأكبر ، يمضون كما يمضى الذهب النضار والذهب الزائف ، كلاهما إلى بوتقة الصائغ وكير الحداد (عن المحك للتمييز بين الصحيح والزائف انظر الكتاب الرابع الأبيات 1676 - 1789 وشروحها) . وها هي أنواع الامتحانات تتوالى عليك (انظر عن الامتحان الكتاب الثالث ، الأبيات 743 - 746 وشروحها) . فتظهر أعمالك مثلما يظهر أفي القنديل ماءً أو زيت ، هل أنت من الذين (يسعى نورهم بين أيديهم) (الحديث / 62) ، أو من ذوى الوجوه التيعللها غبرة تَرَهَّقُهَا قَتَرَةٌ (عبس / 40 ، 41) ، وما في داخلك سوف يظهر كالنبات الذي تدفن بذرته في الشتاء ، فيأتي الربيع ويجعل منه نباتا سامقا .

(1802 - 1805) : وانظر إلى الناس ، وانظر الفرق بين الشقي والسعيد فأولئك الذين هم من المتقين يكونون في مقام أمين في جناتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ أما الفجار الفاسقون المجرمون فيكونون مصداقا للآية الكريمة : **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ (السجدة / 12) . وَزَاغَتْ الْأَبْصَارُ (الأحزاب / 10) ، وَمُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءٌ (إبراهيم / 43)** إن الكتب

سوف تأتي ، سوف تسقط عليك في يمينك أو في يسارك دون أن تدري ، ولن يستطيع أحد أن يغير ، فلا حول ولا طول ، والخشية كل الخشية أن يأتي الكتاب في اليسار فأما مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً وَيَصْلَى سَعيراً (الانشقاق / 7 - 12) .

(1806 - 1820) : ويفاجأ الكافر الزنديق في يده بكتاب أسود يجمع كل جرائمه وفسقه ، فلا حسنة واحدة ، ولا عمل صالح واحد ، ليس فيه إلا ما يؤذى قلب كل مؤمن ، كله سخرية من أهل الطريق وتطاول عليهم ، كله كبرياء وفرعونية وأنية مفرطة ونرجسية فجّة ، كله سرقة واحتيال ومكر ، وظلم للخلق ، يكون في طريقه إلى المشقة وإلى الجحيم ، ظاهر الجرم ضائع الحجة مختوم على فمه أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ (يس / 65) ، وماذا يستطيع أن يقول ، لقد ذهبت تلك السطوة التي كان يتوقع بها في الدنيا ويعتمد عليها ، ربما سطوة لصوص أكبر منه يحمونه ، ها هو يمضي وملائكة العذاب من حوله كالعسس يضربون رأسه ودبره ، دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (الدخان / 49) ، إنه يتلفت ، يستغيث ، ثمة أمل عنده في العفو لكنه أمل محال ، أمل واه ، فهو أدري بنفسه ، تلك النفس الفرعونية التي ووجه بها لأول مرة عارية لا يسترها حتى ثوب الرياء .

(1821 - 1834) : ويأتيه الخطاب الإلهي لا وَزَرَ (القيامة / 11) ، هذا يوم العدل الإلهي ، ماذا تنتظر ، ولماذا تتلأأ ، وأي أمل لك وأنت أدري الناس بعملك ، إنك لم تنو نية خير واحدة ، إنك لم تر سوى فعلك وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (فصلت / 46) ، و " إني حرمت الظلم على نفسي " ، فلا أنت نويت خيراً ولا فعلت خيراً ، ولا اتعظت ، وعملك هو نفسك وهي معوجة فلا بد أن يكون ظلها معوجاً ، والجزاء من جنس العمل ، فكيف تتوقع أن يكون الكتاب في يمينك وسعيك كله في فعل أهل الشمال ؟ ! ولقد فعلت كل هذا وكان باب التوبة مفتوحاً أمامك ، لكنك لم تتب (عن باب التوبة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات 2503 - 2508 وشروحها) .

(1835 - 1844) : فيجأ العبد بالضراعة إلى الله سبحانه وتعالى " نعم عندي أمل يا الله ، فأنا أعلم أنني فعلت كل ما نسب إلى وهناك الكثير أيضاً مما ستره حلمك على ، لكني أيها الإله ، هناك شئ ما خارج عن جهادي وخارج عن فعلي ، عن جرائمى وفضائلي ، عن ضراعتي ، وعن عجزى وقلة حيلتي ، عن ضراعة مائة من أمثالي ، هو رجائي في

محض عفوك ومحض لطفك ، وكلاهما لا علاقة له بعتوى وظلمي ، إنه هو العطاء المحض ، هذا كان أملى ، كان التفاتى كله إليه ، كان رجائي كله فيه ، هذا العطاء المحض الذي منحني الوجود منذ الأزل (انظر لحفظ الله للنطف في الأصلاب ، ولطفه العميم ، الكتاب الثالث ، الأبيات 331 - 337 وشروحها) ، لقد أعطيتني خلعة الوجود وخلقتني وهديتني السبل ، كان ديدنك معي - يا الله - هو العطاء ، لم تمنع عني عطاءك ، وأنا غارق في الذنب ، فكنت يا الله دائم الأمل في هذا العطاء .

(1845 - 1851) : هذه الضراعة ، والاستغاثة ، والدموع هي التي تجعل بحر الرحمة يجيش ، (انظر شروح البيت 1569 من الكتاب الذي بين أيدينا) ، فيأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة قائلاً : ردوه إلى ، لقد كان آملاً فينا ، طامعاً في وجهنا ، كان الرجاء فينا راسخاً في سويداء قلبه ، إن هذا الرجاء جدير بالعفو ، فلا نفع لنا من صلاحه ولا ضرر علينا من سوءه ، ولنضرم النار في كتاب أعماله فلا زلة ولا خطأ ولا سوء ، ويعلق الأنقروى راوياً حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم : [من أذنب ذنباً فعلم أن له رباً إن شاء أن يغفر له غفر له وإن شاء أن يعذبه عذبه ، كان حقاً على الله أن يغفر له] (جامع 2 / 162 - 5 / 418) .

وترتفع البشرى الإلهية ، لقد آن لنا أن نبذل سيئاته حسنات ، هذه هي كيمياء التبديل (انظر لكيمياء الفضل الكتاب الرابع البيت 592 - 594 ، و 1684 وكيمياء التبديل الكتاب الرابع 3508) ، وهي لا دخل لها بجبر واختيار ، هي محض لطف ، (عن الجبر والاختيار ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 1363 - 1376 وشروحها ، وانظر مقدمة الكتاب الذي بين أيدينا) هذه الكيمياء مضمنة في الآية الكريمة أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (الأحزاب / 70 - 71) .

قال نجم الدين : يشير إلى أن الإيمان لا يكمل إلا بالتقوى وهو التوحيد عقدا وحفظ الحدود جهدا ، ولا يحصل سداد أعمال التقوى إلا بالقول السديد وهي كلمة لا إله إلا الله ، فبالمداومة على قول هذه الكلمة بشرائطها يصلح لكم أعمالكم أي أعمال التقوى ويظهر سداد أقوالكم وسداد أعمالكم وبسداد الأقوال والأعمال يصلح سداد الأحوال ويغفر لكم ذنوبكم " . (مولوى 5 / 270) .

(1852 - 1856) : إن هذه الأنوار الإلهية الأزلية الأدبية لا تزيدها تقوى تقى ، ولا تنقص منها معصية شقى ، وماذا يكون الإنسان حتى يعامله الله سبحانه وتعالى بعمله ؟ ! هو لسان واللسان قطعة من اللحم وعين وهي قطعة من الشحم وأذن وهي قطعة من

العظام ، وقلب وهو قطرتان من دم ، هذا هو الإنسان خلقة الله ضعيفا ، وهو يعلم أو لا ضعفه ، يعلم أنه مجرد دودة ، بالنسبة للقدرة الإلهية . في قول منسوب إلى الإمام على رضي الله عنه : اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم " (سرنى أول 245 ، وأحاديث مثنوى 63) وإلا فإنه بالنسبة للمخلوقات سيدها وخليفة الله فيها (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع) " ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة قدرة وآخره جيفة قدرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة " . ليته يتذكر أصله بين الآن والآخر ، كما كان " إياز " ، يتذكر رداه الجلدي وحذاءه الريفي ، أي لباسه أيام كان راعيا فقيرا .

(1857) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت ، بطلبها إياز أو يماق مملوك السلطان محمود الغزنوي (360 - 421 هـ ، 970 - 1030 م) وتعنى إياز بالتركية المضى والمنير والمشرق واللامع (جلبنارلى 317 / 5) ولب الحكاية يرجع إلى الروايات الشعبية السائدة في بلاد المشرق عموما عن ذلك الذي لا تسكره السلطة عندما يصل إليها وبخاصة إذا كان من أصل وضيع ، ويرجع فروزانفر

(مأخذ / 173 - 174) الحكاية إلى ما ورد في أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد عن نساج وصل إلى الوزارة فأقام نولا إلى جوار دست الحكم كان ينسج عليه بين الآن والآخر حتى لا ينسى أصله ، وإلى ما ورد عن أبي نعيم الأصفهاني في الحلية عن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99 - 101 م / 717 - 720 م) ، حيث كان يقيم مبتعدا في حجرة متواضعة وفي عنقه جنزير

(كالعبد) من أول الليل حتى طلوع النهار ، وكان أول من نظم الحكاية هو فريد الدين العطار في منظومة " مصيبت نامه " ، وقد أشار مولانا إلى إياز عدة إشارات في الأجزاء السابقة من المثنوى (منها على سبيل المثال البيت 1052 الكتاب الثاني ، وأشار إشارة مجملة إلى علاقة إياز بردائه الجلدي الريفي الكتاب الرابع 887) ويروى المولوي (5 / 371) ،

و (انقروى 5 / 433) ، كان قرويا فقيرا فخرج السلطان محمود يوما إلى الصيد فمرق صيده من أمامه فتبعه ، وبعد عن عسكره فأتى خيمة تركمانى وطلب منها ماء ولم يكن سوى إياز موجودا في الخيمة ، وعلم بالفراصة أنه السلطان ، فأعد له مجلسا ونادمة فسر منه السلطان ، وكان إياز قد قال له إن أباه ذهب ليحضر ماء ، لكنه بعد فترة أخرج له ماء من الخيمة ، وفسر ذلك بأنه لم يقدم للسلطان الماء وهو عرقان ومجهد فشغله بالحديث حتى استراح ، جسده فعجب السلطان من ذكاه إياز رغم صغر سنه ، وضمه إلى مماليكه ، والحكاية رويت عن أكثر من سلطان وغلाम أو جارية . المهم في هذا المجال أن

روايات كثيرة رويت عن إياز ومحموداً أشهرها تلك التي رواها نظامى العروض السمرقندي في كتاب المقالات الأربع عن مجلس للشراب كان إياز حاضراً فيه وأن الخمر لعبت برأس السلطان محمود فاشتتهى " إياز " ، ثم طلب أن تقص طرة إياز التي ألفت به في هذه الشهوة ، وطلب من العنصري شاعره أن يقول شعراً في ذلك ، ووضح أن الحكاية واضحة الافتعال .
(جهار مقاله ، لنظامى عروضى السمرقندي ، طبعة مصورة أوفست ، عن طبعة ليدين ، ص 34 - 36 ، وانظر الترجمة العربية ليحيى الخشاب ، وعبد الوهاب عزام) .

لكن تلك العلاقة الحميمة بين إياز ومحمود أوحى فيما بعد إلى الصوفية بجعل إياز رمزاً للمحب والعاشق للسلطان (الإنسان العاشق للحقيقة والمريد العاشق لشيخه أو كمثل لجلال الدين الرومي وشمس الدين التبريزي) ، وفي عصور الانحطاط نظمت منظومات كاملة حول هذا الموضوع مليئة بالإحالات ، ومن الواضح أن القصة هنا هي " قصة " هذا الكتاب من قصص " العشق " ، (في مقابل قصة وكيل صدر بخارى في الكتاب الثالث والنديم الذي حكم عليه الملك بالإعدام ثم توسط شفيع له ، وغضب النديم على الشفيع في الكتاب الرابع) ، ومن الواضح أن كل أبطال هذه القصص من الرجال (العشاق والمعشوقين) ، وهو ما قد يثير بعض الشبهات عند أصحاب الثقافة الغربية الذين يعتبرون هذا الأمر نوعاً من الشذوذ ، في حين أن التوحد الجنسي هنا يخرج أي دور للجسد في علاقة المحبة القائمة بين أبطالها .

(1859) : إن من أخص الأمور التي تجعل الإنسان يحس بشئ من التوازن هو أن يذكر وهاد حياته عندما يرتفع فلا تبطره النعمة ، ولا يطغيه الاستغناء ، والإنسان وهو سيد الخليقة إذا ذكر في النهاية انه مجرد حمأ مسنون ، وأنه الضئيل الحقير بها نهاية في مقابل العظيم بلا نهاية ، فإن ذلك سوف يخفف من غلوائه (انظر الأبيات 881 - 883 من الكتاب الرابع وشروحها) .

(1866) : من إفاضات مولانا جلال الدين خارج إطار الحكاية وخارج تيارها : منتهى عطية السلطان (الله) للمرء (إياز) هو العشق وما فوقه مطمع ولا مطمح ، فأى اهتمام يبدیه العبد هو دون هذا العشق وهو نقص للوفاء وكفران بالنعمة (لنقض الوفاء انظر الكتاب الثالث الأبيات 286 - 297 وشروحها) .

(1873 - 1877) : كيف يكون الملك ملكاً ثم يصدق وشاية الأمراء ؟ ! لا لم يكن يصدقها كان يعلم أن الأمراء من المنافقين ، وكان يريد أن يفصح نفاقهم على أيديهم المنافقين

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ (النساء / 142) ، لكنه يخشى شيئاً واحداً ، يخشى أن يتألم إياز من هذا الظن السيء ، وماذا إن كان قد فعل ، أي ذهب وأية جواهر يضمن بها المحبوب على محبه . . . هو محبوبنا (وكل ما فعله المحبوب محبوب) ، (انقروى 5 / 424) . وكل ما فعله المحبوب فقد فعله المحب ، (فأنا يده التي يبطش بها وقدمه التي يسعى بها) ، فالحجاب بين العاشق والمعشوق صوري لا يمنع الاتحاد حقيقة ، كأنه يقول : ولو كنا في الصورة متغايرين ولكن باعتبار الحقيقة لا امتياز ولا مغايرة .

(1879 - 1887) : لكن كيف يخون ؟ ! إن هذا محال ، وها هو الوجد يأخذ بتلابيب مولانا ، فيزداد إيقاع الأبيات بيت بعد بيت ، ويأخذه بوح العشق ، إن الأمر هنا خرج عن إطار محمود وعن إطار إياز وعن كل إطار بشري ، فأى إياز هذا الذي تكون البحار السبعة قطرة واحدة منه ، والذي يكون أصلاً لكل أنواع الطهر ، أي إياز هذا الذي يكون الوجود كله رشحة من موجه ، نحن في هذه الحكاية من حكايات العشق أمام معشوق عاشق ، وعاشق معشوق وكلاهما المعشوق والعاشق يحمل تجاه الطرف الآخر الشعورين معاً (أليس الأمر في الحقيقة هو هذا ؟) إن هذا الكامل المقرب إلينا ليحسده كل المقربين ، فهو منا بمنزلة العين والمصباح ، فإياز هنا هو الإنسان الكامل والمتصل الفاني في ملك محمود ، أما المراد بالبحار السبعة فهي اللطائف الإنسانية السبعة والبطون السبعة للآيات ومدن العشق السبعة والكنوز السبعة والأعضاء السبعة في بدن الإنسان والأنوار السبعة والمرايا السبعة والأيام السبعة (سبزوارى 374) ،

إن عظمة الإنسان عندما يكون مقرباً تبدو بلا حد ، ومن الذي يمكن أن يصف هذا الذي لا تحتويه الأفلاك ، من الذي يستطيع أن يصف ذلك المخلوق من تراب الذي سما عن التراب وصار إليهما وبز الملائكة ، ولم يعد جسداً ، دعني إذن أصرخ ما دمت لا أستطيع القول " آفة الحال إدراك المقال " ،

(إنني حائر بين الحديث والبكاء ، أبكى أو أتحدث رياه ماذا أفعل ؟ فإن تحدثت فاتنى البكاء ، وإن بكيت فكيف أفصح عن الشكر والثناء ، 4712 - 4713 من الكتاب الثالث) وليت الوجود كان ذا لسان ، حتى يرفع الحجب عن الموجودات ، وكل ما تقوله يا نفس الوجود عن الوجود أعلم أنك قد وضعت عليه حجاباً آخر ، إن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال ، وغسل الدم بالدم محال محال (4728 - 4730 من الكتاب الثالث) ،

لكن لا بد من الإفصاح ، أصرخ ، أرقص ، فإن القلب لا يحتمل كل ما فيه وهو رقيق كالزجاجة ، مزق الثياب جداً بدلاً من أن يتمزق القلب الرقيق الضعيف الذي فاض بما فيه من العشق .

(1888 - 1890) : اختلف المفسرون حول هذه الأبيات الثلاثة فقد فسر الأنقروى والمولوى (انقروى 5 / 427 - مولوى 5 / 275) بأنه جنون روحاني وزيادة في الوجد ، حالة كانت تنتاب مولانا بمجرد ظهور الهلال فكان يندفع في الرقص ، وقد ورد المعنى أيضاً في ديوان شمس تبريز : ثانية جاء أول الشهر ، وهذا هي نوبة الجنون (عن استعلامى 5 / 307) ويرى عبد الباقي (5 / 319) أنه كان من المعتقدات الشعبية أن يجن الرجال في أول كل شهر ثلاثة أيام (في مقابل العادة الشهرية عن النساء) ويرى جعفري (11 / 567 - 569)

أن ظهور الهلال كان يثير في مولانا الوجد لأنه يذكره بسطوع الأنوار الإلهية ، (كان أولى تمام البدر) ، ويؤيد ما ذهب إليه عبد الباقي لكنه لا يراه معتقداً شعبياً بل يراه نظرية قال بها علماء النفس الغربيون ، على كل حال يمكن أن يكون عبد الباقي أقرب إلى المعتقدات الشعبية التركية التي كانت سائدة في بيئة الأناضول في عصر مولانا ، ويفسر ملا هادي السبزواري الأمر تفسيراً فلسفياً ، فيرى أن الأيام الثلاثة مجاز يعنى فترة العمر لأن الزمان كله اعتباراً هو أيام ثلاثة :

أمس واليوم وغداً وهو تجلى للماضى والحاضر والمستقبل ، ففي كل آن تجل جديد وطلوع نور على الإنسان الذي هو خليفة الله كما أن القمر خليفة الشمس (ص 374 - 375) أما معنى هذا يوم السعادة لا يوم الفيروز ، فذلك الغارق في السعادة الروحية والفضل الإلهي لا يعنيه أن ينظر إلى خاتمة الفيروزي عند رؤية الهلال حتى يكون الشهر كله رزقاً وبركة وسعادة (استعلامى 5 / 307) ، لكن أي أول شهر ، ترى هل يكون الوجد والعشق والفناء موقوتاً بوقت أن الشهر كله بالنسبة لي بمثابة أول الشهر ، فأنا دائم في وجدته غارق في عشقه مجنون به .

(1891 - 1895) : من الأوفق أن يكون البيت 1891 بعد العنوان التالي ، إن أية حكاية من حكايات العشق تجرني نحو ذلك الجنون ، نحو ذلك العشق الذي يكويني بناره ولا أجد له دفعا ، فاركض ، وأحن ، مثلما يحن الفيل إلى موطنه (انظر لتفصيلات هذه الفكرة الكتاب الرابع 3068 - 3071 وشروحها) ، والشطرة الثانية في البيت 1892 تعنى أنه لجنونه هذا قد صار فاقدا لكل مسئوليته (انظر 517 - 523 من الكتاب الثالث عن خراب القرية وتخريبها للعقول والقلوب) ، وعن البقاء في الفناء انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث ومن الملاحظ أن مولانا عندما يفيض به الوجد ينظم شعراً بالعربية (انظر الكتاب الثالث هيا تحدثت بالفارسية وإن كانت العربية أحلى ، وللعشق في حد ذاته مائة لغة أخرى البيت 3844) .

(1896 - 1906) : يستمر مولانا خارج إيقاع لحن " إياز " كما عبر ، والواقع أنه ما طرح هذا اللحن إلا لكي يغوص في وجده ، فكل عشق بين رجال الحق " أو من يرمزون إلى رجال الحق بالطبع " إنما يحرك عنده عرق التجانس ومحبته لرجال الحق " شمس الدين أو حسام الدين " ، فهكذا ، إنني عاجز عن إكمال هذه الحكاية ، ألا فلتطلع على أحوالي وتحدث عنها أنت ، كأنه يحدث حسن حسام الدين ، إجذبه - أي المثنوى - فينجذب إليك ، أقرأني وردد ، فأنا جبل الطور ، وأنت موسى الوقت ، وهذا - أي المثنوى - هو الصدى (عن الجبال ونزوع رجال الحق إلى الخلوة في الجبال انظر الكتاب الثالث 1350 - 1355 وشروحها) ،

وهذا الجبل لا يعرف شيئاً إنه يردد كل ما يقوله موسى ، إنه جسد ، ومع ذلك فالجسد يستمد قليلاً من لطف الروح ، وهكذا صرف أسطورة ، لأنني ذبت في رجال الله (انظر 1147 من الكتاب الثالث وانظر أيضاً الأبيات العشرة الأولى من الكتاب الرابع) إن رجال الحق يفيضون على التراب وعلى الجماد من أنوارهم ، فما بالك بأولئك الذين يلازمونهم ويأخذون عنهم ، ولماذا لا تكون الروح في حاجة إلى جسد ، إن ذلك المنجم كليل البصر ، ولا يستطيع أن يكتشف الكواكب وأن ينظر إلى الشمس إلا بمعونة الأصطرلاب ، وهكذا روح السالك هي المنجم والجسد كالأصطرلاب ، لكن إياك أن تعتمد على هذا الأصطرلاب ، إن الرؤى التي يكشفها قاصرة جداً ، فكيف يحيط هذا الأصطرلاب المحدود بهذا الكون ؟ كفاك ادعاء وفيهقة .

(1907 - 1917) : هيا ابحث عن كحل العارفين " المعرفة ، الفيض وذلك الدواء الذي يجعلك تنظر إلى الأمور كما ينبغي وهذا يجعل عينك تصوير في سعة البحر ، بعد أن كانت مجرد جدول (وانظر أيضاً عن كحل العارفين الأبيات 3372 - 3375 من الكتاب الرابع وشروحها) ، ما هذا الذي أقوله إنني لا جدال قد فقدت الوعي ، ترى لماذا ينكر جلال الدين هنا ما يقوله ؟ أترأه يستبعد أن تتحول العيون الكليّة إلى عيون حادة لمجرد أنها اقتربت من العارفين ، أو تراه يرى نفسه على وشك أن يخوض في أمور ليس له أن يخوض فيها ، فينأى بنفسه من طرف السطح قبل أن يسقط فيه (عن طرف السطح انظر الكتاب الرابع 2150 - 2153 وشروحها)

لكن ما ذنبي أنا ، أنه ذنب من سلبني الحجي ، من سلبني العقل ، من جعلني أتخبط هكذا في الكلام ، لأهرب ، لأتحدث بالعربية ، فكم هم الذين يفهمون العربية في هذا المجلس ؟ ها أنا أخاطبك أي عقل أبحث عنه ؟ إن العقل عقال ، والعقول في تلك الناحية لا تساوى الألف منها خردلة منذ أن همت فيك وجننت بك لم أشته أن يكون لي عقل ،

وجنوني إنما هو في هواك ، لكن ما دخل اللغة هنا ؟ حتى إن تحدثت بالفارسية فمن الذي يستطيع أن يفهم هذا الكلام " لقد مت حسرة على الفهم الصحيح " وها هم شراح المثنوى يقولون أن المخاطب تارة هو شمس الدين وتارة هو حسام الدين ، أي شمس دين وحسام دين ، أي يمكن أن يكون المخاطب هنا بشراً ثم ينجو مولانا من القيل والقال ، وهل يمكن أن يكون كل هذا الهيام في بشر ، حتى ولو كان هذا البشر هو شمس الدين أو حتى حسام الدين ، إن العلاقة بين مولانا وبين شمس الدين وحسام الدين تظل قائمة على علاقة الإبداع ، إنهما هما اللذان يدفعانه إلى الإبداع ، وحسام الدين يجر الكلام منه جراً إلى حيث يريد الله له أن يكون " (انظر الأبيات العشرة الأولى من الكتاب الرابع) لكن من المحال أن يكون هيام العشق موجهاً إلى حسام الدين أو شمس الدين ، وكأن مولانا كان يتوقع كل هذا التخريجات ، فيتساءل هل يتحمل كل وعي خمره (الإلهية) وهل يمكن لكل إنسان أن يكون عبداً له ؟ ها أنا ذا دليل لك ، لا يزال الجنون ينتابني بين الآن والآخر ، فهاتوا القيد ، هاتوا القيد ، امنعوا هذا المجنون من الحديث والقول ، لكن قيدي من جدائل حبيبي ، وما عداه من قيود لا يمكن أن يمنعني من الحديث ، أية قيود صورية إنما القيود هنا داخل القلوب .

(1918 - 1926) : عودة إلى قصة إياز ، لكنها عودة لمجرد التذكير بأنه يتحدث عن قصة إياز وحذائه وسترته ، ثم انطلاق نحو مستوى آخر من الحديث هو مزيج هذه المرة بين العرفان والأخلاق ، والآية في العنوان فليُنظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ الجواب خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (5 ، 6 من سورة الطارق) قال نجم الدين حفظتك في هذا القبيل يحفظونك من العاهات الجسمانية والآفات الروحانية وأنت غافل عن نفسك وعن حفظتك وتحسب أنك خلقت للأكل والشرب والجماع أما تعلم أن الله خلق لطيفتك الإرادية من ماء الرحمة المصبوب في رحم قلبك مما كان مودعاً في صلب روحك ومن ماء التربية المستودع في ترائب قلبك وقت التخمير أن الله غالب على رجهه إلى أصله إن لم يعط حقه " (مولوى 5 / 279)

إن هذه القصة في رأى مولانا كنز ملئ بالأسرار وهذا هو أحد أسرارها ، إن أحد أسباب احتفاظ إياز بملابسة القديمة هو أن ينظر إليها قائلاً لنفسه : انتبه هكذا كنت ، إياك والكبرياء ، إنك مجرد راعى وقروى ولست نديم السلطان ، وينطلق مولانا نحو الدرس : إن وجود النعمة يحدث طغياناً يعبر عنه مولانا بكلمة " السكر " كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى أَنْ رَأَهُ اسْتَغْنَى (العلق 6 - 7) انه سكر الوجود يحس المرء أنه مالك لوجوده أو بالتعبير المعاصر مالك لمصيره المسيطر على

حياته " سيد نفسه " إلى غير ذلك من التعبيرات المضحكة ، فيسقط سقوطاً ذريعاً في الكبرياء الذي هو ضريب الشرك ، القرون السابقة بادت لأنهم ظنوا أنهم " قادرون عليها " أي قادرون على الأرض مسيطرون يفعلون ما يشاءون ، وإليك المثال الأول عن الكبرياء : عزازيل " إبليس " عندما عصى عن أمر ربه كان يسمى عزازيل وكان من الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون لكنه لم يتحمل السجود لآدم ، كان مانعه الكبرياء ، ومن الكبرياء كان العصيان الأول (يضيق بنا هنا المقام إن ذكرنا المواضع التي ذكر فيها إبليس أو عزازيل في المثنوى ، فلا يكاد يوجد كتاب من كتب المثنوى الستة لم يذكر فيها أكثر من مرة ، إنه المعادل الموضوعي لآدم ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أدى الحسد إلى العصيان والتكبر والضلال والإضلال ، وهكذا النفس إن أرخيت لها حبال العصيان خرجت من معصية إلى معصية ، لقد ظن إبليس أن النار أسمى من التراب ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * (الأعراف 12) ،

كانت نار غضبه تشتعل من داخله فتلقى بلهيبها وألسنتها خلطاً وكفراً وتجبراً وعصياناً ، ومن هنا قيل " الولد سر أبيه " إنه ابن هذه النار والمعبر عنها والمخبر عن صفاتها من إحراق وغيره (عن الحديث انظر الكتاب الرابع الأبيات 3116 - 3119 وشروحها) .

(1927 - 1936) : الآية المذكورة في العنوان الرحمن 15 والآية الثانية فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (الكهف 50) ، ويذكر مولانا حديث " الولد سر أبيه " ثم يستدرك ويراجع نفسه ، إنه هنا يتوسل بالأسباب والعلل ويبحث عن علة يبرر بها عصيان إبليس ، ويقول أنها من أصله لا إن الأمر كله لا يعدو قهراً من الله تعالى عز وجل ، فلا يرتبط عصيانه بكونه مخلوقاً من نار لأن من الجن من آمن والله تعالى مبرأ من العلل إذا قضى أمراً فإنما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * في صنع متواصل مستمر طاهر مبرأ من العلة التي هي حادثة وعرضة للتغير والتبدل ، ولا يصح أن يذكر هنا الأب أو سواه لأن مرجعنا جميعاً إليه ، وخلقنا جميعاً منه ، وما الآباء إلا مجرد صور جعلها الله سبباً للخلقة وإلا لو شاء لخلق من غير أب " عيسى عليه السلام عليه " بل من غير أب ومن غير أم " آدم عليه السلام " ، هذا هو اللباب وما سواه قشور ، لقد قبل من قبل دون علة ورد من رد دون علة ، والحقائق لا تتقلب فالعشق هو رفيقك أيها المرفه الذي في هشاشة البندق ، إنك قدمت الجلد ، والقشر حتى تصبح مصداقاً للآية الكريمة إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلُّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ

بَدَلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (النساء 56) وأن اللباب منك ليسيطر على النار نفسها ، لكن النار في حاجة دائماً إلى القشور ، فنور العبادة يطفئ النار " جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ ناري " لكن غشاء المعصية يزيدها ضرماً ، وانظر لكي تعرف أنك إذا كنت تحتوى على ماء المعرفة فلن تستطيع النار أن تحرقك ، مثل القدر ، فهل رأيت قدراً مليئاً بالماء أحرقتة النار ؟ إن النار تبدأ في إحراق القدر عندما يتبخر كل ما فيه من ماء ، وخازن النار نفسها المسيطر عليها المسمى بمالك هو مخلوق ، فانظر إلى حكمة الله تعالى يجعل مخلوقاً خازناً على معدن الغضب ، وأنت لم تسيطر على معدن الغضب داخلك ولا تفتأ تمدد بالقشور ، إن مالك مسيطر على النيران لأنه حقق معنى الإنسانية ، فحقق أنت أيضاً معنى الإنسانية وكن جديراً بأحسن التقويم .

(1937 - 1949) : هناك جانبان يوجدان في الإنسان بدن وروح أو كما يعبر مولانا في هذا الموضع قشر ولب ، وها أنت تضع قشراً فوق قشر ، وكأنك تعد نفسك لكي تكون " حصب جهنم " وطعاماً للنيران ، والله تعالى سالخ لهذه الجلود والقشور ، من مال وجاه ومنصب ما لم تكن له سبحانه وتعالى ، وأنت إن لم تكن قد أعطيت لما تكبرت كل هذا الكبرياء ، فالمال والجاه هما هما رفيقا هذا الكبرياء الحميمان ، وسأضرب لك مثلاً ، أن هذا الكبرياء غفلة عن المعنى وغياب عن الحقائق لأنك لو علمت من كنت ومن تكون وإلى أين أنت صائر لما تكبرت ، فما أشبهك بثلج متجمد (تركت الحالة الإنسانية إلى الحالة الجمادية) لأنه في غياب وفي غفلة عن الشمس ، انظر إلى نفس هذا الثلج عندما تسطع على الشمس يتحول إلى ماء يجرى وينطلق وتكون منه الحياة لكل المخلوقات فاطمع في اللب والمعنى ، ولا تنتظر إلى الحديث " ذل من طمع " ، فالطمع هنا هو المذكور في أقوال الأئمة رضوان الله عليهم " عن علي رضي الله عنه " ما هدم الدين مثل البدع ولا أفسد الرجل مثل الطمع " علي بن الحسين رضي الله عنه " رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع في ما أيدي الناس " عن الصادق رضي الله عنه " خمس من لم تكن فيه لم يهنأ بالعيش الصحة والأمن والعتاد والقناعة والأنيس الموافق (جعفري 11 / 586) "

ولا تقنع بالقشور متعللاً ب " عز من قنع " ، فليس الذل والعز المقصودان هنا بالذين تفهم ، فعز الدنيا ذل في الآخرة ، وانظر إلى الحجر إنه يفنى في حرارة الشمس فيتحول إلى جوهر ، إن ذله هذا رفعة وعظمة وترقى وعلو وسمو ، والعجيب أنك تبدى الكبرياء وأنت في مرحلة الجمادية لا تزال ، فلا أنت نقيت نفسك ولا أنت واصلت

الطريق ولا أنت قمت بالتصفية وعرضت نفسك لشموس الطريق ، ولا أنت فنيت عن البشرية وتحققت بالالوهية ، فهل من المعقول أن تقوم بكل هذا الادعاء وكل هذا الكبرياء والتنفج وأنت كل ما تقوم به أنك تعمل في مستودع قمامة ، كلما زادت القمامة فيه تحقق له الكمال (انظر لتفصيلات عن هذه الفكرة الكتاب الرابع الأبيات 238 - 256 والبيت 1044 وشروحها) وهكذا يعتمد الكبرياء على المال والجاه ، فإنهما يغذيان هذا الوليد الشيطاني بالشحم واللحم ظناً منهما أن هذا هو اللباب جاهلين بأن كل هذه قشور تذهب غناء ، وكل لحم نبت من سحت وحرام فالنار أولى به .

(1950 - 1959) : وإبليس هو الذي سن هذه السنة ، كان أول من تكبر وعصى ولم يكن عصيانه إلا بسبب الجاه ، كان يتعبد ويبالغ في العبادة لا حباً في الله ولكن رغبة في أن يكون رئيساً للملائكة ، فلما كان التكريم والتبجيل لأدم طعن في الصميم ، فقد كل شيء ، لقد كان الاختيار الإلهي بكائن من تراب طعنه نجلاء في قلب إبليس والمال حية والجاه أضر منها " ولا شيء ينجيك من هذا إلا أن تدخل تحت رعاية أحد الرجال ، يأخذ بيدك ، ويتبع في داخلك هذا الشيطان الذي يجرى منك مجرى الدم ، إنه يكون بمثابة الزمرد الذي تقتلع عين تلك الحية ، (كان القدماء يعتقدون أن الزمرد يخلع عين الحية ويبطل خطرهما وهذا الأمر من قبيل الأساطير التي انتقلت من حكماء اليونان عبد الحسين زرين كوب : سر نى ، نقد وشرح تحليلي وتطبيقي مثنوى ج 1 ، ص 217 ، ط 3 ، تهران ، علمي 1368 هـ . ش) لقد سن إبليس هذه السنة ، هو رئيس الشر ، هو الذي وضع هذه الشوكة في الطريق ، وكل من أرداه كبريائه لعن إبليس [فكل من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة] ، كان هذا هو ديدن إبليس لعنة الله عليه ، لكن انظر إلى آدم ، كان يضع سترته وحذاءه دائماً أمام عينيه ، كان يضع نصي عينه دائماً إنه خلق من طين وأن الكرم الإلهي هو الذي نفخ منه من روحه ، كان يعلم أنه من العدم ، وأن العدم هذا هو أصل الوجود .

(1960 - 1973) : العدم في الحقيقة ليس عدما فإنه مصنع الوجود ، وإلا من أين يأتي الوجود إن لم يكن قد أتى من العدم (انظر الكتاب الثالث 3773 - 3774 وشروحها ، وانظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات 1020 - 1025) . ويرى زرين كوب أن مفهوم مولانا جلال الدين عن العدم يشبه إلى حد ما مفهوم ابن عربي عنه ، وعند ابن عربي يرى عدم ظرفية الأعيان الثابتة في مرحلة ما قبل ظهورها ومن هنا فإنه يعبر عن هذه النسب الذاتية في

مرتبة فقدانها الصورة بأنها الأعيان الثابتة ، ومن هنا يرى لها نوعا من الثبات والوجود ، وإن اختلفت أوصاف العدم ومراتب الظهور بين ابن عربي وجلال الدين ذلك أنها نابعة عند ابن عربي من نظريته في وحدة الوجود ورأى الصوفية في هذا الموضوع تليفق بين آراء المعتزلة والأشاعرة حوله ، وبالرغم من أن مولانا يرد قول المعتزلة في التعبير عن المعدوم بالشئ ، فهو بقوله أن العدم هو مصنع الوجود يلتقى مع المتكلمين وبالرغم من أن كل ما هو مطروح عند الصوفية عن العدم والوجود مأخوذ من مناقشات الفلاسفة الرواقيين ، تبدو كل أقوالهم متأثرة بمفهوم أرسطو عن العدم ومن أهم التفصيلات في هذا الصدد مباحثات الإمام الشهرستاني في نهاية الإقدام . (عن سر ني : عبد الحسين زرین كوب جلد 1 ، صص 209 - 210) .

ولا معنى للخلق إن لم يكن إيجاد من العدم ، تماما مثلما لا يكون معنى للكتابة على ورقة مكتوبة أو وضع البذور في أرض مبذورة بالفعل ، فكن أنت أيضاً عدما حتى تكون مهياً لكي يتطلف بك الكرم ويجعلك مصداقا " لنون والقلم " ، فنون كناية عن العلم الإلهي والقلم كناية عن العقل الكلي ، فان أردت أن تشرف بالعلم الإلهي كن عدما وكفاك تشدقا بالوجود ، اطلب لذائذ ذلك العالم وسرور العقل وسعادة الفهم ولذة الإدراك والوصول

(ذلك الفالودج) ودعم من لذائذ الدنيا فإن دسمها سم ، خذ القوت الشريف ، قوت العلم والمعرفة ودعك من دسم الدنيا فإنه سبب المرض ، هو الذي ينسبك أصلك ، فلا تذكره إلا في حشجة النزع ، فالسكران بالخمير قد يفيق ولكن المثل بالدنيا لا يفيق إلا عند النزع ، تتجلى له في لحظة فيدرك اغتراره بها وتجرحه خداعها ، ويذكر انه لم يكن يساوى شيئا دون رعاية من الله وكرم منه ، ولأنك لم تلحق بسفينة الصادقين وبقيت غريقا بين أمواج قبحك وكبريائك وتسلك وإيائك لخلق الله وجبروتك وطغيانك ، ولا تتذكر من أنت في الأصل ومن أي شئ خلقت ، وإن كل ما أنت فيه إنما هو من الله تعالى ومن عطاياه ومن خزائنه التي لا تنفذ ، إنك لا تعترف بكل هذا إلا حين يدركك الغرق حتى إذا أدركه الغرق ، قال أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنوا إسرائيل (يونس / 90) .

وأخذت وأنت في النزع تردد ربنا ظلمنا أنفسنا ، لقد فات الوقت أيها الديك الذي تصيح في غير أو ان (انظر الكتاب الثالث الأبيات 3331 - 3339 وشروحها) ، إن هذه ليست صلاة ، إنها صورة صلاة ، لقد فات الوقت ، إذ تذكر الله عند البلاء ، ولقد كان إياز من دكة السماء ، تلك الدكة التي لا تؤذن إلا في الوقت المعلوم ، إذا انه يذكر الله فضل الله وهو في قمة الرخاء . وبالنسبة لديك السماء :

يعتمد على رواية رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه رأى ليلة المعراج ديكا بعظمة كل الوجود يخفق بجناحيه ويسبح بحمد الله فتجاوبه ديكة الأرض ، ويقول الغزالي في إحياء علوم الدين أن هذا الديك يوقظ القائمين في الثلث الأول من الليل والمتهجدين في الثلث الثاني والغافلين عند الفجر ، (استعلامى 5 / 312 - 313) .

(1974 - 1984) : في العنوان : اللهم أرنا الأشياء كما هي ، دعاء منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (أحاديث مثنوى / 45) ، ولمولانا جلال الدين : وإذا كانت الرؤية الصحيحة بالأمر الهين فمتى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطلبها من الله ، أما العبارة الثانية : " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " ، فمنسوبة إلى الإمام على رضي الله عنه والبيت المذكور في العنوان لمولانا جلال الدين " والدرجة العوجاء تلقى ظلا أعوج " من الأمثال الفارسية ، يقول مولانا : أيها العبيد تعلموا العبادة الصحيحة من إياز ، إن الدنيا لم تبصره ، فعبادته من أجل الحق لا من أجل المنفعة (مثلما كانت عبادة عزازيل) ، إنه ديك يعلم الفجر الصادق (الآخرة) ولا يخدعه الصبح الكاذب (الدنيا) ، ذلك الذي أهلك القوافل ، وإياك أن تقول عنه انه كاذب منافق مرائي فإنك بهذا تصف نفسك ، وتتنظر في مرآتك ، وسوء الظن من سوء الفعل ، ولعل مولانا في هذا المعنى ناظر إلى البيت العربي : إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يلقاه من توهيموالمثل الدارج الفارسي : " الكافر يظن أن الناس جميعا على دينه " . والأمر ليس ببعيد ، لقد سمى الكفار الأنبياء بالسحرة والكهنة ، واعتبر أولئك الضالون الأنبياء من الضالين ، ويعود مولانا إلى قصة إياز ، هكذا كان دين هؤلاء الأمراء مع إياز وهذا هو سر ظنهم بإياز ، إنهم يظنونه مثلهم .

(1989 - 1998) : بالرغم من أن الحديث يدخل في إطار قصة إياز إلا أن الذي يجرى على لسان الملك أدخل في باب آداب الطريق (الصوفي) ذلك أن الملك هنا يحس بوحدة مع إياز (وحدة المشاعر والأحاسيس بين الشيخ والمريد أو بين الحقيقة العليا والدنيا) ، انه يتساءل : تراه سوف يضيق من هذا البلاء ، لا ، لن يضيق . . . إنه وقور ثابت كالجبل ، وسوف يتلقى هذا البلاء كما ينبغي ، إنه بلاء من الحبيب فهو لطف وليس قهرا ، إنه سوف يفسر هذا الأمر بنفس السهولة التي فسر بها سيدنا يوسف عليه السلام رؤى صاحبي السجن (انظر يوسف / 41) ، والكلام الذي يجرى على لسان الملك يشبه أن يكون كلام الخالق في الولي الصالح ، والبيت 1996 لعل فيه إشارة إلى ما مر في الكتاب

الرابع عن ضرب المريدين لأبى يزيد البسطامي بالمدى (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات 2102 - 2134 وشروحها) ، ويقرر بعدها أن اياز هو هو : أنا من أهوى ومن أهوى أنا ، في الحب تسقط الأثنينية ، ويكون استخدام الضميرين أنا وأنت من قبيل الإشراك ، وهذا الاتحاد ليس مشاركة في الوجود لان كل ما هو في الوجود له تحققه العيني ، كما أنه لا يعنى اشتراكا في الجنس واشتركا في السمات أو في سائر الظواهر والخواص ، لأن البشر كلهم مشتركون فيها ، وهناك علاقات كثيرة تقوم فيما بينهم منها العشق كما أنه ليس مشاركة في الأفكار والمثل ، الذي يصل إلى أن يكون انمحاء كاملا في شخصية المعشوق بحيث تعبر عنه تعبيرا حقيقيا الحكاية التالية (جعفري 11 / 597 - 599) .

(1999 - 2019) : يقدم مولانا عالم العشاق الحقيقيين ، عشاق الحق ، فعاشق الحق لا يعتبر لنفسه وجودا غير وجود الحق ، ولا يعتبر للكائنات كلها وجودا ، بل هو ذائب في العشق الإلهي ذوبانا تاما ، ويقول في العنوان : إن العاشق والمعشوق قد يكونان متناقضين تناقض الاحتياج والاستغناء ، أي قد يكون أحدهما مستغنيا والآخر محتاجاً لكن كلا منهما منجذب إلى الآخر ، هما في الحقيقة واحد كالمرأة والصورة المنعكسة فيها ، والعقل تكفيه هذه الإشارات ، فما الحاجة إلى القول بأنى أرد بهذا الكلام على من يزعمون أنه من المحال أن يكون هناك عشق إلهي ، لأنه كيف يعشق المحتاج إلى ما لا نهاية المستغنى إلى ما لا نهاية ، ناهيك عن عشق المستغنى بلا نهاية إلى المحتاج إلى ما نهاية ، " يحبهم ويحبونه " ، وهذا الخبر عن الجنون لم يهتم أحد بالبحث عن مصدر له ، وقد يكون من وضع مولانا جلال الدين ، لقد اشتكى المجنون مرضا هو من الهجر والفراق ، فوصف له الطبيب الفصد ، لكن المجنون أبدى خوفه من أن يفصد ، وسأله الطبيب : مم الخوف ، أليست الوحوش تحيط بك دون أن تؤذيك ، أن العشق الذي من وجودك يفيض حتى على الحيوانات من حولك " يشير مولانا جلال الدين إلى أنه من الممكن للحيوان والوحش أن ينسى طبيعته الحيوانية ، إذا أحس بالحب وهو أمر يعرفه مروض الوحوش المحدثون جيداً "

(ويعود ويقدم تفسيراً آخر في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات 2721 - 2727 فارجع إليها وإلى شروحها) . ولماذا نبتعد ، انظر إلى كلب أهل الكهف ، نعم ، الكلاب تعرف العشق والحيوانات تعرف العشق ، فمن تم ذلك الذي ينكر العشق ، يكون أقل من الكلب وأقل من الوحش ، ولا تقل أنه كلب واحد ذلك الذي تبع أهل الكهف ، ونام في كهفهم وبعث

معهم ، وذكر معهم في القرآن ، هناك كلاب كثيرة ، تعرف معنى هذا العشق لكنها ليست مشهورة ، ومثالها ما رواه عند الرحمن الجامي في نفحات الأنس : أن سعد الدين الحموي وكان مريداً لنجم الدين كبرى عبر بخاطره ذات يوم سؤال وهو : هل في هذه الأمة من تؤثر صحبته في الكلاب ؟

وأدرك الشيخ فنهض ووقف على باب الخانقاه فمر كلب بالخانقاه ووقف وأخذ يهز ذيله ، فنظر الشيخ إليه فوصلته العطية ، وتحير وغاب عن الوعي ، وأدار وجهه إلى المدينة ، وذهب إلى الجبابة ، رأوا أنه حيثما كان يسير كان تحيط به حلقة من الكلاب تبلغ خمسة وستين كلباً وتقف في احترام ، ثم مات فأمر الشيخ بأن يدفن وأن يقيموا على قبره نصبا (انقروى 5 / 454) وبالطبع هذه الروايات رويت قبل أن يتم تدريب الكلاب على أعمال كثيرة قد لا يتقنها البشر ، وهذا التدريب يتم بوسائل عديدة من أهمها أيضاً الرعاية والحب ، وأنت إن أنكرت ذلك فلأنك منكر بطبعك ، فأنت لا تعلم شيئاً عن قلوب من هم من جنسك فكيف تعلم شيئاً عن قلوب الحيوانات ، إنك لا تأنس إلى البشر وتحاول فهمهم ، فكيف تأنس إلى الوحوش وتحاول فهمها (انظر من أجل العشق الساري في كل الكون إلى الكتاب الثالث ، الأبيات 4395 - 4423 وشروحا) ،

ويظل مولانا جلال الدين منطلقاً في تداعياته حول موضوعه المحبوب : العشق ، انظر إلى عماد هذه الحياة ، إنه كله قائم على العشق ، حتى تناولك للخبز يكون من ميلك إلى هذا الخبز ، الميل إذن هو الذي يحول هذا الخبر " الميت " إلى روح ، كما أنه أيضاً يجعل الروح خالدة ، ويعود مولانا جلال الدين إلى هذا الخبر المروي عن المجنون ، إنه لا يخشى الفصد من أجل نفسه ، بل يخشى على ليلى لأنه يحس أنه ممتلئ بليلى امتلاء تاماً ومن ثم يخشى أن يخز المبضع ليلى ، وإلا فإنه - أي المجنون - عاشق للجراح ، يسعى إليها ، ففي البلاء يكون النعم .

(2020 - 2030) : البيت المذكور في العنوان ، قال عبد الباقي (333 / 5) ، واستعلامي (315 / 5) ، أنه لسنائى ومن الحديقة وأضافا بأنهما لم يعثرا عليه في الحديقة ، كما لم أعثر عليه في الحديقة ، بل عثرت عليه في منظمة سير العباد إلى المعاد لسنائى (انظر سير العباد إلى المعاد ضمن مثنويات حكيم سنائى ، ص 208 ، سطر 10 ، تحقيق محمد تقي مدرس رضوى ، انتشارات دانشگاه طهران ، تهران 1348 هـ . ش) . ومراة اليقين يعنى بها قلب العبد المؤمن الذي لا يشوب إيمانه بالله تعالى أدنى شك ولا يريد دليلاً أو برهاناً ،

والسطر الأخير : أخرج بصفاتي إلى خلقي من رآك رأني ومن قصدك قصدني ، وارد في معراج أبي يزيد البسطامي ، وفيه روايات مختلفة . (انظر انقروى 5 / 457) ، وانظر من أجل الاختبار الكتاب الثالث ، الأبيات 743 - 746 وشروحها ، والاختبار جائز عند الوصال وليس في أي وقت آخر (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات عن امتحان المرشد 374 - 389 وشروحها) ، وعن فناء قطرة الخل في العسل ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 3670 - 3675 وشروحها) ، وامتلاء الحجر بالشمس وتحوله إلى ياقوت وخروجه عن صفات الحجرية من أفكار سنائي (انظر ديوان سنائي ، ص 376) ، وزاد مولانا على الفكرة بأن الحجر الذي يتحول إلى ياقوت يكون كل ما فيه محبا للشمس ، وحتى حبه لذاته هو حب للشمس ، ولا فرق هناك بين حبه لنفسه وحبه للشمس ، فكله من الضياء من المشرق ، الضياء الإلهي .

(2031 - 2042) : إنه أي الياقوت أو الحجر الذي تحول إلى الياقوت ، أو العاشق الذي أشرقت عليه شمس العشق فبدلته من حجر إلى ياقوت ، إن لم يتحول إلى ياقوت بالفعل ، فإن ذلك الحجر يصبح عدوا لنفسه ، ذلك أنه أنية منفصلة عن الضوء نافرة منه ظلمانية ، ومن ثم فإنه إن أحب نفسه ، وهو لا يزال على حجريته هذا ، فإن هذا يكون من قبيل الكفر ، لا يليق به أن يعترف بأن لنفسه وجودا ، فأني وجود للحجر ، ما أشبههه إذن بفرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، فأذله الله سبحانه وتعالى ، بواسطة موسى عليه السلام ، وإن كنت تريد أن تعرف الفرق ، فانظر إلى العلاج الذي قال " أنا لله " ومع ذلك فقد نجا بها وصار رأسا للأولياء ، لأنه كان فانيا في صفات الله (انظر لتفصيلات الكتاب الرابع الأبيات 2102 - 2134 وشروحها) ، والفكرة فيما يرى استعلامي (5 / 316) واردة في معارف برهان محقق ، وتكررت هذه المقارنة في المثنوى كثيرا (انظر الكتاب الثاني الأبيات : 307 و 2531 و 2532 وشروحها) ،

إذا أردت مثالا على الحجر فخذ من فرعون فلم يكن يحق له أن يقولها ، وإذا أردت مثالا عن الياقوت فخذ من المنصور وما كان له أن يقولها إلا بعد أن امتلأ وجوده بالنور ، لم يكن حولا كما ظن بعضهم ، لكنه كان امتلاء بهذا النور الإلهي ، وأنا أقول لك أيها المريد ، جاهد ، فمن جهادك هذا يمكن للحجر الكامن فيك أن يتحول إلى ياقوت ، هذا هو البقاء في الفناء الذي تشاهده في كل لحظة ، حينذاك تمضي عنك العلائق الدنيوية ، أما السكر فالمقصود به الانسلاخ عن الذات والحيرة من العشق الإلهي والنشوة التي تصيب المرء من إدراك العوالم الإلهية .

(2043 - 2049) : والطريق إلى هذا الأمر إنما يكون بان تتحول بأجمعك إلى أذن سامعة لرجل من رجال الحق يأخذ بيدك ويدلك على الطريق ويعدك لنور الشمس الساطعة ، فتتجلى بها وبمعارفها وكأنما ألبست أذنك قرطا من الياقوت ، وداوم على إخراج تراب العلائق الدنيوية والانغماس فيها من بئر وجودك هذا إذا كنت ترى نفسك إنسانا جديرا بأن تمحو عن النفخة الإلهية كل ما يعلوها من تراب ، وإن الله سبحانه وتعالى إن رآك جادا في الطلب منصرفا إليه بكل روحك وكيانك ، فإن جذبة واحدة من جذباته وهي تساوى عمل الثقلين (مولوى 5 / 298) سوف تجعل ماء المعرفة الزلال ينبثق من وجودك (انظر البيت 4786 من الكتاب الثالث) ، وذلك أن من جد وجد وسعد وأتاه الإقبال من الإله الأوحد ، ومن قبيل الجد في العمل أن تداوم على الصلاة فإنها قرع على باب الوجود مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : [أدم قرع باب الملكوت بالركوع والسجود] (استعلامى 5 / 317 وانظر الكتاب الثالث ، البيت 4785) ، والإقبال هو العناية الإلهية وبابها العمل .

(2050 - 2056) : لا يزال مولانا جلال الدين يركز كثيرا في عناوين أشعاره على أن إيازا هنا مجرد رمز عن العبد الصالح المقرب إلى الله " السلطان " ، وإلا فأية صلة بين إياز مملوك السلطان محمود الغزنوي والأنبياء والأولياء حتى يقرن بهم ؟ !
وها هو يعود إلى القصة التي بدأها في البيت 1857 وعاد إليها عدة مرات للإيهام بأنه يتحدث عن إياز ومحمود والواقع انه يتخذ منها تكتة نحو الانطلاق في إفاضاته عن العشق ، الموضوع الأول والخيط الجامع للمثنوى المعنوي بأجزائه الستة ،

وفي البيت 2053 أن إيازا كان أضن بسرره هذا بحيث جعل الحجرة فعلا تبدو وكأنها تحتوى على كنز ثمين ، وهكذا ، قلوب الرجال فهي قبور الأسرار ، وكان أيضا يعلم أن " العوام " ، يسيئون الظن به ، فمنهم من يعتبره محظيا للسلطان ومنهم من يعتبره مشعوذا ومحتالا ، وهكذا يكون صاحب الهمة - هكذا يعلق مولانا - إنه أضن بأسرار قلبه ، ولا بد أن يحفظها عن العوام ، وهذه الأسرار عند ملوك الطريق تقدم فداء للروح .

(2058 - 2065) : لا يتابع مولانا أحداث القصة إلا في بيتين اثنين ويدخل في حديث عن الحرص ، إن حرص هؤلاء الذين هاجموا حجرة إياز كان يسرع بهم نحو سراب ، ومهما أخذ العقل يحذر ، فإن الحرص قد غلب ، فلا نصح نفع ، ولا تحذير أجدى ، (عن الحرص وآفاته ، انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات 518 - 522 وشروحها) ،

والحريص يزداد حرصا كلما زيد تحذيرا لكنه عندما يسقط ويكتشف أن حرصه أراحه " وكل حريص محروم " ، تكون النتيجة المؤكدة أن النفس اللوامة " وهي الروح الإنسانية التي انتهت إلى خطاياها (مرصاد العباد لنجم الدين بن الداية ، ص 351) تسيطر عليه ولا تفتأ تلومه ، إنه - أي الحريص - لا يفيق إلا إذا اصطدم بجدار البلاء ، إنه مجرد طفل ، والأطفال يقبلون على حلوى اللوز المصنوعة من الجوز " وفي نسخة أخرى اللوز " ، ولا يستمعون النصيح ، إلا عندما تظهر القروح (لم أعرف العلاقة بين أكل حلوى اللوز وبين ظهور القروح ، ولم يشر أحد من الشراح إلى هذا الأمر) ، ولعل الأمر يرمز إلى أن أطفال الدنيا ، وأولئك الذين لا يعتبرون من " رجال " الطريق ينهمكون في لذائذ الدنيا ، ولا ينتصحوون إلا عندما تكون نتيجة هذا الإنهاك قروح وآلام تظهر على أجسادهم ، لكن المطابقة هنا لا تتم ، فلا بد أن تكون من نتيجة أكل الأطفال للحلوى بالجوز بعض المتاعب ولعلها كانت من أنواع الحلوى الشائعة في أسواق قونية والتحذير من أكل حلوى السوق عموما .

(2066 - 2079) : عودة إلى قصة إياز : لقد أعماههم الحرص فتهافتوا على الحجرة الخالية تهافت الهوام على المخيض ، أو تهافت الذباب على الشراب ، إنها تسقط فيه مندفعة ، فلا هي تستطيع أن تأكل ولا هي تستطيع أن تطير ، وهكذا أولئك الذين كانوا يفتشون غرفة إياز ، لا هم يجدون شيئا ، ولا هم يستطيعون الانصراف ، فالحجرة الخالية زادتهم شكا وريبة ، والحذاء والسترة ، وهما كل ما في الحجرة ، أصبحا سببا في زيادة الشك والريبة ، وهكذا الحريص مهما منى بالخيبة في طريق حرصه فإنه لا يعود بل يزداد حرصا وطمعا ، إنهم ينقبون الجدران ، ويحفرون الأرض ، ويدمرون ، وكلما ازدادت خيبتهم ازدادوا تدميرا ، وسرعان ما اكتشفوا أي خطأ وقعوا فيه ، لكنهم مع ذلك لا يستطيعون تدارك هذا الخطأ ، فالجدران والحفر تشهد عليهم ، ولا حل إلا العودة إلى المليك والاعتذار له ، والاعتراف بالخطأ ، وإبداء التوبة .

(2080 - 2085) : لا يزال مولانا يركز في العناوين انه لا يتحدث عن إياز كشخص بل عن الأنبياء والأولياء عموما ، والآيات الموجودة في العنوان : يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آل عمران / 106 ، 107) ،

أما الآية الثانية فهي: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (الزمر / 60) ، وفي البيت 2080 يسألهم السلطان قاصداً أو ساخراً : هه . . . كيف الحال . . . أين الذهب والأموال ، ثم ينتقل مولانا إلى فكرة دق عليها في أكثر من موضع في المثنوى : أن سيماء الوجه تفضح ما هو موجود في الباطن ، إذا حاول الإنسان كتمه أو حاول أن يظهر غيره مصداقاً لقوله تعالى : سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ (الفتح / 29) ، وبالطبع السيماء هنا من أثر الخيبة والاحباط ، وفكرة الجذر الموجود في القلب الذي يثمر بما تمليه طبيعته على الوجه وردت في الكتاب الثالث (انظر الأبيات 360 - 365 وشروحها) ، أما فكرة الذي يتظاهر بما ليس في باطنه فقد مرت في الكتاب الرابع (انظر الأبيات 1740 - 1755 وشروحها) .

وفي البيت 2085 إشارة إلى الآية الكريمة 65 من سورة يس : الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ .

(2087 - 2095) : حمل السيف والكفن من العادات القديمة عند الإقرار بالذنب أو بالدم ، أي إن شئت فاقتصص وإن شئت فاعف ، وفي البيت 2091 إشارة إلى الآية الكريمة قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ (الإسراء / 84) ، وفي البيت 2015 إشارة إلى الحديث الذي تكرر في أكثر من موضع من المثنوى : " المؤمنون كنفس واحدة " (أكثر التفسيرات تفصيلاً لهذا الحديث موجودة في الكتاب الثالث ، الأبيات 84 - 91 والكتاب الرابع ، الأبيات 1651 - 1653) .

(2096 - 2108) : إن العبد الذي تتجه إليه الاتهامات عليه أن يسعد بها وبخاصة وأنه يعلم أن ساحته بريئة أمام الخالق ، وما دام بريئاً فأى ضرر يصاب به من جراء هذه التهم الباطلة ، إنها فرصة له لكي يستخدم " حلمه " ، ويضاعف أجره من جراء هذا الحلم والبيت 2097 تكرر لمضمون البيت 1184 من الكتاب الرابع : إن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ، ولو كانت كذلك لما سقى منها الكافر شربة ماء ، فليس إقبال الدنيا دليلاً على رضا الله ، وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (إبراهيم / 42 - 43) .

وأن هذا الحلم هو الشفيع لكل البشر فإنه يعلم بعلمه ويستتر بحلمه سبحانه وتعالى ، والذي يستتر بحلمه في الدنيا ، قادر بنفس هذا الحلم أن يفغر ، حلمه هذا هو "

العاقلة " التي تتحمل الدية (العاقلة عند الإمام الشافعي هم قبيلة القاتل خطأ وعشيرته ، وهم عموماً أقرباء أب القاتل وإن كان من أهل الديوان فعاقلته عند الحنفية أهل الديوان) ، وهل تجرؤ النفس على ارتكاب الخطأ إلا إذا كانت معتمدة على هذا الحلم ، هذا هو الحلم الإلهي ، والحلم الإنساني من نوع آخر ، فكما أن الحلم صفة مستحبة عند الخالق ، فهو صفة مستحبة أيضاً عن المخلوق ، وإن كان الانغماس فيه يجعل الشيطان يجد فرجة إلينا ، فالاعتماد على حلم الخالق يجعل النفس تستنيم إلى فعل المعصية ، فيجد الشيطان السبيل إليها ، ويخدعها ويضلها ، وآدم نفسه رغم أنه كرم بالعلم وأنه مسجود الملائكة ، لكنه عندما استنم في الجنة إلى الحلم ، استطاع الشيطان أن يجد الطريق إليه ، فلا تعتمد على حلم الله ، انه ستار لكنه أيضاً يعاقب (انظر الكتاب الرابع الأبيات 164 - 171 وشروحها) .

(2109 - 2112) : يدافع مولانا عن حد القصاص في القتل ، وكأنه كان يتوقع أن يأتي زمان ينادى فيه بأن المجرم مريض ويبغى أن يعالج وأن الحياة منحة من الله لا ينبغي أن يستردها سواه سبحانه وتعالى ، وتلغى أحكام الإعدام ، وتقام السجون " الفخمة " ، ليوضع فيها القتلة والسفاحون ، ناسين أن في قتل القاتل حفظاً لحياة الآلاف ، ومن ثم جاء في الآية الكريمة وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة / 179) وهناك تلك القاعدة الحدية التي تقول أكثروا القتل فإن القتل يقتل القتل ، وأيضاً القتل أنقى للقتل ، (انقروى 417 / 5) ،

هيا يا اياز أنت صاحب الحق فاحكم باحترار ، وحذار ولا تجعل غضبك لذاتك ولشخصك ولما لحق بك يجعلك تميل إلى الهوى ، هذا بالرغم أنني خبرتك في العمل مرات عديدة ، وكم امتحنتك وخرجت من كل امتحان موفقاً طاهراً نقياً ، وبرغم أن الخطاب من الملك إلى اياز في صيغة المخاطب إلا أن البيت 2112 في صيغة الغائب لأنه مدح مباشر في اياز ولا يصح أن يخاطب به في وجهه ، إن هذا البحر - اي اياز - ليس مجرد علم ، وهذا الجبل ليس مجرد حلم أي هناك أشياء كثيرة يحتاجها البحر سوى العلم وهناك أشياء عديدة يحتاجها الجبل سوى الحلم .

(2113 - 2120) : هنا نتيجة من نتائج هذه الحكاية ، وها هو جواب اياز : إنني أيها الملك لست شيئاً ولا أساوى شيئاً دون عطائك فأنا لست شيئاً سوى هذا الحذاء وهذه السترة (في رواية العطار :

في اليوم الأول عندما فتح هذا الباب أمامي * كانت هذه السترة فوق كتفي مصيبت نامه ، ص 139 ، بتحقيق د . نوراني وصال ، تهران ، 1338) ثم يلتقط مولانا جلال الدين طرف الحديث ويبدأ في إفاضاته : أندري ما هو المقصود بالحذاء ، إنه النطفة ، أما الدم فهو سترة الراعي ، أنت نطفة ودم ، أصلك نطفة ودم ، وما عدا ذلك فعطاؤه (ما هذا ؟ النطفة والدم عطاؤه أيضاً) ، ومن هنا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

[من عرف نفسه فقد عرف ربه] ، (منسوبة أيضاً إلى الإمام على رضي الله عنه وإلى سقراط ، من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن قدرته انه جعل هذه النطفة وهذا الدم مدركة لعوالم الغيب عالمة متسلطة مهيمنة على الطبيعة ، خليفة لله في الأرض ، سيده على الخليفة وأنت وما تستحق ، بقدر جهتك وعملك وكفاحك وجهادك يجعل منك ، لقد أعطاك هذه العطية " النطفة والدم " ، كمجرد نموذج على ما في ملكه تماماً كما يعرض البستاني بضع ثمار البستان ولا يعرض البستان كله ، وكما يبين الأستاذ جانبا من علمه وكما يعرض الزارع كفا من القمح ليدلك على البيدر ، فاياك أن تظن أن هذا هو عطاؤه فحسب ، فكأنك أخذت تستقل خزائن ربك التي لا تنفد هذا عطاؤنا فأمئذ أو أمسيك يغير حساب (ص / 39) ، وإن قلت أن هذا هو ما عند الله فحسب صرت من المبعدين .

(2121 - 2127) : يتعجل الملك " إياز " ، في الحكم على من دسوا عنده ، هيا فاحكم بهذا العدل الإلهي الذي يختلف عن العدل الدنيوي الوهي ، لكنه لا يلبث أن يقول : إن الذين أجرموا في حقك يستحقون القتل ، مع أنه لا قتل إلا في قتل ، إذن فربما فسر الأمر على أن " الفتنة أكبر من القتل " ، لكنهم مع ذلك يرجون عفوكم ، وكلا الأمرين وارد ، الناس حيناً يرون أن القصاص واجب وحيناً آخر يرون أن العفو واجب ، والله سبحانه وتعالى سبقت رحمته غضبه (الترغيب هنا في الرحمة والعفو) .

وبهذين الحبلين يجذب الحلق منذ اليوم العهد والميثاق ، منذ أن أخرج ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، فهناك موضع يصلح فيه الكوثر (العفو) وموضع آخر يصلح فيه اللهب (الانتقام) حتى لفظ " ألست " ، هو أيضاً يحمل الضدين : النفي والإثبات ، هو استفهام للإثبات ، وإن كان لفظ " ليس " ، موجوداً فيه ، أي نفي وأي إثبات

تخوض فيه ، أترك هذا كله فلا يجوز أن تناقش هذه الموضوعات أمام العوام ، إنها من موضوعات الخواص .

(2128 - 2133) : يعود مولانا إلى الفكرة التي يدق عليها كثيرا وهي أن الأمور نسبية ، وطبقا للجذب ، فالحق يجذب الحق والباطل يجذب الباطل كما يجذب المغناطيس الحديد ، وكما يجذب الكهرمان القش ، وكما تجذب المعدة الجديرة بالحلو الحلو إليها ، وكما تجذب المعدة المريضة إليها الخل ، كما يقضى الفراش البارد على الحرارة والفراش الحار على البرودة ، وكما تفيض رحمة ومودة وبشرا عندما ترى الصديق وبغضا وسطوة عندما ترى العدو ، أنت وطبيعتك وعملك وفعلك ، ثم يعود إلى خطاب الملك إلى اياز : هيا وافصل في الأمر فإن الانتظار في حد ذاته نوع من الانتقام ، العدالة ينبغي أن تكون سريعة .

(2134 - 2140) : في العنوان : " الانتظار هو الموت الأحمر " . . . والموت الأحمر في معجم الصوفية له عدة معان منها تحمل اذى الخلق ، الموت في الجهاد ، وتحدث المولوي عن أربعة من أنواع الموت : موت أحمر وهو تحمل الجفاء وكف الأذى وموت أصفر وهو الجوع والاصطبار على الإعسار وموت أبيض وهو العزلة وموت أسود وهو مخالفة النفس والهوى (مولوى : 411 / 5) .

وروى صاحب تذكرة الأولياء عن حاتم الأصم أنه قال : على من يدخل هذا الطريق أن يزوق ثلاث ميتات : موتا أبيض وهو الجوع وموتا أسود وهو الاحتمال وموتا أحمر وهو لبس المرقع (تذكرة الأولياء / 201) ،

والذي يناسب السياق هنا هو تفسير الموت الأحمر بمعناه اللفظي أي القتل . يجيب اياز بأن الأمر كله متروك للملك ، والبيت 2135 يكاد أن يكون ترجمة لبيت النابغة الذبياني : فإنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبد منهن كوكبويرى اياز أنه هو الذي أثار شكهم وريبتهم ، فلو انه كان قد نسي ماضيه وأصله ، ذلك أن [كل ذي نعمة محسود] ، وما دام المرء مقيما على غير ما درج عليه الناس فهو عرضة لاتهامهم [والمخلصون على خطر عظيم] ، إنني أنا بكتمي هذا السر ، ووضعني الأقفال على الحجرة المسؤول عن كل هذا الموقف لقد أدى إلى الشك في أنا الذي اعتبر معدنا للوفاء ومثالا له ، وما كان بحثهم عن الغدر مني إلا كباحث عن مدرة جافة في قاع جدول ، أو عن سمكة خارج الماء ، أي كان بحثهم عن غدري وخيانتى من قبيل البحث عن المحال .

(2141 - 2149) : من هنا يترك مولانا القصة ويدخل في حكايات وموضوعات غيرها حتى البيت رقم 3250 عندما يعود إليها . . . يقول : إن حديثي عن الوفاء أمام من جبلوا على الغدر والخيانة هو إلقاء بالمشقة عليهم ، كيف يمكن أن يتحدث أحد عن اللباب أمام من وقفوا عند القشور ، وذلك أن للقشور صوتا يعجب الأذان ، إذن فاعلم أن للباب أيضاً له صوت ، وصوت حسن ، أفضل كثيراً من خشخشة القشور التي تعجب بها ، لأنها تدلك على أن هناك لباً ، فتذهب وتسطو عليه ، لكن صوت اللب ليس مبذولاً لكل أذن ، فالقشر هو ظاهر الإنسان واللب هو باطنه الذي ينبغي أن يستمع إليه بأذن الروح ، والطريق إلى فتح أذن الروح وتمكينها من العمل يكمن في أن تسد أذن الجسد وشفة الجسد ، وتصمت ، وتصبر ، وتطلب أن تنزل عليك عطايا الله ، ويطلب مولانا من نفسه أن يقوم بهذه التجربة ، لقد جربت كثيراً من النظم والنثر ، فجرب لمدة يوم واحد أن تكون صامتاً ، تراه لم يصمت حتى ليوم واحد ؟ !
أغلب الظن أنه فعل ، لكنه يخاطب نفسه أحياناً بما كان ينبغي أن يخاطب به المريدين .

(2150 - 2162) : المن نوع من الحلوى المشهورة في إيران وهو حلو ، لكن مولانا افترض أن هناك منا مراً ، وحريفاً ورمز للكلام والحديث بالمر والحريف وللصمت بالمر الحلو ، وفكرة كتاب اليمين وكتاب الشمال مرت في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات 1806 - 1826 ، وفكرة النظر في الكتاب مرت في الكتاب الرابع ، الأبيات 15640 - 1677 وفكرة التبديل تبديل السيئات إلى حسنات مرت أيضاً في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات 1847 - 1858 .

(2163) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت ، تجاهل كل المفسرين القدامى والمحدثين تأصيلها ، وهي تبدو من الحكايات الشعبية أيضاً ، وفيها غير قليل من الهزل أثرت ترجمته لكي يكتمل النص وكما فعلت في الحكايات المشابهة ، كما ناقشت عند تعليقي على قصة السيدة والحمار موضوع الجنس في التراث الإسلامي عموماً (انظر تعليقي على البيت 1333 من هذا الكتاب) ، والآية المذكورة في العنوان : وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ * (لقمان / 25) .

والحكاية قائمة على من يكذب حاله مقاله وهو من الموضوعات المحببة عند مولانا جلال الدين (مثالها الواضح قصة ذلك الشاعر الذي لم يأخذ صلة من الممدوح ، الواردة في الكتاب الرابع ، الأبيات 1739 - 1765) ،

وفي الحكاية أيضاً قاعدة فقهية لم ينتبه إليها المفسرون وفحواها أن جماع ملك اليمين لا يتم إلا بإذن من الزوجة وليس أمراً مباحاً على الإطلاق ، واستخدام الزاهد هنا سخرية من الزهاد المرائين ، وهم كالصوفية المتظاهرين ، كانوا موضعاً لسخرية مولانا جلال الدين وهجومه .
(2166 - 2167) : لفكرة أنه إذا جاء القضا ضاق الفضا ، وإذا حل القدر عمى البصر وإذا حلت التقادير بطلت التدابير ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 380 - 389 وشروحها) .
(2175) : الاتصال الجنسي عندما يتم برغبة وشوق من الطرفين يكون اتصالاً للروح بالروح ، وليس مجرد امتزاج جسدين بشكل حيواني ناهيك عما يعتبره حتى وإن تم في إطار شرعي أمراً مكروهاً .

(2179 - 2190) : هناك فرق كبير بين عبادة الخوف وعبادة العشق ، فالعارف العاشق يمكن له في لحظة واحدة أن يقطع من الطريق أضعاف أضعاف ما يقطعه العابد بتأثير الخوف ، أو كما يقول يحيى بن معاذ الرازي : الزاهد سيار والعارف طيار (عن استعلامي 5 / 323) ،

فالعارف يستطيع في اطرقة واحدة أن يصل إلى اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون ، وإياك أن تحاول أن تزن أمور العارف بالعقل ، فهي خارج العقل وخارج الوهم ، فخوف الزاهد لا يساوي شيئاً إلى جوار عشق العارف ، وأين تلك الصفة التي يوصف بها الله سبحانه وتعالى أي صفة العشقيُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، إلى جوار تلك الصفة التي لا يوصف بها إلا الإنسان وهي صفة الخوف ، ولا يمكن أن يوصف الإله العظيم بها ، إنني مهما تحدثت عن العشق يظل الأمر ناقصاً ، فنحن الناقصون المتحدثون بالأحاديث الناقصة ، وقبل ذلك قلت لي عندما كنت أتحدث عن العشق : إنني لو شرحت هذه الأمور لصار المثنوى ثمانين مجلداً

(البيت 4445 من الكتاب الثالث) وقلت أيضاً : أن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال (البيت 4370 من الكتاب الثالث) وأضيف هنا أنني حتى ولو تحدثت عن العشق دائماً لقامت مائة قيامة (لمرت أعمار على أساس أنه إذا مات ابن آدم فقد قامت قيامته) ويؤكد هذا قوله في البيت التالي أن القيامة محدودة بزمان ، لكن خالق القيامة ، وهو الموضوع الأول للعشق ليس محدوداً بزمان ومن ثم لا يحد عشقه بزمان .

(2191 - 2196) : يواصل مولانا إفاضاته عن العشق : إن العارف لا يقطع هذه المسافات والأزمنة بحوله وطوله ، بل بواسطة تلك الأجنحة التي يملكها العشق والتي تمتد من أعلى العرش إلى الثرى ، ومن هنا فالزاهد بمثابة من يمشى على قدميه ، إنه مهتم بالدنيا ، إن زهده فيها موقف منها ، وهو دائما في قيد ما يجوز ولا يجوز ، لكن العاشق لا يهتم بالدنيا أو بالآخرة إنه يريد وجه الله ، فهو فان فيه ، ومن ثم أصبح سريانه في الموجودات كسريان الحقيقة ، وأسرع من الهواء ومن البرق ، ومن هنا فمشاغل الزهاد كثيرة ، والخائف غالبا ما هو مشغول بما هو خائف منه ، أما العشاق فقد جعلوا همهم واحدا ، ومن ثم أصبحت السماء دانية لهم وكأنها الأرض ، والعناية الإلهية فحسب هي التي تستطيع أن تجعل الزاهد والخائف عاشقا ، وتقول له : انطلق . . . دعك من ذلك السير الأرضي ودعك من كل أوهامك ، وكل رؤاك ، وكل قيلك وقالك ، فهذا القيل والقال بمثابة مناقشة أهل المدرسة للجبر والاختيار ، أي جبر وأي اختيار ، يكفي العاشق فخرا أنه فان في الله منطلق كالصقر الملكي " الروح " .

(2205 - 2210) : عودة إلى مناقشة كتاب الأعمال التي تمت مناقشته في الأبيات 2151 - 2156 ، وفي هذه الأبيات مضمون الآية 25 من سورة لقمان ، وقد مر الحديث عنها في شرح الحديث 2163 .

(2211 - 2220) : الأبيات هنا ناظرة إلى قوله تعالى يَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ، حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (فصلت / 19 - 21) ، (انظر أيضاً الكتاب الثالث ، الأبيات 2457 - 2467 وشروحها) . إذن فليست أقوالك هي التي تشهد لك ، أفعالك هي التي تشهد لك ، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وهذه الأعضاء تشهد عليك لأنها بمثابة العبد منك أيها السيد هي تابعة لك وغير مسؤولة عما ارتكبت .

(2220 - 2227) : على كل حال فإن الفرصة لم تفلت منك بعد ، فباب التوبة مفتوح ما لم تغرغر وتبلغ روحك الحلقوم (عن باب التوبة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات 2503 - 2508 وشروحها) ، رَوِّ جذور العمر بماء التوبة وهو بمثابة ماء الحياة الذي يجعل هذه الشجرة التي جففتها الذنوب خضراء مورقة أصلها ثابت وفرعها في السماء تُؤْتِي أُكْلَهَا

كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَافَايَ ماء هذا الذي يجعل حتى تلك السيئات التي قمت بها تتبدل إلى حسنات ، إنه أشبه بكيمياء التبديل مصداقا لقوله تعالى لَا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (الفرقان / 70) (وعن التبديل انظر أيضاً ، الأبيات 1835 - 1854 من الكتاب الذي بين أيدينا) فهياتب هذه التوبة النصوح ، وأنا أعلم انك قد ملت إلى التوبة فجدد ميلك إليها .

(2228) : تعبير طريف ذلك التعبير الذي يقدمه مولانا عن التوبة : كاللبن يخرج من الثدي ولا يعود إليه ثانية ، والتوبة ألا تذكر الذنب ، وفي رواية أخرى ألا تفتأ تذكر ذنبك ، لكن مولانا حدد : الذكر بميل ، ولا شك أن الذكر بكراهة يقوى التوبة ، فكلما ازداد كراهية لذنبه كان ذلك دليلا على أنه وجد لذة القبول ، وأن لذة القبول هي التي حلت محل لذة الذنب القديم إذ لا يقضى على عشق إلا عشق آخر (انظر 880 - 883 وشروحها من الكتاب الرابع) ، والبيت المذكور (ليس لمولانا كما اعتبره الشارحون وإلا لما قال : كما قالوا ، وقد يكون لأبي سعيد) ، أما الآيات الكريمتان مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (الليل / 5 - 10) ، ونصوح هذا اسم شخص وليس صفة كما وردة في الآية الكريمة : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا (التحريم / 8) ، ويرى عبد الباقي أن الخيال الشعبي هو الذي حول نصوح من صفة إلى شخص (370 / 5) في حين أن الرواية وردت قبل مولانا في إحياء علوم الدين للغزالي ، وفي مقالات شمس ، وأغلب الظن أن مولانا أخذها عن مقالات شمس ، لأن مضمونها أقرب إلى روايته ، كما ذكرها مولانا أيضاً في المجالس السبعة (مأخذ 175 - 176) .

(2235 - 2241) : إن الإنسان ليتوب ، لكن النفس الكافرة الأمارة بالسوء ما تنفك توسوس له حتى يعود ، وقد تتحقق التوبة عن طريق أحد رجال الله ودعائه " همم الرجال تزريح الجبال " ، لقد عرف الولي ما يجول في خاطره وقرأ سر ضميره لكنه ستر عليه ، فهو متخلق بأخلاق الله ، ومن أخلاق الله سبحانه وتعالى الحلم على خلقه والستر عليهم فهو الحليم الستار ، وما أكثر ما يعرفه هؤلاء الأولياء لكن الشفاء صامته ليس ضنا بالعلم ولكن سترا على الخلق ، والبيت 2238 قريب من قول حافظ الشيرازي :

لا أدري من يوجد داخلي أنا المعذب القلب * فأنا صامت وهو ملء بالضجة والصخب (ديوان حافظ / 83) فليس كل البشر مهينين لفهم كل الأسرار ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : [إن من العلم كهينة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله عز وجل ولم يتحملة إلا أهل الاعتراف بالله عز وجل ، فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فإن الله لم يحقره إذ آتاه إياه] وفي خطبة لأمير المؤمنين على رضي الله عنه : اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية " الحبال " ، في الطوى " الآبار " ، البعيدة ، وقال أيضا : إن هاهنا لعلماء جما لو أصبت له حملة ، وفي أبيات لعلى زين العابدين السجاد رضي الله عنه : إني لأكتم من علمي جواهره * كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا وقد تقدم في هذا أبو حسن * إلى الحسين ووصى قبله الحسنيا يا رب جوهر علم لو أبوح به * لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسناقام في بنى عليه السلام : إن عيسى بن مريم عليه السلام وعن الصادق رضي الله عنه قال : قال إسرائيل فقال : يا بني إسرائيل لا تحدثوا بالحكمة الجاهل فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم " ، ومن ثم يوصى المريدون بعدم إفشاء الأسرار (جعفري : تفسير ونقد وتحليل مثنوى جلال الدين محمد ، ج 12 ، ط 10 ، تهران ، اسلامي 1363 ، صص 96 - 102 ، بعد ذلك جعفري / 12) .

وطالما يحدث مولانا جلال الدين نفسه في المثنوى ، أصمت كفاك حديثا ، إن تحدثت سوف تأخذ الغيرة بأذنيك وهلم جرا .

(2242) : العارف الواصل " الحق " مستجاب الدعاء ، وهذه الفكرة أن فعل الولي من فعل الله تكررت في المثنوى (انظر الكتاب الثالث ، البيت 2222) والحديث المذكور في العنوان : [من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها] . قال الشيخ الأكبر : ولا بد من إثبات عين العبد في الفناء في الله وحينئذ يصح أن يكون الحق سمعه

وبصره ولسانه ويده فعم قواه وجوارحه بهويته على المعنى الذي يليق به ، وهذه نتيجة قرب النوافل وأما قرب الفرائض أن يسمع الحق بك كأنه قال : إذا أحببت عبدي فغلبت محبتي عليه وسلبته الاهتمام بغيري فيتصف ظاهراً وباطناً بصفاتي فيسمع ما أسمعه ويبصر ما أبصره ويمسك بقدرى ويمشى بإرادتى فتكون جوارحه وأعضاؤه لي آلة . وهذا أيضاً مفهوموما رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتَ (مولوى 5 / 336) .

(2245) : ومع ذلك فالأمور كلها من عند الله تعالىهْدِي مَنْ يَشَاءُ * وما الولي والعارف الذي يدعو إلا من قبيل السبب الذي يهيئه سبحانه وتعالى ، فالدعاء والاستجابة منه أيضاً ، وهو الذي يلهم الأفواه الدعاء ، إذا أراد الاستجابة (انظر الأبيات 190 - 207 وشروحها ، من الكتاب الثالث) .

(2273) : عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أنه قال : [اشتدى أزمة تنفرجى] (النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، 1 / 496) . وقد نظم أبو الفضل يوسف المعروف بابن النجوى قصيدة في هذا المعنى مشهورة باسم القصيدة المنفرجة أولها : اشتدى أزمة تنفرجى . ثم يستمر : قد أذن صبحك بالبلج ، وظلام الليل لها سرج حتى يغشاه أبو السرج . وقال ابن الفارض : أصبحت فيك كما أمسيت مكتئباً * ولم أقل جزعاً يا أزمة انفرجى (انقروى : 5 / 497)

(2275 - 2286) : من خلال موقف من مواقف القصة يتحدث مولانا عن " ديناميكية " اتصال المضطر وسره وضميره بالملا الأعلى والسر مرتبة من مراتب الروح السبعة (انظر البيت 3131 من الكتاب الثالث) لقد فنى المضطر عن وجوده ، فاتصل سره بالملا الأعلى ، فاستدعى روحه كما يستدعى السلطان البازي لأن يعود بصيده ، إن الانكسار أيضاً براق عظيم في تلك اللحظة ، فقد خرق الخضر السفينة لتنجو ، ومثلها سفينة المضطرأمن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ لَقَدْ أَنْقَذَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَفِينَتَهُ الْمَحْطَمَةَ عَلَى شَاطِئِ الرَّحْمَةِ ، وهكذا عندما تجردت الروح من الجسد ومن عاره ، استطاعت أن تحلق عالية نحو أصلها ، ويواصل مولانا الصورة التي يغرم بها صورة الروح كبازي

(قوية ملكة الطيور قادرة على التحليق) والتي تقف على ساعد السلطان ، ثم تنطلق إلى الدنيا في أثر " الطين " حتى إذا دق لها طبولاً رَجَعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً

انطلقت إلى أصلها مما عبر عنه في غزلية من غزليات ديوان شمس " انظر شروح الآيات 1660 - 1664 من هذا الكتاب " ، وعبر حافظ الشيرازي عن نفس الفكرة بقوله : طائر قلبي طائر قدسي عشه العرش * مل قفص الجسد وشبع من الدنيا ومن باب هذه المتربة عندما يطير الطائر * يتخذ موقعها ثانية على هذا العش وعندما يطير من هذه الدنيا تكون السدرة * فاعلم أن متكأ طائرنا شرفة العرش (ديوان حافظ : جامع نسخ ص 364) وهكذا عندما يتخلص بازي الروح مما يغل قدمه ينطلق نحو السلطان ، ولا يستبعد شيء عن رحمة الله ، فإن رحمة الله وسعت كل شيء ، وعندما يجيش بحر الرحمة يكون للحجر نصيبه من ماء الحيوان فيحيا وينطق (ويقول لداود خذني لقتال جالوت ويبلئ بلاء حسنا في القتال) ، ومن الرحمة تصوير الذرة والهباء في عظمة الشمس ، ويصبح هذا الأديم الترايبى مناجم ذهب ، وتطوله يد رحمة الربيع فيصبح وشيا منمنا ، ويصبح كل مستحيل ممكنا ، فيعود عزيز من قبره ويحيا (انظر الكتاب الرابع الأبيات 3271 - 3279 وشروحها) ويعم السلام ، فيجالس الذئب الشاه (تشبيهه قاله أحد شعراء السلطان محمود لعله العنصري مدحا له وظل تعبيرا نمطيا في الأدب الفارسي) ، وبرحمة الله تعالى لا تجد قانطا ، بل يصبح القانطون كلهم متهللين فرحين .

(2300 - 2316) : إن هذه الرحمة قد فاض بها فضل الإله ، ورحمته وعطاياه لا تنتظر مستحقا ، إنها كالغيث يهمل على المزارع والصحارى ، لقد كن يعتذرن لنصوح على سوء ظنهن فيه (فيها) ، وهن اللاتي يستحقن الاعتذار منه ، فأى جريمة هذه سرقة الجوهرة إلى جوار الجريمة الكبرى ، جريمة أنه رجل وهن ينكشفن عليه على أساس أنه سيده ، وهو ما لا يفكر إبليس نفسه في القيام به ، كل هذا كان الله سبحانه وتعالى يعرفه - بالتأكيد كان يقول هذا لنفسه أو كان يجول في خاطره - إن الرحمة هي التي جبرت انكسارى ورتقت ما تمزق من ردائي ، جعلتني سوسنا حرا ، ومحاربي ذنوبي إذ أن : التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وتحولت آهتي إلى نجاة ، نجوت بها من بئر نفسي ، والبيت 2315 مأخوذ من حديقة سنائي ، (البيتان 685 و 686 من متن الحديقة) ، والمقصود بالروضة

والعيون رياض الرحمة و عيونها ، ويا ليت قومي يعلمون ، سورة يس ، قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (يس / 26 - 27) .

(2326) : القصة التي تبدأ بهذا البيت من قصص كليلة ودمنة أعاد مولانا جلال الدين صياغتها ، وتصرف فيها لتخدم أهدافه من القصة وإفاضاته التي تختلف عن أصل القصة اختلاف ما بين السماء والأرض ، وهناك إشارة في الحديقة عن صيد الأسد وكيف يكون لكل الوحوش (البيت 810) . كما ورد في نفس الكتاب الذي بين أيدينا تشبيه الشيخ بالأسد (البيت 3216) .

(2339 - 2350) : يترك مولانا قصة الأسد والحمار ويتحدث عن القطب ومن الواضح انه لا يتحدث عن القطب كدرجة في سلسلة الولاية ، لكنه يتحدث عن الولي عموما " انظر لتأييد هذه النظرة ، الكتاب الثاني 818 - 825 " فمولانا جلال الدين يعطى كل هذه الصفات عندما يتحدث عن الدرويش " الحقيقي " و " الولي " ، و " الشيخ " و " المرشد " ، وهو هنا يشبهه " بالأسد " ، بالطبع أسد الطريقة الذي " تصيد " المغفرة والرحمة ، وتنزل عليه الإفاضات الإلهية ، ثم يهبها لمن حوله كل بحسب درجة " استعداداه " فليس من عادة الشيخ أن " يأكل " أو " يشرب " وحده (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات 1816 - 1819 وشروحها) ، وليس بدعا أن يكون الرزق بالقطب وقديما قال الشاعر العربي " خليفة الله يستسقى به المطر " ، وإلى مثل هذا أشار ابن الفارض بقوله :

ومن فضل ما أشربت شرب معاصري * ومن كان قبلي فالفضائل فضلتى

(انقروى 5 / 506) فاعتبر القطب عقلا يناط به تدبير أمور الجسد ، وإن تساءلت وكيف إذن يكون هذا القطب ضعيفا ؟ !

فإن الرد : إن الضعف في الجسد لا يعنى ضعف الروح ، وهل يعمل القطب بجسده ، إن عمله بالروح بها يتلقى الفيض وعن طريقها يفيض به بدوره على المريدين ، وهو من عظمتة جدير بدوران الأفلاك حوله - العالم كله متعلق به وليس هو متعلقا بالعالم - وهذا المعنى متأثر بابن الفارض في قوله : فبى دارت الأفلاك فاعجب لقطبها * المحيط بها والقطب مركز النقطة (انقروى 5 / 507)

ويضيف الانقروى : والقطب أزلا وأبدا من أول الوجوه إلى آخرها هو الحقيقة المحمدية ، وهو الواحد الذي موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام ، والفكرة أقرب إلى قول ابن الفارض : ولا فلك إلا ومن نور باطني * به ملك يهدي الهدى بمشيئتي فإن كنت مؤمنا بهذا القطب ساعده في مرمة سفينة " جسده " ، ففي عونك له عون لك ، ذلك إن الله تعالى جعل المنتصر من عبده من ينصره هو ، فإن نصرت الله نصر كان تنصروا الله يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (محمد / 7) .

قال نجم الدين : " يشير إلى أنكم إن وجدتم في أنفسكم شيئا يحرضكم على نصره الله فذاك من أثر نصره الله إياكم فإنه قد نصركم بالتوفيق لنصرة الحق فأما نصره من العبد فعلى وجهين صورة ومعنى ، أما النصر في الصورة نصره دينه بإيضاح الدليل وتبيينه وشرح فرائضه وسننه وإظهار معانيه وأسراره وحقايقه ثم بالجهاد والنفر لإعلاء كلمته وقمع أعداء الدين ، وأما نصرته في المعنى فبإخفاء الناسوتية في لاهوتيته ليبقى هو بعد فناء خلقه ، وأما نصره الله للعبد فهي أيضاً على وجهين :

صورة ومعنى أما نصرته للعبد في الصورة فبارسال الرسل وإنزال الكتب وإظهار الإعجاز والآيات وقد بين السبل إلى النعيم والجحيم ، وحضرة الكريم ثم بالأوامر في الجهاد الأصغر والأكبر وتوفيق السعي فيهما طلباً لرضاه ولا ابتغاء هواه وبإظهاره على أعداء الدين وقهرهم في إعلاء كلمة الله العليا وما نصرته للعبد في المعنى فبإيتاء رشده في إفناء وجوده الفاني في وجوده الباقي بتجلى صفات جماله وجلاله " (مولوى 5 / 338) .

فإنك أن قمت بالصيد كالثعلب فإنما تصيد بهمة هو لا بهمتك أنت ، فمما علمك إياه تستفيد فما أنت إلا تلميذ له و " ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم " (انقروى 5 / 509) . والقطب إنما يطلب من المريد أن يصيد له صيدا حيا لا صيدا ميتا كصيد الضباع ، لكنك على كل حال أن حملت إليه صديا ميتا سوف يحيا بأنفاسه ، إن من يصيد بنفسه ودون إرشاد من المرشد لا يصيد إلا الأوهام والخيالات ولا يصل إلى عالم الغيب ، وإن كنت لا تصدق أن الميت ينقلب إلى حي ، فانظر إلى القمامة توضع في البستان فتصبح سمادا ينبت به سبحانه وتعالى الزهور والنباتات .

(2358 - 2360) : من الواضح بالطبع أن مولانا قد ترك تيار القصة وساق " نفسا " عن الرضا على لسان الحمار ، إذ ينبغي الصبر على ما أعطى الله ، والرضا والقناعة به مصداقا

لقله تعالى :نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (الزخرف / 32) ، فالصبر على كل حال هو مفتاح الرج ، وكل نعمة في هذه الدنيا على كل حال مقرونة بغم (ورد في الحديقة ما يقرب من هذا المعنى في حكاية ذلك الذي قال لبهلول : أريد أن أهيك بردة فقال على أن تزيدني عليها مائتي عصا ، ذلك لأن راحة الدنيا مقرونة بشقائها
(انظر حديقة الحقيقة لسنائي ، ، الأبيات 5339 - 5342) وإلى مثل هذا المعنى ذهب الشاعر الفارسي :

لا كنز بلا حية ولا ورد بلا أشواك * ولا سرور بلا حزن في هذا السوق (عن جعفري 12 / 123)

(2361) : يرى استعلامي أن هنا نوعا من السهو إذا انتقل مولانا من حمار القصار إلى حمار الخطاب ثم قال في المتن انه حمار السقاء (5 / 329) ،
والواقع أن السهو هنا بين " حمار الخطاب " ، في العنوان و " حمار السقاء " ، في البيت الأول ، فالحكاية هنا لا دخل لها بحمار القصار ، وحمار القصار هو الذي يرويها ليضرب مثلا على أن كل نعمة مقرونة بغم ، ومن ثم أولى بالإنسان أن يطلب من الله المغفرة له لذة الدنيا والآخرة ،
لأن الاستغفار مقرون بالرزق وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ (هود / 3) ، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (نوح / 10 - 12) .

وقد قيل " العناية تهدم الجناية وتورث الهداية وتصل الولاية ، (انقروى 5 / 511) ، فالنعمة فخ حبة ظاهر وشبكته خفية . والحكاية المذكورة هنا لم يهتم أحد بالبحث عن أصل لها وفي الحكاية روح حكايات كليلة ودمنة " وتشبه حكاية فأر المنزل الذي دعا فأر الحقول إلى المنزل للتناول من خيراته ورؤية فأر الحقول للمصيدة وتفضيله الفقر مع العافية عن الغنى مع الخطر " .

(2382 - 2387) : عودة إلى مناقشة الثعلب مع حمار القصار وتدور المناقشة حول فكرة التوكل والكسب وهي من الأفكار التي ناقشها مولانا في الكتاب الأول في قصة الأسد والوحوش (من البيت 903 إلى البيت 1398 من الكتاب الأول) ، وكل فريق يجد من الكتاب والسنة ما يدعم رأيه بل وحاولوا التلفيق بين التوكل والكسب ، وقالوا أن التوكل لا يعنى القعود عن الكسب ، بل ينبغي أن يكون ثم كسب مقرون بالتوكل :
" التوكل حال النبي والسعي سنته فمن ابتغى حاله لا يترك سنته " ، كما ورد في الرسالة

الفشيرية .

ومما يتفق ومعنى الحديث " اعقلها وتوكل " ، ما روى من قول عمر رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أعلى أمر قد فرغ منه أو على أمر مبتدأ ؟!

فقال :

على أمر قد فرغ منه ، فقال عمر : أفلا نتكل وندع العمل ؟ ! فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، كما ورد في التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذي ، فالتوكل محله القلب والحركة بالظاهر ولا يتناقضان (عن تعليقات كفاي على القصة المذكورة في الكتاب الأول ، ص 487) والحمار هنا هو الذي يدافع عن التوكل ، بينما يدافع الثعلب عن الكسب حتى يجبر الحمار من موطنه إلى حيث يوجد الأسد ، يقول الثعلب : إن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بطلب الرزق من مظانه ، والرزق مرهون بهذا الطلب ، وقد قال تعالى : فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الجمعة / 10) ، وقال صلى الله عليه وسلم : طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ، وقال أيضاً : طلب الحلال واجب على كل مسلم ، (انقروى 5 / 514) .

ومن أقواله أيضاً صلى الله عليه وسلم :
أبواب الأرزاق مقفولة والحركة مفتاحها . (أحاديث مثنوى ، ص 168) .

(2388 - 2392) : يجيب الحمار مدافعا عن التوكل بمضمون ناظر إلى الآية الكريمة تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لَا تَكُن مِمَّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ (العنكبوت / 60) .
والحديث الشريف :

[لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعدو خماسا وتروح بطانا] .
وقوله تعالى : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعُمْرَةِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (الطلاق / 2 - 3) .
والأبيات كلها تكرر لأفكار بل وتعبيرات وردت في حديقة الحقيقة (انظر الأبيات 796 - 822 ، صص 105 - 107 من المتن الفارسي) .

(2393 - 2397) : يرد الثعلب : إن هذا التوكل الذي نتحدث عنه أمر نادر الحدوث ، إنه ديدن الكمل من الرجال من أوليائه وأحبائه ، الذين رضى عنهم وأرضاهم ، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد شبه القناعة بأنها الكنز ، فمن تراه وصل إلى هذا الكنز ، أتراك - وأنت حمار - تطمع في هذا الكنز وتريده لنفسك ، اعلم قدرك واحفظ أدبك ، وإلا سقطت في الفتنة وفي الشر ، إذا وضعت هذه النفس في غير موضعها .

(2397 - 2400) : يرد الحمار : إن هذا قلب للأمور منك أيها الثعلب فمن أين تأتي الفتنة ومن أين يأتي الشر إذا اعتصم الإنسان بالقناعة ، إن الفتنة والشر إنما يتأتیان من الطمع

وقد قال صلى الله عليه وسلم [إياكم والطمع فإنه هو الفقر الحاضر وإياكم وما يعتذر منه] (انقروى 5 / 517) . وكما يكون المرء عاشقا للرزق فإن الرزق أيضاً عاشق له كما قال صلى الله عليه وسلم : [إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه] ، وفي رواية أخرى وكما يطلبه أجله (استعلامى 5 / 331) .

(2401 - 2403) : يسوق مولانا هنا حكاية لها أمثال عديدة في كتب الصوفية (مأخذ 178 و 179) ، لكن المهم انه يذكر بطلها " كزاهد " ، وليس كصوفى ومن سوق مولانا جلال الدين لهذه الحكايات وطريقة تعبيره عنها يتضح موقفه من هذا النوع من الزهاد أو الصوفية المتنطعين الحرفيين والزاهد هنا متنطع وحرفى يذكر بذلك الزاهد الآخر الوارد في الكتاب الثالث من المثنوى والذي شق على نفسه فنذر ألا يقطع ثمرة من شجرة جبلية ولا يهزها ولا يطلب من أحد تصريحاً وكناية أن يهزها ، وأنه لن يأكل إلا مما تسقطه الريح من الشجرة ، وكيف أخذته الغيرة الإلهية فأخذ مع لصوص وقطعت يده .

(انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 1636 - 1639 و 1674 - 1684 وشروحها) إن هذا يكون أشبه بامتحان الله ، ومن امتحن الله تعرض لامتحانات القضاء (انظر الكتاب الرابع الأبيات 360 - 386 وشروحها) والحديث المذكور في البيتين هو حديث : [إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه] .

(2416 - 2418) : يخاطب الدرويش قلبه : ها أنت أيها القلب تعرف السر وتعرف أن الله هو الرزاق ساق إليك الرزق وأنت شبه جثة ، فكفاك تدلا (حتى التدلل هنا مكروه ، وانظر الكتاب الثالث ، الأبيات 1320 - 1325 وشروحها) ، ويجيب القلب : أجل أعلم ، لكنني متمعدٌ فيما أفعل كي أؤمن تماماً أن الله هو الرزاق !!

(2419 - 2424) : يجيب الثعلب : إن كل هذه حكايات ، ولو كان الله تعالى يريد منك أن تقعد بلا كسب لما خلق لك يداً ، ولا قدماً ، ثم إن هذا العالم قائم على الكسب ، أتراك بكسبك وبعلمك تنفع نفسك فحسب ؟ !

لا . . . إنك جزء من مجتمع ولكل واحد حرفته التي يتكسب منها ويفيد الآخرين ويستفيد هو أيضاً من أعمال الآخرين وحرفهم ، والدنيا قائمة على هذه المشاركة ، كل إنسان يعمل : " ومن أخذ من الناس المنافع ولم يعطهم نفعا لم يدخل تحت قوله تعالى : وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، ولهذا ذم من يدعى التصوف فيتعطل ولا يكون له علم يؤخذ منه ولا عملٌ صالح في الدين يقتدى به بل يجعل همته عادية بطنه لأنه انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى "

(انقروى 5 / 251) . وترجمت " طبل خوارى " في البيت 2424 بالخيال الساذج بينما ترجمها المترجمون والمفسرون ب " الأكل بالمجان " ، لأن فيها إشارة إلى الثعلب الذي ظن من صوت الطبل أن فيها شحما فمزقها من خياله الساذج ولم يجد عندها شيئا .

(2425 - 2430) : قال الحمار : إنني أعرف مهنة ولا كسب أفضل من التوكل لأن الله سبحانه وتعالى يقول : وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ولا نظير لمهنة الشكر لأنه سبحانه وتعالى القائل : لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ (إبراهيم / 7) ، وهكذا طال الجدل بينهما وطال الخطاب ، وعلم الثعلب أن هذه المناقشة لن تفصى إلى نتيجة ، فأراد أن يدخل إلى الحمار من باب آخر : باب التحذير والتخويف من التهلكة ، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بهذا في قوله تعالى لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (البقرة / 195) ، هيا . . . انتقل من هذه التهلكة فأرض الله واسعة ، هيا معي المروج .

(2434 - 2439) : تذكر هذه الأبيات بما ورد في حكاية الشاعر الذي عاد من العراق فقيرا مهلهل الثياب لا تبدو على هيئته آثار النعمة ولا على وجهه نضرة النعيم لا في باطنه سيماء المؤثرين ، ومع ذلك فهو يتفنج ويدعى (انظر الكتاب الرابع - الأبيات 1739 - 1754 وشروحها) ، وهذا هو أيضاً الثعلب ، إن الحمار (لأنه حمار) ، لم يقل له : وأين آثار هذه الجنة التي تعيش فيها عليك أنت ، إن المنطق لا بد من اجل أن يكون مؤثرا وقابلا للصدق أن يكون هناك شئ من العمل والواقع إلى جواره وإلا لكذب المظهر القول مثل كثير ممن سخر منهم مولانا .

(2440 - 2445) : وهذا أشبه بذلك الجمل الذي سأله أحدهم : من أين أتيت ؟ ! قال من حمام حيك الساخن ، فقال إن هذا يبدو على ركبتيك ، أي أنك إذا كنت في الحمام لظهر ذلك على هيئتك وعلى قدمك . وذكر فروزانفر ونيكلسون أنهما لم يجدا مصدرا لهذا المثال قبل مولانا (استعلامى 5 / 332) ،

ويواصل مولانا : إن الادعاء يبعد الرحمة ومن ثم تحدث الفضيحة ، وفي سلسلة المدعين قدم لنا مولانا جلال الدين في الكتاب الثالث ، الريفي الذي خدع الحضري وابن آوى الذي سقط في دن الصباغ ، والنفاج الذي كان يدهن شاربه بشحمة وسرققتها القطعة ، ثم كبير المدعين في تاريخ البشرية : فرعون الذي ادعى الألوهية (انظر الكتاب الثالث ، الترجمة العربية ، صص 79 - 107) وها هو هنا يعود إلى فرعون : إذ لو كان فرعون هذا مؤمنا حقا بأنه " الرب الأعلى " ، لما خاف كل هذا الخوف

من حية موسى ، ومن ثم طلب المهلة ، ومن هنا فقد فضح نفسه ، وكشفها أمام الأذكياء العارفين الذين قالوا : تراه حقا لو كان رب الدين لهلع كل هذا الهلع من دودة ؟ ! (2446 - 2454) :
يظل مولانا جلال الدين مستمرا في إفاضاته ، فيخاطب النفس الفرعونية : إن هذا السكر الذي تحس به من شربك النبيذ ، فلا نصيب لك من عناقيد الغيب أي المعارف الإلهية وشراب الحكمة ، وهناك إمارات لا تبدو ولن تبدو عليك من أجل هذا أهمها التجافي عن دار الغرور (انظر 3080 - 3084 من الكتاب الرابع وشروحها) ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ :
فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ
قال إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح فقال الصحابة : وما علامة ذلك يا رسول الله ، قال :
التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور والتأهب للموت قبل نزوله (مولوى 5 / 352) .

والماء الأجاج هو نعمة الدنيا وكلام المزورين من الشيوخ والماء العذب هو ماء المعرفة وكلام الكمل من الشيوخ والمرشدين ، والإيمان الحقيقي يختلف عن التقليد والادعاء (عن المقلد والمحقق وهو عكس المقلد ، انظر الكتاب الثاني - 494 - 505) .
وهذا المقلد غالبا ما يكون عرضة للشيطان يقف له في الطريق ، إنه واهى الإيمان ، وضعيف الإيمان عادة ما يكون ألعوبة في يد الشيطان ، غير ثابت ، حاله كريحة في فلاة ، تحيط به الشكوك والريب ، ولا علاج له إلا بالإيمان فهو كزبد البحر ، لا يهدأ ولا يسكن إلا إذا وصل إلى الشاطئ ، لأن الشاطئ هو أصله الترابي الذي يحن إليه .

(2455 - 2469) : يعود مولانا إلى قصة حمار القصار لكنه لا يلبث أن يتركها ، لقد كان منطق الثعلب منطقا جميلا ، لكنه فاه به كالمقلد ، فاه به من أجل أن يوقع الحمار لا أكثر ولم يفه به إيمانا ، إن هذا الثعلب شأنه شأن المقلد وشأن المنافق تحدث عن المعرفة ومدحها ، لكنه لم يكن تواقا إليها ، إنه أشبه بالنائحة الأجيعة ، خمش وجهه ومزق ثوبه ، لكنه لم يكن عاشقا (العاشق هو القمة التي يصل إليها المرء بعد أن يكون عالما) (انظر البيت 491 من الكتاب الثاني) ، إنه كعذر المنافق موجود على شفته لا في قلبه لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ قِيلَتْ عندما اعتذر المنافقون إلى الرسول عن القتال شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا (الفتح / 11) ، وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ .

إن فيه رائحة من فاكهة سرور المعرفة ، لكنه ليس هذه الفاكهة ، إنه يستخدم هذه الرائحة ، أي منطقته وحديثه من أجل أذى الناس ، إن علمه كمصباح في يد لص وذلاقة لسانه من أجل

الخداع ، وما أشبهه بامرأة ، (ليست المرأة هنا للجنس ولكن لم لا قدرة له على الطريق ، ورب امرأة في الطريق تكون خيرا من عشرات الرجال) ، تتشدد بالشجاعة وشق الصوف ، لكنها إن أمسكت بالسيف ، أي إن خرجت من مرحلة القول إلى مرحلة الفعل ، ارتعدت وظهرت على حقيقتها ، هكذا أيضاً عقلك إن كان في الأنثى غير قادر على إدراك عوالم الغيب ومعرفة الحق ، وكان خاضعا للنفس الأمارة بالسوء - خضوع الأنثى للذكر - إن الأنثى تستطيع أيضاً أن تهاجم لكن بشكل ظاهري فقط ، لكن آفة هذا الهجوم ، وآفة هذه السطوة هي الاهتمام بالأشكال والألوان والروائح وظواهر الأمور ، إن صاحب العقل الأنثوى يشبه تماما هذا الحمار ، لقد قاوم وقاوم ، لكنه بمجرد أن سمع حديثا عن الألوان والأشكال الموجودة في المروج ، نسي كل ما قدمه من حجج ، وأصبح مثل الظمان الذي يطلب المطر ولا سحاب هناك ، أي ذلك الذي يطلب الأمور في غيبة أسبابها ، فكأنه يطلب المحال ومثال أيضاً ذلك الجائع الذي لم يلجأ إلى درع الصبر (انظر لتفسير مفصل عن درع الصبر ، الكتاب الثالث ، الأبيات 1848 - 1854 وشروحها) ، ومكتوب على درع الصبر جاء الظفر إشارة إلى القول المأثور " من صبر ظفر " (مولوى 5 / 355) .

(2470 - 2483) : القياس في مصطلح مولانا يذكر في مقابل العيان والمشاهدة والإدراك الباطني للحقائق أو في مواجهة النص (ولا قياس مع نص) . (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 3585 - 3589 وشروحها) ، والقياس مجرد رائحة من الإدراك وليس إدراكا ، فإذا أردت أن تتحول شذرات نفلك التي قمشتها من هنا وهناك إلى إدراك وفيض فداوم على مجالس المرشدين ، وفيها تخرج معدتك من مرحلة الحمارية " يخرج عقلك من مرحلة التقليد " ، إلى مرحلة الغزالية " مرحلة التحقيق " ، وتفيض منك الحكمة كما يفيض المسك من نافذة الغزال ، وهكذا فاعلم أن الحكمة هي غذاء الأرواح ، وانظر : ألا ترى أن الحيوان هو الذي يداوم على أكل العلف ومن ثم يصير أضحية للذبح ، أما الإنسان فينبغي أن يكون قوته من نور الله ، بحيث يصبح جديرا بحمل القرآن وبيان معانيه وحكمه للناس ، وهكذا فاعلم أن نصفك من الطين وهو جسدك ونصفك من النفحة الإلهية وهو روحك ، فداوم على تقليل جانب الطين وزيادة جانب الروح من نفسك ، حتى تشرف بالتحقيق ويكون لأقوالك نتيجة وتأثير " ورقا وثمرات " ، لا مثل ذلك المقلد ، الذي يعرف هو نفسه أن أقواله هذه لا بهاء فيها ولا نور ، إنه مهما يتشدد بها ، يكون مرتعدا في داخله مرتعشا خائفا ،

فانظر إلى من يتوقح على الناس ويخيفهم وهو في الواقع أشد خوفا منهم ؟ ! إن فاقد الشئ لا يعيطيه مهما تشدق به ومهما تحدث عنه ومهما تظاهر به ، إن الوعي بالذات مفتاح لكل تطور في الشخصية وتسام بها .

(2484 - 2496) : الشيخ الكامل الواصل أو الشيخ النوراني هو القطب الذي تحدثنا عنه آنفا ، وهو كامل المعرفة بالعلم اللدني أو الغيبي لا من العلم المبني على الدرس والمدرسة (انظر للكامل والواصل ، البيت 2339 من الكتاب الذي بين أيدينا وعن العلم التحصيلي والمدرسة ، انظر الأبيات 3848 - 3854 من الكتاب الثالث وشروحها) هذا الشيخ النوراني لا يفيض بعلمه إلا على من هو نوراني مثله ، فهناك كوة مفتوحة من القلب إلى القلب ، وكيف يفيض بنوره على من هو غير مستعد ، وهكذا فكما أن كل شئ ينقع في الدبس " عصير العنب المخمر " ، يتخذ طعم الدبس ، فإن كل ما يقوله الشيخ الكامل يكون معجونا بالنور ، وإذا اقتبست من هذا العلم استطاع حتى القوم اللد المغرمون بالجدل والمقيمون على الباطل أن يستفيدوا منك ويهتدوا بنورك ، إن هذا العلم يكون كماء المطر ظاهراً تماماً لأن السماء لا تمطر إلا ظاهراً (انظر لطهارة الماء الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات 200 - 220 وشروحها ، حيث يفسر مولانا الماء بأنه أرواح الأولياء) وبالاتصال بأرواح الأولياء ينبع الماء من داخلك ، يهبط إليك من منبعه الأصلي . (انظر للماء الذي ينبع في الداخل ، انظر الكتاب الرابع ، البيتان 1092 - 1093 وشروحها) . فلا تأخذه من قناة (مصدر أو كتب) ، ولا يكون عندك مجرد فكرة أو ظن ، وكأنه القناة يتشاحن عليها المزارعون ، وعلوم الكتب مصدر مشاحنة وجدل وقيل وقال ، أما علوم الأولياء القائمة على وحى القلب وعلى الكشف فلم يحدث بشأنها جدل أو اختلاف . فالأولياء كنفس واحدة وعلومهم تختلف عن علوم الآخرين (انظر 1140 - 1145 من الكتاب الرابع) وهكذا انظر إلى جدل الحمار " المقلد " ، مع الثعلب برغم الأدلة التي ساقها الحمار وصموده أمام الثعلب مرة أو مرتين أو ثلاث مرات ، فقد سلم ، كانت حججه واهية لأنه هو نفسه لم يكن مقتنعا بها ، ومن هنا فقد سقط ، لأنه كان مفتقداً إلى الإدراك الداخلي ، إلى القناة الداخلية بما يؤمن به ، كان الأمر مجرد فيهقة وقعقة ألفاظ وتفاصيل ، ولأن الثعلب أكثر فصاحة منه فقد هزمه وأفحمه ، كان " الحمار " جائعاً ، وكان جوعه وحرصه أشد من قناعته .

(2497 - 2500) : حكاية أخرى من حكايات مولانا جلال الدين ذات التعبيرات " الخارجة " بمفهوم عصرنا ، وهو نفسه يحس بهذا فيحتج ثانية ببيت لسنائى الغزنوي (حديقة الحقيقة ، البيت 11280 وانظر لمناقشة هذا الموضوع شروح البيت 1333 من هذا الكتاب) ، وواضح أن الحكاية هنا - شأنها شأن معظم الحكايات ذات التعبيرات والمضامين الخارجة مأخوذة من التراث الشعبي ، ويستشهد مولانا بالآية الكريمة إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ، يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ، وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (البقرة / 26) .
ويفسر مولانا بأن ما فوقها تعنى ما فوقها من مسببات الإنكار ويروى الانقروى 537 / 5 حديثا نبويا شريفا :
[إن الله حى كريم ، لا يستحيى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت] .

والفتن من أنواع الامتحانات ، وهي أشبه بميزان الحشر يبدي عيانا فعل المرء ، والحكاية تقدم أحد المدعين في سلسلة المدعين الذين يقدمهم مولانا ، فهذا المأبون فاقد الرجولة يحمل معه خنجرا من أجل الذين يفكرون - مجرد تفكير - في نيله بسوء .

(2501 - 2505) : إن لم يكن ثم رجولة نابغة من الداخل فما فائدة الأسلحة والمغافر والخوذ ، وهب أنك امتلكت سيف على رضى الله عنه المسمى ذو الفقار فأين روح على ، وإذا كان المسيح عليه السلام قد علمك دعاء إحياء الموتى فهل لديك نفس المسيح الموهوب من الله تعالى ، وإن كان لديك ثم سفينة فهل أنت مثل نوح ، وإذا كنت ادعيت مثلما أدعى آخرون في هذا العصر أنهم محطمو الأصنام ، فهل حطمت صنم نفسك ، لقد حطمت أصناماً ثم وضعت نفسك صنما أكبر " كان مولانا تنبأ بزعامات العصر الحديث " ، هب أنك تملك الآلة ، فأين الروح التي تستخدم هذه الآلة ؟ ! أين عزمك ومضاؤك ؟ ! ألا فلتخجل من نفسك ، إذا كان لديك كل ما يجعل منك " رجلا " ، لكنك لا تفتأ تتحدث فحسب .

(2506 - 2509) : والرجولة ليست بالكلام ، إنها فعل ، فإن كل لديك الدليل على ما تقول من فعلك فأيت به ، وإلا فإن عدم العمل مع امتلاكك لآلة العلم وظروفه وإمكاناته دليل على قهر الله عز وجل وغضبه عليك ، فما جدوى أن تقوم بهداية الناس وأنت نفسك غير مهتد ، وبكلامك هذا مجرد كلام ، جعلت الخائفين والمرتعدين شجعانا ذوى جد في الطريق ، أليس من المثير للسخرية أن تنفع الجميع بما لديك دون أن تنفع نفسك ؟ ! أليس

من المضحك أن تتحدث عن التوكل ، وأنت من حرصك وطمعك وراء المتاع الهزيل تفقد البعوضة في الهواء ؟ !

(2510 - 2515) : إن هذا الذي يكمل أمارات الرجولة وعلاماتها " اللحية والشارب " ، دون أن يكون رجلا في الحقيقة والباطن إنما يثير السخرية في الواقع ، والرجولة الحقيقية تكون في العمل " العمل هنا بمعناه العام وهو أيضاً الرياضة والسلوك والتحمل ، تحمل المشاق في طريق الرجال الحقيقيين وفي الحرب الضارية ، حرب الجهاد مع النفس ، وهو الجهاد الأكبر ، والعمل هو الدواء للرجولة الظاهرية التي تخفى وراء نفسا " مخنثة " ، فتب عن هذه الرجولة التي تثير السخرية ، وتب عن الادعاء ، وتب عن اعتبار الكلام مجرد الكلام هو عناية المراد ، ودعك من جذبة الجسد ، واهتم بجذبة القلب ، فهي التي تجلب جذبة الحق " التي تساوى عمل الثقلين " ، وإن لم تكن تستطيع فتكلف هذا ، فحتى أن تكلفت سوف تجد من يجذبك من أذنك يجرك بالرغم منك إلى ما فيه نجاتك .

(2516 - 2518) : عودة إلى قصة الحمار والثعلب ، لقد نجح الثعلب لماذا ؟ ! لأنه كان " ثابتا " ، حتى الاحتيال - يحتاج إلى الثبات وإلى المواصلة والصبر ، فما بالك بالصفات الحسنة والأهداف النبيلة ، ويذكر مولانا في البيت 2517 بحكاية وردت في الكتاب الثاني حكاية أولئك الصوفية المعدمين الجوعى الذين نزل بساحتهم وزاويتهم صوفي سياح فباعوا حماره واشتروا به عشاء ثم أخذوا يغنون ويرددون ضاع الحمار ، ضاع الحمار ، وصاحب الحمار المسروق يردد ذلك معهم (انظر الكتاب الثاني الأبيات 517 وما بعده وشروحها) ، والصوفي صاحب الحمار هنا مثال على المقلد وفي البيت التالي 2518 يشير إلى حكاية الأسد والوحوش التي يخدع الأرنب في نهياتها الأسد ويلقى به في البئر .

(2519 - 2532) : يترك مولانا قصة حمار القصار فلا يعود إليها إلا في البيت 2564 ، فهيا إياك ووساوس الشيطان ، سد أذنك عنها ، وأفتح أذنك فحسب إلى ما يحدثك به الولي مما أفاء الله عليه به من وحي القلب ، إن حديثه بمثابة الخمر الصافية التي تصب من الدنان الخسروية ، والمعارف الإلهية التي تفيض من لدن الحكيم الخبير مرت بهذه الشفة المباركة فازداد تأثيرها ، وما تميل هذه النفوس إلى خمر الدنيا هذه إلا لأنها حرمت من تلك الخمر الصافية ، خمر الولي ، تماماً كالطائر الأعمى الذي يحرم من الماء العذب

فيطوف حول الماء المالح ، ويتلهف عليه ، وهكذا النفس إن حرمتها المعاني والإفاضات طافت حول وساوس الشيطان .

(2524 - 2537) : كما تنتاب مولانا جلال الدين أحوالٌ من القبض هناك أيضاً أحوال من البسط ، فالعالم كله يصل إلى مطلوبه ببركة الولي وبركة إفاضاته ، فهو موسى يتجلى في الصدور كما ملأ موسى عليه السلام سيناء بنور التجلي ، ويمنح أولئك المقلدين العميان الذين يقومون بتقليد الأولياء دون فهم قوة الإدراك والبصيرة والرؤية ، إنها نوبة خسرو حلو الروح (حلو بالفارسية " شيرين " وهنا تلاعب بقصة خسرو وشيرين) ، هذا هو دور الولي ودور المرشد الكامل الحقيقي ، فلأي شك أن الأسرار الروحانية قد ملأت بواطننا ، وهؤلاء الحسان في جمال يوسف الصديق يسوقون عسكرهم من الغيب حاملين أحقاق السكر " بشارات الوصال " من مصر واسمعوا صليل الأجراس ، إنها هذه المرة ليست متوجهة إلى كنعان بقميص يوسف عليه السلام يلقي على وجه يعقوب فيرتد بصيرا ، إنها نصيبنا الآن ، فتناوبوها أيها المريدون برغم الحاسدين والحاقدين ، وخذوا نصيبكم منها ، وهيا أيها الباحثين عن حلاوة المعرفة ، أدركوا أسرار الغيب ، لقد جاء بها الحبيب الحقيقي ، الحبيب الوحيد ، وهذا هو السرور الحقيقي ، سرور الروح وسرور المعرفة ، إن العالم كله ملئ بالسعادة ، والسعادة تملأ مدينتنا " بواطننا " ، من أقصاها إلى أدناها ، فقد قبل " قبلة الروح " الأرواح الواصلة إليه ، وإذا كنت تريد أن تعرف تأثير هذه المعرفة على كل المراتب التي كانت موجودة في المدينة ، فتخيل أنواع الفتوح ، والإفاضات قد ملأت هذه المدينة بحيث أن أشد الأشياء مرارة قد انقلبت حلوة ، فهيا اصعد وناد الفقراء والمعوزين إلى مائدة الروح ، فهذه فرصة الحجر الصلد ، من غلبت عليه الصفات البشرية ، والقلب القاسي ، لكي يتحول إلى ياقوت مطعم بالذهب ، إلى روح ذات نصيب من إفاضات الولي ، هذا هو أوان رقص ذرات الهباء (البشر) ، في ضوء (الشمس) ، وفي ديوان شمس :

ولماذا لا يسرع كل صوفي في الرقص كالذرة * في شمس البقاء حتى تخلصه من الزوال ؟ ؟
لقد سكر العشاق من هذه الرياض والبساتين التي تفتحت في بواطنهم ، ويد العناية الإلهية تقوم بفعلها فتجعل الروح تتصل بالحق بحيث تفنى وتذوب ولا نحس بوجودها وتصيح كما صاح الحسين بن منصور الحلاج " أنا الحق " ، فإذا كان الشيطان قد نجح في إغواء

أحدهم ، وأبعده عن طريق الحق ، إذا كان الثعلب قد خدع الحمار فما بالك أنت ، لماذا تغتم أنت إنك لست حماراً في نهاية الأمر ، أنت إنسان فتصرف كإنسان .

(2538 - 2545) : وردت الحكاية التي تبدأ بهذا البيت في ذيل زهر الآداب لأبى اسحق الحصري القيرواني وفي كلستان سعدى (انظر مأخذ 179 / 180) وربما كانت من الفكاهات السائدة في عصر مولانا ، وهي تتردد أيضاً في كل عصور الطغيان السياسي وانعدام التمييز والقبض على الناس واعتقالهم بالباطل فيأخذون صاحب الحمار للسخرة بدلاً من الحمار ، والتورية في رواية ذيل زهر الآداب واضحة تماماً " وهذا كما حكى عن الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمال ، أنه مر ببعض إخوانه بعقبة النجارين وهو يعدو بأكثر مما يقدر عليه ، فقال : قف على ، مخافة أن تكون قد نزلت به نازلة ، فأتاه إلى الدار فخرج مستخفياً ، فقال : مالك يا أبا عبد الله ؟ ،

فقال : أما علمت أن السخرة وقعت في الجمال ؟ فما يؤمنني أن يقال هذا جمل فلا أتخلص إلا بالشفاعة " (ذيل زهر الآداب ، ص 63 ويوجد مثيلتها في كلستان ، طبعة فروغى ، ص 31) .

(2546 - 2550) : لا تخش أنت شيئاً فملكك مدينتنا هو الخالق سبحانه وتعالى عادلاً وصاحب تمييز . وإنك إن كنت إنساناً وحققت نسبك إليه سبحانه وتعالى في النفخة الإلهية ، لا يمكن أن يأخذك كما يأخذ الحمار ، أنت إنسان مكرم سيد المخلوقات ، بك يستنير الفلك الرابع كما استنار بعيسى عليه السلام من قبلك ، فأنت عيسى عصرك وأوانك ، وحاشاك أن يكون اصطبل " الدنيا " مقراً لك ، بل أنت أعلى من كل الأفلاك ، ولابن الفارض : ولا فلك إلا ومن نور باطني * به ملك يهدى الهدى بمشيئتك في مقعد الصدق عند ملكك مقتدر ، إنك أمير على الإصطبل " الدنيا " ، وهناك بلا جدال فرق كبير بين أمير الإصطبل وبين الحمار ، وإن كان كلاهما مقيماً في اصطبل الدنيا .

(2551 - 2555) : ما عكوفنا هذا على الحمار وعلى قصة الحمار وكيف تأنس نفوسنا كل هذا الانتناس إلى قصة الحمار ووصف الحمار ، لماذا نتدنى ولا نرتفع ؟ ! دعنا من حمار النفس ، ومن " دنيا " هذا الحمار وتحدث عن عوالم أهل الحق ، عن حقائق الغيب وعالم الفكر ، عن عوالم المعاني التي تشبه بحارا مليئة الجوهر وما هذا الجوهر إلا رجال الحق من أصحاب البصائر والأحاديث التي تحيي الروح ، وهم ملوك الطيور التي تتغذى

بالورود (انظر تلك الغزلان التي ترعى السوسن في ختن ، البيت 2474 من الكتاب الذي بين أدينا) ، ولأنها تتغذى بهذا الغذاء الطيب الطاهر ، فإنها تعطينا أحاديث في قيمة الذهب والفضة ، وهم أيضا تلك البزاة التي تربي القطا " المريدين " ، وتطير في سيرها إلى الله سبحانه وتعالى بأي شكل تريد ، سواء بالعبادة الظاهرية أو بعبادة الباطن .

(2566 - 2569) : فكرة السلام الخفية في الدنيا كناية عن الطريق الصوفي من أفكار سنائي الغزنوي (انظر حديقة الحقيقة الأبيات 218 - 225) فالسلم الخفي هو السير الباطني عند السالك الذي يقطعه درجة درجة حتى أعلى درجات السمو الروحاني وهي مختلفة بين جماعة وأخرى لأن " الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس بني آدم " ، وكل جماعة لا تعلم شيئاً عن حال الجماعة الأخرى : بل هي مندهشة تماماً من أحوالها ، وذلك لأن " أرض الله واسعة " (انظر البيت 1088 من الكتاب الرابع وشروحه) وليست أرض الله إلا هذا القلب ، ومنه تطل أشجار الفكر (انظر لهذه الفكرة الكتاب الثالث الأبيات 360 - 363 وشروحها) ولأن أرض الله واسعة فقد تعددت فيها الأفكار والآراء تعدد النباتات وتنوعها باختلاف تربتها واختلاف الماء الذي تشربه (انظر لهذه الفكرة الكتاب الرابع الأبيات 1083 - 1089 وشروحها)

هذه الأرض حتى الأشجار فيها تسبح بحمد الله ، وبلايلها متحدثة مع أزهارها ، كل شئ فيها متوافق متناغم ، ومهما وصفت هذا العالم فلن أو فيه حقه من الوصف ، ولكن لنعد - وكلنا أسف - إلى قصة الثعلب والأسد والمرض والجوع ، لننزل إلى أرض الواقع المر .

(2570) : [العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن] و [من لا صبر له لا إيمان له] (مولوى : 5 / 374) وانظر أيضاً الكتاب الثالث البيت 3499 . 2585 - 2590) : يترك مولانا سياق القصة فلا يعود إليها إلا من البيت 2600 . أنه يتحدث هنا عن الفرق بين عقليين : عقل يستمد مؤنثته من دوران الأفلاك وهو العقل الجزئي ، ثم العقل الكلي الذي هو التجلي الأول للخلق الإلهي ، بين عقل يدرك أمور الدنيا المادية فحسب وعقل يشرف على كل الوجود ، لأن الله سبحانه وتعالى علّم الإنسان ما لم يعلم (العلق 5) إن الانحناء الموجودة في ذلك التوقيع الذي نختمه على منشوراتنا (بصفتنا كبشر ملوك الكون) مأخوذ من هذه الآية والعلم من الله هو مقصدنا لأنه سبحانه وتعالى قال " قل إنما العلم عند الله "

((الملك 26)) ، ونحن أصحاب العقل الكلى نحن أولئك الذين ربّتهم شمس الحقيقة ، وليس الأفلاك التي دونها ، ومن ثم فإن وجهتنا هي الله سبحانه وتعالى ، وإن نفثات الشيطان ووساوسه تجعل حتى ذلك الذي جرب ينسى تجربته ويقع من ثانية في الإثم ، ومن العسير بالطبع أن نعتبر هذا الكلام على لسان الثعلب كما قال قدامي المفسرين .

(2591 - 2599) : يشير مولانا في معرض نقض العهد والنكوص عن التوبة إلى قصة أصحاب السبت الواردة في قوله تعالى: وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَافَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (البقرة 66 و 65) أما أصحاب المائدة فهم الذين وردوا في الآية الكريمة قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ (المائدة 60) لكن ما بال أولئك الذين ينقضون عهودهم وأيمانهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يمسحون ؟ يجيب مولانا : في أمتنا لا يكون مسخ بدن ، بل مسخ قلب ، تجد الحاكم في صورة حاكم لكن قلبه قلب ذئب متعطش للدماء ، تجد الأستاذ في صورة أستاذ لكن قلبه طاووس معجب بنفسه مغتر متكبر يريد أن يظهر كل لحظة في وسائل الإعلام ، ترى القائد العسكري أسداً في هيئته لكن قلبه قلب نعامة هلوع ، ترى التاجر في صورة تاجر لكن قلبه قلب خفاش يمتص الدماء ، وهلم جرا ، ويوم القيامة يبعث كل واحد من هؤلاء الذين رجعوا عن عهد الله ، وألقوا بأحكامه وراء ظهورهم ، ونسوا ما عاهدوا الله عليه ، وعملوا للأجنبي الكافر ولمصلحة الأجنبي الكافر ، يبعث كل واحد من هؤلاء على الصورة التي مسخ عليها قلبه ، وهكذا فماذا يتوقع من إنسان قلبه قلب قرد ، إلا أن يكون ذليلاً إمعة حتى ولو كان حاكماً في الظاهر ، إن الحمار لا يحس بالذل من هيئته لأنه لم يكن صاحب اختيار في هذه الهيئة ، فقد خلق هكذا حماراً ، والكلب لا يعتريه أي نقص من منظره ومن شكله ، بل إن كلب أهل الكهف لم ينقص من كونه كلباً عن أولئك النفر من الأولياء وذكر معهم في القرآن الكريم (المثل تكرر كثيراً عند مولانا في أكثر من موضع من المثنوى وورد عن سنائي في الحديقة أيضاً) ، لقد مسخ الله سبحانه وتعالى أصحاب السبت عياناً لكي يكونوا عبرة للناس ، لكن ما أكثر الممسوخين في الباطن وإن أعجبتك هيئتهم ومناظرهم ومناصبهم وجاههم وأموالهم .

(2603) : إشارة إلى المثل المعروف " لدغ العقرب من جبلتها " .

(2605) : إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (يوسف 5)

(2606) : قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَحَرَّتْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (الإسراء 62) (2626) : فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (المزمل 17)

(2635) : وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (الفرقان 27 - 29) نزلت في حق عقبة بن أبي معيط كان قد نطق بالشهادتين ثم ارتد إرضاءً لأبي بن خلف (مولوى 5 / 383) .

(2636 - 2637) : وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ (فصلت 25) .

(2643) : إخوان الصفاء هنا هم الإخوان المخلصون وليس المقصود الجماعة المعروفة .

(2650 - 2660) : يضرب الثعلب الأمثال عما يفعله الوهم حتي بالصم الراسيات وبعضهم الأنبياء وأولى العزم من أمثال إبراهيم عليه السلام فَمَلَأَ قَلَّ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ (الأنعام 76)

وهكذا فإن أهل التفاسير يفسرون هذا الأمر بتفسيرات عديدة ، لكن الأمر ليس في حاجة إلى تفسير ، فهذا الوهم والخيال هو الذي جعل من في عظمة إبراهيم عليه السلام ينظر إلى الكوكب وإلى القمر وإلى الشمس ويقول : هذا ربى ، فإذا كان الوهم والخيال قد أسقط أمثال إبراهيم عليه السلام في هذا الخطأ فما بالك بأحوال حمر السيرة وأشباههم من فاقدى العقول والمجذفين ممن يدعون العلم والفضل ، إن العقول التي هي في عظمة الجبال تغرق في بحار الوهم ، عقول العظماء ، أولئك الذين يظنون أنفسهم أثبت في إيمانهم من الجبال ، وما الجبال ؟ ألم تفتضح هذه الجبال في طوفان نوحا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (انظر 335 و 1315 من الكتاب الثالث) وسفينة نوح هنا هي الالتحاق بمعية رجال الله وإلى حمى أمنهم (انظر الكتاب الرابع الأبيات 3357 - 3361 وشروحها) ، ولولا هذا الخيال لما انقسم أهل القبلة الواحدة إلى اثنين وسبعين فرقة ، ولولا الخيال لما ظن ذلك الرجل الشيخ (المفسرون القدامى لم يذكروا اسمه وقال استعلامى أنه أنس بن مالك 5 / 342 ولم يذكر مصدره)

لولا الخيال لماذا ظن ذلك الشيخ أن شعرة من حاجبه هي الهلال (انظر لتفصيلات الحكاية الكتاب الثاني البيت 113 وما بعده) انظر : إن هذا الشيخ لم يستضىء بنور الرجال العظماء فوقفت شعرة بينه وبين الحقيقة ، وما أكثر الرجال

العظماء بمقاييس الدنيا والسفن الموجودة في هذا المحيط التي تكسرت وتحطمت وابتعدت عن الحقيقة من تأثير الوهم ، وأقل هؤلاء العظماء فرعون الذي ادعى الألوهية وتوهمها لنفسه ، فكان في خسوف وفي مسخ ومقت .

(2662 - 2667) : إن هذا الوهم الذي أنت فيه هو من قبيل الأنية التي تدير الرأس ، فكفاك ما أنت فيه من وهم حتى تتبنى أوهام الآخرين وتدافع عنها ، وأنا مثقل بهذه " الأنا " التي تخصني ، فلماذا تأتي أنت وتضيف إليها أنيتك أنت أيضاً ، تكفيني أنية واحدة ، ونحن إذا تخلصنا من عبادة الذات ، نستطيع آنذاك أن نصل إلى مرتبة العشق ، وأن نصير كالكرة في صولجان العشق ، إن من يتخلى عن " أنيته " و " أنانيته " ، فقد صارت له " أنيات " الجميع ، يصير محبوباً من الجميع ، يصبح مرآة صافية تنعكس فيها صور الآخرين ورغائبهم ، أي وجوداً خالياً من صفات هذا العالم ، بحيث تكون صلتها مباشرة بالعالم الآخر يصبح مثل ذلك الولي الذي سوف أقص حكايته فيما يلي .

(2667 - 2677) : يقدم مولانا في كل كتاب من كتب المثنوى سيرة عن شيخ من المشايخ كنموذج للولاية الكاملة (قدم الدقوقي في الكتاب الثالث وعبد الله المغربي في الكتاب الرابع وها هو يقدم محمد سرزى الغزنوي في الكتاب الخامس وسوف يقدم أبا الحسن الخرقاني في الكتاب السادس) والملاحظ أنه يقدم أولياء من غير المشاهير ، فقد كانت الولاية " المكتومة " تجذب أنظار مولانا عن الولاية الظاهرة . وكان محمد سرزى فيما يبدو من معاصري بهاء ولد والد مولانا جلال الدين إذ ذكره في المعارف (75 / 2) لقد أمضى سبع سنون في جوع مستمر ، إفطاره طرف غصن من كرم " سر رز " ويرى رزين كوب " سرني 1 / 314 " أن الأحوال المذكورة هنا تذكر بأحوال أبي عثمان المغربي المذكورة في كشف المحجوب للهجوري ص 232 ومن هنا اكتسب كنيته ، وكان الشيخ مثل الدقوقي (انظر الكتاب الثالث البيت 1926 وما بعده) عاشقاً جوالاً ، أبدى له الله كثيراً من العجائب ، لكنه كان عاشقاً لاجتلاء جمال الحبيب ، وكان يطلب هذا ،

ويلح فيه ، لدرجة أنه صعد إلى جبل وقال : إما أن تتجلى لي وإما أن أقتل نفسي " نوع من البسط الشديد " ، لكنه سمع النداء بأن هذه المكرمة لم يأن أوانها بعد ، وحتى إن أسقط نفسه من فوق الجبل فلن يموت ، ولأن جمال الله لا يجتلى إلا بعد الموت مصداقاً للحديث النبوي [إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا] (انقروى 5 / 581) ألقى الشيخ بنفسه من فوق الجبل لكنه سقط في ماء عميق ، لقد ناح لأنه لم يمت ، فالحياة

الدنيا كانت تبدو له كما يبدو الموت بالنسبة لنا ، ولأنه يعلم أن في الموت لقاء الحبيب كان يستجدي هذا الموت ، كان يتغنى بما تغنى به الحلاج : اقتلونى اقتلونى يا ثقات إن في قلبي حياة في حياة ، كان كعلى رضي الله عنه يتغنى : السيف والخنجر ريحاننا * أف على النرجس والأس . ومن أقوال الإمام على رضي الله عنه أيضاً " والله ما فاجأني من الموت وارد كرهته ولا طامع أنكرته وما كنت إلا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير للأبرار " وله أيضاً " والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه " (عن جعفري 12 / 208) .

(2678 - 2685) : وهذا البسط ، وهذه الجراءة لم تمر بلا عقاب ، تظن نفسك ولياً وتريد المشاهدة أجراً ؟ !

إنك مجرد شحاذ متسول والحكم عليك بأن تذلل هذه النفس الطموح بأن تتحول إلى شحاذ ملحاح ثقيل وسمح مثل " عباس الديس " الذي يضرب به المثل في الفارسية للشحاذين الملحاحين السمجين ، ولكن إياك أن تستولى على ما يجود به الناس عليك ، بل ستوصله للفقراء ، هيا ، هذه هي عبادتك التي سوف تقوم بها فترة من الزمن ، لقد كان الحوار طويلاً ، هذا الحوار الذي ملأ السماء نوراً ، وهذا كله مسطور في الكتب ، فلأختصره هنا حتى لا أضع الأسرار العليا أمام من لا يستحقونها .

(2686 - 2694) : البيت المذكور في العنوان ذكر استعلامي أنه لسنائى لكنه لم يذكر مصدراً (استعلامي 5 / 344) ولبيك إشارة إلى أن الدعاء مقرون بالإجابة (انظر الكتاب الثالث الأبيات 190 - 199 وشروحها) ذلك أن كوة الدار مفتوحة أي أن القلب مستعد لتلقى الإفاضات ، وها هو الشيخ يدخل المدينة لممارسة التسول امتثالاً للأمر : ليكن شحاذاً طامعاً لتصير نفسه ذليلة " لأنه عز من قنع وذل من طمع " وما دام الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا الطمع سبباً للذل فليمتثل .

(2699 - 2708) : انظر إلى ذلك الرجل الذي اطلع على أسرار الكون ، وأشرف قلبه على العرش والكرسي ، انظر إلى الغيرة الإلهية جعلت منه شحاذاً ذليلاً ليعرف القيمة الحقيقية لنفسه ، ولا يكلف فوق ما تستدعي البشرية ، لكنه في تسوله أيضاً ولي يقوم بما كان الأنبياء يقومون به إنهم يقولون للبشر المفلسين : أقرضوا الله " والله هو الذي يرزق ، و " انصروا الله " والله هو الذي ينصر ، فالأمور معكوسة مثلما هي معكوسة مع هذا الشيخ ، الذي يقف على أبواب البشر وكل أبواب السماء مفتوحة أمامه ، إنه يتكدى ، لكن بأمر الله ، إنه يمتثل

للأمر ، وحتى عندما كان يتكدى من أجل حلقه فإن هذا الحلق مملوء بنور الله ، وهكذا الأولياء حتى ولو طعموا من نعمة الدنيا فإن هذه النعمة تتحول عندهم إلى نور وتزيد في قوتهم المعنوية ، إن طعامه أفضل من صوم الآخرين ، إن طعامه الحقيقي هو نور الله ، ومن طعامه ومن أكله تنمو أزهار المعرفة ، فهو كنور الشمع لا يزداد من أكله للشمع ، لكنه يضئ للجميع ، وهذا النور يباح الإسراف في تناوله فالله تعالى لم يقل في شأنه : اكتفوا .

(2709 - 2716) : لقد وضع الله لنا شهوة الطعام من أجل أن يبتلينا (انظر الكتاب الثالث الأبيات 1695 - 1700 وشروحها) لكن ذلك الحلقوم الذي للأولياء لا تنطبق عليه هذه القاعدة ، وإذا كان الشيخ يتكدى فإنه يتكدى امتثالاً للأمر لا حرصاً ولا طمعاً ، إن الشيخ من القائمين بكيمياء التبديل إنه يأخذ من أناس كالنحاس ليحولهم إلى ذهب ، أي تكدي وهو من عرضت عليه كنوز الدنيا ففضل عليها المشاهدة ، وهذا هو ديدن العاشق إن فضل أي شئ على المعشوق يكون فاسقاً وليس بعاشق " والله ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك " ، (الامام على رضي الله عنه ، ثم رابعة العدوية) (استعلامي 5 / 345) ويضيف مولانا إن الجنة والنار هما من حظ البدن ، والعاشق لا يأبه بالبدن ، بل لو كان له مائة بدن لأذابها في عشق الحبيب .

(2717 - 2724) : وهكذا فإن شيخنا لم يكن جسداً ، لقد تحول " جسده " إلى شئ آخر ، وانظر إلى المجنون الذي أنست إليه الوحوش عندما تساوى أمامه التراب والذهب أمام عشق ليلي ، لقد هجر البشرية ، بحيث لم يعد جسده " لحماً " يغري الوحوش ، إن أجساد الأولياء معجونة بالنور (انظر الكتاب الثالث 7 - 10) وهي أيضاً مسمومة مصداقاً للقول القائل (لحوم العلماء مسمومة من أكل منها هلك) والأكل هنا أي الذم والغيبة (انقروى 5 / 589) والعشق معروف ، أي لا يخفى على أحد (عدم إخفاء العشق انظر الكتاب الثالث 4735 - 4740 وشروحها) .

(2726 - 2733) : إن العشق عندما يحل فإنه يمحو كل شئ فالعشق مثل طائر يحمل في منقاره العالمين كأنهما حبة واحدة ، فهل رأيت حبة ابتلعت طائراً ، أو هل رأيت مزود أكل جواداً ، والعشق وسيلة العبودية ، فكن عبداً لعلك تصبح عاشقاً وترزق العشق ، والعبودية كسب وعمل ، عبد الدنيا هو الذي يريد الحرية لكن العاشق يرى كل ما سوى معشوقه قيئاً وسجناً ، عبد الدنيا أجير ، إنه يريد أجراً على كل ما يقوم به من عمل ، لكن العاشق هديته

رؤية الحبيب ، تراني قادر حقاً على وصف العشق مما أطلت في الحديث ، مطلقاً فكيف يمكن أن يوصف بحر بلا قرار ، فهل تستطيع أن تعد قطرات هذه البحر والبحار السبعة ضئيلة إلى جواره .

(2734 - 2748) : تفسير الحديث : خلقت الأفلاك من أجل الرسول صلى الله عليه وسلم أي من أجل عشق الرسول ، ولقد كانت عند الرسول صلى الله عليه وسلم طاقة تحمل هذه العشق ، فالعشق قوة جبارة وهو لا يبالي ماذا يفعل بالمعشوق ، فإن كنت تتحملة فاعشق ، وإن لم تكن فحذار منه ، إنك لا تدري ماذا يفعل العشق إنه يجعل البحر يغلى والجبل يندك (انظر الكتاب الأول 26 : أيها العاشق ذاق الطور عشقاً رقص الجبل وموسى خر صعقا) ، إن الأفلاك لتعشق (شق القمر للرسول صلى الله عليه وسلم) والأرض تتزلزل ، ولأن العشق كان قريناً لمحمد صلى الله عليه وسلم اقترن به عشق الحق ، ولذلك فضل على كل الأنبياء وما رفعت هذا الفلك السنن إلا لكي تفهم علو العشق وسموه وما ذلك التراب إلا لتعلم ذلة العاشق ، لكن الذلة لا تستمر فكما منح التراب خاصية الإنماء والإحياء ، يبذل الفقير الدرويش بالعشق فتصبح أنفاسه مانحة للحياة ، والجبال الراسيات أيضاً هي من أجل أن تفهم كيف يكون العاشق ثابتاً على محبوبه (تزول الجبال ولا يزول) ، كل هذه صور يا بني فلا تقف عند الصورة وافهم المعنى ، فهل الأحزان كالأشواك ، وهل القلب القاسى كالحجر ، كلها صور ، وها أنا وأنا أصف العشق أقدم لك مجرد صور وإن لم تفهم المراد من الصور وإن لم تدرك هذه المعاني فلا تنكرها ، لأن العيب قد يكون في أسلوب تعبيرى عن هذه الصور .

(2750 - 2751) : المقصود بالشرطة الثانية : أي أنني أتسول لقمة من الخبز بأمر من خالق الروح ، ولأن الأمور تجرى على عكس المنطق عند أهل الحق ، ويكون هدفها غامضاً على أولئك العاديين من الناس ، بل إن العقل الكلى نفسه يحار في أمرها .

(2761 - 2766) : حجاب أبى البشر هو الجسد ، والمتحدث هنا قد يكون الشيخ وقد يكون مولانا نفسه على عادته في التدخل بإفاداته دون تمهيد . أي ما دمت أيها الإنسان محجوباً ببشريتك فلا تنظر هوناً إلى العاشقين ، والعشق ليس أمراً بالذكاء أو المهارة أو حدة الذهن ، وليس بالدراسة والمطالعة ، وليس بالقليل والقال : امح الدفاتر إذا كنت زميلاً لنا * فعلم العشق لا يوجد في دفتر

هؤلاء الأذكياء العباقرة استطاعوا التوصل إلى أسرار العلوم الخفية " النيرانجات والسحر " والعلوم الظاهرة " الفلسفية " وعم الهيئة " الفلك والنجوم " أو هم في الحقيقة ادعوا معرفتها لأنهم في الحقيقة يعلمون منها قشوراً ، لقد جاهدوا واجتهدوا لكن العشق الإلهي أخفى وجهه عنهم واستتر ودق غيرة على المعشوق من أن يكون مجرد جزء من اهتمام أحد وليس هو الاهتمام الوحيد ، وهؤلاء المنجمون بمراصدهم أبصروا النجوم في وضوح النهار ورصدوها ، فكيف غابت شمس الحقيقة عن عيونهم .

(2767 - 2771) : أيها الأمير تقبل مني نصيحة لوجه الله ، انظر إلينا بمعيار أهل المعنى ، أنظر إلى العاشقين بعين العشق ، فإن عين الدنيا وعين المتعة لا تجدى هنا ، ولا أطيل عليك فالوقت ضيق ، والروح " مترصدة " ناظرة إلى ربها تنتظر أوامره أو إنعاماته ، فكفاك تجبراً وإيذاءً للعاشقين ، ألسنت هكذا مسروراً من تمتعك بالدنيا فانطلقت هكذا في شتمى وإيذاءى ؟ ! إن ما أفعله لا يخرج عن أمور ثلاثة : إما أنه واجب أي أنني مأمور به من قبل الله تعالى ، وأما أنه جائز أي لا نستطيع عدم القيام به ولا ثواب عليه ولا عقاب ، وأما غير مقبول ، فإن لم تقم بما يكلفك به الشرع من إعطاء للسائل ، فلا تؤذه ، احزم أمرك واختر الوسط أيها الغريب والدخيل على عالم الأولياء وتمثل بقول ابن سينا : إن من عجزك أنك في كل وقت تسمع ولا تستطيع أن تدرك تقول على الفور : هذا محال (عن جعفري 12 / 308) .

(2772 - 2776) : لقد قال الشيخ هذا القول وانفجر في البكاء لقد عزت عليه نفسه ، أنه يريد القول لكنه لا يستطيع ، فقد عقدت الغيرة الإلهية لسانه ، ولأن الصدق مؤثر أو على حد قول ذي النون " الصدق سيف الله في أرضه ما وضع على شئ إلا قطع " ، (أنقروى 5 / 599)

فقد فعل هذا الصدق فعله في الأمير فانطلق في البكاء وهذا كله من تأثير العشق ويطبخ قدراً طريفة أي يتجلى ويظهر للعيان ويكون مشهوداً وألا يستطيع عشق الأولياء الصادقين أن يؤثر على الجماد ، فما بالك بالإنسان ، وما بالك إذا كان هذا الإنسان عالماً وانظر إلى الأمثلة ألم تتحول العصا إلى أفعى من فرط عشق موسى ، وألم يصبح الجبل دكاً من تجلى العشق ألم يؤثر عشق موسى على البحر فانفلق ألم ينشق القمر لأحمد ، ألم تتأخر الشمس في المغيب بأمره حتى يلحق صلاة العصر مع رفاقه ؟

(لتفسير هذا الخبر ومناقشته انظر حديقة الحقيقة وشرعية الطريقة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور البيت 334 وشروحه) .

(2781 - 2785) : يعتذر الشيخ بأن لم يؤذن بعد في أن يأخذ عطايا كبيرة من أحد ، أو أن يختار عطيته ، إن كل عمل يقوم به الشيخ دون إذن إنما يكون من قبيل الفضول ، ويتساءل مولانا تراه أحس بعدم الصدق في بذل الأمير ، لا ، كان الأمير صادقاً في بذله ، لكن ليس الصدق الذي كان الشيخ ينتظره ، أو لم يكن في درجة الصدق المقبول لدى الشيخ ، ذلك أن الأمر هو أن يمضى ويتسول الخبز كالشحاذين لا أن يأخذ من قرائن الأمراء والكبراء .

(2786 - 2798) : هميان أبي هريرة أو خرج لأبي هريرة رضي الله عنه يقال أنه كان يجد فيه كل ما يطلبه بأمر الله تعالى (مولوى 404 / 55) ويفسر الأنقروى 602 / 5 والمولوى 5 / 404 هذه العلاقة بعالم الغيب بأنها كالدهن في السمسسم وكالنار في الحديد وكرائحة الورد في الورد ، وهو عالم التغيير والتبديل يصبح فيه النحاس سعدا والسم ترياقاً والميت حياً ، وإياك أن تحاول معرفة كنه علاقة هذا العالم بعالم الغيب ، فلا تستوعبها جهات ، ولا تصلح اللغة للتعبير عنها ، وعالم الغيب هذا هو أصل الوجود ، آلاف الآثار تتأتى منه كل لحظة . لقد ظل هذا الشيخ لمدة عامين ممتثلاً للأمر ، ثم جاءه الأمر الآن ذهب أو أن الأخذ وجاء أو أن العطاء ، وهكذا تقوم كيمياء التبديل بعجائب كثيرة ، كان رأس المتسولين فأصبح رأس المحسنين من عطاء الله سبحانه وتعالى الذي لا منة فيه ولا انقطاع له ، كن صورة ليدُ الله فوق أيديهم (الفتح 10) كنت يدي التي تبذل بأمرى ومن عطائي وبالطريقة التي أريد .

(2799 - 2811) : " أخرج بصفاتي إلى خلقي " من معراج أبى اليزيد البسطامي (انظر تفسير البيت 2018 من الكتاب الذي بين أيدينا) والحديث هنا عن سر معرفة الشيخ لباطن المريـد والذي يعبر عنه في مصطلح الصوفية بالفراسة (انظر 2704 من الكتاب الثالث وانظر 1851 - 1855 من هذا الكتاب وشروحها) فالرجل الكامل الواصل لا تخطر الدنيا بباله ، فمـنزل قلبه خال من الكدية وليس فيه إلا عشق الأحـد ، وما يكون فيه ويمت إلى الدنيا بصلة فإنه يكون انعكاساً لما في ضمير السائل ، إنها رغبة الآخرين ، ومن هنا يستطيع أن يدرك ما يريده السائل (انظر كمثال آخر لنفس هذه الفكرة الكتاب الثالث الأبيات 3252 - 3255 وشروحها) ، ويضرب مولانا مثلاً آخر : هـب أنك ترى صورة في الماء ، ألا تكون هذه الصورة انعكاساً لشيء موجود في الخارج ومتى يحدث هذا ؟ الجواب : عندما يكون الماء صافياً قد " نقيت منه القذى " إذن فالتنقية شرط لهذا الأمر : وإن نقيت البدن من الصفات الذميمة ووساوس النفس الشيطانية ، استطاع القلب أن يكون " عاكساً " ، ومن ثم أيها المقل الذي لا

تظفر بانعكاس الصور وتبدو لك هذه الأمور من قبيل الخرافة ، إن ماءك مكدّر بالطين طين الأكل والنوم والحرص والحسد وتسويلات النفس الشيطانية ، ومن هنا فإن ذلك البئر (القلب) يطمس دائماً بالتراب ، وتلك المرأة تكدر بصدأ الطمع .

(2812 - 2816) : لا يزال مولانا يفسر كيفية معرفة الشيخ لضمير سائله وها هو يخاطب المريدين إذا كان قلب هذا الماء خالياً من الكدر فإن الوجوه تنعكس عليه ، لكن ما لك وهذا ، إنك لم تقم بتصفية الباطن بعد ، ومنزلك أي قلبك ملئ بالوحوش والشياطين والقردة أي بالشهوات والوساوس والنزوات والأحقاد ، وكيف تفهم الأرواح الواصلة ، من أمثال روح المسيح التي كانت تحيي الموتى وأنت كمثال الحمار ، وتعلم أنك حمار ، ولا تحاول - عناداً - أن تخرج عن حماريتك ، وتتابع الأخطار التي تترصدك ، وتعرف مكانها ومن أي الأماكن تترصدك وتقطع عليك طريقك وتخوفك من الطريق ، وما ذلك إلا لأنك تنمى هذا الجسد وتسمنه وتجعل له الغلبة على القلب ، في حين أن الباطن لا يكنس من كل ما يكدره إلا إذا صار الجسد " خيلاً " من زهده في دسم الدنيا وقوتها .

(2817 - 2822) : يعود مولانا إلى قصة حمار القصار التي تركها في البيت 2667 : إن الحمار قد قاوم كثيراً ودفع حجج الثعلب ودحضها ، لكن الجوع كان غالباً عليه ، كان ضعيف الاحتمال ، والرسول صلى الله عليه وسلم نفسه قال : كاد الفقر أن يكون كفراً ، ونسب القول أيضاً إلى الإمام الصادق رضي الله عنه " كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر " (جعفري :

12 / 319) وهو مروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم في كتب الحديث (جامع 2 / 74) ، وهكذا فقد فضل الحمار الذهب مع الثعلب ، على أسوأ الفروض سوف يموت ميتة واحدة بدلاً من موته جوعاً كل يوم ، هذا مع توبته ومع قسمة ، ومع رؤيته للخطر ماثلاً أمام عينه .

(2823 - 2826) : وهذه هي نتائج الحرص ، فالحرص يعمى ويصم ويجعل المرء جاهلاً ، ومن جرأته يكون موت الحمقى سهلاً عليهم ، وللحمر يكون الموت صعباً فلا حياة تملك غير هذه الحياة الدنيا ، وأرواحهم ليست مرتبطة بالخالق ، ولا تترقى بعد الموت ، ومن هنا فالأحمق لا يلقي بنفسه في التهلكة إلا من جراء حمقه وليس أملاً في حياة خالدة ورقى وسمو لأنه لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور ، فجاهد في طريق الله حتى تترقى روحك بعد الموت ولا تصير كأرواح الحمير والدواب والوحوش

(2827 - 2833) : الحديث عن حمار القصار ، كان يعاني الجوع لكنه لم يحرم يوماً من الزاد ، ولم يمت جوعاً بالرغم من أن الجوع كان " يسلط " عليه بين الآن والآخر ، وهكذا فإذا كان في الجوع ألم واحد ففي الامتلاء والتخمة مئات الآلام ، يعد ألم الجوع أفضل منها جميعاً " فالجوع طعام الصديقين " ، لقد سمى الله الجوع ابتلاء ، لكنه قال في نفس الآية " وبشر الصابرين " وكان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا كل خمسة عشر يوماً فإذا دخل رمضان لا يأكل حتى يرى هلال شوال وإنما يفطر كل ليلة على الماء وحده ، وكان يقول " جعل الله في الشبع الجهل والمعصية وفي الجوع العلم والحكمة " (مولوى 5 / 410) إنه لم يكن معتمداً على الرزاق ، رغم أنه تشدق بهذا كثيراً ، وليته كان قد تحمل الجوع ف " المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء " كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجوع يوصف كشفاء المرض ، وكيف تستطيع أن تحس بلذة المتع إن لم تجرب الجوع ؟ (انظر الجوع رزق أرواح خاصة الله في البيت 2846 من هذا الكتاب) .

(2837 - 2840) : طائر الخبز كناية عن المرتبط بالمنافع الدنيوية وطائر الماء هو الذي يستطيع أن يغوص في بحار المعرفة ، وأنت تستحقه أي أنك لست صالحاً لعوالم الغيب فأنا أعطيك ما تستحقه ، فالجوع عطية الله لمن يصطفيهم ، لأنهم من الجوع يتغلبون على كل عقبات الطريق ويصبحون أسداً قوية ، ومن ثم لا يعطى الجوع لمدعى التصوف من الدراويش الكذابين " كلوا أكل البهائم وارقصوا لي " ، ومتى كان الطعام قليلاً في الدنيا ؟ إن مائدة إنعام الله مبسطة أمام الجميع .

(2841 - 2854) : الحكاية المروية هنا تشبه ما حدث للجنيدي البغدادي عندما شكى أحدهم أمامه الجوع والعري فقال له اذهب واطمئن فإنه لا يهب أحدهم الجوع والعري حتى يشنع عليه ويملاً الدنيا بالشكوى " (تذكرة الأولياء 431) ومن أقوال الفضيل بن عياض ما معناه : يا نفس مم تخافين من الجوع لا تخاف لست عزيزة عند الله إلى هذا الحد الذي يرزقك فيه رزق محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه (عبد الباقي 449) فأى جوع يخشاه ذلك الدراويش المتسول ، إنه طعام الصديقين ورزق خاصة الله ، لكن العوام دائماً ما هم يرزقون الطعام [والرزق أشد طلباً للعبد من أجله] كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم وكون الرزق عاشقاً للمرء كما يعشق المرء فكرة مأخوذة عن سنائي بل أن معظم الصور التي يعبر بها عن هذه الفكرة مأخوذة عن حديقة

سنائي (انظر حديقة الحقيقة لسنائي الغزنوي الأبيات 796 - 822 وشروحها) المتوكلون على الله حقيقة لا يحسون بالجوع " انظر عن التوكل الأبيات 912 - 955 من الكتاب الأول .

(2855 - 2869) : الحكاية الواردة في هذه الأبيات وردت قبل مولانا جلال الدين في (الهى نامه) لفريد الدين العطار عن حيوان كان يعيش فيما وراء جبل قاف وأنه كان يرعى في اليوم عشب سبعة أودية ويشرب ماء سبعة بحار ، وفي الليل يحمل هم الغد " (الهى نامه للعطار ص 237 بتحقيق فؤاد روحاني ، تهران ، زوار ، 1351 هـ . ش .) (2867 - 2869) : الاستفادة من الحكاية : البقرة هي النفس التي لا تشبع من الدنيا وبرغم أنها لم تحرم من الخبز في يوم من الأيام إلا أنها تعيش في هم مقيم من أجله لكنها تنسى ذلك ، ولا تتعظ بماضيها الذي لم تحرم فيه يوماً من الخبز .

(2870 - 2877) : عودة إلى قصة حمار القصار التي تركها مولانا في البيت 2822 ، والآية المذكورة في العنوان من سورة الملك : وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ، إذا ألقوا فيها سَمِعُوا لها شهيقاً وهي تَفُورُ ، تكادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ، قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلالٍ كبيرٍ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير (آيات 6 - 10)

(2870 - 2886) : يترك مولانا القصة التي انتهت بالطبع عند هذا الحد لينطلق في تعاليمه وإفاضاته . إن القلب هو ذلك الذي يوجد فيه نور الله ، وليس هذا الشكل الصنوبري ، فهو قطعة من اللحم ألقها للكلاب بتعبير الحكيم سنائي والمقصود به بالطبع الباطن المدرك لعالم الغيب ، إن هذا القلب المفتقر إلى النور مثل زجاجة ليس فيها نور الروح ، إنها أشبه بقارورة بول ، وهكذا فإن افتقر الجسد إلى مثل هذا القلب فهو ليس سوى جوال من طين ، وإياك أن تظن أن نور هذا المصباح من فعل الخلق ، إنه من فعل الله ، أي أن نور معرفة الغيب من الله وليست من علوم الخلق

(وعن وحدة النور رغم تعدد المصباح انظر الكتاب الأول الأبيات 681 - 685 والكتاب الثالث الأبيات 1255 - 1259)

ومن هنا فقد أشرك اليهود ولم يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم نظروا إلى الأنبياء ولم ينظروا إلى النور ، أي نظروا إلى الأنبياء وفرقوا بينهم ولم ينظروا إلى أن الرسالة واحدة صدرت عن مصدر واحد ، ولا فرق هناك بين شعيب ونوحاً لفرق بين أحدٍ منهم* إن الإنسان هو الذي يتكامل بالروح وبالمعنى لا

بالصورة وبالجسد ، لكن أولئك الذين يقفون على الصور ليسوا برجال ، إنهم موتى في سبيل الخبز وقتلى في سبيل الشهوة فلا روح ولا قلب ولا بحث عن المعنى ، ولا طموح إلى العالم الأعلى .

(2887 - 2896) : " الحكاية التي تبدأ بهذا البيت موجودة في التراث البوذي القديم وفي التراث اليوناني القديم منسوبة إلى ديوجين الكلبى " يحكى أنه خرج ونادى بأعلى صوته في الحارات يا رجال وصار يكررها حتى انقضت إليه جملة من العالم فطردهم بعصاه وقال لهم أنا أطلب الرجال وما لكم " (مأخذ 182) وقد عبر مولانا عن نفس هذا المعنى في غزلية في ديوان شمس الدين التبريزي :

بالأمس كان الشيخ يطوف المدينة بمصباحة صائحاً مللت الوحوش والشياطين ضاق صدري بأولئك الرفاق الذين بهم خور أريد أسد الله ورستم بن دستان قلت : أيها الشيخ انك تبحث عما لا يوجد قال : إن هذا الذي لا يوجد هو طلبي (كليات ديوان شمس غزل 441 ص 203) ولقد عبر حافظ الشيرازي عن هذا المعنى تعبيراً رائعاً بقوله :

إن المرء لا يحصل على إنسان (حقيقي) في عالم التراب * ينبغي خلق عالم آخر وخلق إنسان من جديد (ديوان حافظ ، ص 247) والتعبير بأن الرجل الحقيقي هو الذي يملك نفسه عند الشهوة والغضب تعبير متكرر في المثنوى وورد بالطبع عند سنائى (على سبيل المثال لا الحصر البيت 6071 من الحديقة) كما ورد عند العطار ونظامى (انظر أيضاً الكتاب الثاني 1467 - 1468)

وعن العيش بالنفخة الإلهية انظر الكتاب الرابع الأبيات 411 - 415 وشروحها) وفي البيت 2896 يرد عليه الرجل : إن الحرص والشهوة هما ظاهر القضية وينبغي أن تنتظر إلى أصلها وهو : على أي شكل يريدنا الخالق وكيف يخلقنا ، إن الأمر كله قضاء وقدر (عن هذا الموضوع انظر الكتاب الثالث الأبيات 380 - 390 وشروحها وعن الشهوة انظر أيضاً الكتاب الثالث الأبيات 818 - 820 وشروحها) .

(2897 - 2900) : من هذا البيت يبدأ المبحث الكلامي الأكبر في هذا الكتاب وهو مبحث الجبر والاختيار والذي جعلت منه موضوعاً للمقدمة ، ويبدأ مولانا بفكرة دق عليها كثيراً وهي

أن قضاء الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يغير العوامل الموجودة في الطبيعة ويقلب تأثيرها ، بل يجعل عطارده هو في اعتقاد القدماء الكوكب الخاص بالذكاء والحكمة لا يعي شيئاً (انظر عندما يعمم القضاء تنام المعرفة 1241 من الكتاب الأول) والبيت التالي ناظر إلى المثل المعروف : إذا جاء القضاء ضاق القضاء (انظر البيت 99 من الكتاب الأول والبيت 381 من الكتاب الثالث) فتعال يا من رسمت حياتك خطوة بخطوة بحيث تقضى كل خطوة إلى ما بعدها ، إنك أبله شديد البلاهة وساذج ، ذلك أنك تقوم برسم حياتك وكأنه ليس فيها سواك ، كأنها خالية من الغيب والقدرة ، صحيح أنك تستطيع أن (تخطط) لحياتك ، لكن كم من البشر (خططوا) لحياتهم ثم سارت خطوات حياتهم كما خططوا لها ، لم تصادف في الطريق مانعاً أو حادثة لم تخطر له ببال عند التخطيط .

(2901 - 2905) : إنك ترى ظواهر الأمور ولكنك لا ترى القدرة الخفية التي تسيرها ، رأيت دوران حجر الطاحون لكنك لم تر ماء الجدول ، ورأيت التراب يثار في الهواء لكنك لم تنظر إلى الهواء الذي يرفع التراب ورأيت الفكر يغلى ، لكنك لم تر من الذي يشعل تحته ناراً ليغلى قدر فكرك (قلبك) كل هذا الغليان ، وإن النسبة بين هذه الأمور غير المرئية إلى ما تراه من نتائجها كنسبة العطاء الذي أعطى لأيوب عليه السلام بالنسبة لصبره (أنظر الكتاب الأول 2108 - 3109 والكتاب الذي بين أيدينا 3689 - 3691 والكتاب السادس 876 ، 4839 ، 4836 وانظر أيضاً لعطاء أيوب حديقة الحقيقة لسنائى الترجمة العربية البيت 707 وشروحه) وفي البيت التالي وضع الساقية بدلاً من الطاحون ، لأن الماء من نتائج الساقية وليس سبباً لها وربما كانت ضرورة القافية .

(2906 - 2911) : إنك تدعى الرؤية أي رؤية ما وراء الظواهر ، لكن كل ما رأيته من البحر هو الزبد (المظاهر بالنسبة للحقائق كالزبد بالنسبة للبحر) ولو كنت رأيت البحر لكان نصيبك الحيرة (الحيرة عند الصوفية مرادفة للمعرفة انظر لتفسير هذه الفكرة انظر الكتاب الثالث البيت 1116 وشروحه) إن النتيجة الحتمية لهذه المعرفة ولهذه الحيرة هي الصمت المطبق لأن من عرف الله كل لسانه (استعلامى 35) وذلك الذي يتحدث بالأسرار لا يكون قد رأى سوى ظواهر الأمور ، وهذه الرؤية تؤدي إلى نتائج مختلفة ، فالناظر إلى المظاهر يخطط وينوى النوايا ، والذي يرى الحقائق يخاطر ويتهور ويقدم ولا يرى نفسه نية ولا خطة والناظر إلى المظاهر يرى الكثرة والقلة والأعداد و " يحسب لها " أما الناظر إلى الحقائق فهو

الذي يضع نفسه بين يدي المشيئة الإلهية كالميت بين يدي الغسال وينفى اختياره تماماً ، والناظر إلى الظواهر يطوف بها ويبحث فيها دون أن يصل إلى حقيقة ، أما الناظر إلى الحقائق فهو غير ملوث بهذه الظواهر غير مهتم بها .

(2912 - 2919) : ذكر فروزانفر أن الحكاية التي تبدأ بهذا البيت وردت في عيون الأخبار للدينوري وفي أخبار الطرفاء والمتماجنين لابن الجوزي وبالطبع دون المناقشات الطويلة الواردة بها بل في مجرد سطرين أو ثلاثة أسطر (مأخذ 182) ويذكر زركوب (سر ني 1 / 447) أن الحوار بين المسلم والمجوسي هو في الواقع حوار بين عمرو بن عبيد أحد أئمة المعتزلة ومجوسي ركب معه في سفينة وهي واردة في العقائد النسفية وفي شرح التعرف على مذهب أهل التصوف ، والرواية الواردة في عيون الأخبار وأخبار الظراف والمتماجنين :

حدثني رجل من أصحابنا قال صاحب رجل من القدرية مجوسياً في سفر فقال له القدري يا مجوسي مالك لا تسلم قال : حتى يشاء الله قال : قد شاء الله ذلك ولكن الشيطان لا يدعك قال المجوسي : أنا مع أقواهما . ويجعل مولانا من هذه الحكاية منطلقاً نحو تفصيل معتقدات الجبريين وآرائهم الذين كانوا يرون أن الأعمال خيرها وشرها من قبل الله تعالى ولا يروون أنفسهم مستحقين للعقاب ، وكان مولانا يرى أن العبد مختار ومسؤول بدليل الأمر والنهي والتكليف والعقل . ويقول المجوسي " المجوس قدرية هذه الأمة " أي من القائلين بالقدر ، أنه وإن كان كافراً فإنه لا يجيز على الله تعالى أن يريد شيئاً لإنسان ثم تتدخل قوة ما أياً كانت هذه القوة وأياً كان اسمها الشيطان أو النفس أو الأهواء أو الشهوات أو ما إلى ذلك ، فتغير مشيئة الله ، فإذا كانت هذه القوى منتصرة وغالبة إلى هذا الحد بحيث تتغلب على المشيئة الإلهية فما ذنب العبد إن تبعها .

(2920 - 2936) : ويضرب المجوسي الأمثال : هب أنك بنيت بناءً عظيماً أردت أن يكون مسجداً فجاء أحدهم وجعل منه برغم أنفك ديراً ، أو أنك نسجت كرباساً أردت أن تجعل منه قباء فجاء أحدهم وجعل منه سروالاً : أي إن الله تعالى خلق هذا الإنسان (القصر والمسجد والقباء) ليكون موضعاً للمعرفة فجاء الشيطان وجعل منه ألعوبة في يده وموضعاً للشهوات ومحلاً للوساوس وآلة للحرب والفساد وسفك الدماء ، فما ذنب هذا الإنسان يا حبيبي ؟ ما ذنب هذا الإنسان وهو ضعيف أمام الشيطان ، وفي نفس الوقت فإن الذي أراد أن يجعل منه معبداً ساكتاً ومستسلم وصامت ولا يتدخل ليدافع عن صنعه ؟ أأكون أنا مهاناً ومضطراً ومهزوماً

إذا تبعته أيضاً وألا أخشى في ذلك الوقت انتقام الشيطان (القوى ، المنتصر ، الغالب) متى ؟ عجيب ، ما معنى قولك إذن : ما شاء الله كان ، فمتى كان إذن هذا الذي يشاءه ، أتقوم النفس بالاستيلاء على صنعه ولا يتحرك صانع النفس ؟ أيستولى الشيطان على الإنسان ويسكت خالق الإنسان والشيطان معاً ، وإذا كان الشيطان ينتصر ويتحقق له ما يريد ، والخالق يسكت على هذا الأمر ، فكيف ينصلح حالي إذن ؟ ومن يساعدني في هذا القتال الذي حكم على فيه بالهزيمة ؟ !

(2936 - 2944) : يتدخل مولانا في النقاش فقد كان يرى أن الإنسان هو مجال للامتحان الإلهي (انظر الكتاب الثالث الأبيات 743 - 746 وشروحها) وفي معركة الروح والنفس يعتبر جواذب الحياة المادية وسيلة امتحان الحق وعلى هذا الأساس يعتبر عصيان الشيطان أحد ألا عيب القضاء الإلهي (انظر الكتاب الثاني 2655 - 2656)

ومع هذا فالمسؤولية لا تسقط عن أي مذنب ، ثم يرد على ذلك المجوسي الذي يرى الشيطان غالباً بهذا المثل ، إن هذا الشيطان هو أقل الكلاب على باب الله ، أنه مثل كلب التركماني ، ينبج الغريب ، فالشيطان متسلط على الغرباء عن باب الحق ، لكن أنظر إلى كلب التركماني مع القرباء !!

(أنظر إلى الشيطان مع الأولياء) إن الأطفال يشدون من ذيله (الأولياء أطفال الحق) (انظر البيتين 80 و 81 من الكتاب الثالث) ويكون ذليلاً في أيديهم لكنه يكون أسداً هصوراً على الغرباء ، إنه " الكلب والشيطان " مصداق الآية الكريمة أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (الفتح 29)

(2945 - 2950) : وهكذا فالشيطان هو كلب الحق ، وقد خلقه هكذا في جبلته الوسوسة ، وإلا فكيف يميز الله الخبيث من الطيب والصالح من الطالح ، وكيف يتغذى الشيطان إن لم يكن موسوساً للخلق " كمال كل مخلوق في قيامه بصنعه وكمال الشيطان في قيامه بما كلفه الله به " ليس الشيطان ندأ لله وجل وعلا ومقابلاً له بل عبد من عباده ينفذ ما أمره الله به ، وكيف لا ينفذ ما أمره به وروحه مقيمة على باب الإله تنتظر أوامره ، وكل من في الخلق من ملوك ورعايا كلاب باسطو أذرعهم بالوصيد ؟ لا ، ليس الشيطان ندأ لله أو مقابلاً له أو طرفاً في معركة معه مواضعها نفوس العباد ، إنه تماماً كالكلب على باب التركماني مستعد نافر العرق يتسلط على من يسلطه عليه سيده .

(2951 - 2962) : يخاطب مولانا جلال الدين بصفته رجلاً من رجال الله ، الشيطان ، أو الكلب الشيطان بأنه لا يستطيع أن يمتحن المخلصين من عباد الله ، ويسأله أن يداوم امتحاناته

من أجل أن يتميز ذوو الصلابة في الطريق من أرباب الوهن ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل للشيطان سلطة علينا فلماذا علمنا قتاله لماذا أعطانا السلاح الذي نقاتله به لماذا أعطانا المعوذة " نلجأ إليها عندما يشتد طرق الشيطان على بابنا ، ويهم ذلك الكلب بعقر أقدامنا ، فنطلب من الله تعالى أن يستدعى كلبه ، حتى نجد الطريق مفتوحاً إلى بابهِ ، نسأله حاجتنا ، فهل يعقل أن يكون التركي الخطائي (من قبائل الخطا وهي من أشد قبائل الترك بأساً) عاجزاً عن استدعاء كلبه وعن كبح جماحه ، إذن فما فائدة المعوذة وما فائدة الصياح ، معقول أن يقول لك التركي لا ، لا أستطيع أن أعقل هذا الكلب ، أنا أيضاً أستعيز منه ، إنه يمنعي من الخروج كما يمنعي من الدخول ، هل هذا معقول ، حاشا لله ، إن التركي ليصيح صيحة ، تفقد بها أسد الوعى قلوبها لا الكلاب فحسب ، وأنت يا من تدعى أنك أسد في هذا الطريق ، كيف تغلب عليك كلب النفس وهو مخلوق لخدمتك ، هو يصيد من أجلك هو أي القوى النفسية حافظة بدنك ، فكيف صرت أنت صيداً لها .

(2963 - 2974) : يرد السنن - ودائماً يقرن مولانا جلال الدين عقائده بأنها مجموع عقائد أهل السنة ولذلك يجعل السنن هنا مرادفاً للقبائل باختيار للعبد - ويقدم مولانا في هذه الأبيات دلائل أن للعبد اختياراً وأول هذه الدلائل الحواس التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان يسعى بها ويستخدمها ويستطيع أن يستخدمها في الخير ويستطيع أيضاً أن يستخدمها في الشر ، وقد يكون المقصود بالحس الوجداني الضمير الذي عبر عنه مولانا بالإدراك الوجداني وقال أنه محل الحس (جعفري 12 / 362)

والدليل الثاني هو الأمر والنهي والتكليف بوجه عام والثواب والعقاب كلها لا تكون إلا للمختار والمسؤول ، وشرط التكليف القدرة ، والقدرة هي التي تدل على الاختيار فلا يقول أحد لإنسان طر ، أو يقول لأعمى أنظر إلى ثم إن الملام والعقاب والمدح دليل على القدرة أيضاً والاختيار وإلا فهل يقول أحد لحجر لماذا تأخرت ، أو يلوم عصا على أنها ضربته ؟ نعم إن الرغبة في الظلم كامنة فيك ومن ثم انجذبت للشيطان وللنفس الأمارة ، وليس العكس كما تدعى أنك " مجبور " عليها من الشيطان والنفس الأمارة .

(2975 - 2981) : تريد أن تعلم كيف يكون الاختيار كامناً فيك إذن فاعلم أنك الشيطان والملاك معاً ، وداعى الخير وداعى الشر موجودان في داخلك لكنها في حاجة إلى ما يحركها ، ورؤية يوسف محرك وجرح اليد وتقطيعها نتيجة للمحرك ، كانت موجودة في نفوس النسوة في المدينة ، كن مستعدات للغواية ، فما إن رأى يوسف حتى قطعن أيديهن ، يظل

كلب النفس قائماً في داخلك حتى تحركه شهوة من الشهوات فيستيقظ ويبصص بذيله ، وهكذا حتى في الحيوان ، وفي السلوك الحيواني ، تتحرك الشهوة عندما يوجد محرك لها ، إنها كالنفخ في الشرر ، (انظر الكتاب الثالث موسى وفرعون في وجودك ، البيت 1254) وهكذا يتمطي الاختيار النائم فيك والكامن في وجودك عندما يعرض الشئ المشتهى .

(2982 - 2988) : [إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاز بالشر وتكذيب بالخير وأما لمة الملك فإيعاز بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان] (جامع 1 / 95) . ليس الأمر خاصاً بدواعي الشر فحسب ، بل تتدخل فيه أيضاً دواعي الخير ، تعرض عليك الملائكة ملائكة الخير ما لديها برغم أنف الشيطان ، إلهام بالخير في مقابل وسوسة الشيطان بالشر ، وأنت وما تختار ، لديك الميزان في داخلك ، وما يستوجب العقاب ومن ثم فأنت المسؤول ، وأنت الذي تنطلق بكل قواك ملبياً داعي الخير وداعي الشر ثم ما معنى التسليم في الصلاة ؟ إنك تسلم على الملائكة أنك صرت مختاراً لهذه الصلاة من إلهامها الطيب تماماً مثلما تقوم بلعن إبليس بعد كل ذنب لأنه قضى عليك وقسم ظهرك من وسوسته ، نعم فهذان الضدان يقوموا بعرض ما لديهما عليك وداعي الخير وداعي الشر مصطلحان موجودان في هذا الحديث النبوي .

(2989 - 3005) : وكلاهما داعي الخير وداعي الشر ، الملاك الملهم والشيطان الموسوس جاء إليك من وراء حجب الغيب ، وعندما ترتفع هذه الحجب يوم القيامة ، ترى عياناً من كان يقودك وتعلم من حديثهم أنهم هم الذين كانوا يحدثونك في الدنيا يلهمونك أو يوسوسون لك . يقول الشيطان : لقد كنت أعرض عليك فحسبوا قال الشيطان لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (إبراهيم 22) ويقول الملاك : ألم أقل لك كفاك سروراً بمعصيتك وتدبر قول الرسول صَلَّى الله عليه وسلم [من عصى الله وهو يضحك يدخل النار وهو يبكي]

(مولوى 5 / 432) لقد تركتني أنا الراجي خيرك المشفق عليك من نار الجحيم الراغب في قيادتك إلى الجنة ونحن الملائكة من سجدنا لآدم واعترفنا بخلافته ، ولا زلنا نخدمك ونقودك إلى موطنك في الجنة ، ونردك من غربتك وفقرتك إلى رئاستك وإمارتك ، لكنك تركتنا وأطعت

تلك الجماعة التي رفضت السجود لأبيك ، ووسوست له ، وسببت طرده من الجنة إلى جحيم الشقاء ، وتوعدت أولاده قائلاً لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (الإسراء 62) ،
\هيا انظر إلينا عياناً بياناً بعد إن كنت تسمع أصواتنا في ليل الدنيا وظلمة الحس ، فها هو قد أسفر الصبح ، صبح القيامة ، وقام الناس من النوم ، فاعرفنا بأصواتنا ، وأعلم أننا كلامنا الملاك والشيطان كنا عارضين لك ، لم نجبرك على فعل لم تكن أنت تريده ، ولم نوجهك إلى فعل لم تكن أنت تقصده .

(3006 - 3021) : يعود مرة ثانية إلى بيان أن الإنسان مخير وليس مسيرا ، ومن هنا يؤدب الطفل فهل رأيت حجرا يعاقب ؟ ! وهل سألت حجرا أن يأتيك في الغد ، وهل يضرب عاقل المدر (في الكتاب الثالث ، أمثلة عديدة على هذه الفكرة ، انظر الأبيات 2911 - 2919) ، وعن هشام بن سالم عن علي رضي الله عنه : إن الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد " (جعفري 12 / 383) ،
الجبري والقدري كلاهما مرفوض ، لكن الجبري أكثر افتضاحا أنه يرى ويحس أنه لا مدلول دون دليل ، لكنه ينكر والقدري يقبل الدليل والمدلول لكن في حدود الأمور المادية والدينيوية ، وأمور الله جل وعلا التي لا تقاس بالمعايير والعلاقات الدينيوية ولا تدرك ، والنتيجة أن القدري والجبري كليهما ينكران تلك الحقيقة غير المادية وغير الحسية (استعلامي 5 / 385) ،

ومن هنا فسفسطة الجبري أسوأ من الحاد القدري " والقدرية مجوس هذه الأمة " ، ويجعل مولانا القدري واحدا مع المادي والذهري ، انه يقبل الدنيا فحسب ويقر بها وإن قال يا رب فنظره إلى القدرة المادية الطبيعية ، وقوله يا رب لا يقصد بها الحظيرة الإلهية ، والجبري ينفى المسؤولية والاختيار عن نفسه ، ينكر العلاقات الموجودة في الدنيا ، ولا يصل بسفسطته وأدلته الواهية إلى غاية بل يدخل في تلافيف الشك والريب والكفر ، والحيوان يدرك الأمر المحسوس ،

أ يكون الحيوان أفضل من الجبري ، إن وجود الاختيار لا يحتاج إلى دليل لأن كل إنسان يستطيع أن يحس به ، وإن أحس به فإن تكليفه بالأمر يجمل به ولا يستوحش منه أو يراه صعبا ، وإذا كان القدري مرفوضا والجبري مرفوضا فالحل هو ما أجمعت عليه الأمة من المنزلة بين المنزلتين ، أو الأمر بين الأمرين وعن علي بن موسى الرضا رضي الله عنه ذكر عنده الجبر والتفويض فقال : ألا أعطيك في هذا أصلا لا تختلفون فيه ، ولا يخاصمكم عليه أحد إلا كسرتموه ؟ ، قلت إن رأيت ذلك ، قال : إن الله عز وجل لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة ولم

يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه فإن أنتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه (جعفري 12 / 384) والأمر عند مولانا بين الوضوح في قوله بالاختيار وهو في هذا تابع لسنائي الغزنوي الذي قال بأن الجبر لحركة العالم وأن الاختيار للإنسان ، وأن هذا هو المقصود بتكريم الإنسان ، فكيف يكون مجبرا ثم يكون مكرما ؟ !

(انظر حديقة الحقيقة الأبيات 5459 - 5461 وشروحها) ، وإلى مثل هذا ذهب الحكيم السبزواري فقال : إن من أفضل ما قاله المعلم الثاني ، لابد أن يكون في الإرادة إرادة بالذات ، وفي القدرة قدرة بالذات وفي الاختيار اختيار بالذات " ، ويضيف والعالم كله ظله ، وهو مختار وظل المختار مختار (شرح السبزواري ، ص 394) .

(3022 - 3033) : يواصل مولانا جلال الدين دلائله على الاختيار واثبات المسؤولية على الإنسان ، وهنا يتجاوز مولانا الدلائل الظاهرة والحواس الظاهرة ويتحدث عن الإدراك الباطني ويسميه بالإدراك الوجداني وفي العنوان يوضح مولانا أن الإدراك الباطني هو أيضاً من قبيل الحس ، فمنه ندرك الألوان والأحجام وأنواع الجمال والقبح بالحواس الظاهرة ، لكننا ندرك الاختيار والاضطرار والغضب والصبر بالحواس الباطنة أو الإدراك الباطني أو كما يسميه مولانا الإدراك الوجداني ، ويفسر محمد تقي جعفري الإدراك الوجداني تفسيراً لغوياً على أساس أن " وجدان " بالفارسية تعني الضمير ويرى أن مولانا كان يقصد هذا المعنى بالفعل بدليل ذكره للندم بعد أن يقوم المرء بفعل السوء فإن هذا الندم مصدره الضمير (جعفري 12 / 394 - 395) .

ويقدم مولانا دليلاً آخر : القرآن الكريم ، أليس كله أمر ونهي ووعد ووعد فلا بد أن يكون هذا الأمر والنهي والوعد والوعيد موجهاً إلى " مسؤول " و " حر " وإلا فهو ليس موجهاً إلى حجارة وحديد أو خشب ، فالعقل نفسه لا يتعامل إلا مع من له عقل . وإلا فهل عاقل صورة ؟ ! أو هل أنشب مخالفته في صورة مقلب ، ثم كيف يوجه أمر إلى عاجز ؟ ! إنك إن أمرت عاجز بأمر يعجز عن فعله كنت جاهلاً ، وإن فعلها إنسان لقلت عنه أنه جاهل ، فهل تنفي عن إنسان صفة الجهل وتجيزها على الله جلا وعلا عن ذلك علواً كبيراً ؟ ! وكيف تنفي عنه صفة العجز لتوقعه بعدها في صفة الجهل " والكلام موجه إلى المجوسي القديري " ؟ !

(3034 - 3039) : يعود إلى مثال التركي وكلبه " الله والشيطان " ، وليس عيباً أن يرمز له بكبير الترك : فالله قد ضرب الأقل لنوره * مثلاً من المشكاة والنبراس والضيف هو العبد المتجه إلى الله تعالى ، والخرقة رمز للتظاهر ، والمقصود بالكلب هنا هو النفس الكلبية الأمارة بالسوء ، فإذا توجهنا إلى العتبة الإلهية ومعنا كبرنا وغرورنا ونفسنا الأمارة بالسوء فإن الكلب " الشيطان " ، يقف في طريقنا والكلب في البيت 3077 هو إبليس (انظر 2939 - 2944 من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وعضة الكلب تلبس إبليس ومكره ، والغلمان هم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، والكلب في البيت التالي هو النفس والثعلب هو الرياء والتظاهر ، والكلب في الشطرة الثانية من نفس البيت هو إبليس :
نفسك التي بين جنبيك هي التي تثير إبليس وهي التي تدعوه إليك .

(3039 - 3057) : يواصل مولانا أدلته على أن الإنسان مختاراً ، فإذا لم يكن الإنسان مختاراً وكان الاختيار للحق دون سواه ، فكيف تغضب على من يسئ إليك ، إنك تغضب على من يسئ إليك إن كان عاقلاً ، لكنك لا تغضب إن كان غير عاقل ، ومن ثم فالاختيار مقارن للعقل ، وحتى الحيوانات تفعل هذا ، فهل رأيت حيواناً هاجم عصا ضربته دون أن يهاجم الضارب ؟ ! هل رأيت كلباً تقذفه بحجر فيصب غضبه على الحجر " إنه يفعل ذلك فحسب عندما لا يطولك وللوهلة الأولى ثم سرعان ما يدرك أنك الضارب لا الحجر " .

(3076 - 3085) : يواصل مولانا تقديم أدلته على الاختيار ، والحكاية الواردة في البيتين الأوليين وردت في ربيع البرار للزمخشري والمستطرف للأبشيهي منسوبة إلى الإسكندر (مأخذ / 182) .

أمر الإسكندر بصلب سارق : فقال : أيها الملك فعلت ما فعلت وأنا كاره ، فقال وتصلب أيضاً وأنت كاره .
إن الجبر يقلب العالم إلى فوضى ، فالسارق والمعتدى والقاتل كلهم يقومون بما يقومون به اعتماداً على هذا المبدأ ، عجيب ومع ذلك فأنت تتلاعب بالجبر والاختيار ، تختار الحرفة ، وخلف نفسك العاصية تكون مختار تماماً ، لكنك عند شكر النعمة صامت أو قائل بأن الله لم يهبك شكر هذه النعمة ، تراك تقبل أن يقول لك الجحيم : اعذرني علي حرقى إياك ؟ !
أنه لولا الاختيار لما انتظمت الدنيا .

(3077) : يواصل مولانا ويقدم قصة أخرى ساخرة وهي كما هو واضح على نسق القصة السابقة وتجري في سياقها وهي فيما يبدو من تأليف مولانا ووردت في كتابه " فيه ما فيه " ، قبل أن ترد في المثنوى .

(3087 - 3097) : من هذا البيت يبدأ مولانا في مبحث آخر دفعه إليه خشيته من أن يفهم القارئ أن الاختيار للعبد مطلق وأنه من الممكن أن يختار على اختيار الله سبحانه وتعالى ، أو يفهم آخر أن مولانا ينفي الاختيار عن الله سبحانه وتعالى كلية ، فاختيار العبد كالغبار ، واختيار الرب فوقه كالفراس الذي يثير هذا الغبار دون أن يكون ظاهرا (هذا المثال موجود في الكتاب الثالث ، البيتين 383 - 384) ،
إننا نختار ما اختاره الله لنا ، فاختيار الله هو الاختيار الكلى واختيارنا هو الاختيار الجزئي ، ولو لم يكن لنا اختيار لما خيرنا الله بين أمرين ، وتسلب الله سبحانه وتعالى على صورة بلا اختيار أمر لا عظمة فيه ، فلا عظمة في أن تحكم من لا يتأتى منه فعل ، سواء كان هذا الفعل خيرا أو شرا ، لا عظمة في أن تسيطر على عبد بل العظمة الحقيقية في أن يكون حكمك على حر ، إن السيطرة على من لا اختيار له تتأتى من كل إنسان ،
لكن أية عظمة في أن تجر صيدا من أذنه أو تجر إنسان من أذنه أيضاً ، فالله حينئذ بدون أية آلة يقيد باختياره ذلك الإنسان المجبر ويجره إلى حيث يشاء ،
هذا الأمر يكون كسيطرة النجار على الخشب والمصور على الصورة والحداد على الحديد والبناء على الآلات التي يستخدمها ، فهل قدرتك على هذه الجمادات ، نفت عنها صفة الجمادية ، كيف تجيز إذن أن يكون اختياره جل وعلا نافيا لاختيارك أنت . !

(3089 - 3104) : مشيئة الله سارية في الكون بشكل كلى وبلا زمان أو مكان ، وليس في الأمر جبر أو ضلال ، إنك " أيها المجوسي " تقول أن كفرى هو مشيئته ، لكنها مشيئتك أنت أيضاً ، فكيف ثم كفر دون مشيئة من الكافر ؟ !
وكيف يغضب علينا سبحانه وتعالى إن كفرنا دون أن يكون لنا دخل في هذا الكفر ، أيغضب علينا لعجزنا ، إن هذا السلوك لا يليق حتى مع ثور ، فالثور أن لم يقبل السير ضرب ، لكنه لا يضرب أن قلت له طر ولم يطر ، ومن ثم فإن لم تكن مريضاً لا تربط رأسك (مثل فارسي) ، ولا تسخر من نفسك كل هذه السخرية فتكون أقل من ثور .

(3105 - 3110) : والحل لكل هذا النقاش أن تكون عاشقا فيذوب اختيارك في اختياره ولا ترى لنفسك اختيار دون اختياره ، فيكون كل ما تفعله هو فعل الحق ، يكون العشق هو

اختيارك ، والسكران بهذه الخمر معذور ، وهو حتى لا يكون في حاجة إلى أن يعذره أحد ، فهو لا يفعل في سكره إلا الحق وإلا الصواب ، والمثل التالي عن سحرة فرعون وارد بتفصيلات أكثر في الكتاب الثالث (انظر الأبيات 1723 - 1730 وشروحها) .

(3111 - 3130) : [ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن] ، حديث نبوي يكرره مولانا كثيرا في المثنوى (انظر على سبيل المثال ، الكتاب الأول : 1888 - 1898 والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 2929 - 2937) . عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم [قال : قل كل يوم حين تصبح اللهم لبّيك وسعديك والخير في يديك ومنك وبك وإليك ، اللهم ما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن] (مسند أحمد 5 / 191 ، أحاديث مثنوى 174) . وليس عند الله صباح ولا مساء : أي ليس في عالم اللاهوت زمان ، لأن الزمان مرتبط بالأفلاك وهو فوق الأفلاك ، فليس حديث " ما شاء الله كان " دعوة إلى الكسل وإلى الاستسلام لما تأتي به المقادير ، بالعكس انه دعوة للعمل والجد والاستعداد في كل لحظة .

يقول يوسف بن أحمد :

وهذا الحديث معناه قريب لقوله تعالى : كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، قال في الجلالين معناه أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماته واعزاز واذلال وغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك ، (مولوى 5 / 453) ،

فإذا كان الأمر أمرك أنت جاز لك أن تتكاسل ، فإذا قيل لك أن الأمر أمر الله ، معناه أن تسعى في رضا الله دون رضا سواه ، إذا قيل لك أن الأمر في يد الوزير فلان ، يكون رد فعلك أن تبتعد عنه أو يكون رد فعلك أن تقترب منه ؟ !

أترى الآن أنك قلبت تفسير : ما شاء الله كان وجعلته على هواك لأن هواك في الكسل ، وتكفى نتيجة تفسيرك هذه لكي تثبت لك أن تفسيرك هذا سيء ، فهناك علامة للتفسير الصحيح هو أن يدفعك إلى العمل وبذل الجهد ، والجهاد في رضا الله ويملاك حماسا وحركة وأملا ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد من عبده الكسل والتواكل ، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول ما يؤدي إلى القنوط واليأس ،

والقعود عن العمل والعبادة ، ولماذا تسرع في التفسير حسب هواك ، ما أحراك أن تفسر القرآن بالقرآن لأن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فإن لم تكن قادرا على هذا ، فابحث عن الولي الكامل غير المغرض الذي أضرم نار العشق في هواه وهوسه ، وصار كله لله وللقرآن حتى ذاب في القرآن وصار قرآنا ، كما يذوب الزيت في الورود

(عند تقطير العطور) ، فسواء إن شممت ذلك الزيت الذي ذاب في الورود أو شممت الورود نفسها ،

سواء سألت القرآن عن معنى القرآن ، أو سألت الولي الذي ذاب في القرآن وفنى في الله فناء تاما ، هذا هو الراسخ في العلم الذي نص سبحانه وتعالى على أنه هو الذي يستطيع أن يعلم تأويله .

(3131 - 3134) : يتعرض مولانا جلال الدين لحديث آخر يحتج به الجبريون لأنهم يفهمونه على غير معناه والحديث هو " جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة " ، ويحتج الجبريون بهذا الحديث بأن كل ما جرى على البشر قدر منذ الأزل وبالتالي فلا فائدة من العبادة أو الدعاء لأن الله سبحانه وتعالى لن يغير شيئا ما دامت الأقلام قد جفت والصحف قد طويت . هل يعقل أن يقول لعبده : يا عبدي لا تدعني لقد جف القلم ولن يجديك هذا الدعاء نفعا ؟ ! ! . وهناك حديث آخر في هذا المعنى " فرغ ربكم من أمر العباد فريق في الجنة وفريق في السعير " (انقروى 5 / 677) .

قال أحد الصحابة : أو لا نعمل يا رسول الله : قال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ويقدم مولانا تفسيراً آخر لحديث " جف القلم " ، فجف القلم تحريض على العمل لا على الكسل ، وعلى " الشغل الأهم " ، أي على العبادة لأن القلم جف وفرغ من أمر جعل الجزاء من جنس الفعل ، ولا تبدل لسنة الله ولا تغير لها ، إنك مرتبط بأفعالك ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

إذا ظلمت فأنت مدبر ، وإن رحمت تُرحم ، وإن سرقته تقطع ، وإن سكرت تشمل ، بهذا جف القلم ، جف القلم وكتب أن الله سبحانه وتعالى عدل وحق يجزى بالحسن حسنا وبالسوء سوءاً ، وليس بفعلك لأن الله سبحانه وتعالى يمحو ما يشاء ويثبت ويغير ويبدل " والدعاء يمنع القضاء " ، وإلا فهل من المعقول أن يقدر الله أفعال عبادة ثم ينعزل عنها انعزالا كلياً ،

ويتركهم هملاً ضياعاً ، جاهدوا أو لم يجاهدوا أطاعوا أو لم يطيعوا ، أخلصوا له أو لم يخلصوا له وخانوه ، وهل يعقل هذا حتى على ملك من ملوك الأرض ، هل هناك ملك من ملوك الأرض لا يفرق أمام عرشه بين الوفي والخائن وبين من يخافه ومن يسخر منه ؟ !

اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، إن ميزان الله سبحانه وتعالى لا يضيع شيئاً مهما كان ضئيلاً ، فلو زدت مثقال ذرة في عبادتك ظهرت في هذا الميزان ، إنه هو السميع البصير ، لا يسمع لواش أو نمام ، بل إن الوشاة والنمامين (الشياطين) ، عندما ييأسون ويحبطون أمام بلاطه يعودون إلينا ويوسوسون لنا قائلين : ما جدوى العمل ؟ ! لقد جف القلم وكتب من كتب سعيداً وكتب من كتب شقياً والسعيد

سعيد في بطن أمه والشقي شقى في بطن أمه ، إن هذا دس للمليك وحديث بالسوء عنه ، لا بل الوفاء جزاء على الوفاء ، والجفاء جزاء على الجفاء بهذا جف القلم .

(3135 - 3159) : وهناك أيضاً العفو الإلهي ، وهناك الرجاء في هذا العفو وعدم القنوط منه فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وأجمل من هذا الرجاء رجاء المتقى الذي ابيض وجهه من التقوى ، ذلك أن وجه العاصي المعفو عنه لا تصل بحال من الأحوال إلى درجة المتقى أصلاً ، تماماً كما يعفو الملك عن اللص لكنه لا يصير وزيراً أو خازناً ، وأنت أيها الإنسان المؤمن أمين في الأرض على هذا الدين فكن أميناً على أسرار الحق فإنك أصبحت صاحب تاج ولواء (ابن الخليفة) من قبلك لهذه الأمانة ، ولا تغتر بهذا ، فإنك إن خنت هذه الأمانة سوف تكون جديراً بقطع رأسك ، في حين انه قد يهب " غلاماً هندياً " ، عناية الربانية وينيله المعرفة " الدولة السمرمية " (انظر حديقة سنائي ، البيت 718 : لتركي جلف حدث رقيق قلب مئات الآلاف من الأعلام) ، ليس هذا فحسب ، بل القلب نفسه ببركة إخلاصه يصاحب الرجال ، فانظر أي إنعام نزل على الكلب ، فما بالك إذا كان هذا الكلب أسداً " رجلاً من رجال الله " ؟ !

(3160 - 3164) : إن إنعامه لا نهاية له ، بشرط أن تتوب وتعود ، فان الانغماس في الذنب يغلق باب الرحمة ، حتى هذا اللص قاطع الطريق ينبغي عليه ألا يقنط من رحمة الله ، وانظر إلى قصة الفضيل بن عياض (105 - 187 هـ)

كان قبل توبته قاطع طريق ، وذات يوم كان مع عصبته يقطع الطريق على قافلة فسمع قارئاً للقرآن: يقرأ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِفَتَاب و صار فقيهاً محدثاً ثم عارفاً من كبار العارفين ، وقامر بطهر :

أي ضحى بنفسه في سبيل الله ، وتضحيته بنفسه إسراعة إلى التوبة بقوة عشرة رجال ، ثم هل يمكن أن يكون هناك عاص أكثر عصياناً من سحرة فرعون ، أولئك الذين قالوا " بعزة فرعون " ، وقعدوا في طريق التوبة ، ثم عندما تاب الله عليهم ، اعترفوا بنوبة موسى عليه السلام وبألوهية رب العالمين ، وضحوا في سبيل هذا بأيديهم وأقدامهم (انظر البيت 3109 من الكتاب الذي بين أيدينا وشروحه) ، فكانت جذبة تساوى عمل الثقلين ، فهل رأيت طاعة خمسين عاماً نالت مثل هذا الصدق ؟ !

(3165) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت وردت قبل المثنوى في منطق الطير للعطار حيث جرى الحديث عن مجنون أو واحد من عقلاء المجانين رأى غلمان أمير المدينة في زينتهم

فرفع رأسه إلى السماء داعياً : " تعلم إكرام العبيد من العميد " ، وفي الحكاية التي بين أيدينا المقصود بعميد خراسان فيما يبدو هو محمد بن منصور النسوي حاكم هرات ومن رجال العصر السلجوقي في القرن السادس ، وتوفى سنة 594 هـ ، (عن مأخذ ، ص 183) .

(3169 - 3173) : كان الرجل معوزاً عارياً جائعاً فأبدى بعض الجراً على الله تعالى ، والانبساط في مصطلح الصوفية الحديث دون رعاية للأداب ، ويجد له مولانا العذر ليس في جوعه أو عوزه أو عريه ، بل لأنه كان غائباً عن نفسه فلم تسيطر عليها ، كما أنه أيضاً كان نديماً لله سبحانه وتعالى فتجراً عليه كما يتجراً النديم على الملك ، فإن جاز له هذا فلا يجوز لك ، إن النديم يتوقع على الملك لأنه " يعرفه " ، أما أنت وأنت لم تعرفه بعد فلا يجوز لك هذا ، وإن كنت لا تعرف فلك أن تعرف أن عطايا الله سبحانه وتعالى تفوق كل العطايا حتى لو وهبك أحدهم تاجاً ، أكان هذا التاج يكون ذا نفع دون أن تكون هناك الرأس وهي هبة من الله تعالى .

(3174 - 3179) : هذا الجزء من الحكاية إضافة عليها لم ترد في الحكاية الأصلية ، كان مولانا يريد أن يرد على الدرويش فآثر أن يرد عليه في صورة الحكاية أيضاً : لقد تعرض الغلمان للتعذيب ولم يفش أحدهم سر العميد بعد أن مزق أرباً ، ويرى استعلامي (5 / 365) ، في تفسير البيت 3179 أن الهاتف كان للعميد الذي يعذب غلمانه وأن البيت يقصد : أن عبيدك هكذا عبيد طيبون لأنك كنت سيذا طيباً ، ولا أدري من أين جاء بهذا التفسير لأن السياق يحتم أن يكون الهاتف للدرويش ، تعال وتعلم العبودية ، لقد كان العميد يغدق على الغلمان لأنه كان يعلم أنهم أوفياء حفظة لأسراره .

(3180 - 3186) : يترك مولانا قصة عميد خراسان ويقوم بإرشاد المريدين : ومزقت جلود أمثال يوسف أي تصرفت بجفاء مع الطيبين وأسأت إلى المحسنين (مر نفس التعبير في الكتاب الرابع ، الأبيات 3662) وفكرة أن الأحزان تحقيق بالإنسان من فعله ، مرت في الكتاب الثالث ، ببيان أكثر روعة (انظر الأبيات 348 - 359 وشروحها) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا (الشورى / 40) .

إن رجال الحق موجودون في كل عصر ، وإن سليمان هذا لمائل أمام الجميع ، (الكتاب الثاني 3782) ، فدعك من الأفعال الشيطانية وإلا قطعك سيوفهم ، وكل من ترك صفاته الشيطانية لا خوف عنده من رجال الحق ، ذلك أن الشياطين فحسب هم الذين

يخشونهم ، وحين يصل المرء إلى مرتبة الملائكة يكون عيشه فوق الأفلاك ، يكون آمنا من الكدح على الأرض ، لقد جاوز مرحلة الكدح ووصل إلى مرتبة الملائكة .

(3187 - 3194) : يعود مولانا هنا إلى مناقشة المجوسي الجبري الذي بدأت القضية به ويخاطبه قائلا : دعك من هذا الجبر فهو جبر العوام ينفي عنهم مسئوليتهم كل خير وكل شر ، وأدخل في جبر الخواص الذي فنى وجودهم الفردي في الحق فصار فعلهم هو فعل الحق ، ودعك من جبر الكسالى ، حتى يأتيتك ذلك الجبر الذي يهبك روحا جديدة ، جبر الخواص والفانين في الله ، ودعك من عشقك لنفسك وكن عاشقا للحقيقة واقلع عن تخيل أنك طيب وخير وفائق على الآخرين ، انصرف قليلا عن أنيتك ، ولا يكن طوافك كله حول نفسك ، دعك من عبادة ذاتك ، فإن أولئك الذين يطوفون دائما حول ذواتهم لا شئ عندهم يقولونه ، فأى عالم هذا الذي يتحدثون عنه ، إنسان محدود بنفسه ، ماذا لديه لكي يقال ، إنه صامت كالليل حتى وإن تكلم ، إن عمرك كله قد ضاع هدرًا ، والناس تحرك رؤوسها إعجابا ، وإن قال لك أحدهم أقلع عن هذا ، إن هؤلاء الذين يجتمعون حولك يظنونك ماء عذبا لأنهم لم يذوقوا الماء العذب ، تقول له : كفاك حسدا ، أي حسد ؟ ! هل يحسد الإنسان الغناء والهباء والغثاء والتفاهة ؟ !

إن تعليم هؤلاء مثل الرسم على المدر " الطوب " ، أما النقش على الحجر ، والذي يظل دائما فهو " العشق " و " النظر " ، لكي تصير أستاذا وشيخا وتجد لك مريدين علم نفسك العشق وعلم نفسك النظر أي الإدراك الباطني للشيوخ الكاملين .

(3195 - 3199) : ونفسك تلميذ وفي ، كما تعلمها تتعلم ، وكما تدربها تكون وما سواها من التلاميذ غير موجود ما دامت هي لم تتعلم ، وهؤلاء الأدياء الأخساء لا يتعلمون منك شيئا ، وطالما تدعوهم فاضلين وعلماء ، فإنك تدل على أنك خلاء وخواء ، أنت فارغ وهم فارغون فمن أين يأتيتك العشق ومن أين يأتيتك النظر ، لكن إذا كان قلبك متصلا ببحر العلم اللدني والعلم المطلق الإلهي ، فمن حقك آنذاك أن تتحدث لأنك " تغرف من البحر الذي لا ينتهى " ، والذي يأتي إلى قلبك منه المدد باستمرار ، إنما يخشى من يأخذ من الجداول جفاف هذه الجداول ، وأمر " قل " ، إشارة إلى المواضع الموجودة في القرآن التي أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالقول ، والآيات التي تبدأ ب " قل " ، أما الأمر ب " أنصتوا " ، فهو لأولئك الذين لم يبلغوا درجة من العلم ومع ذلك يتحدثون ويفيضون فسرعان ما تجف بساتينهم بعد إنفاق ما بها من ماء ، لكن المتصل بالبحر لا يجف علمه ولا ينفد

(3200 - 3209) : ويا أيها المتحدث وأنت معتمد على هذا العلم الدنيوي ، دعك من هذا الكلام فلا طائل من ورائه ولا نتيجة منه ، وانظر إلى عاقبتك هنا ، وغيرتي لا تسمح لي بأن أرى الأخساء الذين جمعتهم حولك يستمعون إليك وهم يسخرون منك ، إنهم ليسوا بعشاق ، الذين جمعهم هذا الخطيب الدنيوي يستمعون إليه ، إنهم سخرية حقيقية من العشاق ، العشاق الحقيقيون مختلفون " خلف حجاب الكرم " لا يتشدقون ولا يتظاهرون ، لكن وجدهم وصياح وجدهم تصل إليك أنت ، والعشق الحقيقي يكون لعشاق الغيب هؤلاء ، أما عشاق الدنيا فإن عشقهم يدوم عدة أيام لا أكثر ، إنهم يستغلونك أيها الشيخ و " يأكلون " منك ، دون أن تتال منهم مثقال ذرة من فائدة ، وما قيامك بهذا المحفل في الطريق العام من أجل هؤلاء العوام ، كيف تبسط لهم بساط الإرشاد في الطريق العام ، لقد أهلك نفسك دون أن تصل إلى هدفك من إرشادهم ، وعندما تسقط مريضاً فلن يقف أحدهم إلى جوارك ، ففي الحزن والألم لا مواسى إلا الله سبحانه وتعالى ، فهو الذي يكشف السوء ، ويأخذ باليد ، ويغيث المستغيث ، فتذكر أيام مرضك عندما ينفض هؤلاء المريدون العوام من حولك ، كن مثل إياز اعتبر أن أيام المرض هي السترة الجلدية ، وتذكرها مثلما كان إياز يقبض على سترته الجلدية بكلتا يديه .

(3210 - 3218) : عودة إلى مناقشة المجوسي الجبري ، لقد رد المجوسي الجبري ، بأجوبة لم يوردها مولانا واكتفى بقوله أنه حيرت " الرجل المنطيق " أي المشتغل بالمنطق ولعله يقصد أبا عمرو بن العلاء (انظر شرح 2912) ثم يعود مولانا فيقول أن هدفه كله ليس القضية في حد ذاتها ومن ثم فهو لا يطيل فيها ، وهناك أقوال عنده أهم من هذا المقال ومن قبل في الكتاب الثالث

(الأبيات 1361 - 1375) عند التوفيق بين حديثي الرضا بالكفر كفر ومن لم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي ، ذكر مولانا صراحة أنه لو واصل المناقشة جدلاً ، فإن نقاط العشق سوف تمضي لذتها عنده ، وسوف ينقلب " دوره " إلى دور آخر أي سينقلب من مرشد صوفي عاشق إلى متكلم يجادل ، ثم إن مولانا يبين سعة أفق ، وموضوعية أنه إن

ذكر أدلة كلها فعليه أن يذكر أدلة الآخر كلها ، ومن ثم فمن الأفضل أن يترك الموضوع برمته ، لأن الخلاف - في هذه القضية وفي غيرها - قائم إلى يوم القيامة ، والله سبحانه وتعالى يمد كل فريق بأدلته ، وذلك حتى لا ينتصر أحد ، والنقاش في حد ذاته لن يؤدي إلى نتيجة ما دام الحل كما رأى مولانا كامناً في العشق ، والعشق ليس بالنقاش وليس بالجدل بل هو ذوق وموهبة وعطية .

(3219 - 3221) : إن وجود الاثنيتين وسبعين فرقة أمر ضروري " إشارة بالطبع إلى الحديث الشهير : افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة " لكن الإمام الغزالي في فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة نقل الحديث بصورة توحى بأن الفرق كلها ناجية إلا واحدة هي فرقة الزنادقة ويتفق هذا التفسير مع منطق مولانا فتبعه (سر ني ، جلد 1 ، ص 414) فلا يمكن أن يكون وجود الفرق الهالكة ضرورة من الضرورات ، إن هذه المذاهب والفرق هي ظلال النور ، لأن هذه الأرض هي أرض الظلال ، وأرض المذهب الواحد واللون الواحد أرض أخرى ، الاختلاف إذن هو طبيعة هذه الأرض ، وينبغي أن تكون قابلاً له ، الله نفسه يقبله ، أليس هو الذي يهب - حتى المبتدع - هذه القدرة على النقاش ؟ إذن فكيف يميز المؤمن ، إن لم يكن ثم مبتدع (ديدن مولانا جلال الدين إن المتضادات لازمة ، انظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 575 - 581 وشروحها) .

(3222 - 3229) : وحتى إن كان للمحقق التعب والمشقة من كل هذه الفرق التي عليه أن يتغلب عليها حتى يحصل على الحقيقة فما الضرر في هذا ؟ إن عزة أي طريق في وجود المشقة والتعب منه ، حينذاك يكون اجتيازه نجاحاً حقيقياً ، ما قيمة أن تفتح مخزناً واهى الأبواب ؟ وما قيمة هدف يكون طريقه سهلاً ميسراً لا عقبات فيه ولا وعورة ولا قطاع الطريق ؟ وهل تكون زيارة الكعبة عزيزة إلا بقطع البوادي والتعرض لهجمات الأعراب ؟

وبقدر ما تعاني من ألم الغربة تكون العودة إلى الوطن عذبة لذيدة ، أنظر إلى هذه الفرق والمذاهب من هذا المنطق ، كل سلوك في طريق محمود يستلزم العقبات ، والمقلد هو الذي يحار بين الطرق ، عندما يرى أن (كلحزب بما لديهم فرحون) (المؤمنون 53) ولأن الجواب الذي يقطع الجدل غير موجود ، فهو مستمر إلى يوم القيامة ويتدارك مولانا : لا إن عظماءنا يعلمون هذا الجواب المفهم ، وإن كان هذا الجواب المفهم مخفياً عنا فهو ليس مخفياً عنهم والواجب علينا اتباعهم وأخذ هذا الجواب عنهم .

(3230 - 3239) : إن العشق هو الذي ينهى هذه الوسوسة وهذا الجدل والعناد ، ولا يستطيع شخص ما مهما أوتى من عقل أن ينتصر على هذا الوسواس الخناس ، فصر عاشقاً ، وابتحث عن الحقيقة ، فلا جمال هناك سوى جمال الحقيقة ، وابتحث عن طيور الماء " الأرواح التي تستطيع السباحة في بحار الغيب وتترك هذه الأسرار "

(وعن طيور الماء وطيور المنزل انظر الكتاب الثاني 3781 - 3791) ،
ابحث عن الرجال الذين وجدوا حتى تجد ، إن هذه الوسوسات تريق ماء وجهك ، وتسلب فهمك ، وهناك فرق بين معقولات أهل الدرس والكتاب والمدرسة ومعقولات أخرى يهبها لك العشق ، وهناك غير عقلك هذا الذي يدبر أمور معاشك عقول أخرى عند أهل الحق تدبر لك معادك وتدبر أمور السماوات ،

وماذا إن وجدت أن عقلك الجزئي هذا لم يسع عشق الرحمن ولم يتحملة فانفرط بدداً ، إن عقل العشق وعقل الإيمان الذي يهبه الحق لك هو أضعاف أضعاف هذا العقل الذي خسرت ، وقارن ولا تكن أقل من نسوة مصر اللائي قامرن بعقولهن عندما رأين جمال يوسف ،
وسلب العشق عقولهم لحظة واحدة فمللن هذه العقول إلى الأبد ، وإذا كان جمال ذي الجلال أصل لمائة جمال من أمثال يوسف " كل الجمال الموجود في الأرض جزء من عشرة أجزاء من الجمال والتسعة الباقية لله سبحانه وتعالى " ،

فهل تكون أنت يا رجل الطريق أقل من امرأة ، ولا تقامر بعقلك في سبيل هذا الجمال ؟

(3240 - 3250) : فالعشق إذن هو الذي يقضى على هذا الجدل بين الجبر والاختيار ، وهو الذي يغنيانا من القيل والقال ، وما يدركه العاشق لا يمكن التعبير عنه ولا يستوعبه المقال ، قلناها كثيراً ولن أمل من تكرارها ، إن العشق يفقد المرء النطق ، يصيبه بالحيرة
(انظر الكتاب الثالث 1115 - 1116 وشروحها) إنه يخشى أن يفتح فاه مثلاً تسقط جوهرة الإدراك من بواطنهم ويستشهد مولانا بما رواه أسامة بن شريك عن أن صحابة رسول الله

صلى الله عليه وسلم كانوا يجلسون في مجلسه " وكان على رؤوسهم الطير " عن أسامة بن شريك قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وإذا أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير . مسند أحمد ج 4 ، ص 278 عن أحاديث مثنوى (انظر أحاديث مثنوى ص 178) وما هذا كله إلا خوفاً من فوات العطاء ، وأنت أيضاً إذا جلست في محضر الرجال العظماء فاجلس بحضور ووقار ولتكن كل سمعا وإصغاء وانتباهاً ، فالطائر المذكور في الرواية هو طائر المجد الميمون ، إذا وقع ظله على شحاذ قلبه ملكاً ، وهل تفعل الإفاضات الإلهية من أفواه الكاملين غير هذا الفعل ؟ إن هذا الطائر الذي يسلك أنت هو " الحيرة " من هذا الذي يكشف لك ولم تكن تظن أنك جدير به ، تكون صامتاً لكنه يغليك (كحبة الحمص في الكتاب الثالث انظر الأبيات 4162 - 4169) ليحولك من حالة الإنسانية إلى حالة الملائكية ، ومن جسد إلى روح ، مثلما تنضج حبة الحمص لتتحول من حالة النباتية إلى دم وفكر وروح في بدن الإنسان .

(3251 - 3263) : عودة إلى قصة إياز التي بدأها مولانا في البيت 1857 وأشار إليها في البيت 3208 وفي العنوان تعنى كلمة عامداً أن السلطان كان يعلم الجواب لكنه كان يريد أن يسمعه من إياز ، وإياز هنا هو العبد الصالح الذي يدرك حقارته أمام الخالق . كيف تجعل يا إياز شيئاً دنيوياً هو في الحقيقة مانع في الطريق قبلة لك كما جعل المجنون من شئ دنيوي هو وجه ليلي ديناً له ومذهباً ، وكيف تتحدث بالجديد " الكلام " عن هيامك مع شيئين قديمين هما الحذاء والسترة ؟ وكيف يكون عشقك هكذا للجماد مثلما كان الشاعر العربي القديم يتحدث إلى الأطلال والربع والدمن بعشقه (قدم مولانا جواباً على هذا السؤال بالذات في الكتاب الثالث الأبيات : 1345 - 1355 وشروحها)

ولب القضية هنا أنه لا حديث بدون قديم بل ينبغي أن يقوم الحديث على القديم ، تراك يا إياز تعتبر حذاءك بدلاً عن ربع آصف " وزير سليمان الذي عنده علم من الكتاب " أو ترى سترتك الجلدية هي قميص يوسف الذي ألقى على وجه يعقوب فارتد بصيراً " والذي هو عند الصوفية رمز لبشارة الإفاضات الإلهية " ؟

أو تراك تقوم بالاعتراف الكنسي كما يقوم النصاري أمام القسيس بالاعتراف بذنوبهم ويؤمنون أشد الإيمان أن القسيس يغفر لهم هذه الذنوب وإن غفران القسيس من غفران الله ، في حين أن القسيس غافل هو الآخر عن الظلم وعن العدل ، لكنه الاعتقاد قد ينصب على إنسان وقد ينصب على جماد ، وينسج الحب والوهم صوراً جميلة كجمال يوسف ، لأن سحر الحب وسحر الوهم أشد سحراً من سحر هاروت وماروت

(انظر الكتاب الثالث 800 - 809 وشروحها) ، إن هذا

السحر يخلق صورة على ذكراه ، وهذا الانجذاب إلى الصورة يجعلك تظنها كائناً حياً فتعاملها كما لو كانت كائناً حياً بالفعل ، في حين أنه لا صورة هناك ولا تمثال ومع ذلك فبينك وبينها مائة سؤال وجواب ، تخاطبها قائلاً : أأست محبوباً لك وتتخيل أنها تجيب عليك قائلة لك : بلى ، وكل هذا من الوهم ومن الخيال الذي صور لك وجوداً ليس موجوداً بالفعل .

(3264 - 3274) : إن أولئك الذين يبحثون عن الله سبحانه وتعالى في آثار خلقه في هذا العالم أشبه بتلك الأم الثكلى التي تبكى وليدها الذي مات ، وتجلس إلى قبره وتحديثه كأنه حي في حين أنه مجرد تراب ، إن خياله أمامها جسد لها هذا الوهم ، إنها تعتبر القبر ذا عين وأذن ، لكن عشقها لهذا الوليد هو الذي صور لها هذا الوهم ، وقد تكون أكثر حباً لهذا القبر (الوهم) من حبها لوليدها عندما كان حياً (الحقيقة) لكن عشق الميت لا يستمر ، ومن ثم أوصى دائماً بأن تعشق الحي الذي لا يموت ، ومن هنا فلا تمر بضعة أيام حتى يهدا البكاء أمام قبر ذلك الطفل المحبوب فتنام ، وهل ينام المحب في حضرة محبوبه ؟ لا ، العشق الذي كان موجوداً مضى إلى حال سبيله ، " أخذ تعويذته ومضى " ، وعندما تنطفئ النيران لا يبقى إلا التراب .

(3275 - 3285) : والشيخ هو الذي يدرك هذا للوهلة الأولى ، كأنه يراه في المرأة ، حتى وإن كان ينظر في قطعة من اللبن ، إنه يستطيع أن يفرق بين العشق وعاقبته وبين الوهم الذي يبدو عشقاً ، والمثال مأخوذ من سنائي (انظر تفسيرات أخرى على شرح الأبيات 2193 - 2209 من الكتاب الثالث وشرح البيت 3374 من نفس الكتاب والبيت 168 من الكتاب الثاني) وعن نفس هذه الفكرة عبر القشيري عن الصوفية " مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور ، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود ، فهم من أهل الوصال والناس من أهل الاستدلال (عن شروح كفاي الكتاب الثاني ص 404)

إنني أقصد بالشيخ الذي يأخذ بيدك هو عشقك أنت لا الشيخ صاحب اللحية البيضاء فجنح العشق يعبر بك الأفلاك مهما كنت قانطاً ، إن الصور تتخلق وينشط الخيال ويسيطر الوهم عندما يكون فراق ، لكن شتان ما بين ما تدركه عند اللقاء وبين هذا الوهم والخيال الذي كان مسيطراً عليك ، عامل نفسه آنذاك قائلاً لك : أنا الأصل في الصحو السكر الذي ينعكس على تلك الصور (انظر الكتاب الثالث 3252)

إن الذي انعكس على تلك الصور فجعلها تجلت لك بهذا الشكل هو حسننا ، وعند اللقاء رفعت الحجب ، وهذا هو الحسن بلا واسطة

(انظر الكتاب الذي بين أيدينا عن جرعة الحسن الصافية دون تراب الأبيات 372 - 379)
وأنت من كثرة ما امتزجت بالصور (آثار وجود الحق) وفكرت فيها وتمعننت وتحيرت
واندهشت وسبحت وكبرت وحمدت صرت جديراً بإدراك الذات مجردة من الصور ، فأجذبك
برش لطفى وأنت لا ترى هذا الجذب لكنك لا تلبث أن تحس بآثاره ، فينبثق منك ماء المعرفة كما
ينبثق النبع من الصخرة ويتوارى وجودك خلف هذا الماء كما يتوارى وجود الصخرة خلف الماء
فلا تبقى صفاتها الصخرية ، واعلم أن الوجود الظاهري للكائنات هي مجرد أوعية قيمتها بما فيها
من معان ومدرجات أودعها الحق إياها .

(3286 - 3311) : الحكاية الواردة هنا من الحكايات الشهيرة في الأدب الفارسي قصتها سعدى
في الكلستان وضمنها أبياتاً عربية من شعر المجنون (كلستان سعدى بتحقيق فروغي ص 169 ،
تهران ب . د . وانظر إحدى ترجماته العربية " جبرائيل بن يوسف المخلع أو محمد موسى
هنداوى أو الترجمة الأخيرة لأمين عبد المجيد بدوي) وأشار إليها مولانا في بيتين من الكتاب
الأول (407 - 408) وهي موجودة في هوامش الديوان المنسوب لمجنون بنى عامر ، ويجب
المجنون هنا بما يؤيد الفكرة الموجودة في البيت 3285 ، وهو أنه ليس المهم الوعاء
(الصورة) لكن المهم هو ما يناله الإنسان من الوعاء (المعنى) وأن المعاني ليست متاحة لكل
إنسان ، بل ينبغي أن يكون جديراً بها ، فالعشق أيضاً ليس جديراً بكل إنسان ويتراوح عطاء
الأوعية بقدر تراوح واختلاف استحقاق الناس فيها فقد يكون " سما "
(لذة دنيوية) لإنسان وعسلاً " معرفة لعالم الغيب " لإنسان آخر والصورة مأخوذة من سنائي
البيت 461 من الحديقة (وقاصرات الطرف أي حور الجنان موجودات في الخيام " الأوعية ")
ولا يكون تجليهم إلا لمن وعدهم الله سبحانه وتعالى ، وكل شئ في هذه الحياة نسبي وقائم على
النسبة وإليك هذه الأدلة ، يوسف عليه السلام بالنسبة لأبيه وبالنسبة لأخوته وبالنسبة لزيخا

(امرأة العزيز) بل أن هناك فرقاً بين حب يعقوب وحب زليخا ، انظر إلى الوعاء واحد ،
ونصيب كل إنسان فيه مختلف بحسب درجة واستحقاقه وطبيعته ، الإناء واحد والخمور مختلفة ،
الإناء ظاهر ، والخمور مستترة ، وفي الأبيات العربية معاني تكررت في أبيات فارسية سابقة
والمقصود بها أن وجودك أيها الإله موجود في داخلنا وإن كان مستتراً ونحن دليل على هذا
الوجود .

(3312 - 3324) : لا يزال مولانا في مناجاته : إن الله سبحانه وتعالى كالريح غير ظاهرة لكن
آثاره ظاهرة في البساتين ، وكالروح غير ظاهرة في الجسد لكنها هي التي تحرك قوى

الجسد كله وكالسرور ، لا يبدو لكنه يظهر في الضحك وتهلل الوجه ، وكالماء الذي يسير حجر الطاحون دون أن يكون ظاهراً ، ويتوقف مولانا طالما قال أن آفة الحال هو المقال ، فما هذا الذي يقوله ، وما هذه الأمثلة التي يقدمها ، كيف يصف ما هو خارج الأوهام بهذه الصفات ، وكيف يتحدث عنه بهذه السطحية ؟ ما أشبهه بذلك الراعي الجاهل الذي كان يناجى ربه بقوله : إني راعيك ومحبك فتعال أخلى قميصك من القمل واخصف نعلك وأرعى حمارك ؟ (القصة برمتها واردة في الكتاب الثاني ابتداء من البيت 1724) لكنه العشق أثر في قلبه فانطلق وهو الراعي الجاهل الغبي بهذا الحديث ، كان محباً ولم يكن خطيباً مفوهاً ، وأنت لا يتجاوز منك كل هذا الحديث الأذن .

(3325) : حكاية أخرى من حكايات الهزل عن مولانا ، ومن حوالي 800 بيت سبقت ، والإفاضة العميقة تناسب من مولانا ولا بد أن تحضر لطيفة فيقولها دون أن تكون خارجة عن السياق ، للتخفيف عن سامعه ، ولجأ في الأدب الفارسي شأن ورويت عنه حكايات عديدة في الحقيقة (انظر حديقة الحقيقة الأبيات 5708 - 5714 وشروحها) كما روى عنه مولانا حكاية في الكتاب الثاني (انظر 3128 وشروحه) .
والقصة هنا لم ترد في مصدر قبل المثنوى ، وربما كانت من التراث الشعبي وسقطت إلى عبيد الزاكاني شاعر القرن الثامن في لطائفه ربما نقلا عن مولانا .

(3337 - 3339) : ينتقل مولانا من الفكاهة التي ألقاها ليتحدث عن تأثير الدعوة الإلهية عندما تجد لها مكاناً في سويداء القلب وتؤثر فيه ويتجاوز تأثيرها الأذن ، والدليل سحرة فرعون الذين أدركوا أن موسى عليه السلام على حق وكانوا يعلمون أنهم لن ينتصروا عليه .
وفي البيت 3338 إشارة إلى تهديد فرعون بتقطيع أيدي السحرة وأرجلهم (انظر الأعراف الآيات 105 - 120 وانظر الكتاب الثالث من البيت 1723 فما يليه) وفي البيت 3339 إشارة إلى الآية الكريمة لا ضيرَ إنَّا إلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (الشعراء . 5) .

(3341) : ذات الإنسان هنا هي الروح التي تربطه بعالم المعنى وهي في اتصالها بالوجود المطلق تعيش في قصر موجود في الأمن السرمدي ذلك أن من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه كان في حمى وأمن من هذه المعرفة ، والجسد هو بمثابة الشئ التافه الذي يرضى الأطفال ، لأن الطفل لا هم له في المعرفة أما الرجال فهمهم القلب ، ذلك القلب الخالي من الشكوك والريب والمطمئن إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، وأنا أقصد بالرجل ذلك الرجل

في الطريق صاحب القلب الفريد والروح التي تكون في قوة الصقر ، ولست اقصد به صاحب اللحية ، وإلا فلا قيمة لهذه اللحية وهو مشترك فيها مع التيس ، والتيس الذي يغتر بلحيته ومظهره يقود القطيع إلى القصاب " شيخ المظهر لا القلب يقود مريديه إلى الذبح " ، انه يمشط لحيته " التيس وشيخ المظهر " ، ويتقدم إلى المذبح ، فهيا دعك من اللحية والمظهر ، وانظر إلى " سلوك " من اخترته شيخا ودعك من أنيتك وذاتك ، وأسلم نفسك له ، يكون لك من عبيره ما يجعلك مرشدا للعاشقين إلى رياض جنان الأبد ، أتدري ما هذا العبير ؟ إنه العقل والنهي . إن هذا العقل والنهي هو المرشد الطيب الذي يقودك إلى الفناء عن هذا العالم والبقاء ببقاء الحق في ملك الأبد .

(3351 - 3355) : عودة إلى قصة المملوك اياز التي بدأها مولانا في البيت 1858 ويعود إليها بين الآن والآخر ، وها هو السلطان يطلب مرة ثانية من اياز أن يبين سر الحذاء والسترة ، كي يكون في ذلك موعظة للمماليك الآخرين الذين هم في حوزة محمود ، ذلك أن الدين النصيحة (حديث نبوي) ، إنني أعلم أنك يا اياز بتحقيقك العبودية " الوفاء للسيد والاعتراف بأياديه " قد علمت ذاتك وهو ما يتحسر عليه الأحرار ، إن العبودية أمام السلطان " الأكبر " هي عين النور ، إن إيمانك بالسلطان لا يتزلزل ، وهذا حسرة للكافرين من المؤمنين أن المؤمن في وهاء الحياة وجبالها لا يتزلزل ولا يفقد عبوديته أمام الخالق الأكبر .

(3356) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت وردت في تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (ص 176) : قيل لمجوسى " ادخل في الإسلام فقال : إذا كان الإسلام هو ذلك الذي عند ابن اليزيد فلا طاقة لي به ولا أستطيعه ، وإذا كان هو ما تمارسونه فلا حاجة بي إليه قط ، " وعندما يقول باحث معاصر : " عندنا أزمة مسلمين لا أزمة إسلام " ، يكون ناظرا إلى قول هذا المجوسي الذكي ، إن الإسلام بخير دائما ، موعود بالحفظ إلى يوم الدين ، لكن أولئك الذين يعتنقونه اسما لا فعلا ، وأولئك الذين يدعو أنهم يدافعون عنه ويريدون الموت من أجله يسيئون إليه من حيث لا يدرون ، ويشير مولانا من طرف خفى إلى قولة الإمام على الشهيرة : لا تبحث عن الحق بالرجال ولكن ابحث عن الحق تجد الرجال ، فإن قلت أن الإسلام هو ذلك الذي يتشدد به جميع المسلمين به ، فويلنا !! لقد صار اسما ولا معنى .

(3367) : الحكاية التي تبدأ بهذا المعنى وردت قبل المثنوى في فرائد السلوك ووردت في ربيع الأبرار بشكل مختصر ، ويدور الحديث في فرائد السلوك عن مؤذنين في " تفليس " ،

(هي عاصمة جورجيا الآن) ، أحدهما كان أهل تفليس يسرون من أذانه ومن صوته والثاني كان قبيح الصوت بحيث أهدوه الهدايا حتى يغادر تفليس ولا يؤذى المسلمين بصوته (مأخذ 185 - 186) أما رواية ربيع الأبرار فهي : مر سكران بمؤذن ردئ الحنجرة فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه واجتمع عليه الناس ، فقال : ما بي من رداءة صوته ولكن شماته اليهود والنصارى بالمسلمين . (مأخذ / 186) .

ولسعدى في الباب الرابع من الكلستان حكايتان قريبتان من هذه الحكاية عن خطيب كرية الصوت ومؤذن سنجار المتطوع (ص 156 - 157 كليات) ، والحكاية في معظم نصوص المثنوى غامضة في البداية إذ كيف يؤذن المؤذن في ديار الكفر ، وهي تبدأ في نسخة جعفري بإحدى عشر بيت غير موجدة في كل النصوص ، أن المؤذن كان قبيح الصوت بحيث كان يؤذى الناس بصوته ويفزع الأطفال من نومهم فجمعوا له الأموال ودعوه إلى رحلة الحج مع قافلة مسافرة ليتخلصوا منه ،

ثم تدور الحكاية كما هي موجودة في بقية النصوص ، والمعنى هنا لا يخفى ، إن الإسلام طيب فلا بد أن يكون كل ما فيه طيبا ، ولا بد أن يعى الدعاة هذا الدرس وبخاصة أولئك الدعاة الذين لا يملكون قلبا يصلح للدعوة أو لسانا يصلح لها أو علما يصلح لها ،

بحيث لا تجدى دعوتهم نفعا لأن الدعوة إلى الحق والدعوة إلى الخير لا بد أن تكون في إطار جدير بها ، ولأن الداعي ينافس وسائل إعلام تقدم الزيف والفساد في إطار شديد الجمال ، لا في فظاظه وسوء خلق وخلقة والعياذ بالله ، وبيان ناب لا يتورع عن الإتيان باللفظ الخبيث ويسمون ذلك ورعا وخشية !!

(3391 - 3392) : هذا المثل وارد في شعر أوحى الدين الأنورى بشكل مفصل وربما قرأه مولانا في ديوان أنورى (استعلامى 5 / 374) . وربما كان أيضاً من الحكايات الرائجة في أفواه العوام .

(3394 - 3395) : إن مؤمنا حقيقيا يستطيع بسلوكه وليس ببيانه أن يهدى أمة إلى الإيمان ، مثل الخيال (أو الهدف) الموجود في قلب السلطان أو في قلب عسكره يجعل هذا السلطان ويجعل هؤلاء الجنود يجعلون خصومهم بددا في القتال ، إن القلب هو الأساس ، والهدف هو الأساس ، وكان مولانا قريب عهد بما صنعه المغول في الأمة .

(3397 - 3401) : لقد كان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فردا واحدا ، لكنه أفنى اليهود " وليته فعل " والمجوس ، ويعود مولانا وربما سألهم أحدهم : لكن اليهود والمجوس موجودون ،

فيقول : لقد اهتز وجودهم ، فما قيمة البقاء على دين منسوخ ظهر فساد ، لقد آمن به من آمن ، لكن الذين بقوا على كفرهم بقوا عليه مهتزين وليس لهم ثباتهم الأول ، وبقوا في خوف (كل ما تفعله إسرائيل مع العرب والمسلمين مصدره الخوف من أن تعود لهم قوتهم الأولى) ، ويعود مولانا قائلاً : إنه ما أقوله على كل حال لا يستطيع أن يصور ما يدور في ذهني تصويراً كاملاً ، إن ما أقوله ذرة من وجود ، لكن ما الذرة ؟ !
أهي ذلك الهباء الذي يتجسد في ضوء الشمس ، لا ليس هي ما أقصد ، أو تكون الذرة هي ذلك الذي لا يفتت ولا ينقسم ، ولا هذه ،
(تراه كان يقصد الذرة التي تفتت وصار العالم منها خراباً يباباً ، من يدري ؟ !)
وما هو المراد الخفي الذي لديه من ذكره للذرة ، إنني أريدك أن تفهم مني ما أقول ، ولا محيص من أن أتحدث إليك بهذا الأسلوب لأنك لم تدرك بحر الحقيقة بعد وأنت عليه مجرد زبد طاف ، وإن تركت هذا الوجود الذي يشبه الزبد ، فأنت البحر نفسه .

(3402 - 3408) : الكلام هنا للمجوسي الذي يتحدث بهذا الاعتقاد عن أبي اليزيد البسطامي ، إن مشرق إيمانه ليملأ حتى حضيض الأرض بالكنوز ، ومن هذا النفس الرباني تخضر الوهاد ، عجيب هذا الشيخ ، وعجبية روحه المنيرة في حين أن له مثلنا جسداً من تراب ووجوداً ترايباً ، فمن يكون يا ترى منهما ، أهو هذه الروح ؟ ! إذن فما هذا الجسد ؟ ! أهو هذا الجسد ؟ ! إذن فما هي هذه الروح .

(3409) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت قال استعلامي أنه لم يجد لها أصلاً قبل مولانا (5 / 374) ، واذكر أنني قرأتها في عهد طفولتي في إحدى الطبقات الشعبية من " نوادر جحا " وأن الحكاية كانت بين جحا وزوجته ، وبالطبع لا يمكن تحديد مصادر هذه النوادر وهل هي موجودة قبل مولانا جلال الدين أو بعده . وبالطبع يرمز باللحم لروح أبي اليزيد والقط بجسده ، والإتيان بمثل هذه الحكاية اللطيفة داخل هذا البيان العميق المعقد يبين جانباً من جوانب روح مولانا جلال الدين وارشاده ومستويات المثوى المتعددة التي تتعدد بتعدد مستويات مردييه .

(3420 - 3439) : الحديث للمجوسي : إنه كلما تأمل في شخصية أبي اليزيد يزداد حيرة ، هذه الحيرة التي لا تتأني منه حلها ، ولا تتأني أيضاً من مخاطبه ، والبيت التالي لمولانا : إنه كلاهما معا : أي روح وجسد ، مثلما يكون في الزرع الحب (الروح) والقش والتبن (الجسد) ولا بد للحكمة الإلهية أن تجمع هذه الأضداد معا ، ووجود الجسد ضروري لأنه مركب الروح وكلاهما لازم للآخر ، وبكليهما معا تصح أسباب الدنيا ، وبعد إدراك الحقائق ، وبعد أن

تقضى هذه الحياة الدنيا يمضى كل عنصر إلى أصله (لتفصيل هذه الفكرة انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 4424 - 4444 وشروحها) وانتبه عبد الباقي (5240 / 5) إلى أن هذا المعنى مأخوذة من قطعة لسنائي موجودة ص 774 في الديوان .

إن الروح والجسد هما السبب في وجودنا الأساسي فيه ، هذه العلاقة بينهما ذات الارتباط باحتياجات وتناقضات موجودة في داخلنا لكن في الوجود علاقات من نوع آخر لا شهدتها عين ولا سمعتها أذن ، لأنها ليست من قبيل الحسيات ، وبعد إدراك حقائق الغيب لا حاجة لنا بحواس هذا العالم ، ولما بقيت الأذن أذنًا ولا العين عينًا ، تماما مثل الثلج والشمس ، أو المعرفة والوجود المادي ، فلو أطلت المعرفة على الوجود المادي لجعلته ماء (فيضا) ودواء لكل أشجار الحياة المتبلسة ، أما ذلك الوجود المادي المتمثل في الثلج فلا سير روحي له ولا سير معنوي ولا فائدة منه لأحد ، ولا علاقة له بأحد ، ولا مساس منه لأحد ، ولا يوجد منه إلا الشح فهو ليس مؤمنا (لان المؤمن يألف ويؤلف والمنافق لا يألف ويؤلف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس) (أحاديث مثنوى 179) ،

لكن خلقة الله لا تكون عبثا ، لقد يستفيق الكبد من هذا الثلج ، لكن لا إنماء منه ولا إنبات ولا خضرة ولا نضرة ولا حياة ، ويعود مولانا مرة ثانية إلى رابط هذا الكتاب من كتب المثنوى : اياز أو العبد المعترف بعبوديته الشاكر لأنعم ربه ، يا اياز تحدثت عن أبي اليزيد لكن نجمك أيضاً في صعود وعلو وسمو ، لأن إيمانك ووفاءك لا يمكن قياسه بإيمان العوام ووفائهم إن كل وفاء ليس جديرا تهبك وكل صفاء غير لائق بصفاتك .

(3439) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت قال فروزانفر : أنها تشبه حكاية واردة في إحياء علوم الدين للغزالي ، بطلها أبي الحسين النوري الذي حطم دنان خمر كانت تحمل للمعتضد العباسي ، (مأخذ / 187) ، وبالطبع عدل مولانا في تفصيلاتها كعادته في كل القصص التي ينقلها عن المصادر لكي يعبر من خلالها عن معان خاصة به ، والعنوان به بعض التناقض ، فإذا كانت الخمر حلالا في ذلك العهد الذي يصفه بأنه عهد عيسى فما وقوف الزاهد في الشارع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكسره لجرة الخمر التي يحملها الغلام من هذا المنطلق ؟ !

وهناك بالطبع من فقهاء الإسلام من قال بأن الخمر محرمة في الأديان الآخر على أساس أن تحريمها في الإسلام لأنها تذهب العقل وهذا شأنها في كل العصور (جعفري : 12 / 475 - 476) ، ولا بد أن مولانا جلال الدين كان يقصد خمرًا أخرى لكي يصف الأمير معاصر الخمر بأنه " حلو الروح " ، وكهف المساكين و " المخمورين " ، ومشفق وسخي القلب

في حين أننا بتقديم الحكاية سوف ندرك من أخلاق هذا " الأمير " ، وتصرفاته ما يناقض كل هذه الصفات التي وصفه بها ، وسوف تقدم له النصائح بالبعد عن الخمر ، ويظل موقف مولانا جلال الدين ممن يجلسون على كرسي الإمارة " واضحا " كما عبر عنه في الكتاب الثالث (الأبيات التي تتحدث عن طغيان فرعون وعن باب الحطة الذي يذل الجبارين وفي الكتاب الرابع عن الوزير المقتر البخيل ، وحيثما عن له الحديث عن جباري الأرض) ، والأمير الذي يقدمه هنا والجو العام للقصة يشير إلى بعض أمراء المسلمين الذين ضربوا بتعاليم الدين عرض الحائط وعله غلف الحكاية بعهد عيسى عليه السلام لكي يبعد الشبهة عن نفسه ، فأغلب الظن أنه كان يصف واحدا من أمراء السلاجقة العديدين الذين كانوا يحكمون إمارات الأناضول المختلفة في عهده وعندما وصفه بأنه " كهف المخمورين " ، كان يسخر منه .

(3446 - 3453) : أي خمر هذه يا ترى التي يجد منها العوام والخواص الخلاص !! غير تلك الخمر الإلهية التي تقوم جرعته بفعل آلاف الدنان من الخمور الأخرى ، ففي هذه الخمر الإلهية مادة خفية ، تشبه تماما تلك القوة الروحية التي تجعل من رجال الله وهم متلفعون بعباءاتهم سلاطين على الدنيا وملوكا ، لا تنتظر إذن إلى خرقهم الممزقة ، إنها دريئة تخفيهم عن أعين العوام ، تحميهم من أذاهم ، كما يسود الذهب لكي يحمى من اللصوص ، انظر إلى الجواهر ، يقوم الجواهري بتسويدها حتى لا يتعرف اللص عليها (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات 2171 - 2173) ،

ومن هذا القبيل دفنت الروح في الجسد كما تدفن الكنوز في الخرابات ، وذلك من أجل حجبها عن كل لعين لاحق لها فيها ، ومن هنا كان جسد آدم سدا أمام نظر إبليس إليه ، فنظر إليه ولم يبصر روحه (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات 2301 - 2302) .

(3455 - 3460) : ينطلق مولانا في وصف الخمر التي اشتراها الغلام بما يوحي بأنه لم يكن يقصد تلك الخمر الدنيوية " فأراد بالأمير الروح وبالغلام النفس ومن الجرتين العقل والقلب ومن الرهبان أرباب الرياضات والمجاهدات من أهل الإسلام ، ولو انبعث نور العشق الإلهي من قلب سلطان الإرشاد وأرشد المريد لوضع الله على رأس المريد تاج الكرامة وأعطاه الدرجات العاليات (مولوى 5 / 501) ،

ولأثار هذا الشراب فتن العشق وأشواقه ، ولعلم جميع الناس من سادة وعبيد أنهم دون هذا العشق سواسية ولامتزجوا معا بحثا عنه وطلبها له ، ولعلم الملوك أن عرشهم ما هو إلا لوح من خشب (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات 908 - 909 والبيت 661) ، ولتحولت العظام (وهي جماد الجسد) ، إلى أرواح ، وكل هذه

متضادات إن كان ثم صحو لكنها عند السكر ممتزجة امتزاج اللحم بالبر في ذلك الطعام المسمى بالهريسة ، فلا فرق إذا لا غرق أي لا سحو واستغرق في الفروق .

(3462 - 3471) : يصور مولانا الزاهد بأنه ذلك المستغرق في الرياضات المتعصب ، الذي توجهت إليه الأحزان من كل صوب ، وأصابته الدنيا بجراحها ، فكأنه زاهدٌ ليس حبا في الزهد أو طلبا لطريق الله ولكن زهد في الدنيا كرد فعل لخداعها إياه ومكرها به ولكثرة ما أصابه من مصائب فيها ومن جراح من جرائها ، وهذا النوع من الزهاد يكون ضيق الصدر ، يتمنى لو استطاع أن يهدم هذا العالم ويبنيه من جديد فإن كان مضطرا إلى الإقامة وسط الناس ، لقي الناس من عنته الكثير فينزل إلى الشوارع لأول بادرة من حزن أو انقباض ، ومن خلال حوار هذا الزاهد نعرف أن الأمير طالبٌ (للحق) مثله مثل أي إنسان سوى ، وندرك هنا أن الخمر هنا هي الخمر المادية العادية ، ويستبعد الزاهد من أمير طالب عقله مرتبط بعقول الآخرين ، وهناك عقول تعتمد عليه أن يفقد وعيه ، خاصة وأنه ليس مفيقا بلا خمر ، فماذا تكون النتيجة إذ شرب هذا الضعيف العقل الخمر ؟ !

(3472) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت يذكر استعلامي أنه لم يعثر على أصل لها قبل مولانا ، ويذكر أن الألقاب التي ذكرها مولانا جلال الدين في العنوان من الألقاب الشائعة في أيام السلاجقة والخوارزمشاهيين (377 / 5) ، ويرى زرین كوب أن هذه الحكاية ذات أصول تاريخية عن بعض حكام بلخ (مسقط رأس مولانا جلال الدين) ، (سر نی را ، ص 311) ، وليس من المستبعد أن تكون الحكاية قد تمت في حضور بهاء ولد (والد جلال الدين) وأن يكون قد قصها عليه فيما بعد ، وبقيت في ذاكرته مثل كل شئ عن بلخ وبلاد ما وراء النهر التي عاش فيها طفولته المبكرة ، والحكاية ضربت هنا لبيان أن ضعيف العقل لا يزيده ضعفا بشرب الخمر ، كما أن مفرط القصر يبين قصره المفرط بالهم بالقيام كما يفعل طوال القامة .

(3480 - 3492) : المخاطب هنا هو الأمير : إنك لا تملك عقلا شديداً يقيظ الذكاء بحيث " تريحه " ، قليلا بالخمر ، فما أشبهك بعبد حبشي يصبغ وجهه بالنبيلة وهو أصلا لا يحتاج إليها ، وإن الإنسان ليجتنب عن انعدام الوعي إذا كان عنده وعى أصلا ، ويقول الزاهد أن هذه " الخمر " ، إذا كان الله سبحانه وتعالى أحلها في زمن عيسى عليه السلام للعوام فلا بد أنه حرمها على الخواص الذين يطلبون وجه الله ، وقصة تحريم الخمر في الإسلام شهيرة فليطلب من تفسير الجلالين على الآية الكريمة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائدة / 90) ، والعشاق يسكرون من خمر المعرفة ومن ثم حرمت عليهم هذه الخمر ، إنهم ينظرون إلى طريق الحق وينتظرون منزل الوصول إليه فلا بد أن يكونوا في غاية اليقظة والانتباه ، والعقل الذي تتمتع به أيها الأمير ،

هو عقل يغيب عن الوعي دائما وشمسه في غياب وكسوف مستمرين رغم وعورة الطريق ، وإنك لهذا تضلل المرشدين في هذا الطريق ، وتجعل رعاياك هالكين ضالين وما أحراك بأن تعود هذه النفس على الزهد ، فلا تجعلها تتمرد عليك بتعويدها على التمتع ، وأفطمها عن لذائذ الدنيا ، وخذها بالاحشوشان ، إنها لص فاشنقها أو أقطع يدها ، أو قيد هذه اليد وإلا كسرت قدمك وأذلتك ، اسخر منها واجعلها تأكل التراب .

(3495 - 3506) : ها هو الأمير الذي كان مولانا يصفه بأنه أمير المؤمنين وكهف المستجبرين في صدر الحكاية يسفر عن وجهه الحقيقي ويستشيط غضبا وينهمر بالشتائم الخارجة على الزاهد ويذهب نفسه لتأديبه ويقف له وهو (الأمير) ، على قارعة الطريق يتهمه بهذه التهمة التي يتهم بها الطغاة الدعاة دائما بأنهم طلاب شهرة لا أكثر ولا أقل ، كل هذا والزاهد المسكين يختفى من غضبته هذه تحت الأغطية ، يهمس لنفسه قائلا : المرأة فقط هي التي تستطيع أن تواجه هذه الأمير بقبح وجهه ودمامة منظره ، وجهها الصلب الذي لا يخشى الكسر (كانت المرايا من الحديد المصقول) هو الذي يستطيع أن يواجه الأمير بقبحه وجبروته وجرأته على الحق .

(3507) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت ، قال استعلامي (378 / 5) انه لم يجد لها أصلا ولا يعرف أي حاكم لمدينة ترمذ كان سيد شاه ترمذ هذا ، بينما ذكر زرین كوب (سرنی 1 / 311) ، أنها ربما كانت من بقايا بعض الحكايات الشعبية عن بعض الحكام المحليين في ترمذ من الأسرة الحاكمة التي كانت معروفة باسم أسرة " السيد الأجل " ، على كل حال أيا كانت أصول الحكاية ، فإنها تؤكد ما ورد من أنه لا يمكن نقد الطاغية في وجهه ولا يمكن أن تقال الحقيقة في شأنه إلا " تحت اللحاف " .

(3516 - 3534) : لا يزال الأمير في عنفوان غضبه وصياحه ورفسه للأبواب (في منتصف الليالي !!) بحيث نهض الناس من نومهم - وهم جماعة - يلتمسون من " الفرد " الغاضب العذر للزاهد المسكين الذي نصحه نصيحة في محلها ، لقد كان أقاويل الناس كلها تحط من قدر الزاهد من أجل أن تنقذه من غضبه الأمير : فهو ضعيف العقل ، وهو زاهد

وشيوخ ، وهو في حالة قبض دائما ، وهو أيضاً لم ير جزاء لزهده هذا ، وصار سعيه تبابا كأنه سعى اليهود لا إخلاص فيه ، وهو بلا أصل ، وحيد ، مسكين ، قابع في داره عبوس قمطيرير ، ثم إن عينه تؤلمه ، وهو مجتهد دون يقين ودون حزم ، على الاحتمال والوهم والظن ، ثم إنه لا يبحث عن " الرئاسة " ، أي لن ينافسك أيها الأمير الأجل ، حتى في عبادته ليس ثابتا على حال ، إنه يشكو إلى الله دائما أنه غير مفلح في دنيا وغير مفلح في عبادة ، وأحيانا ينعى حظه من الدنيا ، أن الآخرين يطيطرون بأجنحة المعرفة وهو مجرد (زاهد) مقطوع الجناح ، إنه أيها الأمير ذو لون واحد ، سجين لطريقة واحدة من طرق المعرفة هي الزهد ، وكل سجين للون واحد يكون في ضيق واكتئاب ، إننا حتى نخشى عليه من كثرة اكتنابه ، أن ينتحر وينهى حياته ، حزنا على ما أصيب به من خيبة وما حاق به من أحزان .

(3535) : يبدو أن مولانا انهمك في قصة هذا الزاهد وحالته وانقباضه ويأسه وقنوطه " من الهجر " وأراد أن يثبت أن الهجر قد يؤدي بالعارف إلى " الانتحار " ، فساق قصة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أغلب الظن أنها من القصص المنتحلة أو الموضوعية ، وإن كان فروزانفر قد ذكر أن هناك بعض الأخبار في سيرة ابن هشام ورواية عن ابن عباس في دلائل النبوة تصلح أن تكون أساسا لهذه القصة (مأخذ / 188) .

عن ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياما لا يرى جبريل فحزن حزنا شديدا حتى كاد يعدو إلى بثير مرة وإلى حراء مرة ، يريد أن يلقي نفسه منه ، فبينما رسول الله كذلك عامدا لبعض تلك الجبال ، إذا سمع صوتا من السماء فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم صعقا للصوت !!

(جعفري 12 / 494) . كما مر بنا ذكر مولانا لمحاولة الشيخ محمد سرورزي الغزنوي إلقاء نفسه من فوق الجبل لأنه لم يوفق في الوصول إلى الجمال الإلهي (انظر 2670 من الكتاب الذي بين أيدينا) وفي البيت رقم 3540 كشف الحجاب : أي أدرك نور النبوة من داخله .

(3541 - 3548) : يعلق مولانا : كيف أن الناس يفكرون في الانتحار عند كل محنة يواجهونها وهم يتحملون أصل المحن داخل أنفسهم ، أي تلك " النفس " ، التي تعتبر أصل كل المحن ، وهناك من يضحون بأنفسهم ، وأنا في حيرة من أولئك الذين يضحون بحياتهم وأرواحهم ، لكن ألا يضحى كل منا بحياته ويهب كل عمره لشئ ما ، فما أسعده ذلك الذي يضحى بجسده من أجل روحه ، وإذا كان كل إنسان مستعدا للقتل في سبيل شئ قد لا يبقى بعده ، ويضيع المشتاق والمشتاق إليه ، فلماذا لا تكون التضحية بالروح في سبيل هذا العشق ،

كما كان ذلك المقبل العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، يريد أن يفعل ، إنه العاشق والمعشوق والعشق فكلها واحد (تذكرة الأولياء ، 189 في قول لأبي اليزيد البسطامي عن استعلامي 380 / 5) ، إن مائة حياة كانت في هذا القتل (عن البقاء بعد الفناء ، انظر مقدمة الترجمة العربية على الكتاب الثالث) ، فإذا كان أهل الهوى في نوى بعد نوى وهجر بعد هجر فارحموهم أيها الكرام فلستم تعرفون ما بهم من عذاب .

(3552) : " إنما يرحم الله من عباده الرحماء " (أحاديث مثنوى ، ص 7) ، و " الراحمون يرحمهم الرحمن " (انقروى 750 / 5) .

(3562 - 3570) : لم يعد هناك من بد من التقرب إلى الأمير والتشفع للزاهد عن طريق النفاق ، لقد بلغ غضبه قمته " والطاغية أصل الغضب " ، ولم يعد هناك إلا التقرب إليه عن طريق مدحه بما هو ليس فيه ويرى استعلامي أن الأبيات هنا في مدح " الإنسان " لكن إذا جاز هذا من البيت 3571 فلا ينطبق على الأبيات التي قبلها التي يوصف فيها الأمير بالجمال واللفظ والخذ المورد إلى آخره ، والكريم ابن الكريم ابن الكريم في حديث نبوي هو يوسف عليه السلام (مولوى 515 / 5) ولعل استعلامي انطلق من يوسف بن أحمد المولوي الذي فسر الأبيات هذا التفسير الذي فحواه : أي جمال يطلبه الإنسان من الخمر وهو من جملة الله تعالى بنفخته وجعل وجهه كشمس الضحى ، وجعله منورا لكوكب الزهرة (مولوى 515 / 5) ، وإلى مثل هذا التفسير ذهب إسماعيل الانقروى (753 - 755) .

(3571 - 3582) : من هنا يترك مولانا قصة الأمير والزاهد " دون أن يتمها فلا نعرف إن كان قد عفا عنه أو انتقم منه " ويتحدث عن الإنسان الكامل ذي الأبعاد التي تخرج عن هذا العالم واحتياجات هذا العالم ، إن الوجود كله في شوق إليه ، ذلك الإنسان المتصل بالبحر الكلى ، فكيف يتوق إلى قطرة من خمر هذه الدنيا ، الإنسان الذي قال الله فيه : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ، وَقَالِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، إنه هو الجوهر الذي سخرت له كل الأعراض وكل الخليقة " يا ابن آدم خلقتك لأجلى وخلقت كل الأشياء لأجلك " (أحاديث مثنوى ، ص 181) ،

لقد سخر له العقل والتدابير واللب ، ومع ذلك فقد باع نفسه رخيصة ، " كان أطلس فخاط نفسه على خرقة " ، إنك أصل كل علم ومع ذلك تبحث عن العلم في الكتب ، لك قلب يسع الخالق الذي لا يسعه الأرض والسماء ، وهكذا ففي وجود في حجم قطرة الظل اختفى بحر ، وفي جسده حدة ثلاثة أذرع ، هناك عالم أكبر قد انطوى :

أترع انك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي * بأحرفه يظهر المضمرة أترك تبحث عن السرور خارج نفسك وأنت
معدن السرور ، كيف تكون شمسا وتطلب السرور من ذرة ، وكيف تكون معدن السرور " كوكب
الزهرة " ، وتطلب السرور من جرة ، والروح التي لا توصف ذلك العالم العجيب تجعل لها كيفية
للسرور ، والشمس ، الشمس العظيمة تحبس في عقدة الرأس أو عقدة الذنب " أدنى هبوط
الكواكب وفيه يقع الكسوف " (لأفكار مفصلة حول موضوع تكريم الإنسان عند فكر مولانا
جلال الدين ، انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ، من مثنوى جلال الدين ، تحت عنوان
الإنسان ذلك العالم الكبير) .

(3583 - 3590) : يرد الأمير بأنه لا يقتنع بهذه السعادة التي يتحدثون عنها ، إنه " خدن " لهذه
" الخمر ، ويصف أحوال في السكر بها ، وأن من جرب لذة هذا السكر لا يمكن أن يقبل تلك
اللذة التي يتحدثون عنها ، إنها لذة خاصة بالأنبياء ، لأن الأنبياء قانعون بلذة القرب من الحق ،
وذلك لأنهم ذاقوها ، ومن ذاق عرف ، ومن هنا فهم عشاق للمحجوب الحي ، ومن عشق محبوبا
حيا ، كيف يأنس بمحجوب ميت من أنس بالآخرة كيف يأنس بالدنيا ؟ !

(3591 - 3598) : وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ (العنكبوت / 64) ، ويكرر مولانا في المثنوى هذه الفكرة القائلة بأن كل شئ في الدنيا
حتى الحجر شاهد بوجود الحق وعالم الغيب بشرط أن يفتح عين باطنه (انظر 1019 و 3903
من الكتاب الثالث) ،

والعبارة المذكورة في العنوان ليست حديثا نبويا بل تنسب حينا إلى الإمام على رضي الله عنه
وحينا إلى الإمام على زين العابدين السجاد رضي الله عنه (استعلامي 5 / 382) ،
ويقابل مولانا جلال الدين بين عالمين : عالم من الأحياء وعالم من الموتى ، ومن ثم فإن من
صار حيا بالنفس الإلهي لا يهنا له عيش في دار الموتى فطعامها يليق بالأنعام ، ومن أنس
برياض الجنة لا يقيم في هذه القمامة ، والروح لا تستريح إلا إذا عادت إلى موطنها في عليين أما
من يقيم في هذا البعر فهو دودة ، والكأس الطهور وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً هو للثملين بالله ،
وذلك الذي لم يأنس بعدل عمر رضي الله ، يقول عن الحجاج بن يوسف الثقفي سفاح بنى أمية ،
أنه عادل ، والبيتان التاليان مأخوذان من حديقة سنائي
(حديقة الحقيقة ، الأبيات 6962 - 6970)

ويشير إلى أن الدنيا مجاز للآخرة ، وصورة طفولية ، مجرد صورة لا نفع فيها ، والحقيقة
الكبرى هناك في الآخرة ، في العالم الحي الباقي ، والفكرة عند سنائي أكثر تفصيلا .

(3599 - 3615) : وهكذا لأن الكفار من عشاق الصورة فقد صوروا الأنبياء على جدران الأديرة والكنائس وقنعوا بهذه الصور ، ونحن لا تهمنا هذه الصور في شيء ، فنحن ما زلنا في نوبة ضياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ودينه حي في نفوسنا وقلوبنا فلا حاجة لنا بتصويره على الجدران ولا حاجة بنا إلى الضلال ، فإن كانت صورة أحدهم قد بقيت في الدنيا ، فإن الآخر صورته في كبد السماء ، وهناك إنسان جلس يستعرض نفسه ويتحدث إلى الآخرين بالنقاط ، وهناك إنسان آخر يعيش مع الحق تعالى في آفة ويتحدث إليه .

إن أذن جسده تسجل الكلام الذي يسمعه هنا لكن أذن باطنه تجذب إليه أسرار عالم الوجود ، وعينه الظاهرة مركزة على البصر لكن عين السر حائرة فيما زاغ البصر وما طغى (انظر عن الفرق بين العيين الكتاب الرابع الأبيات 2641 - 2644 وشروحها) ، وبينما تكون قدمه (الظاهرة) في صف الصلاة ، تكون قدمه الباطنة طوافة حول الفلك وهكذا فعدد أعضائهم ، هناك أعضاء ظاهرة هي التي تموت بموتهم وهذه لا يهمن أن تصور على الجدران ، إنما يهمن تلك الأعضاء التي هي خارج الزمان والتي لا تموت ، وفي نفس الوقت لا يمكن تصويرها لأنها معاني ، إنها تتبع ولا تصور ، وما للأنبياء يكون للأولياء ، ومن ثم فإن ذلك الولي الذي هو ولي الدولتين (دولة الظاهر ودولة الباطن) ، وإمام القبلتين (قبلة الكعبة ووجه الله) ، إن مثل هذا الولي الذي اقتبس أسرار الأنبياء وتمثل بهم لا تلزمه خطوات الولاية التي تلزم الناس العاديين فلا خلوة ولا أربعينية تلزمه (عن الخلوة والأربعينية انظر الكتاب الثالث 1616) بالنسبة لهؤلاء البشر الذين نجو من حلقات الضياء والظلام في الليل والنهار ووضعوا أقدامهم في نور الأبدية ، لا حاجة هناك إلى خلوة ، إنه كامن في قرص الشمس (في منبع النور ومصدره) .

وما أشبه هذا القول بقول سعدى :

إن الليل بالنسبة لأولياء الله * يتلأأ كأنه النهار المضي وهذه العادة ليست بقوة الساعد * بل يهبها الله الوهاب (انقروى 5 / 713)

وقد مر في الكتاب الرابع قصة أبي عبد الله المغربي الذي لم ير ظلمة الليل طيلة ستين عاما (انظر الأبيات 598 - 606 من الكتاب الرابع) . لم تعد هناك خشية ولا مرض وجرانه (الروحي) انتهى تماما .

لم يعد بين الشك وبين اليقين ، لقد تبدل كفرهم إلى إيمان كامل ، لا شيء لديهم إلا الألف المجردة (الاستقامة المجردة بلا إضافة نقطة أو غيرها وبلا انحناء) ،

خرج عن أوصافه ودخل في أوصاف الحق فذاب فيها ، صار عاريا من كسوة الطبع أي من أدران المادة وإضافات الجسد ، وأصبحت روحه عارية محتاجة إلى ذلك الحبيب الذي يطيل العمر ، فألبسه الله تعالى رداء القدس والملكوت من أوصافه جل شأنه ، فسمما به من حضيض الوجود إلى قمته ، هذا هو الأمير الحقيقي ، وليس الأمير إياه المعربد من أجل الخمر والذي لن يعود إليه مولانا أبدا .

(3616 - 3625) : وهكذا صفا هذا الولي وهذا الأمير الحقيقي على البشر من كدره ، وعندما يصفو الماء يسمو عن وعائه ويبقى الكدر في قاع الوعاء ، إن هذه التراب الثقيل يعطل الروح عن سيرها ، وهو رفيق سوء يقعد رفيقه عن السمو والعلو ، لكن تلك الروح كانت قوية وقاومت هذا الطين وسمت عليه وتخلصت منه ، لقد كانت قبلته عندما سمعت أمره تعالقلنا اهبطوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ولم تكن هي وحدها التي تعاني هذا العقاب وهذا الهبوط وهذا الذل ، كان هاروت أيضاً كذلك بالرغم من أنه كان من ملائكة السماء ، كان يظن هو وماروت أنهما لن يذنبا وأنهما معصومان من الذنوب فلما هبطا إلى أرض الذنوب ، ارتكبا من الذنوب ما لا يرتكبه الإنسان العادي في عمر طويل ، لقد ابتعدا عن مصدر النور ، فتسرب منهما النور (انظر الكتاب الثالث ، 796 وما بعده ، و 2674 من الكتاب الرابع و 3003 من الكتاب السادس ، والكتاب الأول 3334 - 3364 و 3429 - 3430 والكتاب الثاني :

2475 - 2478) مثل تلك السلة التي رأت نفسها وهي مغموسة في ماء البحر مليئة بالماء ، فانصلت عن البحر فأصبحت خالية تماما ، لم تكن تعرف أن الماء من البحر وليس منها ، ولما احترق كبدها من الفراق اشفق عليها بحر الرحمة واستدعاها إليه ، هذه الرحمة الجياشة من لدن الخالق الرحيم الرحمن لا علة لها ، وقد لا تسبقها طاعة ، إنه العطاء الإلهي الذي لا يريد سببا .

(3625 - 3634) : فاجعل الله هدفك وحوم حول بحر الرحمة وحول أولئك الذين يعيشون بالقرب منه من الأولياء وكمل الرجال ، مهما رأيتهم صفر الوجوه فديدن من ينتظر لقاء الله أن يكون أصفر الوجه وهذا اللون هو اللون الجدير بهم ، فإن حمرة الوجه دليل على أن صاحبه لا ينتظر شيئا ولا يشترق إلى شيء ، إن الطمع في لقاء الله طموح لا حد له ، إنه يجعل الإنسان نحिला أصفر الوجه ذليلا وإن كان صحيح الجسد فإن جالينوس نفسه يتحير من صفرة وجهه هذا لقد طمعت في أنواره ، والرسول صلى الله عليه وسلم قال : [من طمع ذل نفسه] لكن العشق

يسمو بالإنسان ومن ثم ينبغي أن يكون الحديث النبوي [طوبى لمن ذلت نفسه] (انظر 3796 الكتاب الثالث) والنور بلا ظل هو النور الحقيقي فكأن طالباً له ، ولا تطلب النور ذا الظل الذي يشبه النور الداخل من فتحات غربال والمعنى الموجود في البيت 3733 ورد في الكتاب الأول (البيت 136) والمقصود أن الحديث المباشر أفضل في هذا المجال حتى يدرك كل إنسان أن المائدة الإلهية من المعارف والمعاني إنما تمت (للصائمين) عن موائد الدنيا المبتعدين عنها ، أما المدعون (الذباب) فسواء لديهم الألفاظ والمعاني التي تحتوى عليها هذه الألفاظ .

(3635 - 3646) : عودة إلى الخيط الجامع يبين أجزاء هذا الكتاب أي قصة إياز فلا يكاد السلطان يطلب من إياز أن يفسر له سر غرامه بالسيرة الجلدية والحداء الريفي حتى يترك مولانا القصة وينصرف إلى موضوع آخر وكأنه أحس أن القارئ (أو السامع) لم يعد جاهلاً بالسر ، لكن السؤال هنا يحمل صيغة الجواب وكأن السلطان يقول : إنني أعرف سر تعلقك هذا ، لكنك لا بد سوف تقدم لنا تفسيراً (جديداً) لهذا المجال القديم ، فالأحوال متشابهة ومتكررة ، لكن العارف يقدم لها تفسيراً جديداً ، ويحس من جرائها بشعور جديد ، لأنها لا بد وأنها نابغة من منبع جديد هو عين أسرار عالم الغيب ، دعك من عالم الحواس الخمسة والجهات الستة ، وإن كنت أعلم أن هذه الأحوال الباطنة لا تتأتى في بيان ، بل لا بد أن تنبئ بأمثلة من هذا العالم الظاهر ، إن لطف الحبيب يجعل حتى تلك المرارة التي نحس بها من الفشل أذ من السكر ، ولو أن ذرة واحدة من هذا السكر الذي وهبه اللطف الإلهي تنزل في هذه الدنيا لحولت كل مراراتها إلى شهد ، وتيار اللطف الإلهي سار في الكون ، وليس مجرد حالة واحدة ، بل آلاف الأحوال ، تأتي من الغيب ثم تعود ، والماء الذي يجري في جدول ليس فيه سدود ليس ماءً واحداً فكل العالم في لبس من خلق جديداً فَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (ق 15) ، عالم سرور العارف ليس ماءً راكداً بل ماء متجدد ، كل يوم سرور جديد ، وكل يوم فكرة جديدة تحل بالقلب كالضيف ثم تمضي (الفكرة موجودة في الكتاب الثالث بالنسبة لجذرى القبض والبسط في القلب انظر الأبيات 360 - 363)

وهكذا فإن قلبك هذا كأنه منزل إبراهيم عليه السلام (القلب أيضاً هو كعبة الجسد) ، تنزل عليه الضيوف فلا بد إذن أن تكون كإبراهيم عليه السلام مكرماً للضيوف ماداً موائدك لهم ، وإياك أن تضيق بفكرة نزلت على قلبك بل أكرمها لأنها لن تلبث أن تعود إلى العدم (أي عالم الغيب) فهذا العالم أي عالم العدم هو أصل الوجود .

(3647) : القصة التي تبدأ بهذا البيت لم يجد لها أي من مفسري المثنوى مصدراً قبل مولانا جلال الدين ولعله ألبس أفكاره بعض الشخصيات فالمرأة هي النفس والرجل هو العقل الطالب للكمال أو القلب الباحث عن الله والضيف هو الواردات الغيبية التي ينبغي بفرح المضيف لها لا أن يبدي ضيقه .

(3666 - 3670) : إن الضيف أو الوارد الغيبي ، أو كما يتضح فيما بعد الرجل الذي كان ولياً من أولياء الخضر عليه السلام ، (الأولياء المسافرين الجوابون في البلاد دوماً) يدعو على نفسه التي سمحت له بالاستراحة من السفر وأخرت العودة إلى أصله ومنبعه ، فهذه الاستراحة قاطعة للطريق ، لقد كان وجه الرجل كالشمعة نورانياً ، وكانت الصحراء تمتلئ من نوره (انظر حكاية أبي عبد الله المغربي في الكتاب الرابع وشرح الأبيات 3599 - 3615 من الكتاب الذي بين أيدينا وحكاية الدقوقي من الكتاب الثالث) ، لقد كانت الفكرة التي وقرت من قبل الرجل المضيف أن الضيف كان ولياً كبيراً وأنه كان سيمنحهما الحياة الخالدة (الفناء في الله) .

(3676 - 3695) : يعود مولانا جلال الدين إلى الحديث عن ضيوف " الفكر " والمقصود الواردات القلبية والأحوال التي تترى على الإنسان والتشبيهات والتغيرات هنا تذكر بالأبيات 1314 - 1325 ، وغالباً ينظر مولانا إلى الإنسان على أنه " مجرد فكر " وما بقي عظام وعروق :

يا أخي إنك لست سوى فكرك وما بقي منك هو مجرد عظام وعروق .
فإن كان فكرك ورداً فأنت بستان ورد وإن كان فكرك شوكة فأنت وقود لموقد الحي (الكتاب الثاني البيتان 278 - 279) وفي الأبيات التالية يتحدث مولانا عن القبض والبسط (الحزن والسرور) أو الأفكار التي تسبب الحزن والأفكار التي تسبب السرور وفي كتاب سابق شبهها مولانا بالكسب الذي يعقبه الإنفاق أو الدخل الذي يعقبه الإنفاق وسكر السرور الذي هو ثمرة بستان الحزن والبسط الذي هو سعة وإنفاق والقبض الذي منه يكون الدخل (انظر الكتاب الثالث الأبيات 3733 - 3769 وشروحها) كما وردت فكرة عبوس السحاب والبرق وفضل ذلك على البستان في الأبيات المذكورة من

الكتاب الثالث وانظر إلى مولانا يتبع تيار الأفكار عند المرء وكيف تتراوح هذه الأفكار بين الحزن والسرور لكن الله تعالى لطفاً مخفياً في ثياب القهر وقهراً مخفياً في ثياب اللطف ويتحد القهر واللطف في التأثير (انظر الأبيات 545 - 548 من الكتاب الرابع والكتاب الخامس 1507 و 1510) المهم أن تكون متيقناً من هذا صبوراً على البلاء متقبلاً لكل ما يأمر به الله تعالى ، فرحاً بقهره انتظاراً لما يعقبه من لطف ، إن هذا الفكر سوف يعود إلى الله تعالى فيخبره عن سلوكك معه ، عن أسلوب تعاملك مع هذا الضيف النازل بك ، وادع الله إن حل بك البلاء واعتبر بأيوب عليه السلام ، لقد حل به البلاء لسبع سنوات فلم يعبس في وجهه هذا البلاء ولذا قال الله تعالى عنها: **وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** (ص / 44) وكان جزاؤه المغتسل البارد والشراب وأهله ومثلهم معهم ، رب أعذني من شرها وأنلني من برها ، وإن حل بك اللطف فقل : **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** (النمل 19) .

(3696 - 3707) : هذه الفكرة العابسة الحزينة على مثال السحاب الممطر منه يكون للأرض البوار الحياة ، وكم خلق الحزن والحرمان من أعمال عظيمة في حين يكون من الترفه والفرح المستمر موت القلب وموت الروح بل ترهل الجسد ، فلا تعبس في وجه الفكرة العابسة ، ابتسم في وجهها ، فلعل فيها جوهراً مهدى إليك وأنت لا تدري ، حتى وإن لم تستفد ، فمتى كانت الفائدة هي الهدف ، إنك بهذا الرضا تزيد عاداتك الطيبة عادة جديدة ، قد تنفعك هذه العادة فيما بعد وقد تقضى بها حاجاتك ، وفكر إن الفكرة التي تمنعك من السرور هي بأمر الله تعالى وحكمته ، فانظر فيها إلى حكمة الله من جميع جوانبها ، ولا تنظر إليها هوناً إن كنت حقاً من رجال الطريق وفتى من فتياه ، فلعل فيها حسن طالعك وإقبالك وعطاء الحق لك ، ربما كانت هي الأصل في انطلاقك ووصولك إلى ما تطمح إليه ، في حين أنه من الممكن أن تعتبرها أنت فرعاً من الفروع ورد عليك وصار عقبة في طريقك ، فإن اعتبرتها فرعاً ، ظللت في انتظار أصلها ، والانتظار مر يا بني ، ومن الانتظار يعانق الموت ليل نهار ، فعانق هذه الفكرة ، بدلاً من معاناة الانتظار فالانتظار أشد من الموت الأحمر (انظر 2134 من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(3708 - 3715) : عودة إلى قصة إياز وكان آخر ذكرها في البيت 3637 . والحديث من السلطان عن رجولة إياز تلك الرجولة التي يثبتها عند موقفين عند الغضب وعند الشهوة (انظر

الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 2892 وما بعده وشروحها) فهذه هي الرجولة الحقيقية ومتى كانت الرجولة بالذكر ، إذا كان الأمر هكذا ، فالحمار أكثر رجولة من الرجال ، وإذا كنت تريد وصف الرجال فارجع إلى القرآن الكريم وأقرأ في سورة التوبة فيه رجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (آية 108) وأقرأ في سورة النور : رجالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ (آية 37) وأقرأ في سورة الأحزاب مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رجالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ (آية 32) ، لكن الأجساد الضخمة موجودة في سوق القصابين ومن جعل همه بطنه وما يملأ به هذا البطن فليس عقلاً ، بل هو أقل من الذيل وأقل من الإلية .

(3716) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت لم يجد مفسروا المثنوى أثراً لها قبل مولانا ، ويبدو أنها من الفكاهات الشعبية التي تتناقلها الألسنة لكن الحكاية هنا تبدو في غير موضعها ، فأمر الرجل لابنته أن تسيطر على نفسها وهي في قمة شهوتها أمر مثير للسخرية ، لأن هذا الأمر لا يتأتى من الرجال المساطين على شهوتهم فكيف يتأتى من امرأة ؟ ولا يزال كثرة القصص ذات الإطار الجنسي (ولا أقول المدلول الجنسي فلم يقدم مولانا حكاية واحدة ذات مدلول جنسي) في هذا الجزء يثير التساؤل ، هل كان مولانا قد ضاق من الأمثلة التراثية في أن تفعل فعلها ، فنزل إلى مستوى أقل المرعدين لكي يضمن لأفكاره أن تصل ؟ الله أعلم .

(3737) : طبقاً لقاعدة التداعي يقدم مولانا مثلاً آخر لذلك الذي يبدو " رجلاً " بل و " صوفياً " لكن نفسه مسلطة عليه فهو يذهب إلى ميدان القتال ، لكنه ليس رجل قتال ، إنه " صوفي " من إياهم من أولئك الصوفية المدعين الذين يظنون التصوف اكلاً وصوفاً ولواطاً ، ويتحدث عن انخداع العوام بأمثال أولئك الصوفية المزيفين فيتهم أنه شيخ وأنه مرشد وأنه قطب ، ويصدق هذا الوهم مثل المعلم إياه الذي أوقع صبيان المكتب في روعه أنه مريض (انظر الحكاية بالتفصيل في الكتاب الثالث ابتداءً من البيت 1523) ، لقد ظن أنه من عظماء المجاهدين في الجهاد الأكبر (جهاد النفس) فمن ثم ماذا يبدو الجهاد الأصغر (الغزو) إلى جواره جولات جهاده الصوفي ؟ لقد عارك الصوفي في غير معترك ، وهجم على صورة الأسد الذي توهمه (على طواحين الهواء) ، فقالت له التجربة ، تعال ، والامتحان والتجربة في طريق كل مدع تنتظره لتفضح ادعاءه (انظر عن الامتحان 740 - 747 من الكتاب الثالث وشروحها) .

(3744) : الحكاية من هذا البيت غير مقنعة ، وفيها بعض " تساهلات " مولانا ، وهي على كل

حال قليلة في المثنوى . فمتى كان الأسرى يقتلون في الإسلام ؟ ومتى كان قتل الأسرى يعتبر غزواً ؟ كان المقصود فضح الصوفي المدعى للشجاعة ، لكن ليس على حساب قيم الإسلام في الجهاد .

(3756 - 3758) : ما أشبهك وأنت مستكين لهذه النفس الأسيرة بهذا الصوفي الذي لم يستطع أن يقتل أسيره بل وانتصر عليه واعتلاه ذلك الأسير المغلول ، وإذا كنت هكذا أمام امتحان النفس وهو امتحان يسير بالنسبة لما سوف تصادفه من امتحانات في حياتك فماذا أنت صانع فيها ؟ .

(3780) : يقول استعلامى (5 / 389) أن المقصود بالحكاية هنا هو العياضى لا العياضى ، وهو في معظم نسخ المثنوى العياضى بالياء وقال ولى محمد أكبر آبادي في شرحه أنه أبو بكر محمد بن أحمد العياضى من فقهاء سمرقند لكنه العياضى دون تشديد الياء ووزن الشعر يستدعى تشديدها (الشارح : ليست مشكلة فالشاعر الفارسي يتصرف في التشديد عند الوزن) ، ويضيف استعلامى : إنه من الصعب تحديد من هو المقصود ، والعياضى الوحيد المذكور قبل مولانا موجود في الباب الثاني من كتاب أسرار التوحيد باسم أبى الفتوح العياضى كشاهد لإحدى كرامات أبى سعيد دون أن يقول لنا من هو أبو الفتوح هذا ، ويواصل استعلامى إنه قرأ ما يشبه هذه الرواية في تذكرة الأولياء عن الشيخ أحمد بن خضروية (البلخي) من أنه ظل فترة يضيق على " نفسه "

التي بين جنبيه وذات يوم كان جماعة ذاهبين إلى الغزو ، وألحت على النفس أن اذهب معهم كنت أعلم أن النفس لا تهدي إلى طريق الحق وأن في إلحاحها هذا مكرراً ، فكبحت جماعها وضيقته عليها الخناق فاعترفت في النهاية قائلة كنت أريد أن تقتل وتغتر بشهرة الشهاد وبأنك صرت محبوباً للخلق ، وأنجو أنا أيضاً من هذا التعب وهذه الرياضة " الصوفية " لكنه ما لم يذكره استعلامى ، وما لم يذكره فروزانفر وتجاهله تماماً أن الأبيات الأولى تذكر بقوله خالد بن الوليد رضي الله عنه الشهيرة " لقد شهدت ألف غزوة أو زهاءها فما بقي في جسدي ضربة سيف أو طعنة رمح ، وهكذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء " ، هذا التجاهل شبيه بتجاهل الشراح الفرس لرواية عمر بن الخطاب وسارية رضي الله عنهما الواردة في الكتاب الثالث

(انظر مناقشات الرواية تعليقات الأبيات : 508 - 516 من الترجمة العربية للكتاب الثالث) ومن الممكن بل المرجح أن اسم العياضى من لدن مولانا أو اسم للصوفي لم يعرف بعد ، وأن مولانا وفق بين ما ورد عن

خالد رضي الله عنه حين موته وبين الرواية المروية عند أحمد بن خضروية في تذكرة الأولياء ونسج منها حكاية .

(3797 - 3798) : من هنا إضافة من مولانا والمضمون هنا قريب من الحديث النبوي [إنكم تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون] .

(3803) : إشارة إلى ما سوف يرد في حكاية تالية من حكايات الكتاب الخامس (انظر البيت 3950 من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(3805 - 3814) : يقارن مولانا بين اثنين من الصوفية : ذلك الصوفي المزيف الذي مر ذكره ، والذي استطاع الأسير المغلول أن ينتصر عليه لأنه كان قد خرج إلى الحرب رياءً وسمعة وليس عنده من فنون القتال النذر اليسير ، وهذا الصادق الذي خاض الحروب والمعارك لكنه لم يسمح " للنفس " أن تقوده مرة إلى الحرب رياءً وسمعة وفضل الجهاد الأكبر داخل الخلوة ، وكثير من هم الذين لا يخوضون جهاداً أصغر مدعين أنهم يخوضون الجهاد الأكبر متناسين أن بداية الجهاد الأكبر تستلزم عودة من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأصغر في البداية ويدق مولانا على قيمة الصدق ، إن الله تعالى خلق هؤلاء الصوفية المزيفين لكي يكونوا دلالة على وجود الصوفية الصادقين ، إنهم أشبه بعصى السحرة لا تلبث عصا موسى أن تظهر فتلقفهم جميعاً ، أين هؤلاء الصوفية من هذا الصوفي يقول شارحو المثنوى أنه العياضي لكن مولانا يقول آخر ويذكر أنه جرح في الحرب فربط جرحه وقاتل حتى استشهد ومن الواضح أنه ليس العياضي المذكور في الحكاية .

(3815) : إن الأمر يحتاج منك إلى استمرارية ، لا تغفل عن هذه النفس الأمانة لحظة واحدة بل داوم على إذلالها ومخالفتها ، وأشد ما تحرص عليه هذه النفس هو المال فقاوم رغبتها هذه بإنفاقه حتى ولو لم تجد وجهاً للإنفاق إلا أن تلقيه في اليم " ؟ ! ! " والمصدر هنا ما ورد في كشف المحجوب " الترجمة العربية ص 272 لكاتب هذه السطور وآخرين " يروى أن الشبلي رمى أربعة آلاف دينار في نهر دجلة ، فلما سئل ماذا يصنع قال الحجارة أولى بالماء فسئل لماذا لا تعطيتها الفقراء ؟

فقال : سبحان الله ماذا أقول إذا سألتني : لماذا رفعت الحجاب عن قلبي ووضعت في قلوب إخواني المسلمين كما ذكر ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص 357 حمل أبو الحسن النوري ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له وجلس على قنطرة وجعل يرى واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول جتنى تريد أن تخذني منك بمثل هذا .

(3821 - 3825) : عودة إلى حكاية الصوفي المقاتل الكرار غير الفرار : لقد انكسر رحمه عشرين مرة وجرح مرة ثانية ثم سقط ليكون مع المتقين في مقعد الصدق ، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (القمر 54 - 55) ، إنه لا صدق دون بذل للروح فاقراً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (الأحزاب 23) .

(3826 - 3835) : إياك أن تسمى هذا موتاً ، إنه موت الصورة لكنه ليس موت الروح (انظر الكتاب الثالث الأبيات 3537 - 3547 وشروحها) ويضيف مولانا إن الشهادة ليست بالجسد ، فالجسد مجرد مطية ، فانظر من يركبه ، لترى ماذا قدمت إلى الله سبحانه وتعالى هل قدمت له نفساً لم تجد مركبها فاتجهت إلى العالم الآخر ، إذن خسرت الدنيا والآخرة ، وما أشد سذاجتك ، فليس كل قتل شهيداً ، فالكفار أيضاً يقتلون ، وإلا صار كل قتل في مقام أبي سعيد (فسرره مولوى بأنه أبو السعادة) 5 / 552 وهكذا فسرره الأنقروى 5 / 802) وقال استعلامي أن المقصود هو أبو سعيد بن أبي الخير الصوفي والشاعر الفارسي في القرن الخامس وأبو سعيد بن أبي الخير لم يمت شهيداً . أليس من المحتمل ان يكون اسم الصوفي المذكور في الحكاية السابقة هو أبا سعيد ؟ إن الشهيد الحقيقي هو من قتل هذه النفس ونجا منها قبل أن يقتل البدن ، يصبح جسده سيفاً في يده وليس سيفاً مسلطاً عليه بشهواته ، لقد تبدل الرجل لم يعد هو هو عندما كانت نفسه بين جنبيه مسلطة عليه لكن السيف بقي وبقي في يد الحق ، ومثل هذا الرجل لا يهتم بالألم ولا يأبه به لا مثل أولئك الرجال " الجوف " الفارغين كأنهم الغبار .

(3836) : في سياق الحديث عن رجال الحق يقدم مولانا هذه الحكاية التي وردت قبله في أكثر من مصدر ورواية صاحبه المستطرف هي أقرب الروايات إلى جزئيات الحكاية عند مولانا جلال الدين (استعلامي 5 / 391)

وأبطال الحكاية سواء في رواية المستطرف أو في رواية نشوار المحاضرة لم يكونوا من الملوك فلا ذكر لملك الموصل أو خليفة مصر وربما حول مولانا الأبطال إلى ملوك لكي ينقد ملوك عصره وأمرائه . والحديث هنا عن الشهوة ونحن أمام رجلين كلاهما خضع لشهوته ، وإن كان أحدهما قد انصرف عنها في نهاية الحكاية ، وفي الحكاية قدر لا بأس به من المواقف الجنسية وقد تناولنا دلالتها فيما سبق

(انظر على سبيل المثال لا الحصر تعليقات البيت 1333 من الكتاب الذي بين أيدينا) لكن الجديد هنا أن مولانا يجعل الشهوة سبباً لاندلاع الحروب ، ولم لا وكثير من الحروب قديماً وحديثاً ربما

كان السبب في إذكاء أوارها شهوة امرأة لرجل أو رجل لامرأة ، والعصور القديمة حافلة بما يضيق المجال عن حصره ، والذي يثير السخرية هنا أن القائد مسلم والبلد التي هاجمها مسلمة والخليفة الذي انفضه وطلب منه أن يستخدم كل قوته في سبيل الظفر بالمحظية الجميلة مسلم والضحايا مسلمون وعلى كل حال لم يكن هذا من المستبعد في عصر مولانا حيث كانت الدولة الإسلامية تعاني من التفكك ، فمن شرقها احتل المغول جزءاً كبيراً منها ، والأناضول نفسها قسمت إلى عدة إمارات كانت الحرب تدور بينها لأتفه الأسباب بالرغم من أن كل أمرائها ينتسبون إلى البيت السلجوقي .

(3858 - 3864) : يترك مولانا القصة ليتحدث عن العشق الذي هو سر الكون وسر الخليفة وهو كالبحر والأفلاك والسموات من فوق مجرد زبد ، وما دوران الأفلاك وتجدد الكون إلا بالعشق ومن نزوع كل أجزائه بعضه إلى بعض ، وبدون هذا يتجمد الكون كله (انظر 4405 - 4424 وشروحها) وما تحول الجمد إلى نبات والنبات إلى حيوان والحيوان إلى إنسان إلا بسر العشق (انظر الكتاب الثالث الأبيات 3903 - 3909 والكتاب الرابع الأبيات 3637 - 3643 وشروحها) ومتى كانت الروح تنمحي فداءً لعودتها إلى تلك النفخة الإلهية التي هي أساسها والتي هي تجذب أرواح الواصلين إلى الحق (انظر 2890 من الكتاب الذي بين أيدينا) إن هذا العشق هو السبب في التسامي والعلو ، فكل جزء نزاع إلى الكمال وإلى العلو ، وبتسبيح الله سبحانه وتعالى يتطهر الجسد من علائق هذه الدنيا حتى تستطيع الروح أن تطير إلى الأعالي (انظر الأبيات 4395 - 4423 من الكتاب الثالث والأبيات 2011 - 2014 من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(3865 - 3879) : الكلام عن الشهوة التي تخدع الإنسان حتى في النوم " السراب " ، والحديث قد يكون عن البطل الذي اصطحب الجارية أو عن أي إنسان يظن نفسه قوياً وهو يبدو مسلوب الحيلة مفتضحاً أمام الشهوة (انظر الكتاب الثالث الأبيات 1695 - 1700 وشروحها) إنه بطل في الحروب لكنه أمام شهوة جسده مكتوف اليدين لا يستطيع أن يتقدم خطوة إلى الأمام أو خطوة إلى الخلف ، وكأنه ممن تنطبق عليهم الآية الكريمة وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (يس 9) لقد استطاع ثعلب (في الأصل أرنب) أن يلقي بأسد في البئر (انظر الكتاب الأول من البيت 904) فكيف لم يستطع مقاومة شهوته ولم يثنه الخوف من الخليفة عن فعلته ؟ وكيف تأتمن رجلاً يخلو بامرأة اللهم إلا إذا كان

هذا الرجل معصوماً كيوسف عليه السلام محفوظاً برعاية الله معتصماً بمعرفته ، فاستطاع أن يقاوم هذه الشهوة وهو غلام يراهق البلوغ .

(3896 - 3906) : إن الاتصال ليس مجرد اتصال جسدي إن الأرواح أيضاً ذات نصيب منه ، وهو ليس مجرد لقاء وقتي ينتهي بانتهائه ، لكن انظر إلى نتائجه ومن لقاء الأرواح أيضاً تتولد روح ثالثة واتصال الأرواح تستطيع أن تنظر إليه بعين الباطن ، ثم إنه أي تلك التي تتولد عن اقتران الأرواح تظهر صورها في الغيب ، ومن ثم فما لم تظهر لك تلك الصور عياناً لا تكن سعيداً هكذا من كل قرين ، بل أجل سعادتك هذه إلى ذلك الموت الذي تنتظر فيه إلى هذه النتائج ، وحتى تعلم أن إلحاق الذاريات الوارد في الآية الكريمة وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (الطور 21) مبدأ صادق ، إن هذه الأعمال التي تقوم بها في الدنيا ذات صور وآثار تنطق بقيمة هذه الأعمال (انظر لتفصيل هذه الفكرة الأبيات 3460 - 3485 من الكتاب الثالث وشروحها) هذه النتائج تنتظر كإنها ربات الحجال والهور المقصورات في الخيام تناديك يا غافلاً تعال ، فمن سبقوك إلى عالم الغيب في انتظارك ، فما تلكؤك هنا ؟ هيا أسرع وفي البيت 3906 عودة إلى ذلك البطل الذي خان الأمانة من جراء الشهوة .

(3910 - 3924) : يترك مولانا سياق القصة ويتحدث عن الخبر وعن العيان ، ومتى كان الخبر كالعيان ؟ إن الوصف مجرد تصوير من أجل أن تتخيل عين الوعي الشئ الموصوف ، ومتى كان من وظائف الأذن أن تشاهد الصورة ، وفي البيتين التاليين ترجمة رواية حدثت بين الإمام علي والإمام الحسن رضي الله عنهما (مأخذ 192 - 193) ، قال الأصمعي : سأل علي بن أبي طالب الحسن ابنه رضوان الله عليهم كم بين الإيمان واليقين ؟ قال أربعة أصابع .

قال وكيف ذلك ؟ قال الإيمان كل ما سمعته أذنك وصدقه قلبك ، واليقين ما رآته عينك فأيقنه قلبك وليس بين العين والأذنين إلا أربعة أصابع (العقد الفريد ص 276 ، ج 4) لكن الأذن تنفع في بعض الأحيان ، وهي التي تثير الخيال وإذا كان الخفاش قد احتجب عن الشمس ، فإن خيالاً من الشمس وتصورها لها هو الذي يخيفه منها ويسوقه نحو الظلام ، في حين أن خيالاً أمام من يدرك قيمة هذا الخيال قد يدفعه وقد يسوقه إلى الحقيقة . وكيف تقلل من قيمة الخيال ، وكل تصرفاتك قائمة على هذا الخيال ؟ وهناك فرق كبير بين الخيال والحقيقة ، ولا يستطيع أي إنسان مقيم على الخيال أن يدرك حقائق من هم أمثال موسى حتى

ولو استطاعوا أن يتخيلوه ، فليس كل شئ يمكن أن يتخيل ، هذا أمر بالذوق وبالتجربة . فهل هناك شجاعة قبل ممارسة الحرب بالفعل ؟ (لا شجاعة يا فتى قبل الحروب انظر 4007 من الكتاب الثالث) إن المخنث يقيم الحروب كلها في خياله وهو من خياله هذا يهجم على صور البطل رستم المرسومة في الحمام ، ويظن أن هذا قتال ، ويتوهم أن هذا انتصار ، وهذا الخيال الحاصل عن السمع سرعان ما تفضحه الرؤية والواقع ، وماذا يكون المخنث آنذاك يصبح كأنه المرأة العجوز في عجزها ولا يستطيع أن يفعل شيئاً .

(3925 - 3934) : لقد تحدث مولانا في الأبيات السابقة عن الإدراك عن طريق السمع والرؤية الباطنية أو بعبارة أخرى الإدراك النقلي والإدراك العيني والإدراك العقلي ، ويعبر مولانا عن النقل بالعلم التقليدي أو علم أهل الحس ، والإدراك العقلي والباطني أو العلم التحقيقي هو علم أهل القول (استعلامي 5 / 394 - 395)

وهذا الإدراك النقلي والعيني يمكن أن يصل إلى مرحلة الإدراك الباطني بشرط عناية الحق سبحانه وتعالى وإرشاد الشيخ وجهد السالك ومن هنا يقول مولانا : اسع لكي تصل من مرحلة الباطل (العلم النقلي) إلى مرحلة الحق وعندما تصل إلى مرحلة الحق تستطيع حتى الإذن إدراك هذا الحق فلا تسمع سوى هذا الحق ، وتصبح لهذه الأذن قيمة فما تسمعه يكون كأنه المشاهدة ليس هذا فحسب بل يتحول الجسد كله إلى عين تشاهد (تتحول كل شعرة في أجساد العارفين إلى عين) ،

إن هذا الإدراك يحول الصدر كله إلى مرآة ينعكس فيها هذا الجمال الإلهي ، جاهد إذن ليكون خيال (الحقيقة) زائداً فهو الدليل لهذا الباحث عن الحقيقة إلى الحقيقة والمجاز هو قنطرة الحقيقة ، فيها أيها الملك يا ملك الدنيا تحامق مع هذه الجارية والمحظية والزوجة لألف زوج - بتعبير حافظ - فترة من الوقت هذه هي ؟ ؟

وكل إنسان أخذها فترة من الوقت ، ويا من أنت في دنيا كحلم النائم ، اعتبرها حلماً ، وتعامل معها كحلم ، إن المأمن هنا في البحث عن رضا الله سبحانه وتعالى ، فاتخذة مأمناً ، قبل أن يأخذ جلال الموت بحلقك .

(3935 - 3946) : منكر البعث في البيت 3935 هو نفس المناق في البيت السابق إنه لا يعرف سوى ما يراه بعينه ولا يعترف إلا به ، فقل له ما أشبهك بطفل يقول أنا لم أر العقل فهل يعني هذا أن يتخلى العاقل عن عقله ؟ وإذا جاء أحد العقلاء وأنكر العشق على أساس أنه لم ير هذا العشق الذي يتحدثون عنه هل معنى ذلك أن يختفى هذا العشق عن الوجود لأن إنساناً لم يذقه لم يعترف به ؟ أنظر إلى الفرق بين نظرة إخوة يوسف إليه ونظرة

يعقوب (انظر الأبيات 3301 - 3303 من الكتاب الذي بين أيدينا) وموسى عليه السلام لم يكن يعرف أن عصاه (وهي في يده) سوف تنقلب إلى حية ، وهناك فرق أيها السيد بين هذه العين التي تنظر بها وعين الغيب ، فعين الغيب هي التي رأت العصا حية ولم يرها صاحب العصا مع أنه نبي ، كما أنه لم ير اليد البيضاء ، وهي يده وفي جيبه ، كان الله تعالى فحسب هو الذي يعلم ، وأنت على كل حال مقيم على ما أنت عليه ، لأنك محروم ترى كل ما أحدثك عنه خيالاً ووهماً وكل همك مصروف على شهوة البطن وشهوة الفرج ، ولا أملك إلا أن أقول لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ (الكافرون 6)

فلا فائدة من الحديث إليك ، ولا فائدة من عرض الإيمان على من شاخ على الكفر : والشيخ لا يترك ما به * حتى يوارى في ثرى رسمه

(3957 - 3958) : البيتان ناظران هنا إلى الآية الكريمة " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (الحجر 21) .

(3961 - 3969) : يتحدث الخليفة إلى المحظية وكأنه سلطان من سلاطين الطريق ، ويتحدث عن النور الذي في قلبه ويهديه إلى الحقيقة ، والقمر المخفى بالغمام ، والمصباح الذي يكون تحت الطست هو قلب العارف عندما تشغله أمور الدنيا ، وكأن السلطان هنا يدعى أنه من العارفين وعباد الله المؤمنين الذين وهبوا " الفراسة " وإجلاء القلوب ، وينظر بنور الله وإن كانت الدنيا تشغله بين الحين والآخر ، ووضع المصاحف على بعضها عادة إيرانية قديمة ، والمصاحف السبعة تعبر عن القراءات السبعة (مولوى 5 / 570) .

(3974 - 3984) : يترك مولانا سياق الحكاية وينصرف إلى بيان فكرة تحدث عنها قبل ذلك بالتفصيل في الكتاب الثالث الأبيات 3445 - 3485 وشروحها) إن كل شيء تظنه مخفياً سوف يظهر لك عياناً يوم الحشر ، إنك إن زرعت بذور السوء هنا فلا تظن أنك سوف تجني خيراً في الحشر ، وما أشبه هذا الحشر بالربيع الذي يظهر ما دفن تحت الأرض في فصل الشتاء ، وتبدى لك الأرض أسرارها ، وتأتيك بالأنباء عما تخفيه في باطنها ، وما أشبهك بشارب الخمر في ليل هذه الدنيا وظلمتها ، فإن أسفرت القيامة عن صباحها أخبرك الخمار عن تلك الخمر التي شربتها ، فالخمر هي البذرة المخفية ، والخمار هو برعمها الذي ظهر على وجه الأرض ، وبالرغم من أن البرعمة لا تشبه البذرة فإنها نتیجتها ، ومهما لم يتشابه الهیولی والأثر فهذا نتیجة ذاك وذلك هو السبب في هذا .

(3985 - 3999) : وانظر إلى كل الأشياء فمتى شابها أسبابها ، هل تشبه النطفة الطعام ، وهل يشبه الجنى النار ، وهل يشبه السحاب البخار ؟ وهل يشبه عيسى جبريل ؟ وهل يشبه الإنسان التراب ؟ وهل يشبه اللص المشنقة ؟ وهل تشبه الجنة الطاعة ؟ ، فاعلم أن أي ألم حاق بك أنه هو نتيجة زلة ، حتى وإن لم يشبه هذه الزلة التي ارتكبتها والشهوة التي قادتك إلى هذه الزلة (من الممكن أن يكون الحديث هنا من خليفة مصر إلى نفسه) وإن شعرت بالحزن فاستغفر ، فإن لكل حزن ذنباً ، حتى وإن لم تكن تعرف هذا الذنب أسجد لله الحكم العدل الذي لا يصيب إنساناً بألم أو حزن أو غم دون ذنب جناه ، والله سبحانه وتعالى سوف يستر عليك ويغفر لك ، بدلاً من أن تتغلب غصة الأحزان وهي مختفية في القلب إلى فضيحة " وينقلب قبض القلب إلى قبض العسس " (انظر لتفصيلات في هذا المعنى الكتاب الثالث الأبيات 348 - 361 وشروحها) .

- في العنوان السابق على البيت رقم 4000 مَنَ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا (الجاثية 15) وَإِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (الفجر 14) .

(4003) : إن من يعتدى على الأعراض يدعو الناس للاعتداء على عرضه فكأنه قواد لأصله [من زنا زنى به ولو بحيطان داره] (جامع 2 / 171) .

(4013) : عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا (الاسراء 8) .

(4015) : قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (الأعراف 23) .

(4030) : في العنوان السابق على البيت : نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (الزخرف 32)

والبيتان المذكوران في العنوان : ذكر مولوى (5 / 577) وأنقروى (5 / 839) (واستعلامى 5 / 398) أنهما لنظامى ولم يحددوا في أي منظوماته والأرجح أن البيت من مخزن الأسرار كما ذكر جعفري (12 / 584) أما البيت التالي فقد ذكر المولوى والانقروى أنه لسنائى الغزنوي من منظومته " اسرار نامه " وليس لسنائى الغزنوي منظومة بهذا الاسم وقال استعلامى أنه لم يستطع التوصل إلى قائله والبيت من حديقة الحقيقة وهو رقم 10518 (أنظر الترجمة العربية) .

(4035) : [حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات] حديث نبوي (انظر الأبيات 423 - 445 من الكتاب الذي بين أيدينا وشروحها) .

(4036 - 4039) : يعود مولانا إلى إياز وحكايته : فالسلطان يخاطب إياز على أنه مثال من أمثلة الرجولة الحقّة لأنه يتغلب على نفسه التي بين جنبيه ، إنه ناجح موفق في كل امتحان يمتحنه السلطان فيه ، ويمهد مولانا الحديث عن الحكاية التالية :

(4040) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت وردت قبل المثنوى في مصيبت نامه للعطار وفي مقالات شمس تبريز والاحتمال الأكبر أن يكون مولانا جلال الدين قد نقلها من مقالات شمس تبريز (استعلامى 5 / 398) وللب الحكاية أن أمر السلطان أئمن من الجوهرة مهما كانت قيمتها .

(4056) : حملهم من الطريق إلى البئر أي ضللهم ولم يخبرهم عن هدفه الحقيقي .

(4059) : العنوان السابق على البيت (عن التقليد والتحقيق انظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 2446 - 2454 وشروحها وعن الامتحان انظر الكتاب الثالث الأبيات 743 - 746 وشروحها) .

(4063) : إشارة إلى ما ورد في سورة يوسف فَمَلَأْ دَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (آية 15) وانظر الكتاب الثالث 2340 - 2344 وشروحها) والفتح والظفر هنا كناية عن العناية الإلهية .

(4070 - 4075) : الزاهد هو الذي يعبد خوفاً من النار أو طمعاً في الجنة والعارف هو الفارغ من الخوف والرجاء والعابد عشقاً ، إنه يعلم من البداية أن روح الانسان في الأزل كانت متصلة بالحق وأنها تعود في النهاية إلى الحق ، إن الله سبحانه وتعالى قد خلصه من كل ادعاءاته ، ومحا الخوف عنه فأصبح كله رجاء في وصال الحق .

(4082 - 4087) : الجوهرة هنا هي مغريات الدنيا ، وأمر الملك هو كناية عن العلاقة بين العبد وربّه والحجر الملون كناية عن الوثن والصنم وكناية عن الجوهرة التي حطمها إياز ، وكناية أيضاً عن كل ما يقف بين العبد وربّه ، وممارسة الملك التعلق بسواه من أجل خداع الألوان ، تلك الزخارف التي تصرف العبد عن التفكير في خالقها ، وما هي إلا جرار تحتوى على قليل من ماء البحر أو ماء الجدول ، فكل جميل في هذا العالم إنما يملك فتات الجمال والذي يشغله عن معدن الجمال وجوهره ، وقاطعو الطريق في الدين كناية عن أولئك الذين

يقعدون للسالكين كل مرصد ويصرفونهم عن الطريق القويم من المشايخ المزيفين المزورين ، وهؤلاء ديدنهم الرسوم والألوان والروائح ، وهم كالنساء (الفكرة من سنائي انظر ص 451 من الديوان) .

(4094 - 4106) : قد يكون مولانا يصور مناجاة من العبد أمام الله فمن يكون السلطان محمود الغزنوي لكي يتوارى السخاء كله أمام سخائه وتصغر الأحلام أمام حلمه ؟ وتكون الطيور المباركة التي إن أظلت أحداً كما تقول الأساطير جعلته ملكاً تأخذ بركتها منه ، وأي غفران يكون للملك وأي عفو يكون له بحيث تتجراً الثعالب على الأسود ، وعندما يتحدث مولانا عن الغفلة التي تنتج من الرعية من كثرة حلم الملك لا يمكن أن يكون المقصود هو الملك أو السلطان محمود ، بل لابد وأن يكون المقصود أنه لولا عفو الله لما تجرأ العبد على ارتكاب ذنب واحد وهذه الغفلة إنما تكون نتيجة عن الوقاحة ، فالعين الرمضاء هي التي لا تشعر بالهيبة ومن ثم لا تقوم بالتعظيم ، فكيف يشعر صاحب العين الرمضاء بالهيبة وهو لا يبصر شيئاً ، ثم يأتي التعظيم فيحرق هذه الغفلة ويحرق هذه الوقاحة ، والخائف لا ينام ، فهل رأيت نائماً أثناء غارة أو أثناء معركة ، وهكذا ، فإن من يحس بتعظيم الله تعالى ، تنطلق الغفلة وتنطلق الوقاحة خارج قلبه فينطلق مخاطباً ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا (البقرة 286) .

(4107 - 4111) : ومن هنا يحتسب النسيان كذنب على شكل ما ، فالنسيان لا بد وأن يكون لسبب من الأسباب ، وأهم سبب من هذه الأسباب هو التهاون في تعظيم ذات الله ، وقد يقول قائل : إن النسيان أمر يطرأ على الإنسان دون رغبة منه ، لكن النسيان مع ذلك قد يكون اختياراً ، فليس للسكير أن يحتج بالنسيان لأنه بسكره قد جلب هذا النسيان إلى نفسه .

(4113 - 4114) : وفرق بين سكر وسكر ، بين سكر بالخمير الأرضية تجلبه لنفسك ويكون وبالأعلى عليك ويحاسبك عليه ربك ، وبين سكر بالخمير الإلهية وبجمال الإله يعذك فيه الإله " ساقى الروح " ويحفظ عليك فيه عهدك ، بل إنه يعتذر عنك ، ويساعدك ، ويغفر لك زلة السكر فزلة العاشق التمل بالخمير الإلهية أفضل من طاعة غيره (انظر الكتاب الأول البيت 1589 وانظر الكتاب الثالث عن سكر هاروت وماروت بخرم القرب الإلهي) وكم من أمور تبدر من العارف التمل بالخمير الإلهية ينكرها عليه أهل الظاهر ومن لم يتذوقوا قطرة واحدة من هذه الخمر .

(4115 - 4117 : لا يزال إياز " العبد السالك والولي الكامل " يخاطب السلطان " أو السلطان الأزلي الأبدى " فيحدثه عن عفوه الذي تعد أنواع العطف الموجودة في كل العالم ذرة واحدة منه

[أن الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار] البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، وفي حديث آخر

[إن الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماوات والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض وآخر تسعاً وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة] أحمد في مسنده

(للحديثين الجامع الصغير 1 / 70) فهل يمكن أن يقاس عفو الناس بعفوه أو رحمتهم برحمته ، اتقوا أيها الناس القيام بهذه المقارنة الظالمة .

(4118 - 4124) : الحديث أيضاً موجه في الظاهر إلى السلطان محمود لكن أي فراق عن أمثال السلطان محمود يسبب هذا الهلع وهذا الوجد عند مولانا ؟ إن أمثال هذه التعبيرات عن الفراق لا توحى إلا بأن الفراق المقصود هنا هو الفراق عن نبع الحياة ومصدر العشق (انظر عن الفراق الكتاب الثالث الأبيات 405 - 411 وشروحها والأبيات 3690 - 3698 وشروحها) إنه وجهك الجميل يا الله ثواب أعمالنا فأني تحمل لفراقه ، إن نظرة منك حتى على الكافر تجعله يتحمل سقر وعذابها ، إن هذه النظرة هي الدية لأرواح كل من ضحوا بأرواحهم في سبيل الله وفي دعاء لعل رضي الله عنه " فلئن صيرتني في العقوبات مع أعدائك وجمعت بيني وبين أهل بلانك ، وفرقت بيني وبين أحبائك وأوليانك ، فهبني سيدي ومولاي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك " (عن سبزواري 4011) .

(4125 - 4134) : الإشارة هنا إلى ما ورد في الآية الكريمة قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ، قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (الشعراء 49 - 50) وانظر أيضاً الكتاب الثالث الأبيات 1246 - 1251 حيث وقفت رواية مولانا عند هذا الجزء الذي يبدأ في آخر الكتاب الذي بين أيدينا إن ما يعتبره فرعون قتلاً وموتاً يعتبره السحرة الذين آمنوا حياة أبدية خالدة ، ومن هنا قالوا لا ضير (انظر عن الموت كبدية لحياة أفضل الكتاب الثالث 3529 - 3536 وشروحها) ، فهيا اقترب يا فرعون حتى تسمع الألحان الإلهية تقوليا لَيْتَ

قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (يس 26 - 27) ، إن ما يعتبره فرعون فناءً هو في الحقيقة بقاء وما يعتبره حرماناً هو غنى فأني نيل وأي مصر ، إن النيل إلى جوار بحر المعرفة الإلهية مجرد جدول ، وهو إلى جوار عالم الروح الرحب المتسع لا يساوى شيئاً ، وأي فخر لفرعون بالنيل وبمصر ، وما النيل وما مصر ليقولاً لَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي (الزخرف 51) وفي عالم الروح آلاف الأمصار والأقطار ؟ ! كيف تقول يا فرعون " أنا ربكم الأعلى " وتهلع من عبد من عبيدك كل هذا الهلع ؟
(انظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 2442 - 2445 وشروحها) .

(4135 - 4142) : عندما ادعى فرعون الألوهية وقال أنا ربكم الأعلى أثبت أنه لا يعرف ربه ولا يعرف نفسه أيضاً ، وعندما اعتبر أن قتل السحرة هو إفناء لأنبيائهم كان واهماً ، فإنهم أدري بأنبيائهم وهم يدركون الآن أن تلك " الأنا " التي تخصهم قد نجت من أنيتها وإحساسها بذاتها وشهواتها وهمومها ، إن ذات فرعون كانت شؤماً عليه هو نفسه ، لكنها كانت سعداً واقبالاً على هؤلاء السحرة الذين آمنوا برب موسى ، وما هذه الجذوع التي يصلبهم عليها فرعون إلا المركب الذي به ينطلقون إلى ما لا يستطيع وهم أي فرعون أن يصل إليه ، إلى الملك الحقيقي ، وإلى دار الملك الحقيقي ، لا ملك الغفلة التي يظنه فرعون اللعين ملكاً ، وما هو إلا دار الغرور (انظر الكتاب الرابع 3083) وهكذا فإن فرعون يظنه عدماً وهو وجود وحياة ويظنه فناء وهو بقاء سرمدي (انظر عن البقاء والفناء مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) .

(4143 - 4148) : هناك نوعان من " الأنا " أنت حائر بينهما هذه الأنا الموجودة وجوداً جسدياً ، ثم وجودك الأزلي الأبدي أو ما يعبر عن مولانا بأنية الأزل التي يحار القلب في عوالمها وفي قدراتها وفي عظمتها ، والتي تعد " أنا " الجسد عاراً عليها ، والأنا التي بلا أنا هي تلك الذات التي تخلصت من أنيتها واتصلت بالبقاء سرمدي ، هي تلك الأنا التي بها تسعد الروح ، إنها حين تخلصت من أنية الجسد صارت جديرة بأن تطلق على نفسها لفظ " أنا " ولن تستطيع أن تحس بهذه الأنا إلا إذا توصلت إلى فناء تلك الأنية الجسدية ، حينئذ تكون حياة سرمدية ، تطلبك هذه الأنا ولا تطلبها أنت .

(4149 - 4152) : تراك تظن أن فهم هذه الأمور يتأتى بالعقل ، إذن لكان فخر الدين الرازي عالماً (المفكر في القرن السابع وخصم بهاء ولد والد جلال الدين والذي يقال إن

دسائسه لدى خوارزم شاه كانت السبب في غضب خوارزم شاه عليه ومن ثم هجرته مع أسرته من موطنه وقد ناقش عبد الحسين زرین كوب هذه القضية وجزم بعدم صحتها - انظر سر نی 1 / 74 - 77) والعقل هنا هو عقل الفقه وعقل المدرسة وعقل الجمع والعقل الدنيوي ، والأمور كلها بالذوق " ومن ذاق عرف ومن حرم اختلف " ومن ثم فإن هذه الأنا الجسدية لا تدرى من أمور الكشف شيئاً ، ولأن الأمور بالذوق فإن العقول الجزئية تتشدد بالحلول (أي حلول الله جل شأنه في جسد العين) وبالاتحاد والأمور كلها روحية ولا علاقة لها بالأجساد ، ولا علاقة لها بهذه الأنا إنه اتحاد النور (انظر 2038 من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(4135 - 4157) : إن هذا العبد " إياز " الفاني في الله من قربه منه ، المستمد منه النور لفرط عشقه كالكوالكب المقتربه من الشمس تستمد منها نورها ، وهكذا فناء العبد في النور إنه مثل تخلق النطفة وتحولها إلى جسد ، لقد صارت هذه النطفة جسداً كامل الخلقة فكيف تنكر تحول الجسد إلى نور ، وأي سقوط لك إذن في الاتحاد والحلول ، أي عفو يطلب من العبد ، إنك أنت يا الله خزانة العفو ، والعفو موجود في سابق لطفك ، والعفو للسلطين ، فأأي عفو يرجى من العبيد وأية جراءة لهذه " الأنا " حتى تتشبث برداء " الأنا " المطلقة .

(4158 - 4169) : لا يزال مولانا يتابع قصة إياز ومحمود " العبد الصالح والإله الخالق " وها هو إياز يعتذر عن أنه تشفع من أجل العفو عن الأمراء المجرمين والحديث الوارد في العنوان " أنا أعلمكم بالله وأخشاكم الله " لم أجد له أصلاً وأقرب ما توصلت إليه منه [إني لا أرجو أن أكون أخشاكم الله وأعلمكم بما يتقى] (شرح التعرف 2 / 76) .

والآية الكريمة فاطر 28 . ويعتذر إياز هنا عن التشفع بأنه أنا كان يفتح طريقاً من أجل معاينة حلم السلطان والرواية هنا اعتذار من الشفييع وفي الكتاب الرابع غضب من المشفوع في حقه (انظر الأبيات 2975 - 2984 وشروحها) ، ما هذا التبجح ، وما هذه الجراءة بحيث يقوم " عبد " بإخبار " السلطان " عن شروط الكرم ، وكل ما أنا إنما يكون من نورك يا مالك الملك ، وما جرأتي هكذا إلا لإكرامك لي وتفضيلك إياي ، لا بل أنت الذي أوحيت لي بهذا الدعاء وهذه الشفاعة (انظر دعاء الدقوقي وشفاعته في الكتاب الثالث البيت 2283) وعن أن الدعاء والاستجابة له (انظر الكتاب الثالث الأبيات 189 - 199 وشروحها) إن هذا الدعاء وهذه الشفاعة إكرام من الحق لبعض عبده لكي يكون فخرهم حتى يصبح هذا الذي كان ألماً بأجمعه بلسماً للخلق وطبيباً لهم وشافياً لآلامهم (انظر الكتاب الثالث 270) .

(4171 - 4179) : لقد جعلت أنت يا الله من هذا المخلوق الشهوانى الجدير بجهنم كأنه ماء الكوثر يطفئ نيران الجحيم ، بل يعيد من احترقت جلودهم في نار جهنم الدنيا وشهواتها ويجعلهم لائقين بالجنة مستعدين لها ، هؤلاء البشر هم ربيع هذا العالم يأخذون بأيدي من جردتهم رياح الخريف من الأوراق والثمار ويبثون فيهم الحياة ، كل منهم كأنه إسرافيل ينفخ في صور المعنى فيحيا موتى الروح وكونك يا إلهي قد اصطفيت من عبادك من خصصتهم بهذا الكرم هو مصداق لحديثك [خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لأربح عليهم "] (وردت أيضاً للإمام على رضي الله عنه : يقول الله تعالى يا ابن آدم لم أخلقك لكي أربح عليك إنما خلقتك لتربح على فاتخذنى بدلاً من كل شئ " (فروزانفر أحاديث مثنوى ، ص 58) .

(4182 - 4186) : إن عالم الغيب هو مصدر كل أحاسيسنا وعواطفنا وهو أيضاً مورده ، إن عفو الخلق مجرد صدى من عفوك أنت ، كلها سيول وجداول تفيض من بحرك وتعود إليك إنها كل صباح تطير صوبنا كأنها طيور وفي المساء تكون رجعتها إليك أنت ، إنها الأرواح ، تجعلها محبوسة في الأبدان طيلة النهار فإن جن عليها الليل تحلق إليك بأجنحتها عاشقة لهذا الأيوان صائحةً إِيَّاهُ راجِعُونَ (البقرة 156) .

(4187 - 4199) : الحديث عن الرجعة الأخيرة ، لا رجعة طيور الأرواح عند نوم الأجساد (من هنا قيل النوم هو أخ الموت واليقظة هي الحشر الأصغر) وعندما يناديها الخالق : تعالوا وتكون الرجعة الأخيرة ، فلا يبقى حرص ولا غم ولا يحزنهم الفزع الأكبر ، عندئذ تنتهى الغربة ، غربة الأرواح في الدنيا ، وبعدها عن منبتها الذي لا تزال تحن إليه منذ أن اغتربت عنه ، عندئذ تسترخى بعد الكدح ، كدح الدنيا وعنائها ، ويزوجون بالهور العين اللائي كن في انتظار هؤلاء الصوفية السالكين يعودون من سفر الدنيا ، ومن رحلة الامتحان ، ومن مزبلة البشر ، ومن متربة الدنيا ، فلا أثر منها وقد صفاهم ربهم من الكدر ، لكن هناك قوما آخرين اثقلتهم الذنوب ، ورسبوا في الامتحان ، لكنهم أيضاً أيها الإله طامعون في عفوك ، راجون مغفرتك ، أملون في لطفك ، فاغسلهم أيها الإله العظيم بالتلج والماء والبرد ، وصفهم في عين المغتسل البارد (ص / 42) ،

لكي يصطفوا في صفوف الملائكة مصلين لك مسبحين بحمدك ، معترفين بفضلك ولطفك ، تراني أستطيع أن أخط وصف هذه الحال في بيان ، وهل يستطيع القلم أن يصف هذا الرضوان !!

(2400 - 4208) : لا يفتأ مولانا جلال الدين يتحدث عن البيان الذي لا يستطيع أن يستوعب المعاني الراقية السامية التي تدور في ذهنه ، إن المعاني كالبحر والبيان كإناء فخار ، والمعاني كالأسد الهصور والبيان كالحمل الوديع ، ومن هو في حجاب لا يستطيع أن يعبر عما هو وراء الحجاب ، فأخرج من احتجابك بالمادة حتى ترى عالم المعنى ، والسكرارى بك أيها الاله يحطمون كؤوسهم دائما عند وجدهم ، وجد السكر لا يتم الا بعد أن يفيق الثمل ، وهؤلاء لا يفيقون أبدا ، فمن سكر بهواك لا يفيق .

(4211 - 4216) : لا يزال فضلك يقول لهذا الثمل بك ، اذهب وامض ، استرح ، إنك قد سقطت في المخيض ، إنك مخدوع (انظر 2716 من الكتاب الثالث) ، إنك تظن نفسك ثملا ، لا ، إنك أنت الخمر نفسها ، فبك ثمل الناس ، إنك ضعيف لكن الأقوياء يثملون بك عندما تسوق مركبك نحو بحر معرفة الحق والذائد الروحانية ، إنك أنت أيها الثمل بالعشق الإلهي برغم ضعفك محور الوجود وقطب المخلوقات (انظر 2339 من الكتاب الذي بين أيدينا) ،

ومن خمرك يا ثملا بالعشق الإلهي تصبح الجبال نفسها ثملة بالعشق (أيها العاشق ذاق الطور عشقا * رقص الجبل وموسى خر صعبا ، البيت 26 من الكتاب الأول) ، وكل الجواهر إلى جوار مرتبة العاشق رخيصة الثمن لا تساوى شيئا ، وماذا أقول ؟ ! إن البيان قاصر عن وصف هذا الذي لا يوصف ، وأي فم يستطيع أن يتحدث وخمسائة فم عاجزة وقاصرة ولا تستطيع أن تصفه ، وكلما أردت أن أصف روح العالم ، العشق الساري في الأكوان ، والعاشق أو الإنسان الكامل ، أصبت بالخجل ! !

(4217 - 4219) : إنني أشعر أمامك بالانكسار يا ملك العالم ويا عالما بالسر لأن بياني قاصر ولغتي عاجزة ، لكن هل أكون أكثر انكسارا من العدم الذي قد تخلق بالله عوالما تصل إلى الوجود عالما بعد عالم ؟ ! بلطفك ومنك وكرمك تأتي بالموجودات كلها في عالم العدم إلى عالم الوجود ، وغير هذه العوالم التي خلقت هناك آلاف العوالم التي تنتظر الخلق ، وهناك سير مستمر ، حركة مستمرة تحرك العدم إلى الوجود في مراتب وأطوار ، فمن الموت في عوالم الهيولى يجذبه إلى عالم الجماد وبالموت في عالم الجماد يجذبه إلى حيز النبات ثم إلى حيز الحيوان ثم يدخل في أطوار الإنسانية ، تجدد مستمر بين الموت والحياة ، ثم مرة ثانية بمقتضى إنا إليه راجعون عودة إلى العالم الأصلي ، عالم العدم مصنع الإبداع ومنشئه ، وفي هذا التغير المستمر ، هناك ما لا يتغير ولا يتبدل ، وقدم الصانع وحادثة المصنوع هو الذي

يفصل كل مراتب الوجود عن اللاهوت ، ومرتبة يعبر عنها العرفاء ب " هاهوت " ، فجوة لا يمكن عبورها تجعل العارف السالك واقفاً على نقص وجوده واحتياجه وفقره ، بحيث يئن دائماً وينوح من أجل أن يقوم بعبوره (سر نى 1 / 557) (انظر أيضاً مثنوى مولانا جلال الدين 2 / 690 و 762 و 3 / 3901 - 3906 و 1 / 1889) .

(4220 - 4227) : كل هذا يصيب رأسي بالدوار في طلبك ، أحس بأن كل ذرة من الحياة مصدرها أنت ، وأنا مجرد ميت أمامك ، والرغبة نفسها ، تلك الرغبة في أن تتكشف أمامي هذه الحجب ، أنت الذي خلقتها في صورتها في نفسي ، وأنت محركها ، وأنفاسك السارية في هذه الألوان ، ونفختك الإلهية التي هي أصل الخلق هي التي تحرك عالم التراب ، فهل يتحرك تراب دون ريح ؟ ! وهل تسير سفينة دون ماء ، إن ماء الحياة الذي يهب الموتى الحياة الخالدة وينقذهم من الموت إلى جوار ما تمنحه أنت من كدر ، فإن الموت منك أيها الإله هو بمثابة ماء الحياة (انظر لماء الماء البيت 1274 من الكتاب الثالث) .

(4228 - 4231) : وما الموت وما الحياة ، إن في كل لحظة موتاً ونشراً وحشراً (انظر سنائي الحديقة : الصوفية يقيمون في كل لحظة عيدين) ، والعمر كالجدول يتجدد ماؤه أولاً بأول (انظر الكتاب الأول 1153 والكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات 795 - 798) وهذا من جذباتك ومن كرمك ، وليس للماء وجود بدونك فأنت ماء الماء أي أصل الوجود وروحه السارية فيه ، وكيف يمكن لإنسان أن يجرؤ على استقبال الموت دون أن يكون عاشقاً لك ، والا فإن الموت بمقياس العقل الدنيوي كربه ، ولا يجعله حلواً إلا العشق .

(4232 - 4243) : ها أنا قد قدمت إليك الكتاب الخامس من المثنوى المعنوي ، كوكبا درياً ينشر النور في الأرواح ، وإنما يفهمه من هو أهله ، أما من ليس بأهل فإنه غافل عن طوابع السعد فيه واقتران هذه الطوابع ، إن هذا المثنوى كالشهاب الثاقب ، محرق للشياطين التي تسترق السمع إليه ، كأنه الرامي بالنفط ، نفس هذه النجوم التي تقوم بدور العقارب التي تلدغ الشياطين ، أو ذلك الكتاب الذي يجد فيه شيطاني النفس مثل لدغ العقرب ، يكون ولياً باعثاً للسعادة كنجم المشتري لمن هم يعتقدون " فيه " ويستمر مولانا فيدق على النجوم والبروج فهو " قوس " ، بالنسبة للشيطان و " دلو " ، بالنسبة للولي عند الزرع والثمر ، وهو كالشمس يمزق العدو كما يمزقه الأسد ، لكنه يربى الياقوت في منجمه ، وهكذا ، كل أثر فكري ، إنه قد يكون سمّاً في فم أحدهم ، لكنه يكون شهداً بالنسبة للآخر ، فإنك إن كنت حبيباً تنال منه

الشهد ، وإن كنت عدوا فليس لك منه إلا السم ، وألم يشرب الفاروق عمر رضي الله عنهم ذلك السم الذي وجد في غنائم المدائن (والرواية أيضاً وردت عن خالد بن الوليد) (أو أرسل هدية من قيصر الروم) ، ولم يمت !! (لم يقترب منها أي مفسر إيراني !!!) وهكذا رجل الحق فإنه لا يصاب بأدنى ضرر حتى من أي شئ يكون ضرره محتوماً .

*

تم بحمد الله تعالى رب العالمين
عبدالله المسافر بالله

.